شؤون فلسطينية

تموز (يوليو) ١٩٧١

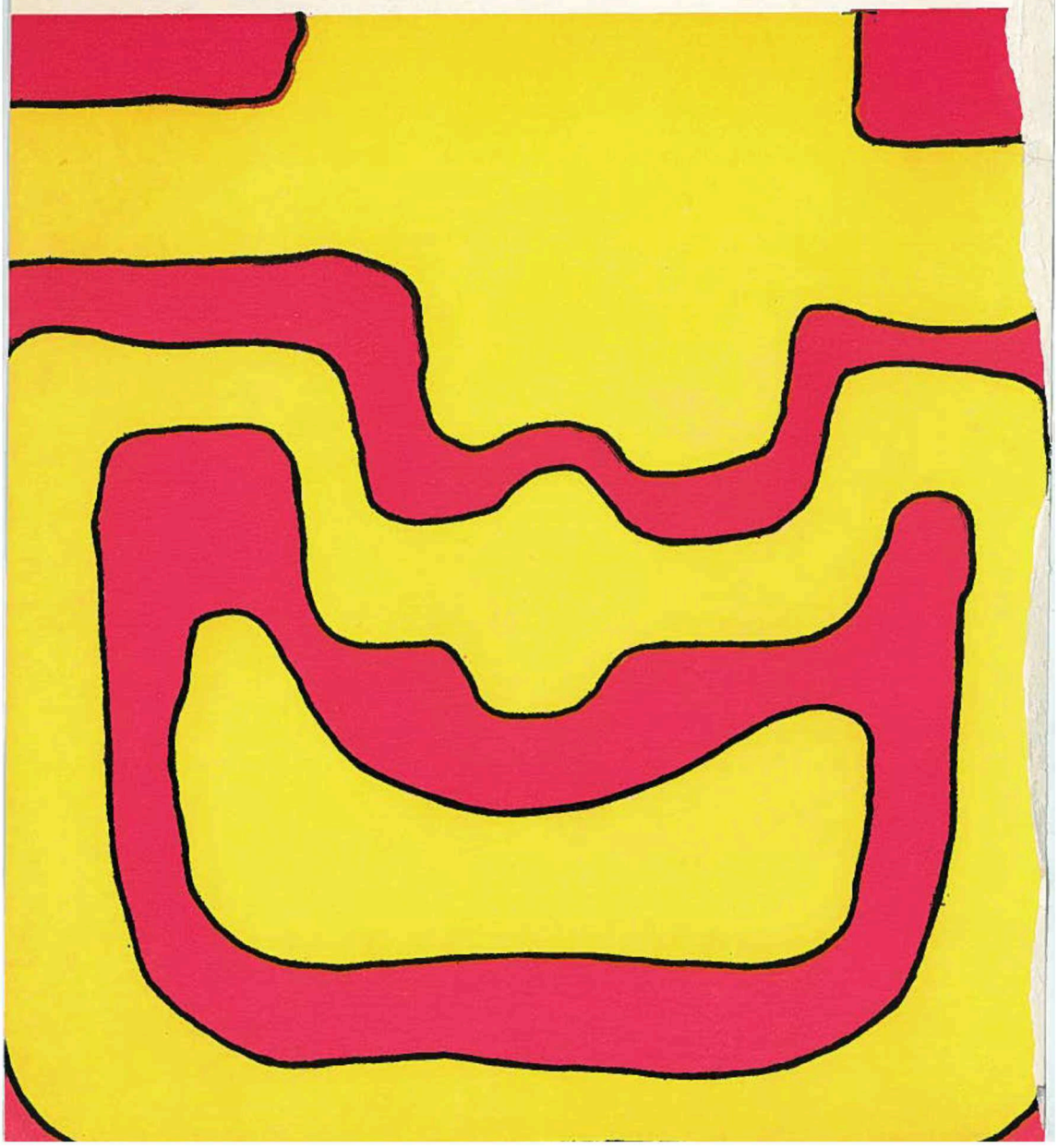

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: الدكتور انيس صايغ

رقم ٣ — تموز (يوليو) ١٩٧١

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر ست مرات في السنة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

هيئة التحرير : بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزه ، يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، ابراهيم العابد ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية مكارم وابو عز الدين شارع كولمباني (متفرع من السادات)، رأس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون ٢٩٣٧٧٨ مؤقتا ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد ٤ ل.ل. في لبنان او ما يعادلها في الوطن العربي، ٢١/٢ دولار في الخارج.

الاشتراك السنوي ٢٥ ل.ل. في لبنان او ما يعادلها في الوطن العربي ١٥ دولارا في الخارج (بريد جوي) .

PALESTINE AFFAIRS
A bimonthly journal published in Arabic by the Palestine Research Center
Editor : Dr. Anis Sayegh
Address : P. O. B. 1691, Beirut, Lebanon, Tel. 293778, Cables: MARABHATH
Subscriptions : 25 Lebanese Pounds in the Arab world
and $ 15 abroad (by air mail)

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] .

٥ **الفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران** ، بلال الحسن [رئيس قسم الشعب الفلسطيني في م. ا] .

٢٠ **التركيب البنيوي للعنف : خواطر نظرية في المقاومة الفلسطينية** ، د. اميل نخلة [استاذ العلوم السياسية في كلية ماونت سانت ماري في امتسبرغ ، ماريلاند ، في الولايات المتحدة] .

٣٥ **العقيدة الصهيونية في ظل « السلام »** ، د. اسعد رزوق [الباحث في الشؤون الفلسطينية] .

٤٨ **التسوية السياسية والنهوض العربي** ، د. نديم البيطار [استاذ العلوم السياسية في جامعة طوليدو اوهايو الاميركية] .

٦٥ **الاثار القانونية المترتبة على الصلح مع اسرائيل** ، د. صلاح الدين الدباغ [استاذ الحقوق في الجامعة اللبنانية] .

٧٢ **الضغوط الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة** ، د. سعيد حمود [الباحث الاقتصادي في مركز التخطيط] .

٨٤ **الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة في حرب حزيران** ، عبد الحفيظ محارب [الباحث في الشؤون العبرية في م. ا] .

١١٣ **تحرير فلسطين والتحرر العالمي** ، د. هشام شرابي [استاذ التاريخ في جامعة جورج تاون في واشنطون ، الولايات المتحدة] .

١١٨ **اوراق بيل الاميركية والصراع حول فلسطين** ، د. محمود حسن صالح منسى [استاذ التاريخ الحديث في جامعة الازهر] .

١٣٤ **عامل السرعة والمرونة في الحرب الحديثة ومدى تطبيق جيش العدو لها** ، العقيد مروان التميمي [العقيد المتقاعد في سلاح الهندسة في الجيش السوري] .

١٤٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، ب. ح. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [رئيس تحرير دراسات عربية] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم [المستشار في م. أ] . (٤) السياسة الاسرائيلية ، احمد خليفة [رئيس القسم العبري في م. أ] . (٥) الاراضي المحتلة ، ع. م.

١٧٦ **مراجعات** : شهادة الاطفال في زمن الحرب ، هاني حوراني [دارس في علم الاجتماع] . عاشق من فلسطين ، دنس جونسون دافز [المستشرق البريطاني] . الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقية والشرق الاوسط ، بيتر هيلير [من قادة « الشبان الاحرار » في بريطانية] . فلسطين : الطريق نحو السلام ، ابراهيم العابد [نائب مدير مركز التخطيط وكبير باحثي م. أ] . اسرائيل : شعبها والازمنة الحديثة ، سمير بوتاني [الاعلامي العربي في اسكندنافية] . حياتي مع اسماعيل ، ص. ج. ع. مولد اسرائيل ، ج. ج. تري [استاذة التاريخ في جامعة متشغن الشرقية في الولايات المتحدة] . الطلبة الاميركيون في اسرائيل ، ميليسيا خوري [المشرفة على مكتبة م. أ] . الولع باسرائيل ، مايكل جانسن [المشرفة على قسم النشر ، بالانجليزية ، في م. أ] . اسرائيل الحقيقة ، جودفري جانسن [الكاتب الهندي المتخصص بقضايا الشرق الاوسط] . الشرق المبهج ، خالد القشطيني [الباحث العربي في لندن] .

١٩٦ **ثلاث رسائل** : (١) رسالة بريطانية : الاذاعة البريطانية والصراع العربي الاسرائيلي ، ف. م. (٢) رسالة السويد : ملاحظات اشتراكي اوربي حول الكيبوتز ، ستيفان بكمان [الكاتب السويدي] . (٣) رسالة المغرب : اليهود المغاربة واسرائيل ، ابراهيم صرفاتي [الكاتب المغربي] .

٢١٩ **تقريران عن تعليم الفلسطينيين** : (١) تطور المفهوم الاجتماعي للتعليم لدى وكالة الغوث وتصور اولي لاهداف تخطيط تربوي للشعب العربي الفلسطيني ، نبيل ايوب بدران [الباحث في قسم الشعب الفلسطيني في م. أ] . (٢) تغيير المناهج المدرسية في الضفة الغربية للاردن بعد ١٩٦٧ ، نجلاء نصير بشور [الباحثة في قسم الشعب الفلسطيني في م. أ] .

٢٤٢ **انطباعات موفد خاص الى الضفة الغربية وقطاع غزة** ، ارليت تسيير [الكاتبة البريطانية] .

٢٤٨ **وثيقة** : بيان « الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان والمواطن » المتفرعة من الرابطة الدولية لحقوق الانسان في نيويورك .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

رأت « شؤون فلسطينية » ان تشارك في وقفة العرب التأملية في الايام الخمسة السوداء من حزيران وفي الهزيمة التي انبثقت عنها ، بنشر مقالة لاحد افراد هيئتها التحريرية حول الفهم الفلسطيني لتلك الهزيمة ، وهو موضوع لم يعالج حتى اليوم بالرغم من اهميته . وطبيعي ان هذه المقالة ، شأن سائر ما ينشر في « شؤون فلسطينية » ، انما هي تعبير عن راي كاتبها ، ولا تلزم بالضرورة هيئة التحرير ولا النشرة الدورية ككل . وشأن سائر ما تنشره « شؤون فلسطينية » ايضا ، نضع الآراء الواردة في المقالة امام القارىء كاجتهادات وكأفكار ليتناقش معها ويحاورها . واسرة التحرير ، ومن ضمنها صاحب المقال ، ترحب بكل ما يصل من القراء من تعليقات او مناقشات .

ومشاركة في الذكرى نفسها رغبت « شؤون فلسطينية » ان تستطلع الاوضاع القاسية التي يخضع لها أبناء شعبنا الصامدون في الارض المحتلة في السنوات الاربع الاخيرة استطلاعا مباشرا وفي أرض الصمود نفسها . ولذلك اوفدت ، لهذا الخصوص ، كاتبة بريطانية خبيرة بالمنطقة . وقد قضت هناك عدة اسابيع ، تتجول وتستفسر وتشاهد وتستمع وتلاحظ وتسجل . وننشر ، في هذا العدد ، اولى رسائلها .

وكان مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية قد دعا سبعة من المفكرين العرب الى ندوة مغلقة لبحث النتائج العملية لاية تسوية سلمية ، من الجوانب القانونية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والعقائدية والاجتماعية والتكنولوجية . وكان بين مواد البحث اوراق عمل ثلاث عالجت جوانب ثلاثة (قدمها الدكاترة أسعد رزوق ونديم البيطار وصلاح الدين الدباغ) . وتنشر « شؤون فلسطينية » هذه المعالجات في عددها الثالث هذا ، القريب صدوره من ذكرى الهزيمة ، وذلك لابراز خطورة التسوية السلمية لا من حيث المبدأ فحسب بل من حيث الآثار العملية على الاصعدة المختلفة ، وهي آثار تكمل ، اذا حصلت ، هزيمة حزيران وتجسدها في مكاسب اسرائيلية تفوق الهزيمة السابقة خطورة . لكن اصحاب المعالجات الثلاث المذكورة يؤكدون على ضرورة مطالعة معالجاتهم كأوراق بحث وكأفكار أولية للمناقشة وليس كأبحاث متكاملة .

وما دامت « شؤون فلسطينية » تسمح لنفسها بأن تتحدث عن نفسها في هذه الصفحة ، فلا بأس من أن تذكر للقارىء انها ، وبفضل اقباله على عدديها الاولين ، زادت من عدد النسخ المطبوعة ، ابتداء من هذا العدد الثالث ، بنسبة الثلثين . فانه يؤسفها (بقدر ما يرضي غرورها !) ان الالف النسخ التي طبعت ووزعت من كل من العددين السابقين قد نفدت من المكتبات (« قد طارت من الاسواق » اذا اردنا ان نقتبس من تقرير شركة التوزيع) خلال ثلاثة اسابيع فقط من تاريخ صدور كل من العددين ، بحيث تعذر على الادارة تلبية طلبات المشتركين وأصحاب المكتبات ووكلاء التوزيع . ومع هذا، وبقدر ما سيؤسفنا ان يبحث قراء عن العدد الثالث ولا يجدونه في حال نفاد النسخ الاضافية أيضا ، نرجو ان يضطرنا القراء الى القفز مرة اخرى في العدد الرابع او الخامس .

الفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران

بلال الحسن

من الامور(١) التي أصبح الاتفاق عليها كاملا ، ان هزيمة الخامس من حزيران قد اسقطت مفاهيم كثيرة كانت سائدة سيادة البديهيات في الواقع العربي . وأصبح حتى المواطن العادي يدرك ان متطلبات المواجهة العربية ــ الاسرائيلية تحتاج الى تغييرات عميقة في الواقع الاقتصادي والعسكري والسياسي .

في عام ١٩٤٨ ، ساد الانطباع نفسه ، وكانت له نتائج خطيرة جدا ، أدت الى سقوط أكثر القيادات التي تعاملت مع القضية الفلسطينية آنذاك ، ولم يكن سقوط تلك القيادات التي تعاملت مع القضية الفلسطينية آنذاك ، سقوط أفراد ، ولم يتم في لمحة عين ، بل كان سقوطا لطبقة كاملة من مركز القيادة ، حلت مكانها عبر صراع عنيف (اضطهاد الحركة الوطنية ــ الانقلابات ــ كبت الحريات العامة) طبقة جديدة ذات سمات وطنية واضحة ، خرجت من قلب المؤسسة العسكرية ، المؤسسة الوحيدة التي كانت ولا تزال قادرة على التحرك لتغيير الاوضاع بسرعة في عالم الدول النامية . أما هزيمة ١٩٦٧ فقد اوجدت نفس المناخ الجماهيري الذي يدرك ضرورة التغيير من اجل تأمين شروط افضل للمواجهة ، ولكن ظروفا متشابكة عديدة أدت الى قيام ما يمكن تسميته بمرحلة الانتظار ، انتظار تحقيق وعود كثيرة قدمت ، ومن ابرز هذه الظروف بناء الجيوش العربية ، والجو العسكري المتوتر لفترة طويلة على قناة السويس ، وبروز حركة المقاومة الفلسطينية والتفاف الجماهير حولها وانتظار المعجزات منها ، كذلك فان العلاقات الوثيقةالقائمة مع الاتحاد السوفياتي لعبت دورها في هذا المجال ، وسمحت بوجود رئة دولية يتنفس منها المواطن العربي ، وهو العامل الدولي الذي كان مفقودا عام ١٩٤٨ . وتوشك حاليا مرحلة الانتظار على الانتهاء وهي تقترب من نهايتها دون أن تحمل للمواطن العربي المفجوع بالهزيمة دلائل مشجعة على امكان تنفيذ الوعود التي قدمت . فهو بدلا من ذلك يرى في كل يوم اندفاعات جديدة نحو التسوية السياسية التي قبلها في البداية « كتكتيك » وقبلها « بشروط » . ولكنه يواجهها الان « كنضال سياسي » وبدون « شروط » . وليس من الممكن حتى الان ، تقييم النتائج « الواقعية والعملية » لهزيمة حزيران ، قبل أن تنتهي مرحلة الانتظار هذه . ولكن يمكن القول سلفا ان القانون الطبيعي الذي يرافق الهزائم ، العسكرية أولا ، ثم نتائجها السياسية ثانيا ، لا بد ان يسود ، وهو بالبداهة لا يسود بالمنطق المجرد ، بل عبر صراع طبقي عنيف .

وقد كانت للخامس من حزيران على الصعيد الفلسطيني بالذات تأثيرات هامة ، فقد كان العلامة الفارقة التي أنهت منطق « العمل الفلسطيني » للتحرير من خلال الاندماج في المؤسسات الوطنية العربية فقط ، سواء كانت انظمة او احزابا ، وابرزت بالاضافة اليه واحيانا بديلا عنه منطق « الدور الفلسطيني الخاص » . صحيح ان « حركة فتح » نادت بالدور الفلسطيني الخاص منذ عام ١٩٦٠ (بداية صدور مجلة فلسطيننا) ومارست

نداءها عمليا عام ١٩٦٥ (بداية عملها المسلح) . ولكن حركة فتح بهذه المبادرة كانت ظاهرة معزولة في وسط جماهيري فلسطيني وعربي يتجه نحو الحركة الوطنية العربية في مؤسساتها الرسمية والشعبية . فلم تكن لذلك قادرة على النمو والانتشار ، وساعد على بقائها في عزلتها انها لم تدعم ممارستها العملية للكفاح المسلح بأي تحليل سياسي يؤدي الى خلق تيار جديد على انقاض ما هو سائد(٢). وقد جاءت هزيمة حزيران لتوفر الاساس الموضوعي للدور الفلسطيني الخاص في العمل من أجل التحرير ، وفي هذه المرحلة فقط استطاعت حركة فتح ان تمتد وتنتشر . واصبح العمل الفدائي الفلسطيني المسلح ، موقفا مسلما به جماهيريا ورسميا .

لقد ولد « الدور الفلسطيني الخاص » في جو الفراغ العربي ، وفي ظل حالة العجز عن مواجهة الانتصار الاسرائيلي . وكان له بسبب ذلك تأثير نفسي عميق في أوساط الجماهير ، ولعب دورا فعالا في اعادة الشعور بالكرامة الوطنية ، وفي خلق أجواء الثقة بالنفس ، وخاصة بالنسبة للأجيء الفلسطيني الذي لم تكن له الهزيمة مرارة فحسب ، بل وكانت مذلة ايضا . واصبح العمل الفدائي الشيء المتحرك الوحيد في عالم جامد لا حركة فيه . هل تكفي الحركة وحدها منطلقا للتقييم ؟ هذا ما لا يتجرأ احد على القول به . فعدد الثورات الفاشلة في التاريخ أكثر بكثير من الثورات الناجحة ، أن التسليم بالدور الفلسطيني الخاص ، والتسليم بهذا الدور في اعقاب الهزيمة ، لا يعطي لهذا الدور ميزة خاصة الا اذا كان يمثل بالفعل فهما متقدما لعملية التحرير يتخطى الفهم العربي كما هو معروف وسائد . ولذلك فان دراسة الدور الفلسطيني الخاص وتقييمه هو بالاساس دراسة للكيفية التي فهم بها العمل الفلسطيني ثلاث مسائل : ١ ــ مؤشرات فهم الواقع العربي على ضوء هزيمة حزيران . ٢ ــ ابعاد الدور الفلسطيني الخاص في عملية التحرير . ٣ ــ العلاقة بين العمل الفلسطيني والعمل العربي . وحين نقوم بعملية رصد لمواقف المنظمات الفدائية من هذه المسائل الثلاث ، فاننا نواجه في البداية سيلا من العموميات والبديهيات ، تبدو المواقف ضمنه متفقة لا خلاف بينها . واذا كانت مخططات وبرامج الحركة الوطنية العربية قد عانت من هذه البديهيات طويلا ، فان الدارس لفكر حركة المقاومة يصطدم بسيل عظيم منها . وفي بعض الاحيان تصاغ هذه البديهيات بشكل ملتو ، لاضفاء طابع الاهمية عليها . ولكن كل ذلك لا يمنع من استكشاف المحاور الاساسية التي تدور ضمنها مواقف حركة المقاومة .

١ ــ موقف رفض وتجاهل التحليل العلمي : ان التيار السائد في حركة المقاومة هو التيار الذي يرفض او يتجاهل التحليل العلمي للقضايا التي تهم النضال الفلسطيني . ان كافة المنظمات تتحدث عن اثر هزيمة حزيران في هز الواقع العربي ، وعن حتمية التحالف بين العمل الوطني الفلسطيني والعمل الوطني العربي ، وعن الدور الكبير الذي سيلعبه العمل الفدائي في مستقبل القضية الفلسطينية ، ولكن الحديث عن هذه القضايا الكبيرة يرد في اغلب الاحيان في جمل مبتسرة ، وبطابع تقريري فوقي ، قد يعني كل شيء وقد لا يعني شيئا على الاطلاق ، اذ ان التحليل وحده هو الذي يحدد قيمتها ومداها . وهي بدون هذا التحليل تبقى كلاما انشائيا عاجزا عن التأثير والفعل في الحياة السياسية .

ان ادبيات فتح ابرز مثال على هذا النوع من المواقف . فحين نتصفح الكتاب السنوي لحركة فتح لعامي (٦٨ ــ ٦٩) قد نجد فيهما اي شيء ، ولكننا لن نجد ابدا تحليلا للهزيمة التي جعلت منهج فتح بالعمل الشعبي المسلح المنهج الفلسطيني السائد . كذلك لا نعثر في مجلتها (الثورة الفلسطينية) المخصصة للابحاث والدراسات ، موقفا من هذه القضايا حتى ضمن الاعداد الصادرة في شهر حزيران من كل عام . وحين تكتب حركة فتح شيئا في ذكرى الهزيمة ، فانها تكتب عن منجزات العمل الفدائي فقط . ان منطق فتح يبرر هذا الابتعاد عن الخوض في مسائل الواقع العربي ، ولكن المسألة ليست مسألة ابتعاد عن الخوض في هذه المسائل ، لاسباب تتعلق بحرية العمل واستمراره ، لو كانت

كذلك ، لكان الواقع الفلسطيني ، على الاقل ، قد أخضع للنقد والتحليل للاستفادة من دروسه ، ولكن حتى في هذا النطاق ، فان حركة فتح لا تقدم شيئا . انها تقرر فشل الاساليب الماضية . ولكنها لا تشرح السبب ولا تبين نقاط الضعف ، وعلى ضوء ذلك لا يعود هناك اي مقياس للحكم على صحة الموقف الجديد ، وقدراتـــه على الصمـــود والاستمرار ، وينفسح المجال امام الاعلان عن « الارادة والعزيمة والنوايا الطيبة » .

من الكتابات القليلة جدا لحركة فتح عن هزيمة حزيران مقطع صغير في كراس بعنوان « الثورة الفلسطينية المسلحة ومراحل تطورها » . يقول المقطع « ان نكسة حزيران تدل على **ضعف** في البنية العربية الثورية التي كانت تمثل القيادات القومية للامة العربية، واثبت فشل القيادات العربية **وسطحية** تخطيطها وعدم **جديتهـــا في التحـــرير** . ودلت مواقفها التي اتخذتها في تلك المرحلة على انها مواقف ارتجالية لم تتخذ بناء على دراسة علمية موضوعية . بل كانت مجرد مناورات سياسية تأخذ في اعتبارها المكاسب الآنية لاوضاعها الخاصة . وبكلمة قصيرة كانت الاستراتيجية العربيـــة تفتقر الى المضمون الثوري والتخطيط العلمي والاسلوب الصحيح ، لذلك فقدت **زمام المبادرة** ، حيث انتزعها العدو الصهيوني في حينها فحقق بالعدوان أهدافه المرحلية » .

هذا المقطع نموذج للموقف التقريري الذي لا يرغب بالاستناد علـــى اي تحليل ، وهو بالاضافة الى ذلك يتضمن فهما غريبا لهزيمة حزيران ، فالنكسة تدل : على **ضعف** فقط في البنية العربية . والضعف يمكن تلافيه بقليل من الاصلاحـــات ، وعلى **سطحية** في التخطيط ، والسطحية تعوض بالاعتماد على عناصر اكفأ ، وعلى **عدم جدية** في التحرير ، وفي ضوء الضعف فقط ، تصبح الجدية عاملا نفسيا يمكن علاجـــه بخلق التحديات . والنتيجة الطبيعية لكل ذلك اننا فقدنا **زمام المبادرة**. ولو لم نفتقد زمام المبادرة فمن المحتمل بل من المؤكد ان النتيجة سوف تكون غير ما كانت عليه .

ان منطقا من هذا النوع كفيل بأن يلغي كل دعوة لحرب التحرير الشعبية ، فما دامت نقاط الضعف في الواقع العربي هي ما تقدم ذكره فان تعويضها لا يحتاج لعناء الحرب الطويلة الامد . لا يحتاج لثورة ، بل لاصلاحـــات . ويمضي المقطع قائلا ان النكســـة « كشفت عن عجز في القيادة ، وفي الوجـــود الثوري وانحراف في الاستراتيجية التـــي اعتمدتها القيادات العربية »(٣). ماذا يعني العجز في الوجود الثوري ؟ ماذا يعني : الانحراف في الاستراتيجية ؟ هل ان الاستراتيجية سليمة ، وقد انحرفت عن أهدافها ، ويمكن العودة بها الى مسارها السليم ؟ قد نقول نعم هذا هو المقصود ، وقد نقول لا ان المقصود شيء آخر . ويبقى باب الاحتمال مفتوحا الى ان تدعم هذه المقاطع التقريرية بتحليل محدد .

** في ضوء هذا الفهم لهزيمة حزيران ، كيف تتصور فتح الدور الفلسطيني الخاص . كيف تفهم دور حركة المقاومة ؟ هنا ننتقل فجاة للتضخيم ، وفي ضوء الفهم الذي قدمناه لهزيمة حزيران لا يمتلك هذا التضخيم اي مبرر . فلا نستطيع القول مع فتح « لقد مزقت الثورة/الفلسطينية حـــالة الجمود العربي وكشفت عن ضعف بنيته وتركيبـــه المـــادي والفكري ، واصبحت ظاهرة ثورية رائدة تحاول من خلال وجودها وممارستها المسلحة نقل الواقع العربي بأسره من مرحلة الزيف والضعف الى مرحلة الحقيقة والقوة ، بسبب ما خلقته من مناخ ثوري بدأ يذيب التناقضـــات التي يعيشهـــا المجتمع العربي »(٤).

وبالاضافة الى ان هذا التضخيم لاثر حركة المقاومة ودورها في الواقع العربي ، يتناقض مع التشخيص المتواضع لهذا الواقع الذي قدم عند تحديد اسباب هزيمة حزيران ، فانه بدوره يلجأ الى لعبة الغموض والكلمات العامة غير المحددة الانتقال « من مرحلة الزيف والضعف الى مرحلة الحقيقة والقوة » .

** وتبلغ عملية التضخيم الانشائي ذروتها في الحديث عن علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية « ان الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية الكبرى تتمثل فيهـــا

أهداف الجماهير العربية وحيويتها وفاعليتها بسبب نشاطاتها اليوميـــة في قلب الواقع العربي »(٥). هنا نستطيع ان نفهم كيف ان الثورة الفلسطينية تمثل أهداف الجماهير العربية بالعمل اليومي من اجل التحرير ، ولكننا لا نستطيع ان نفهم كيف تتمثل في الثورة الفلسطينية حيوية وفاعلية الجماهير العربية . كذلك لا نستطيع أن نفهم ما هي نشاطات الثورة اليومية في قلب الواقع العربي . والتفسير الوحيد لكل هذا الحشد من الكلمات الكبيرة ، انها تشكل ستارا يتم الاختباء خلفه هربا من تقديم التحليل الواضح. وحين تريد فتح أن تنتقل الى التحديد تقع في شرك أفدح ، شرك المنطق السفسطائي في تحديد العلاقة الفلسطينية العربية « ان العلاقة بين الجزء والكل هي علاقة (جدلية) وعضوية » وهذا كلام مرتب وجميل وان كان بديهيا ، ولكن الكارثة تبرز عند شرحه وتفسيره، فهذه العلاقة جدلية « بحكم وجود وتوفر العوامـــل الموضوعية المشتركـــة في المجتمع العربي بكل أجزائه »(٦). وما دام الامر على هذه الحال ، فما هو فضل الثورة الفلسطينية ، وما هو تأثير فاعليتها وحيويتها ، ما دام توفـــر العوامل الموضوعيـــة المشتركة سوف يحل كل مشكلة ؟

وليس من المفيد أن ننتظر اجابة على هذا السؤال ، لان موقفا آخر في نفس الكراس سوف يلغيه من أساسه « ان فقدان الثورة الفلسطينية لاطارها الاقليمي ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية المكتملة ، يخلق فيها عنصر **المرونة والتكيف** مع النظم الاقتصادية العربية بتعددها »(٧). ان الانتقال يتم بسهولة من العلاقة الجدلية الى المرونة والتكيف « مع النظم الاقتصادية العربية بتعددها » . وهنا نقف على الارضية الاساسية التي تنبثق منها استراتيجية فتح ، والتي تحدد فهم فتح لعلاقـــة العمل الفلسطيني بالواقع العربي ، فالثورة الفلسطينية تتكيف مـــع تناقضات الواقع العربي ، والواقع العربي المتناقض تنحل تناقضاته عند نقطة لقاء واحدة ، هي القضية الفلسطينية . « ان الثورة الفلسطينية بكل معطياتها تعتبر نقطة الالتحام العربي مع العدو الصهيوني »(٨). « ان قضية فلسطين كانت ولا تزال عامل لقاء وتجمع للاقطار العربية بالرغم من فقدان العمل والتخطيط والقيادة من أجل تحريرها»(٩). (كيف يتم اللقاء والتجمع بدون عمل وتخطيط وقيادة ؟)

ان هذا الفهم للعلاقة الفلسطينية ــ العربية ، هو الذي قاد فتح الى شعار (عدم التدخل بالاوضاع العربية) . وفي البداية شرحت فتح شعارها بالشكل التالي « تلتزم قيـــادة الكفاح الوطني الفلسطيني **فكرا وعملا** بعدم التدخل في الشؤون الداخليـــة لاية دولة عربية ، باعتبار ان كل شعب من الشعوب العربيـــة مسؤول مسؤوليـــة مباشرة عن شؤونه وكفاحه الوطني كمنطلق ثوري صحيح للنضال على مستويات قومية »(١٠). ان هذا الشرح يبين ان رفض فتح لتحليل الواقع العربي هو رفض واع تماما ، فالالتزام بعدم التدخل في الاوضاع العربية ليس التزاما عمليا فقط بل هو التزام فكري أيضا . وهذا الشرح لا بد ان يقود الى تصور يعتقـــد ان الشعب الفلسطيني هـــو المسؤول مسؤولية مباشرة عن تحرير فلسطين ، وان الدور العربي بالتالي ليس الا دور المساعدة والدعم « يجب أن تعرف الامة العربية انها مشاركة للشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والرجال ... وان المرحلة القادمة سوف تتسع لاخوتنا العـــرب ليقفوا مع اخوانهم الفلسطينيين على جبهة القتال داخل أرضنا المحتلة »(١١). فبالاضافة الى المال والسلاح فان المساهمة العربية في معركة فلسطين تتلخص بمشاركة المتطوعين بالقتال ، وليس في النضال من أجل تهيئة الاوضاع العربية لتكون في مستوى معركـــة التحرير ، لان الوصول الى مثل هذه النتيجة هو تدخل **فكري** بالشؤون الداخلية العربيـــة ، يتضمن اشارة الى ان الواقع العربي ليس في هذا المستوى حتى الان .

في شرح آخر للشعار نفسه ، نجد محاولة للرد على الانتقادات الكثيرة التي وجهت اليه. يقول الرد : « رفعنا هذا الشعار حتى لا نعطي لاي دولة عربية أي مبرر لضرب شعبنا

من جهة وحتى تطمئن الدول العربية أن توجهنا لن يكون الا للساحة الفلسطينية . بشرط ان لا يكون هناك تدخل في المقابل من الدول العربية في الشؤون الفلسطينية . وبشرط ان لا يكون هناك اي مساومة على حقوق الشعب الفلسطيني ، او اي محاولة لتصفية القضية او التعرض لثوار فلسطين بشكل مباشر او غير مباشر »(١٢). ان هذا الشرح يمثل خطوة للامام ، ولكنه يحصر نفسه ضمن دائرة رد الفعل ، وأصحابه يدركون نقاط الضعف فيه ، لذلك يبادرون فورا للقول ان هذا الشعار : « في قمـــة الايجابية لانه يستهدف التفريق بين النظام والشعب . النظام الذي تمثله الدول والشعب الذي نحن جزء منه »(١٣). ولكن هذه التفرقة لا تأخذ مداها ولا تستخرج منها نتائجها المنطقية . لان حركة فتح تعود وتعطي لهذه الانظمة دورا أساسيا في معركة التحرير « ان الدول العربية بارضنا المحتلة يتركز دورها الحقيقي بالنسبة للكفاح المسلح في ان تتحمل ما ينتج عن عمليات المقاومة من ردود فعل اسرائيلية . وكذلك اعادة بناء قواتها المسلحة وتطوير جيوشها »(١٤). قد يقال ان هذا الحديث يشير الى ما يجب أن يكون وليس للواقع القائم. نعثر على جواب دقيق على هذه المسألة في موضع آخر « اما الجيوش العربية فانها تقوم في هذه المرحلة بدور الردع والحماية ، وتتولى الثورة الفلسطينية وقواتها المسلحة عملية الهجوم على المواقع والمراكز الاستراتيجية داخل الارض المحتلة لارباك العدو . . . وهذا التكامل في الدفاع والهجوم يخلق الاستراتيجية الثورية المطلوبة »(١٥). هل تعتبر فتح الدور الفلسطيني تكميلا لدور الجيوش العربية ؟ هل تعتبر الحرب الشعبية تكميلا لحرب الجيوش العربية النظامية ؟ هذا ما توحي به كتاباتها . ولذلك يصاب القارىء بالدهشة حين يقرأ بعد هذا السيل من المواقف التي اما أن تتحدث عن دور فلسطيني خاص ومنفصل ، او عن دور فلسطيني متكيف مع الدور الرسمي العربي ، موقفا ثالثا خطابيا يقول « وسوف تمتد الثورة الفلسطينية كتجربة عربية رائدة الى جميع الارض العربية لتشن حربا شعبية ضد قواعد الاستعمار والامبريالية وتتسلم زمام السلطة السياسية من يد القيادات التقليدية »(١٦). كيف تنسجم هذه الامنية مع الموقف الذي يحدد دور الدول العربية الاخرى غير المحيطة بالارض المحتلة على انه دور «يتركز أساسا في الدعم المادي المستمر . هي بعيدة عما يمكن ان نسميه بالخطر المباشر فالمفروض ان تعوض عن تعبئة الجيوش بتعبئة الجماهير »(١٧). ان الجواب مطلوب من حركة فتح ، لان احدا لا يستطيع ان ينوب عنها في هذه المهمة .

في أدبيات فتح يمكن العثور على بوادر واعية للعلاقة الجدلية (وليس الميكانيكية) بين العمل الفلسطيني والعمل العربي « القضية لم تعد قضية شعب فلسطين بقدر ما هي قضية الصراع **الخفي** (لماذا الخفي ؟) بين الامة العربية بكل تاريخها وحضارتها ، وبين الاستعمار بكل شراسته وخياناته . . . وما المعركة الدائـــرة بين الشعب الفلسطيني والوجود الصهيوني الا **ظلال** للصورة الخلفية للمعركة الحقيقية بين الاستعمار والشعب العربي . ومن هنا تبرز مسؤولية القوى العربية **المنظمة** ومسؤولية الشعب العربي في كل مكان لحماية ودعم ثورة الشعب الفلسطيني »(١٨) ولكن مثل هذه المواقف ، تضيع اولا في زحمة التناقضات ، وتقف ثانيا عند حدود العموميات ، فلا تأخذ مداها بالتالي من اجل صياغة وجهة نظر متكاملة وثورية بصدد موضوعة اساسية من موضوعات حركة المقاومة الفلسطينية .

ومن الممكن على ضوء ما تقدم القول ان حركة فتح تمثل تيارا اساسيا في حركة المقاومة الفلسطينية يتميز بالسمات التالية : ١ ــ ابتعاد واع عـــن الخوض في تحليل الواقع العربي او في تحليل هزيمة حزيران . ٢ ــ تصور للعلاقة بين العمل الفلسطيني والعمل العربي على انها علاقة دعم بالمال والسلاح والمتطوعين . وبهذا المفهوم تصبح مسؤولية التحرير مسؤولية فلسطينية بالدرجة الاولى . ٣ ــ يقود هذا التصور عمليا الى امكان اقامة علاقات وثيقة مع الحكومات العربية المتناقضة ، ومطالبة كل دولة بما تستطيع

نقديمه من ضمن ظروفها القائمة . ٤ ــ تضخيم لاثر الدور الفلسطيني في الواقع العربي، مقارنا بمشكلات الواقع العربي كما تشرحها فتح . ٥ ــ تناقض بارز ومكرر بالمواقف هو نتيجة طبيعية لغياب الاساس النظري لحركة فتح ، وهو نتيجة للرغبة بالانسجام مع الجميع ، وبالتالي حتمية الحديث بأكثر من لغة .

ومن الواضح ان نسيجا فكريا من هذا النوع لا يستطيع (بل ويرفض) تقديم جديد في فهم الواقع العربي ، وفهم طبيعة ارتباطاته بالقضية الفلسطينية ، يتخطى ما كان سائدا حتى هزيمة حزيران .

٢ ــ خطوة للامام تحت سقف الانظمة : في ادبيات الصاعقة وجبهة التحرير العربية ، نستطيع أن نتقدم مع الفهم الفلسطيني للخامس من حزيران خطوة للامام . ولكن هذه الخطوة ما تلبث ان تكبو وتنحصر ضمن حدود ضيقة . ولعل السبب الاساسي في ذلك ان هذين التنظيمين هما امتداد لتيارين رئيسيين افرزهما حزب البعث العربي الاشتراكي، فهما يعكسان بالتالي فكر هذين التيارين . ويأتي وجود هذين التيارين البعثيين في موقع السلطة في سوريا والعراق ليلعب دوره البارز في تحديد مدى النقد الذي يقدمه هذان التنظيمان للواقع العربي . وبسبب وجود تمايز شبه واضح بين التنظيمين ، فسنتناول مواقف كل منهما على حدة .

ا ــ الصاعقة : في مراحل تكوينها الاولى ، لم تطرح الصاعقة فهما متبلورا للواقع العربي الذي افرز هزيمة حزيران . قدمت نتفا متناثرة في بعض نشراتها ، تعكس فهما سطحيا للهزيمة واسبابها . وفي مرحلة متأخرة ، اخذت كتابات الصاعقة ، تعكس فهما أوضح للمسألة نفسها . وبدأت تحليلاتها تنمو نموا تقدميا واضحا ، ولكنه بقي دون حدود التكامل ، ورافقته في نفس الوقت كبوات غير مبررة . ففي الذكرى الثالثة لهزيمة حزيران أصدرت طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) كراسا بعنوان في ذكرى حزيران ، اشتمل على حديث مفصل عن تطورات معارك الخامس من حزيران ، وعن المؤشرات الجديدة في الاقتصاد الاسرائيلي ، وعن اثر العمل الفدائي على العدو الاسرائيلي . واكتفى الكراس بمقدمة موجزة وعامة جدا عن الوضع العربي . في هذه المقدمة الموجزة والعامة فسرت الطلائع هزيمة حزيران على الشكل التالي « في ظل اوضاع التخلف والتجزئة التي تعاني منهما الامة العربية، وفي غياب وحدة القوى التقدمية والوطنية المعادية للاستعمار ، استطاعت القوى الصهيونية ــ الامبريالية ان تربح المعركة العسكرية »(١٩). ومن الواضح ان هذا الموقف يندفع نحو النتائج قافزا عن اسبابها ، التي يشكل الحديث عنها محور التحليل المطلوب . فتحديد اسباب التخلف ، واسباب التجزئة ، واسباب غياب وحدة القوى التقدمية والوطنية، هو القضية الرئيسية المطروحة للبحث والنقاش . كذلك فان ربط الهزيمة بالتخلف يحتاج الى وقفة خاصة ، اذ ان حرب التحرير الشعبية هي بالاساس منهج عمل شعب متخلف لمواجهة قوى تتفوق عليه بآلة الحرب والقدرة الاقتصادية .

ان التخلف عند الصاعقة ليس مرتبطا بمنهج طبقي معين . فالقضاء على التخلف يمكن ان يكون بتنشيط الفعاليات الاقتصادية القائمة وليس بتغيير نمطها « من الضروري اتخاذ كافة الاجراءات الفعالة **لتحسين** مستوى الانتاج ، **ورفع** انتاجية العمل ، وتحسين ادارة القطاع العام ، وهذا يتطلب **تقليص** الانفاق غير الانتاجي ، **والتعجيل** في انجاز المشاريع التي هي قيد التنفيذ ... ان تحقيق زيادة الانتاج ... يعتبر التجسيد الحي لاصرارنا على متابعة الكفاح وعدم الرضوخ لمشيئة المعتدين »(٢٠). ان معالجة الوضع الاقتصادي العربي من هذا المنطلق تكرس ما هو قائم ، ولا تدعو الى ما هو اكثر من « النشاط والحيوية » . ويقود هذا الفهم الى نتيجة منطقية تؤكد القدرة على الانتصار ــ بعد قليل من الجهد ــ في ظل الوضع الراهن . وهذا ما تعلنه الطلائع فعلا فهي تعتقد ان حركة التحرر العربي استطاعت « ان تتجاوز كل حسابات التحالف الامبريالي الصهيوني، وبدل

ان تسارع للرضوخ والاستسلام ، ازدادت صلابة ووعيا وقدرة وتصميما على خوض حرب طويلة الامد ، واضحة الاهداف والمصير »(٢١).

ان الرد على هذا الفهم للهزيمة ، يأتي من الطلائع نفسها حين تقول « كانت هزيمة حزيران نتيجة حتمية لواقع التكوين الطبقي والايديولوجي والسياسي لحركة الثورة العربية »(٢٢). ويمثل هذا الرد نموذجا لمحاولة الطلائع تكوين رؤيا اشمل واعمق لاسباب هزيمة حزيران ونتائجها ، يعبر عن نفسه في محاولة استخلاص النتائج التي تترتب على القول بأن هزيمة حزيران كانت نتيجة تكوين طبقي معين . ومن النتائج التي حددتها في هذا الميدان : ١ ــ رفض شعار عدم التدخل في الاوضاع الداخلية لاي قطر عربي . ذلك انه « لا يمكن تحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني الامبريالي ، دون النظر الى ركائزه المادية المتمثلة بالزمر البورجوازية الرجعية المرتبطة المتآمرة »(٢٣). ٢ ــ توسيع اطار المعركة مع اسرائيل لوضعها ضمن مجالها الحقيقي من خلال التركيز على ان اسرائيل هي « اكثر من استعمار استيطاني ... انها الوجود العسكري الاميركي الامبريالي ... انها الفكر البورجوازي الرجعي ... انها البنى الاقتصادية والسياسية التي تكبل الطاقات والامكانيات الهائلة لجماهير الشعب العربي ، انها شركات النهب الامبريالية التي تمتص ثرواتنا »(٢٤). ٣ ــ تأكيد التلاحم العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية والخروج بهذا التأكيد عن نطاق الصيغ الانشائية المقطوعة الصلة عن معاني هذا التلاحم « فالمطالبة باستقلالية الثورة الفلسطينية ، بحجة التمييز بين قضايا التحرر الوطني ، وقضايا التحرر الاجتماعي والاقتصادي ... ان هذه المطالبة عدا عن كونها عملية فصل تعسفية بين العدو الوطني والعدو الطبقي ، فهي فلسفة بورجوازية يمينية »(٢٠).

وهكذا نجد ان الطلائع حققت نقلة واضحة في طبيعة فهمها لهزيمة حزيران . فهل يتطابق هذا الفهم للهزيمة مع طبيعة الدور الذي تتصوره الطلائع للعمل الوطني الفلسطيني ؟ تقول الطلائع « ان حركة المقاومة (رغم كل السلبيات والمعوقات) لا زالت تحمل امكانية تحولها الى حركة تحرر وطني تحمل لواء الثورة الشعبية المسلحة . ولكن ذلك يتطلب وعيا متزايدا لطبيعة الصراع القائم بين حركة التحرر العربية ــ الفلسطينية من جهة وبين الحركة الصهيونية والدول الامبريالية والقوى الرجعية من جهة ثانية »(٢٦). ان التفاؤل بارز جدا تجاه الدور الفلسطيني في معركة التحرير . ولكنه تفاؤل واع لطبيعة الشروط اللازم توفرها حتى يأخذ هذا التفاؤل مداه . ويعبر هذا الوعي عن نفسه بصورة ادق في الملاحظات النقدية حول سياسة حركة المقاومة . فالطلائع تعتقد ان « علاقة الحركة المسلحة الفلسطينية بالاوضاع العربية المحيطة بفلسطين لا زالت تحكمها العفوية والارتجال وردود الافعال اكثر مما يحكمها الموقف الايديولوجي المبدئي »(٢٧). وفي نطاق تعامل حركة المقاومة مع الجماهير ترى الطلائع ان هذه العلاقة « لا زالت تقوم على العفوية والارتجال نظرا لغياب الخطة النابعة من الايمان بالجماهير المنظمة ، وباهمية العمل السياسي الى جانب العمل العسكري »(٢٨). بهذا الموقف النقدي لممارسات حركة المقاومة ، يوضع تفاؤل الطلائع بمستقبل الدور الفلسطيني في اطاره الصحيح البعيد عن النرجسية والفوغائية الاعلامية .

عند هذه الحدود تقف قفزة الطلائع نحو الامام ، وتبدأ تحليلاتها بالقيام بعملية لوي لعنق الزجاجة . وهدف عملية لوي العنق هذه ، ربط حركة المقاومة الفلسطينية بالانظمة العربية، التي قالت الطلائع نفسها ان ما هزم في حزيران هو تكوينها الطبقي والايديولوجي والسياسي . فهي تعتبر صراحة « ان العمل الفدائي بشكله ومضمونه المادي والمعنوي يؤلف اداة من ادوات العمل السياسي والعسكري للاستراتيجية السياسية العربية على النطاقين المحلي والعالمي »(٢٩). وبالطبع لا يمكن النظر لهذا الارتباط بصورة مجردة عن مضمون السياسة العربية على النطاقين المحلي والعالمي ، ومهما كانت نوايا الطلائع من

وراء ذلك فان المضمون الحالي للسياسة العربية يتعارض مع المضمون الفلسطيني لها ، ومن شأنه نتيجة لذلك ان يحصر العمل الفدائي المسلح ضمن قمقم هذه الانظمة . والمقال نفسه يقدم لنا تصورا للنتائج العملية التي تترتب على هذا الارتباط فهو يقول « في كل الظروف والاحوال يطلب من العمل الفدائي ان يكون دائما ملتحما بالعمليات النظامية للجيوش العربية لدول المواجهة لمساندة القوات المسلحة »(٣٠) في مهمات الاستطلاع وتخريب خطوط المواصلات . وبهذا يتحول العمل الفدائي الى فرق كوماندوس ملحقة بالجيوش العربية ، من المؤكد ان فرق الكوماندوس التي تنشئها هذه الجيوش نفسها ، اكثر قدرة وخبرة فنية منها . وبهذا ايضا يلغى مفهوم حرب التحرير الشعبية حتى ضمن اطاره العسكري ، وتنتفي نهائيا الابعاد الاخرى لحرب التحرير الشعبية ، لنجد انفسنا في النهاية امام بدايات واعية لمعنى هزيمة حزيران تنتهي الى نتائج توفيقية ، تحت سقف الانظمة العربية .

ب ــ جبهة التحرير العربية : تحرص جبهة التحرير العربية على تقديم نفسها على انها صاحبة موقف متميز في فهم طبيعة المعركة مع اسرائيل . فهي تنادي بقومية المعركة ، معتبرة ان اكثرية التنظيمات الفدائية تنطلق في نضالها من منطلق قطري عاجز عن تلبية متطلبات التحرير . بل انها ترى ان « مفهومها » القومي هو مبرر وجودها بالذات . وانطلاقا من مفهوم قومية المعركة تطرح جبهة التحرير كل تحليلاتها . ويتوقع القارىء نتيجة لذلك ان يجد لديها تعميقا لمفهوم قومية المعركة ، وتحديدا أدق لمعنى الترابط بين المعركة الفلسطينية والمعركة العربية ، ولكن هــذا التوقع ما يلبث ان يخيب مصطدما بأكثر المفاهيم سطحية عن معاني « قومية المعركة » .

ان الحيز التقريري والانشائي في ادبيات جبهة التحرير بارز بشكل واضح ، ويعبر عن نفسه احيانا بشكل ساذج جدا على غرار القول بأن هزيمة حزيران قد اكدت « حقيقة كانت معروفة ، وكانت بعض الحركات الثورية تنادي بها ، ولكن اعلانها والمناداة بها لم يبلغا الحد المطلوب من العمق والجدية . ان هــذه الحقيقة هي انه يجب حشد جميع امكانيات الامة العربية على اعمق واقوى شكل حتى تتمكن من الصمود في وجه الغزو الامبريالي الصهيوني والتغلب عليه »(٣١). ولا شك ان هــذا الاكتشاف « المتكرر » للبديهيات يثير الدهشة حقا . ونحن نجد مثيلا له في بيانات تعد عادة بدقة متناهية ، مثل البيان السياسي الذي أعلن قيام الجبهة ، فقد جاء فيه « أمام الاستعمــار العالمــي والصهيونية والرجعية تقف الامة العربية مهددة في وجودها لا تجد طريقا للخلاص الا تضافر القوى الثورية وتجنيد طاقات الامة كاملة في المعركة »(٣٢).

وفي تحليلها للواقع العربي الذي ادى الى هزيمة حزيران نجد نفس هذا النسق الانشائي. فهي تقول « ان واقع الامة المجزأة الى اقطار، المفتتة ضمن حركات وتنظيمات مختلفة ، واقع صارخ لا يحتاج الى اثبات ، ولقد تجلت عيوب هذا الواقع اكثر ما تجلت صبيحة الخامس من حزيران ، حين استفاقت الامة وسط تجزئها وتفتت قواها وتشرذم ابنائها ، لتجد الهزيمة قد نفذت اليها بسرعة لا تصدق »(٣٣). ان اسطوانة التجزئــة والتفتت والتشرذم اسطوانة صالحة للعمل باستمرار ، وهناك هواية لدى اكثر من فصيل في استعمالها دائما ، ولكن الهوايات التي تشرح امكانيات وأساليب تخطي التجزئة قليلة جدا ، مع انه من المفروض ان يكون دعاة قومية المعركة هم أساتذة هذا الميدان .

وبالاضافة الى التحليلات الانشائية الساذجة ، نعثر في ادبيات جبهة التحرير على نقل شبه حرفي لمواقف منظمات أخرى ، دون اي اشارة الى مصدر هذه المواقف . نقرأ مثلا « لم تكن هزيمة حزيران هزيمة عسكرية فقط بل كانت هزيمة لمجموع التكوين الطبقي والاقتصادي والعسكري للانظمة العربية التقدمية » ونقــرأ ايضا « لم تكن الانظمة الرجعية هي المخاطبة بحرب وهزيمة حزيران بل ان الذي خاطبه العدو الاسرائيلي هي الانظمة التقدمية »(٣٤) ويمكن العودة الى أصل هذه المقتطفــات في ادبيات الجبهــة

الديمقراطية(٣٥). ان هذه المقتطفات التي اشرنا اليها تقف جنبا الى جنب مع مقتطفات اخرى ذات نفس تحليلي ونقدي واضح ، ولكنها تضيع (على غرار ادبيات فتح) في دوامة المواقف الانشائية ، ولا تستطيع ان تشكل اللحمة الاساسية لتحليل الجبهة ولكنها مع ذلك لا تفقد قيمتها . تقول جبهة التحرير « ان عامل الاستمرارية في الثورة الذي وفرته قيادة البورجوازية الصغيرة كان قصير النفس وغير قادر على تحويل الترابط الموضوعي بين المرحلتين (مرحلة التحرر الوطني ومرحلة الوحدة القومية) الى ترابط واقعي ينعكس في اعادة صياغة المجتمع جذريا لمصلحة الاغلبية الساحقة فيه (العمال والفلاحين) ، ذلك لان حركتها الى الامام ترابطت مع وعي متزايد لديها بالخطر الذي يتهدد سلطتها السياسية وامتيازاتها من جراء نمو الحركة الجماهيرية ونضوجها »(٣٦). هنا يقف النقد للواقع العربي الذي أفرز هزيمة حزيران على أرض صلبة . والحديث عن ابتعاد الجماهير عن المشاركة في المعركة لا يرد كوصفة طبية ، بل يرد معللا بأسبابه الحقيقية الكامنة في طبيعة الطبقة السائدة وفي خوفها من تنظيم الجماهير الكادحة لنفسها. وتمضي جبهة التحرير العربية خطوة أخرى الى الامام موضحة موقفها بدقة أكبر حين تقول « لا تختلف بعض الانظمة العربية التقدمية وبعض الحركات اليسارية في الوطن العربي عن الانظمة الرجعية من حيث منطقها في قضية فلسطين الا بالكم والدرجة وليس بالنوع »(٣٧). ان الانتقال في تحليل الوضع العربي من مرحلة الوصف الى مرحلة التحليل والنقد هو النافذة الوحيدة المفتوحة لامتلاك رؤيا نظرية تضع الحوار بين القوى الوطنية والتقدمية في مسار متنام لا يصطدم بعد الجمل الاولى في حائط طريق مسدود . فهل أستطاعت الجبهة ان تسير خطوات ولو اولية في هذا الاتجاه ؟ ان التدقيق في فهمها لمعنى قومية المعركة ، اي لمعنى التلاحم المصيري بين القضية الفلسطينية والقضية العربية هو الذي يشكل جواب هذه المسألة . وهنا تضع الجبهة منطلقات مبدأية سليمة أبرز ما فيها : ١ ــ رفض فكرة الجبهة العربية المساندة بعد ان « استطاعت القوى المضادة للثورة ان تحرف شعار الجبهة العربية المساندة من مجرد تعبير عن الافاق العربية للعمل الفدائي الفلسطيني الى سجن تقيد فيه هذا العمل وتمنعه من الانطلاق القومي الواسع »(٣٨). ٢ ــ رفض فكرة الدعم العربي المقتصر على المال والسلاح لانه « حين يكون مقياس المساندة والدعم محصورا بالتبرعات يصبح كبار الرأسماليين والاقطاعيين والسماسرة وعملاء الاستعمار أشد وطنية واكثر ارتباطا بحركة المقاومة من الملايين الفقيرة من جماهيرنا الكادحة »(٣٩). ٣ ــ الاصرار على المحتوى السياسي للعمل الفدائي اذ « ان افراغ العمل المسلح من المحتوى السياسي ــ الفكري هو اقرب الطرق الى فشله »(٤٠). ٤ ــ ادراك اهمية التنظيم في الحرب الشعبية (مع صياغة كيفية لشروط هذا التنظيم تختلط فيها المفاهيم المتناقضة) . فالتنظيم المطلوب « قومي التركيب من الناحية التنظيمية ، قومي اشتراكي من الناحية الايديولوجية ، عمالي فلاحي من الناحية الطبقية »(٤١).

هذه المفاهيم المبدأية السليمة كيف تجد طريقها للتطبيق في تنظيم وعمل جبهة التحرير العربية ؟ هنا تتقلص الادعاءات القومية لجبهة التحرير ، وتنحصر في مفهوم رومانتيكي مثالي يرى في اشتراك متطوعين من المقاتلين العرب مع الفدائيين الفلسطينيين التجسيد الامثل لقومية المعركة .

تقول جبهة التحرير : « اذا كانت تلك المعركة عربية اولا واخيرا فهل يعقل بأن تخاض بغير اداة عربية . بغير تنظيم قومي يعبىء المقاتلين العرب في كل اقطار الوطن العربي»(٤٢). وتقول ايضا : « ان هذه الجبهة حين تأتي بالمقاتلين العرب من اطراف الوطن العربي الكبير ليقاتلوا على أرض فلسطين ، انما تكون بذلك نواة الوحدة العربية على الارض التي اراد لها اعداء الامة ان تكون حاجزا بوجه الوحدة العربية»(٤٣). هذه هي الحصيلة النهائية لكل ضجيج قومية المعركة التي تنادي بها جبهة التحرير العربية .

ان ترجمة قومية المعركة بهذا المعنى الضبابي والعائم نموذج لعقلية القفز من فوق الواقع، ترد على الاقليمية بانفتاح قومي وهمي غارق في الضباب . لا يمكن ان يقود مطلقا لاي تصور عملي حول العلاقة المطلوبة بين العمل الفلسطيني والعمل العربي . ان قومية المعركة لا يمكن أن تجد مفهومها الواضح الا على اساس فهم أبعاد معركة التحرير، وترابط جبهة الخصم فيها بين اسرائيل والامبريالية والرجعية العربية . وعلى أساس هذا الفهم يصبح كل انجاز وطني لتحرير الاقتصاد العربي وركائزه السياسية الرجعية عملا يصب مباشرة في طريق التحرير . ومن منطلق هذا الفهم يتوضح ان قومية المعركة هي في التلاحم النضالي بين العمل الفلسطيني والعمل العربي ، ويتوضح ان الاطلال الفلسطيني على « تعريب » المعركة هو في تمتين هذا التلاحم مع القوى التي تخدم هذا الهدف الكبير والبعيد . وفي تحديد موقف سياسي فلسطيني ، وترجمته عمليا من المواقف العربية . يكون ضمن مسار هذا الهدف . وهنا تتلاشى من « قومية » المعركة المعاني التي تحاول القفز من فوق الواقع الطبقي العربي . وتنحصر عروبة قضية فلسطين ، واقعيا وعمليا في اطار الحركة الوطنية العربية. والا فان عدم التحديد يضعنا مع الرجعية العربية منظمات وافرادا في صف وهمي واحد لتحرير فلسطين .

ان اي محاولة تبذل لتخطي الواقع العربي الذي افرز هزيمة حزيران ، لا تستطيع ان تفعل ذلك بعقلية توفيقية . فالنقد لا بد ان يقود الى نتائجه ، واذا لم تكن هناك جراة على ذلك فلن يكون هناك فكر جديد تبنى عليه تجربة جديدة .

٣ ــ المحاولة الاولى لتقديم تحليل متكامل . (التحليل النقدي ، الوصف الانشائي) :

مثلت الجبهة الشعبية الديمقراطية ، ومن بعدها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اول محاولة فلسطينية لتقديم تحليل متكامل للاوضاع العربية التي افرزت هزيمة حزيران ، وللاوضاع الفلسطينية التي حاوت الرد عليها ، وللعلاقة الجدلية بين الوضع الفلسطيني والوضع العربي . ويعتمد تحليل هاتين المنظمتين على الماركسية اللينينية كمنطلق وكمنهج . وينتهيان بشكل عام الى نفس النتائج . وبالرغم من ذلك فان نسيج المنهج التحليلي لدى كل منهما يختلف عن الاخر ويتناقض معه ، فبينما تميل الجبهة الديمقراطية الى النقد والتحليل واستخلاص النتائج المحددة والملموسة ، تميل الجبهة الشعبية الى الوصف التقريري ، المقتصر على العموميات ، والذي نادرا ما يلج نطاق التحديد ، واضعة رؤيتها الفكرية في صفوف منتظمة دون ان تربط بينها اية لحمة جدلية . ومن الضروري لذلك ان تعالج محاولة كل منهما على حدة . اضافة الى ان تحليل الجبهة الديمقراطية كان من الناحية الزمنية هو التحليل الاسبق(٤٤).

٤ ــ الجبهة الديمقراطية : اثار تحليل الجبهة الديمقراطية للوضع العربي والفلسطيني اوسع موجة من الجدل في اوساط حركة المقاومة . وادى من الناحية العملية الى توتير علاقاتها مع كثير من الانظمة العربية ، بينما اتاح لها فرصة اللقاء والحوار مع الكثير من الاوساط اليسارية العربية والفلسطينية . ويعود السبب في ردود الفعل المتناقضة التي احدثتها الى تكامل التحليل الذي طرحته من جهة ، والى جراة هذا التحليل من جهة اخرى .

فمنذ اللحظة الاولى رفعت الجبهة الديمقراطية سيف النقد في وجه الواقع العربي والواقع الفلسطيني ، معتبرة ان الانظمة الوطنية وكافة فصائل حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية هي المخاطبة بشكل رئيسي بهزيمة حزيران ، ولذلك فان اوضاعها ومخططاتها يجب ان تخضع للتحليل والتقييم وصولا الى المخطط الجديد القادر على الصمود في وجه التحدي الامبريالي الصهيوني .

ادانت الجبهة الديمقراطية برامج البورجوازية الصغيرة الحاكمة وغير الحاكمة ، معتبرة ان هزيمة حزيران اثبتت بالواقع الملموس فشل هذه البرامج، واكدت ضرورة تبني الاختيار الفيتنامي والكوبي بالحرب الشعبية الطويلة الامد ، القادرة على تعبئة طاقات الجماهير

للوقوف في وجه التفوق التقني الامبريالي ، كمخرج وحيد من المأزق الراهن . وحددت في النهاية بوضوح ان الانظمة الوطنية بالرغم من معاداتها للاستعمار والصهيونية غير قادرة بحكم تكوينها الطبقي والايديولوجي البورجوازي الصغير على وضع برنامج حرب التحرير الشعبية موضع الممارسة الثورية .

كذلك ادانت الجبهة الديمقراطية واقع حركة المقاومة الفلسطينية معتبرة هذه الحركة من نفس طبيعة الحركة الوطنية العربية . وان الجماهير انتظرت منها أن تشق طريقا جديدا ولكنها انتهت اسيرة الايديولوجية اليمينية والبورجوازية الصغيرة ، وتحولت الى ورقة تكتيكية ضاغطة في يد الانظمة العربية ، فأصبحت بمثابة فرقة امامية للجيوش العربية . وهي لن تستطيع الانتقال الى موقع متقدم الا اذا امتلكت ايديولوجية ثورية هي ايديولوجية العمال والفلاحين ، وعملت على تعميم الوعي السياسي في اوساط الجماهير ، وساعدت في تغذية حركة الجدل في الواقع الفلسطيني والعربي ، وتوفرت لها طليعة قيادية بروليتارية الانحياز . وليس مطلوبا من حركة المقاومة حتى بهذه الصفات ان تصبح بديلا لحركة التحرر الوطني العربي ، ولكن مهمتها المركزية في هذا النطاق ان تكون اداة تفجير لنضال الجماهير العربية ونموذجا لهذا النضال ، وبدون أن يتم هذا التفجير فان امكانيات تصعيد الكفاح المسلح الفلسطيني ستبقى محدودة .

لذلك كله تطالب الجبهة الديمقراطية حركة المقاومة الفلسطينية ان تنتقل بعلاقتها مع الجماهير الفلسطينية والعربية من طور العفوية والانفعالات العاطفية الى طور العلاقة المنظمة وتطالبها ايضا ان تنطلق في علاقتها مع الانظمة العربية من حقها المشروع في اخضاع اي موقف عربي تجاه القضية الفلسطينية الى محاكمة نقدية علنية ، تحدد كنتيجة له مع من تنسج علاقاتها في المنطقة العربية وضد من في الوقت ذاته . وهي تطالب حركة المقاومة الفلسطينية بهذه المهمة الكبيرة نظرا لقناعتها بأن « الانتقال بحرب المقاومة الراهنة ... الى حرب عصابات داخل الارض المحتلة ، ومن ثم الى حرب شعبية شاملة ، يستلزم بالضرورة الانتقال بالثورة من اطارها الفلسطيني البحت الى اطار عربي اكثر شمولا وأكثر قدرة على توفير المستلزمات الاساسية للنصر الحاسم »(٤٥).

ان هذا التحليل الذي يختلف بشكل نوعي عن تحليلات المنظمات الفدائية الاخرى ، والذي يتوفر فيه عنصر الانسجام الداخلي ، البعيد عن القفزات الفكرية والمواقف التوفيقية تعرض لحملة نقد عنيفة ، غالبا ما كانت تميل الى تشويهه . وبغض النظر عن بعض المقاصد السيئة التي حركت مثل هذه الحملات ، فان قيام حالة من الحوار والجدل حول مشكلات العمل الفلسطيني ، يعتبر ظاهرة ايجابية تساهم في تحريك الجو الفكري الآسن الذي غرق به الواقع الفلسطيني، وشاءت كثير من اجهزة الاعلام ان تبقيه ضمنه . ولان مسألة نقد الواقع العربي ، تحتل في تحليل الجبهة مكانة بارزة ، فقد كان من المفروض فيها أن تساهم في اغناء عملية الحوار هذه ، وهي قد ساهمت فيها فعلا ، ولكن مساهمتها سارت في منحى دفاعي غرق نتيجة لذلك في التكرار . اذ من الملاحظ ان الجبهة الديمقراطية طرحت رؤيا اولية واضحة ومترابطة ، ولكنها توقفت عند تلك الحدود ، ولم تسع لاغناء تحليلها بعملية استقصاء دقيقة لمشكلات الواقع الفلسطيني والعربي . فبالرغم من اصرار الجبهة مثلا على الطبيعة الطبقية للنضال الوطني ، فان اصرارها هذا لم يدعم بأي تحليل طبقي لواقع الشعب الفلسطيني. ومن المؤكد ان افتقاد مثل هذا التحليل يعني — حتى في ظل ادراك الطبيعة الطبقية للنضال الوطني — سير الممارسة العملية بشكل عائم ، يعتمد النجاح فيها على الكفاءة الفردية ، وليس على وضوح الدليل النظري .

وقد فهمت الجبهة الديمقراطية بصورة دقيقة معنى الترابط العضوي بين النضال الفلسطيني والنضال العربي ، ولكنها في تحديدها للمهمات الفلسطينية ازاء الواقع

العربي ، ركزت على موضوعة النقد العلني ، ومع الاعتراف بضرورة النقد العلني واهميته، وخاصة في اعقاب هزيمة مثل هزيمة حزيران،الا ان هذا الموقف يمكن ان يصبح موقفا لفظيا ، اذا لم يوضح الاسلوب العملي ، الذي يصبح فيه هذا النقد اساسا لبناء علاقات عملية نامية مع فصائل الحركة الوطنية العربية . وهذا لم تقدم عليه الجبهة الديمقراطية حتى الان .

لقد قدمت الجبهة انضج تحليل لهزيمة حزيران ، وللدور الفلسطيني في الرد على الهزيمة، يمكن ان يكون اساسا لبناء حركة نضالية فلسطينية ثورية تكون لها تأثيرات عميقة في الواقع العربي ، ولكن هذه المهمة لا يمكن أن تنجز ما لم تقم الجبهة بقيادة عملية الصراع الايديولوجي التي بدأتها ، حتى النهاية .

ب ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : قدمت الجبهة الشعبية بدورها تحليلا متكاملا وواضحا لهزيمة حزيران انتهت فيه الى نفس النتائج التي قالت بها الجبهة الديمقراطية من قبل . ولما كان عرض النقاط الاساسية في هذا التحليل هو نوع من التكرار، فسنقتصر على تحديد الفارق النوعي بين تحليل الجبهتين. ونحن نحدد هذا الفارق بسيادة التصوير الميكانيكي للامور وغياب العقلية الجدلية ، في فكر الجبهة الشعبية. ان العقلية الميكانيكية في التحليل ، التي تميل لتثبيت النقاش وعزل قضاياه عن بعضها بعضا ، كما تميل لتبسيطه وتعميمه ، تقود دائما الى الجمود العقائدي . ولا تنحصر اخطار الجمود العقائدي في ميدان النظرية فقط ، بل تعكس نفسها اساسا في الممارسة . ولذلك فان استكشاف نتائج هذه العقلية الميكانيكية في فكر الجبهة الشعبية، مرهون بدراسة تجربتها العملية ، وبنوع النموذج النضالي الذي أرادت تجسيده .

في كراس « الاستراتيجية السياسية والتنظيمية »(٤٦) نعثر على التحليل الاساسي للجبهة . وهو منذ البداية يتجه نحو تبسيط الامور ، والبدء من العموميات التي لا جدال حولها . ففي الصفحة الاولى نقرأ تحت عنوان « أهمية الفكر السياسي » ما يلي « ان شرطا أساسيا من شروط النجاح هو الرؤية الواضحة للامور. والرؤية الواضحة للعدو، والرؤية الواضحة لقوى الثورة » . وفي نفس الصفحة وبعد قليل من الاسطر نقرأ ايضا ما يلي « ان ما يقرر النجاح هو الرؤية الواضحة للامور وللقوى الموضوعية التي تخوض الصراع وما يقرر الفشل هو العفوية والارتجال » . ان هذه العموميات والتبسيطات المتناهية ، متناثرة في القسم الاكبر من ادبيات حركة المقاومة . ولكن خطورتها هنا انها تتجه لتكتسي ثوب النظرية « الجديدة » . فاذا تجاوزناها لنصل الى جوهر الموضوع ، فاننا نجد انفسنا أمام السؤال التالي : من هم اعداؤنا ؟ ونجد انفسنا ايضا امام استشهاد من ماوتسي تونغ يقول فيه « من هم اعداؤنا ومن هم اصدقاؤنا . هذه مسالة في الدرجة الاولى من الاهمية »(٤٧). وبناء على هذا الاستشهاد من ماو يبدأ الكراس في تحديد الاعداء . فيقرر انهم اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية والرجعية العربية المتمثلة بالاقطاع والرأسمالية . وهنا نبلغ ذروة الخوض في العموميات . فمن هم اعداؤنا ؟ سؤال طرحه ماوتسي تونغ في سياق مختلف تماما عما انتهت اليه الجبهة الشعبية من تحديد . فقد كتب ماو تحليله لطبقات المجتمع الصيني في الوقت الذي كان يخوض فيه معركة ضد القائلين بالتعاون مع الكومينتانغ فقط متناسين الفلاحين ، وضد القائلين بالاهتمام بالحركة العمالية فقط متناسين الفلاحين ايضا . كتب تحليله ليبرز دور الفلاحين في الثورة الصينية ، ومحددا داخل هذا الاطار اصدقاء الثورة من اعدائها . فكيف انتهى هذا المنهج لدى الجبهة الشعبية ، انتهى الى القول بأن اعداءنا هم اسرائيل والصهيونية والامبريالية والرجعية . ولو ان ماو نسج على منوالهم لقال ايضا ان اعداءنا هم الامبريالية والرجعية المتمثلة في الاقطاع والرأسمالية ، ولاتفق معه في هذا التحليل بحماس التياران المعارضان له ، واعفى نفسه من خوض معركة ضخمة كان لها تأثيرها الحاسم في تاريخ الثورة الصينية . ان الخوض في مسالة تحديد

اصدقاء الثورة واعدائها ، تصبح قضية مجردة تماما ، واكاديمية جـدا ، ان لم تربط بالمرحلة التاريخية المعاشة ، وان لم تناقش من خلال التيارات الفكرية التي تتجاذبها . وفي واقع حركة المقاومة الفلسطينية (التي تعيش في عام ١٩٦٩ ، وليس في عام ١٩٠٠) فان معالجة مسألة الرجعية كخصم ، لا تتم بقول ذلك ، بل بتحديد أساليبها الراهنة في ممارسة هذه الخصومة للثورة . وتتم أيضا بتفنيد وجهات النظـر التي تقول بامكـان تحييدها . وبمناقشة من هذا النوع فقط ، يكون هناك اغناء لمتابعة موضوع الرجعية. اما تثبيتها كحادثة مكتشفة ، فبديهي انه لا يضيف للحركة الوطنية الفلسطينية والعربية اي جديد كان : وهو موقف يمكن قوله الان ، ونكون متأكدين مئة بالمئة ، أننا نستطيع تكراره بنفس الطريقة بعد خمسين عاما اخرى ، فهل هذا التكرار هو المطلوب ؟

وحين يناقش الكراس مسألة « من هم أصدقاؤنا » يبدأ بداية صحيحة جدا حين يبين خيف « ان الفكر اليميني في الساحة الفلسطينية والعربية يحاول ان يلغي او يميع النظرية الطبقية للامور »(٤٨). ولكنه ينتهي الى نفس التحديدات المعروفة والتي لا جدال حولها والتي تقول ان مادة الثورة هم العمـال والفلاحون ، وان البورجوازيـة الفلسطينية الصغيرة يمكن ان تكون حليفا ، ويجب ان لا تحتل موقع القيادة . وهنا نجد انفسنا أمام طريقة في تحليل الامور وتحديدها تصلح في عصرنا الراهن لكـل زمان ومكان . فعلى امتداد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، تردد ادبيات الثورة الموروثة عـن ماركس وانجلس ولينين وماوتسي تونغ وجياب ان العمـال والفلاحين هم مادة الثورة ، وان البورجوازية الصغيرة اقرب حليف لها ، وان البورجوازية الوطنية متذبذبة وتحدد موقفها على ضوء نتائج الصراع . ولكن هذه التحديدات التي كرسها التحليل الماركسي في شرحه لقوانين الصراع الطبقي ، خضعت حسب ظروف كل بلد ، لدراسة واقعية ، واكتسبت بذلك قيمتها كمرشد ودليل لفهم أوضاع محددة بطريقة ملموسة .

ان اصرار الجبهة الشعبية على امتلاك تحليل متكامل هو ايجابيتها الرئيسية ، ولكنها عانت من ظاهرة خطرة ، حين حصرت اهتمامها في وصف الظواهر العامة ، ولم تستطع ان تدخل ميدان الفهم الجدلي للوقائع .

نتائج عامـة

من هذا الاستعراض المكثف للفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران ، نلاحظ بوضوح ان ابرز المواصفات العامة للحيز الاكبر من المواقف النظرية ، هو الهرب مـن التحليل والنقد وحصر الاهتمام في الحديث الوعظي « عما يجب » . التركيز على ابراز مظاهر العجز ، وتجاهل تحليل اسباب هذا العجز ، والغرق نتيجة لذلك في المواقف التقريرية والانشائية، حيث تصبح البديهيات السياسية سيدة الموقف . وحـين تكون هناك محاولة لتخطي البديهيات تبرز نزعة النرجسية المفرطة ، وخاصة حين يُتناول الموضوع الدور الخاص للعمل الفدائي ، ومنجزات هذا العمل . ان تخطي هذا الفقر النظري المدقع ، لا يتم بمعجزة . فما لم تحسم داخل كل تنظيم مسألة ضرورة النظـرية الثورية ، والفكـر السياسي الثوري ، فان العجز عن رؤية الواقع على حقيقته ، والعجز بالتالي عن تحليله، والتخبط في مواجهته ، سيبقـى صفة ملازمة لحركة المقاومة ، لا تستطيع في ظلالـه ان تحتل موقعا قياديا في مسار الحركـة الوطنية العربية . وغياب النظرية الثوريـة المرشدة عن القطاع الاكبر من حركة المقاومة الفلسطينية ليس في الوقت الراهن قضية اختيار ارادي ، اذ ان له اسبابه الموضوعية .

فتركيب فتح الذي يضم خليطا من التيارات الفكرية والانتماءات الطبقية ، لا يسمح لها بحسم المسألة النظرية . وكون الصاعقة وجبهة التحرير العربية انعكاسا لاجنحة حزب البعث ، ولد افتعال مؤسسة وطنية عربية بكل حيثياتها الى ميدان العمل الفلسطيني ، ولم يولد ردا خاصا بهما على هزيمة حزيران . اما المحاولات النظرية المتقدمة في مواجهة الهزيمة فقد تمت في المؤسسة التي فجـرتها أحداث حزيران . لقـد انشقت الجبهة

الديمقراطيـــة عن حـــركة القوميـــين العرب معلنـــة رفضها لكـــل الاسس الفكـــرية التي كانت تقوم عليها هذه المؤسسة . وقد سمح لها موقف الرفض ، والنقـــد الذاتي العلني الذي مارسته بالانتقال الى موقع نظري وسياسي جديد ، الامر الذي لم يحصل في الصاعقة او في جبهة التحرير العربية . ولم تستطع الجبهة الشعبية الجمود أمام آثار الانشقاق فقامت بمحاولة مماثلة ، ولكنهـــا آثرت التوفيق بين الماضـــي والحاضر(٤٩) واعتبرت التجديد تطويرا للماضي وليس ثورة عليه . ولذلك لم تستطع محاولتها ان تتخطى حدوداً معينة .

---

١ ــ يعتمد هذا البحث على وثائق المنظمات الفدائية المنشورة بعد الخامس من حزيران فقط ، والصادرة باسم التنظيمات نفسها ، معتبرا ان ما صدر باسم بعض المسؤولين من كتابات لا يعبر بالضرورة عن رأي المنظمات التي ينتمون اليها ، وان كان أحيانا يعبر بشكل افضل (أو أسوأ) عن فكر التنظيم المعني . ويركز البحث على المواقف الفكرية للمنظمات بغض النظر عن طبيعة الممارسة ، سواء كانت هذه الممارسة تنسجم مع التحليل المقدم أو كانت تتعارض معه . اما الهدف من البحث فهو اكتشاف الجـــديد الذي قدمه العمل الفدائي الفلسطيني في محاولته لتخطي المفاهيم العربية السائدة فيما يتعلق بالتصدي للخطر الصهيوني ، معتبرا ان العمل العسكري الفدائي وحده ليس هو الجديد المطلوب ، وذلك لاسباب كثيرة اقلها ان هناك ممارسة فدائية سابقة لحرب حزيران تمثلت بشكل بارز بهجمات الفدائيـــين الفلسطينيين التابعين للجيش المصري عام ١٩٥٦ ، وبمبادرة فتح في العمل المسلح عام ١٩٦٥ . وبالنسبة لحركة فتح بالذات ، فان موقفها يمكن ان يفهم بشكل أفضل من خلال ما هو متوفر من تعاميمها الداخلية ، ولكننا لم نعتمد على هذه التعاميم، لان عدم نشر ما ورد فيها ، له بحد ذاته دلالة فكرية وسياسية ، ولانه ليس من حقنا الان ان ننشر ما لا ترغب حركة فتح في نشره .

٢ ــ في بداية عملها كانت فتح تصر على منطق الممارسة أولا ثم يأتي الشرح للمواطن الفلسطيني والعربي . وتنفيذا لذلك اصدرت عدة بيانات عسكرية قبل ان تصدر بيانها السياسي الاول .

٣ ــ **الثورة الفلسطينية المسلحة ومراحل تطورها** ، اصدار مكتب التعبئة والتنظيم ، ص ١٥ .

٤ ــ كراس **القضية الفلسطينية كمحور للقضية العربية** ، ص ١٤ (البحث الذي القاه فاروق القدومي في الملتقى الفكري بالخرطوم) .

٥ ــ **نفس المصدر** ، ص ١٥ .

٦ ــ **نفس المصدر** ، ص ١٥ .

٧ ــ **نفس المصدر** ، ص ١٠ .

٨ ــ **نفس المصدر** ، ص ١١ .

٩ ــ **نفس المصدر** ، ص ١١ .

١٠ ــ كراس **الوحدة الوطنية** ، اصدار مكتب التعبئة والتنظيم ، ١٩٦٨/٥/٢١ ، ص ٦ .

١١ ــ **منطلقات ثورية** رقم ١٢ ، كانون الاول ١٩٦٨ ، ص ١٠ ــ ١١ .

١٢ ــ **نفس المصدر** ، ص ٣ .

١٣ ــ **نفس المصدر** ، ص ٤ .

١٤ ــ كراس **حوار حول القضايا الاساسية للثورة** (حوار مجلة الطليعة مع ابو اياد) ، ص ٧٥ .

١٥ ــ **القضية الفلسطينية كمحور** ، ص ١٨ .

١٦ ــ **نفس المصدر** ، ص ١٩ .

١٧ ــ **حوار حول القضايا الاساسية للثورة** ، ص ٧٦ .

١٨ ــ **دراسات وتجارب ثورية** ، رقم ١٠ ، ص ٣٥ .

١٩ ــ **في ذكرى حزيران** ، ص ٥ .

٢٠ ــ **نفس المصدر** ، ص ١١١ .

٢١ ــ **نفس المصدر** ، ص ٩ .

٢٢ — كراس **نحو فهم علمي وثوري لماهية الثورة في الارض المحتلة** ، ص ٤٣ .
٢٣ — **نفس المصدر** ، ص ٤٧ .
٢٤ — **نفس المصدر** ، ص ٤٩ .
٢٥ — **نفس المصدر** ، ص ٥٠ .
٢٦ — **في ذكرى حزيران** ، ص ٢٢ .
٢٧ — **نفس المصدر** ، ص ٢٠ .
٢٨ — **نفس المصدر** ، ص ١٨ .
٢٩ — مجلة **الطلائع** ، العدد ٣٠ ، ص ١١ ، مقال بعنوان « الارتباط العضوي بين الجيش والمنظمات الفدائية ودور كل منها » .
٣٠ — **نفس المصدر** .
٣١ — بيان في الذكرى الثالثة لهزيمة حزيران ، مجلة **الثائر العربي** ، العدد ٢٧ ، ص ٢ — ١٩٧٠/٦/٢٠ .
٣٢ — كراس **البيان السياسي لجبهة التحرير العربية** ، ص ٣ .
٣٣ — كراس **جبهة التحرير العربية** ، ص ١٢ .
٣٤ — **الثائر العربي** ، العدد ٢٤ ، مقال بعنوان « هزيمة حزيران للانظمة التقليدية وهزيمة للرأسمالية » .
٣٥ — **حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية** ، ص ٤٩ ، ٥٤ ، ٩٨ و٩٩ .
٣٦ — كراس **جبهة التحرير العربية** ، ص ٣٦ .
٣٧ — كراس **البيان السياسي لجبهة التحرير العربية** ، ص ٧ .
٣٨ — **الطريق القومي لتحرير فلسطين** ، ص ٦٥ .
٣٩ — **نفس المصدر** ، ص ٦٢ .
٤٠ — كراس **جبهة التحرير العربية** ، ص ٢٢ .
٤١ — **نفس المصدر** ، ص ٤٠ .
٤٢ — **نفس المصدر** ، ص ١٦ .
٤٣ — **نفس المصدر** ، ص ١٩.
٤٤ — طرح « الجناح التقدمي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » موضوعاته في آب ١٩٦٨ . وكانت هذه الموضوعات اساس الانشقاق الذي تكونت على اثره الجبهة الديمقراطية في ٢٢ شباط ٦٩ . ثم طرح موضوعاته بشكل أوسع في المجلس الوطني الفلسطيني السادس في القاهرة في ايلول ١٩٦٩ . بينما طرحت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تقريرها الرئيسي (الاستراتيجية السياسية والتنظيمية) في تموز ١٩٦٩ .
٤٥ — كراس **المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية** ، ص ٦ . انظر ايضا كتاب **حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية** .
٤٦ — التقرير الذي اقره مؤتمر الجبهة الشعبية المنعقد في شباط ١٩٦٩ . نشر لاول مرة بدءا من العدد الاول لمجلة **الهدف** في تموز ١٩٦٩ .
٤٧ — **الاستراتيجية** ... ص ٦ .
٤٨ — **نفس المصدر** ، ص ١٦ .
٤٩ — رفعت الجبهة الشعبية شعار امكانية تطوير تنظيم بورجوازي صغير (حركة القوميين العرب) الى حزب ماركسي لينيني (حزب العمل الاشتراكي العربي) .

التركيب البنيوى للعنف :
خواطر نظرية في المقاومة الفلسطينية

الدكتور اميل نخله

كتب الكثير في ظهور حركة المقاومة الفلسطينية(١) وتاثيرها خاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على التطورات الراهنة والمقبلة في الشرق الاوسط. ولكن ما أقل ما كتب عن الاطار المفاهيمي للعنف الفلسطيني بالعلاقة مع المفاهيم التقليدية للنظرية السياسية : العدالة والشرعية والالتزام والمسؤولية الفرديين وبناء الجماعة السياسية واخيرا التفوق من خلال الابداع الفردي الحر . وبالطبع تبرز هنا بعض الاسئلة . هل استعمال العنف ، اي الكفاح المسلح ، وسيلة مبررة لتحقيق وجود فلسطيني مجتمعي ومؤسسي مشروع ادبيا ومعنويا واخلاقيا ؟ وهل يصح اعتبار استخدام القوة صحيحا اخلاقيا ومقبولا معنويا ، اذا كان ذلك بقصد احباط استمرار التعاسة والدمار ؟ وهل يجب الحفاظ على السلطة باي ثمن ؟ بكلمات اخرى ، متى يحق لشعب ، او للنخبة الممثلة لهذا الشعب بحكم الواقع ، أن يثور وبالعنف الذي تقتضيه الظروف للقضاء على حالة راهنة تمعية احدثت بالقوة وكرست بها ؟ واذا كان شعب كهذا يستطيع اشتراع حقه في استخدام العنف ، فمتى يكف هذا الاستخدام عن ان يكون شرعيا ؟ متى تكف الوسائل (استخدام العنف) عن أن تبرر الغايات (خلق بنية مجتمعية جديدة) ؟ وما هي الظروف المقيدة التي ينبغي ان يراقبها بوعي ويقبلها بمنهجية مستخدمو العنف المشروع ، اذا ما برهنت شرعية هذا العنف ؟

وعلى الرغم من ان عملية التحويل العنفية لا تفترض تخطيطا هيكليا مسبقا ولا تعمل بموجب مثل هذا التخطيط ، وذلك أمر يمكن تصوره ويجري التنبؤ به احيانا كثيرة ، الا أن من الضروري استعمال اطار نظري لضمان حد ادنى من الرؤيا الموضوعية خلال العملية العنفية ، خشية الوقوع في شرك القمع الدائري(٢) الذي كان يقصد في البداية تحطيمه باستخدام العنف . ويعطي هذا الاطار العملية العنفية احساسا بأنها هادفة ، فيعمل هذا ككابح داخلي للمحدودية العقائدية والجبرية الدوغمائية المتحجرة المقرة سلفا . تحاول حركة المقاومة الفلسطينية ، ممثلة أساسا بفتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ان تصيغ الان اجوبة كافية على بعض الاسئلة النظرية التي اثرناها اعلاه ، مما يجعل المرحلة الراهنة تشهد توترا ايديولوجيا بين فتح والجبهة الشعبية(٣). وقد تشكل هذه الاجوبة تأليفا نافعا ربما يبرر في النهاية استخدام العنف الذي ، بدونه ، لا يمكن ان يكون هذا التأليف .

لا غنى لفهم الكفاح العنيف للشعب الفلسطيني عن البحث في اربعة مجالات على الاقل في الوقت ذاته : دور النظرية ، كفاية العنف في النظرية السياسية، طبيعة المقاومة الفلسطينية ، الاطار البيئي للعنف الفلسطيني (الوجود الصهيوني) . ولربما يصبح ممكنا بتفحص هذه المجالات الاربعة تطوير تأليف انساني لا عنفي مؤسس بصلابة على القيم الاخلاقية الكلاسيكية التي يشترك الناس فيها جميعا .

لماذا النظرية ؟

على الرغم من أن السعي الى النظرية يبدو على

السطح بعيدا عن العنف الذرائعي (البراجماتي) المتضمن في حركة التحرير الفلسطينية ، وعلى الرغم من أن التنظير يتضمن داخله استعدادا لان يصبح نوعا من « الخليط الفكري العشوائي »(٤)، الا ان امكانية تقديم سلسلة من المفاهيم المنظمة من خلال تحليل نظري للفرضية الوظيفية للحركة يجعل الثورة بالتأكيد قابلة للتشريح التحليلي الضروري للتنبؤ غير المنحاز . الى ذلك تخلق النظرية طيفا عريضا من الاختيارات يصبح بها الفحص الميكروسكوبي للثورة ممكنا. وليس هناك من تناقض جوهري بين طريقة المعالجة النظرية هذه وبين الثورة الفلسطينية ذات التوجه نحو العمل ، ذلك ان كليهما خاضع للحكم التقييمي . فالواقع الذي أملى على الثورة سبب وجودها والتحام اجهزة الثورة السياسية والعسكرية ، هما بحد ذاتهما غير نظريين او في احسن الاحوال لا نظريين . بيد أن هدف الثورة ، الا وهو اقامة مجتمع ديمقراطي علماني متعدد الاديان ، هو ، بالتعريف ، مشحون أخلاقيا . فهذا الشكل من اشكال المجتمع يجب ان يبنى على ما هو خير للانسان الفلسطيني لا كذات بل كانسان . كذلك يجب ان يبنى تماسك المجتمع الجديد على صالح عام يخدم مصالح كل اعضاء ذلك المجتمع . وفي هذا المجال ، تمد الثورة الفلسطينية ، على الاقل في تصريحات قادتها ، جسرا ما بين ثقافة البرج العاجي والعمل الثوري. وتمكن هنا الاشارة بحذر الى ملاحظة مورجنثو أن ما يعطي النظرية السياسية حيويتها وقوتها هو « صلتها الخلاقة بالواقع السياسي»(٥). ونحن نشهد في الثورة الفلسطينية رفضا واضحا لافكار آبي هوفمان في « الثورة لذاتها »(٦) ولطوباوية جري روبن الضبابية في « افعله ! »(٧)، فهذه الثورة تقدم تأليفا مقنعا الى حد ما من العمل والنظرية ، ومن هنا تنشأ ضرورة التنظير .

يذكرنا البروفسور ريمون آرون في كتابه « السلام والحرب » أن « أزمنة الاضطراب تشجع التأمل »(٨). ويفترض آرون ان الاعمال العظيمة في التاريخ مثل «جمهورية» أفلاطون و«سياسيات» ارسطو و«دولة» هوبز(٩) قد ترافقت مع ازمات كبيرة ساهمت بطريق غير مباشر في انتاج البحث السياسي الخصب . كذلك شهدت أزمة « عصر الثورة » ظهور النظرية الديمقراطية عند مونتيسكيو وروسو ، ويمكن ايضا النظر الى « البيان الشيوعي » و« الاوراق الفيدرالية » (وهي سلسلة مقالات كتبها الكسندر هاملتون وجيمس ماديسون وجون جي ١٧٨٧ حول الدستور المقترح الجديد للولايات المتحدة) من منظور الازمة/ رد الفعل ، طبقا لنظرية آرون . تخدم النظرية بهذا المعنى غرضا متعدد الوجوه : « فهي تمكن من استقصاء المعلومات »(١٠) ويمكن لها ان تكون « أداة ذات فائدة للفهم ... ولاستيعاب لا المنظمات والمتسقات فحسب ، بل المصادفات واللامعقولات ايضا »(١١) وذلك من خلال التصنيف المنطقي الضروري للمسائل .

العنف والنظرية

على الرغم من أن العنف ظاهرة جديدة نسبيا في النظرية السياسية ، على الاقل فيما يتعلق بتفحصها كمجال بحث مستقل ، الا ان هذه الظاهرة قد لعبت دورا عظيما في الشؤون الانسانية . وسواء اعتبر العنف امتدادا للسياسة (كلاوزفيتز) او « مسرعا للتطور الاقتصادي»(١٢) (انجلز) ، فان جماعات وحركات عدة على امتداد العالم قد استخدمته ، واعتبرته مشروعا لانه السبيل الفعال الوحيد لاحداث تغييرات اجتماعية وسياسية واقتصادية . وما دام العنف هو سبيل العمل الرئيسي الذي تتبناه حركة المقاومة الفلسطينية ، فان من المناسب هنا ان نتفحص بعض الكتابات المعاصرة في العنف والتغير الثوري ، وذلك بالقدر الذي وسم فيه العنف والعملية العنفية التطورات السياسية الحديثة . وليس الهدف من ذلك البحث عن تبريرات للعنف بل تفحص طبيعة العملية العنفية واستخدامها واهدافها كظاهرة سياسية . تؤكد حنه آريندت أن احد أسباب عدم تطور نظرية مكتملة في العنف يعود الى أن العنف قد نظر اليه غالبا من منظور ضيق ، هو منظور التبرير(١٣). وهناك سبب جدير آخر لغياب نظرية موحدة في العنف هو أن مستخدمي العنف يكونون خلال العملية العنفية منهمكين فيها كلية ومباشرة فلا يجدون وقتا للتفكير في الطريقة العنفية(١٤).

على الرغم من تكاثر الفرضيات النظرية والتنظير في العنف ، الا أن سؤالا يجب ان يثار دوما : لماذا يستخدم العنف ؟ يتساءل بارنجتون مور «هل العنف سمة لازمة لخطوات الانسانية المترددة نحو الحرية ؟ »(١٥). لقد اعطيت على هذا السؤال

اجابات متعددة تعدد القناعات الايديولوجية التي تكمن خلفها. فالماركسيون يؤكدون ان العنف « يجب ان يستخدم من اجل الحرية »(١٦) خاصة اذا لم تنتج التناقضات داخل مجتمع معين عملية تحلل سريعة . ويمضي الماركسيون قائلين ان العنف الثوري يستخدم « عندما يكون النظام الاجتماعي السائد قمعيا بما لا ضرورة له »(١٧). ويؤكد ماركس انه عندما يبدو انهيار مجتمع معين أمرا متأصلا نتيجة ثقل تناقضات هذا المجتمع ذاتها، فان العنف يصبح « القابلة التي تولد المجتمع الجديد من رحم المجتمع القديم »(١٨).

يذهب المفكرون السياسيون الاكثر حداثة ، الى ربط العنف بالسلطة والحرب والثورة ، فكان أن احتلت نظريات السلطة والثورة مكانا مرموقا ، بينما دفع العنف ، كموضوع للبحث ، الى موقع الغموض والابهام(١٩). يقول رايت ميلز ان « كل السياسة صراع على السلطة ، والنوع النهائي من السلطة هو العنف »(٢٠). وقبل ذلك ببضع سنوات كتب هانز مورجنثو في كتابه الكلاسيكي « السياسة بين الامم » يقول : « السياسة الدولية ، ككل سياسة ، صراع على السلطة . ومهما كان الهدف النهائي للسياسة الدولية فان السلطة هي الهدف المباشر »(٢١). ولقد قبلت حنه اريندت بصراحة اكثر ما يقوله ضمنا ميلز ومورجنثو من ان العنف أداة ، فهي تقول « يحتاج العنف ككل الوسائل الاخرى الى القيادة والتبرير من خلال الغاية التي يسعى اليها »(٢٢). ولا تربط البروفسورة اريندت العنف بالحرب والصراع على السلطة فحسب ، بل انها ايضا ترى في العنف خطرا متأصلا ينذر بتدمير العلاقة بين الوسائل والغايات ، فيقود بالتالي الى محو المجتمع . « ان ممارسة العنف ، كأي عمل آخر ، تغير العالم ، ولكن اكثر التغيرات احتمالا هو عالم اكثر عنفا »(٢٣). وهي لا تقبل « الروح الخلاقة » التي يعزوها للعنف فرانز فانون وجان بول سارتر وآرثر واسكو وغيرهم من الكتاب اليساريين . فالمنطق المحرر الذي استخدمه هؤلاء الكتاب في نماذجهم النظرية هو مشتق علاقة ثنائية القطب لا منطقية اساسا : المستغلين (بفتح الغين) والمستغلين (بكسر الغين)(٢٤). بيد ان المنطق الافلاطوني والارسطي والهيجلي الذي تعتنقه البروفسورة اريندت وكذلك التقليد المساواتي التحرري الغربي، كل ذلك قادها الى الاستنتاج بأن العنف عبث(٢٥).

ومع ذلك يبدو ان البروفسورة اريندت تتأرجح بين هذا الموقف القائم على رفض العنف كمبدأ وبين اعجابها الضمني بأعضاء المقاومة الفرنسية خلال نضالهم العنيف ضد الطغيان النازي . واذا كان للمرء ان يطبق بصراحة ما تقوله البروفسورة اريندت من وجود علاقة تناسب عكسي بين العنف والسلطة وعبثية العنف على المقاومة الفرنسية ، فانه يتوقع أن تستنتج أنه كان يجب أن تستخدم قوة نازية اكبر ليجري البرهان بها للمقاومة الفرنسية برهانا اكثر فعالية على مشروعية السلطة النازية مما يؤدي بالتالي الى البرهنة على لافعالية المقاومة . ولكن النتيجة التي تصل اليها البروفسورة أريندت مختلفة جدا بالطبع(٢٦).

وحتى لو كان استخدام العنف ، كما هو طبقا للحجة الماركسية ، ضروريا احيانا لقتال نظام اجتماعي قمعي ، فان هناك من يعترضون على مشروعية العنف وكونه مبررا على اساس انه يتطلب ثمنا مرتفعا . غير ان هؤلاء لا يدركون « أن مجرد استمرار النظام الاجتماعي القائم يفرض ثمنا مأسويا هو الاخر»(٢٧). ويشير بارنجتون مور الى أن « حساب المعاناة التي يحتمل ان تنجم عن العنف الثوري يجب أن يتضمن المعاناة التي كانت ستنجم عن استمرار الامور في حالتها الراهنة »(٢٨) لو لم تغتنم الفرصة الثورية(٢٩). يذهب مور الى أنه على الرغم من أن العنف لا يمكن رفضه « كمسألة مبدأ فحسب »(٣٠)، الا انه يجب ان يتخلى عنه كأداة للتغير اذا سادت ظروف تفضي الى النقاش العقلاني ، وبرغم كون هذه الظروف نادرة تاريخيا ، يمكن النظر اليها على مستويين : فهي تتطلب من الناحية السيكولوجية حدا معينا من النضج والتوازن في الشخصية الانسانية(٣١)، ومن الممكن لها سوسيولوجيا وتاريخيا « ان تتمخض عن وتيرة « تقدم » بطيئة بما لا يفزع حماة الوضع الراهن دونما داع وسريعة بما يرضي على الاقل باعتدال اولئك الذين يقاسون في ظل النظام السائد»(٣٢). اي نوعا من الوسط الذهبي الطوباوي ينسجم مع الصورة التحررية الكلاسيكية للمسائل الانسانية ، تلك الصورة التي تفتتت مع انهيار الليبرالية الكلاسيكية ذاتها في مطلع هذا القرن . لكن الصورة الصراعية البديلة التي وسمت العلاقات الاجتماعية في المجتمعات

الغربية وغير الغربية جميعا منذ انهيار الليبرالية واستخدام العنف عشوائيا قد جعلت وجود هذه الظروف « المفضية الى النقاش العقلاني » نادرة حقا . اما الثوريون من طراز فرانز فانون فيذهبون الى أن هذه الظروف لم توجد ابدا ، ولذا فان العنف هو وسيلة العمل الوحيدة في متناول الضعفاء المضطهدين المستغلين ليحرروا انفسهم ويحدثوا تغيرا خلاقا حقا في المجتمع قائما على كرامة الانسان وقيمة الشخص الانساني، بغض النظر عن العرق او اللون . ويقدم لنا جان بول سارتر في مقدمته لكتاب فانون «معذبو الارض»(٣٣) نظرة نفاذة في طبيعة العنف الخلاقة التي تقف خلف تحليل فانون للثورة الافريقية ضد الاستعمار . يتوجب علينا هنا ان نؤكد نقاطا ثلاث . اولها ان عنف فانون رد فعل على عنف أسبق هو العنف الذي استخدمه المستوطنون ضد السكان الاصليين . ولذا فان استخدام المستعمرين للعنف لانهاء عنف اكثر تدميرا امر مبرر . والعنف الذي يستخدمه المستعمرون يتوخى نزع انسانية المواطنين ، ولا يستطيع المواطنون ان « يصبحوا بشرا »(٣٤) الا من خلال العنف « ذلك الغضب المجنون »(٣٥). ويضيف سارتر مؤكدا « ان العنف اللاقمعي... هو الانسان يعيد خلق ذاته »(٣٦). وخلال هذا العمل الخلاق تبدأ عملية شفاء جديدة « فالعنف كسيف اخيل يشفي حيث يجرح »(٣٧).

ثانية النقاط التي يجب تأكيدها هي ان فانون ينظر الى عنفه من خلال عملية خلاقة لا يمكن أن تتقدم بالعمل اللاعنفي . فـ« قهر الاستعمار عملية عنفية دائما»(٣٨) على مستويين : تدمير الاستعمار ، تلك الظاهرة التي ولدت وابقي عليها بالعنف ، وخلق المجتمع الجديد المتحرر من الاستعمار حيث الانسان سيد نفسه . لذا فان العنف في هذا المضمار هو « وحي الجماهير المستعمرة ان تحريرها يجب ان ينجز بالقوة ولا يمكن ان ينجز الا بها»(٣٩).

النقطة الثالثة التي يجب تذكرها هي ان عنف فانون قيمي ، ذلك انه يتركز على اعادة خلق الانسان . انه ليس غاية بحد ذاته ، ولا يشاد به لذاته . العنف هو الوسيلة التي يغسل بها المواطن الاصلي الذي جعله المستعمر وضيعا بالعنف والقوة ، هذه الوصمة اللاانسانية ، ويعيد بناء علاقة صحيحة قائمة على انسانية الانسان . ويعلن فانون في كتابه «بشرة سوداء واقنعة بيض» أن « **العرقي هو الذي يخلق (الانسان) الاحط منه** » وهذه العرقية هي ما يتوجب على المواطن ان يمحوه بالقوة .

في المضمار الفلسطيني الذي لا يختلف عن المضمارين الاميركي والافريقي ، ينظر الفدائيون الى العنف على انه الوسيلة الفعالة للتحرير . وسنركز على هذا العنف في الفصل القادم .

المقاومة الفلسطينية : مدخل تحليلي

ان المقاومة الفلسطينية كنضال ثوري وحركة تحرر وطني وحركة عصابات هي عملية عنفية . والكفاح المسلح هو المبدأ الهادي لحرب التحرير الفلسطينية الراهنة . ان « اعتماد الكفاح المسلح ... مبدأ استراتيجي اساسي يوجب اقصاء اية تسوية سياسية »(٤٠).

تقدم حركة المقاومة الفلسطينية حالة نموذجية لدراسة العنف كظاهرة في المجال السياسي . وعلى الرغم من تعقيد هذه الحركة الا انها يمكن ان تستخدم لاختبار صحة الفرضيات الاساسية التي يقدمها المنظرون المختلفون والتي عرضت في الجزء الاول من هذه الدراسة : ان العنف يندلع عندما تضعف السلطة الشرعية ، وانه مهما كان التغيير الذي يأمل الثوريون في احداثه باستخدام العنف فلا يمكن لهذا التغيير الا أن يكون سلبيا . يمكن ان تكون موضوعة البروفسورة اريندت قابلة للتطبيق على حركة المقاومة الفلسطينية من وجهة اخرى : أن التلقائية المدمرة المتضمنة في العنف لا تترك مجالا للبرمجة الطويلة الامد ، التي هي شرط مسبق للتغيير المتوازن . وتقول البروفسورة اريندت ، لتوضيح ذلك ، ان افتقار حركة اليسار الجديد [في اميركا] في الستينات لبرنامج حيوي طويل الامد هو نقطة الضعف الحاسمة في هذه الحركة ، وهذا النقص هو الذي يجعل الحركة غير فعالة كحركة سياسية جديرة بالثقة . لا تنطبق كل النتائج التي توصلت اليها البروفسورة اريندت بالضرورة على الكفاح الثوري الفلسطيني. بيد ان بامكاننا ان نفترض دون ان نجانب الصواب أن العنف الفلسطيني قد برز بشكل صارخ في المناطق التي تآكلت فيها السلطة الشرعية (الاردن ولبنان) . وليست علاقة التناسب العكسي بين العنف والسلطة علاقة تبادلية كلية على الاطلاق ، مما لا يمكننا من أن نأخذ فرضية اريندت ابعد من ذلك ، فحتى يكون منظور العنف/السلطة صحيحا

يتوجب أن يكون العنف والسلطة في المجتمع ذاته. ففي حالة المقاومة الفلسطينية تتطلب فعالية العنف كأداة للتغيير السياسي تحلل السلطة الشرعية في محيطين : محيط الاعداد (الاردن ولبنان وسوريا) ومحيط التنفيذ (فلسطين/اسرائيل)(٤١).

بالاضافة الى منظور حنه اريندت ، يمكن دراسة العنف الفلسطيني في اطار الازدواجية ــ القطبية للمستعمر/المستعمر التي يقدمها فرانز فانون . وكثيرا ما ألمح قادة حركة المقاومة الفلسطينية ، وخاصة قادة فتح ، الى أن فرضية فانون تنطبق على نضالهم ضد الاستعمار الصهيوني في فلسطين. ويذهب قادة المقاومة الى أن استخدامهم للعنف (الكفاح المسلح) أمر مشروع ، خاصة في محاولتهم لتحرير فلسطين من السيطرة الاجنبية والانسان الفلسطيني مما يدعوه قادة المقاومة الانغلاق العرقي للبنية السياسية الصهيونية في فلسطين .

ان الصحة النظرية لهذا الموقف ، الذي طور بوعي منذ عام ١٩٦٧ على هدي خطوط نموذج فانون ، تتعلق مباشرة بعملية التحرير الفعلية . ويعي واضعو استراتيجية فتح حتمية العنف في الاطار الفانوني ومن هنا موقفهم الصلب من الكفاح المسلح . ومن المثير للانتباه ان نلاحظ هنا أن الابداعية الانسانية الشمولية في عنف فانون المحرر قد اصبحت النغمة الغالبة في خطابات الثورة الفلسطينية . فالمجتمع الفلسطيني الديمقراطي العلماني هو ، بالنسبة لفتح ، تتويج هذا الابداع الذي سينجز عند تحرير الواقع الفلسطيني الحقيقي . غير أنه يجب ان يشار الى ان المجتمع « الديمقراطي العلماني » الذي تأمل فتح أن تقيمه في فلسطين بعد تدمير البنية الراهنة لاسرائيل ، هو في احسن الاحوال شعار غامض يجب ان يوضح ويطور . هل يكون هذا المجتمع بنية عربية مؤسسة على القومية العربية تحكمه اغلبية عربية ، أم يكون مجتمعا انسانيا حقا مفتوحا للعرب والاسرائيليين، والمسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء ؟ لسوء الحظ ، فشلت حركة المقاومة الفلسطينية حتى الان في تقديم أي وصف مقنع مفصل لمجتمع المستقبل هذا . اذ ان ما قدمته حركة المقاومة خلال السنوات الثلاث الماضية ليس الا محاولة ضعيفة للاضفاء على مجتمع المستقبل هذا نوعا من الانسانية الشمولية ، يجب ان يتخذ شكلا مقنعا . واذا كانت حركة المقاومة تسعى ، صادقة ، الى غاية انسانية كهذه ، فان عليها أن تقول بلا تردد أن المجتمع الجديد الذي سينشأ بعد التحرر سيرفض بحزم كل الميول الايديولوجية القومية التي تفضل شعبا على آخر ، أي العرب على اليهود . فاذا ما صدر بيان كهذا، توجب على حركة المقاومة لتدلل على هذه الانسانية أن تسعى سعيا حثيثا الى اقامة حوار ذي معنى مع العناصر اليهودية التقدمية الاشتراكية داخل اسرائيل وخارجها ، ليس تلك العناصر التي تحمل عقيدة العنف فحسب ، بل ايضا تلك التي تؤمن ، صادقة ، بامكانية حل لا عنفي .

المنظور النظري الثالث الذي يمكن تطبيقه على المقاومة الفلسطينية هو الفرضية الماركسية : استخدام العنف مبرر عندما يصبح النظام الاجتماعي في مجتمع معين قمعيا بما لا حاجة له . ويبدو هذا الموقف أشد ما يكون وضوحا في موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . فموقف الجبهة هو في الاساس « أن نظاما اجتماعيا قمعيا بما لا ضرورة له » يقوم في المجتمعات العربية واسرائيل جميعا ، وهذه ظاهرة لا تمكن ازالتها الا بالعنف . لذا فللنضال الثوري ، كما تراه الجبهة الشعبية ، دوران مميزان ومع ذلك لا يمكن فصمهما : تحرير فلسطين والانسان الفلسطيني من الاضطهاد الصهيوني ، وتحرير المجتمع العربي من القوى المضادة للثورة والرجعية . يختلف هذا الموقف عن موقف فتح التي تنظر الى النضال الفلسطيني من منظور ميكروسكوبي ، هو بالتحديد أن الكفاح من اجل فلسطين « مهمة فلسطينية حصرا »(٤٢) وبهذا فهو « الطريق الوحيد لتوكيد شخصية الفلسطينيين الوطنية »(٤٣). من جهة اخرى تنظر الجبهة الشعبية الى النضال من منظور ماكروسكوبي فهي قد « اعتبرت مصير الكفاح الفلسطيني مرتبطا بالنتيجة بنجاح الحركة الثورية على مدى العالم العربي »(٤٤) يجب ان نتذكر ان الفروق بين فتح والجبهة الشعبية ، هي في الواقع فروق دقيقة وليست فروقا صارخة كما قد توحي قراءة عابرة لادبياتهما . وكمثال على ذلك حدث في الشهور الاخيرة تطور في مفهوم فتح للتحرير الذي كان فلسطينيا في الاساس فاصبح التحرير يوضع في مضمار نضال اوسع ضد الامبريالية العالمية . كذلك أبدى مظهر الحياد الرسمي لفتح تجاه

الشؤون السياسية المحلية للبلدان العربية بعض علائم التشقق . فقد تيقنت فتح لسوء الحظ ، خاصة نتيجة الصدامات العسكرية مع السلطات الاردنية واللبنانية منذ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، أن الحياد تجاه السياسة العربية المحلية أمر ساذج الى حد ما . مما أدى الى تغير ملحوظ في موقف الحياد هذا — فسيحافظ على الحياد الان ما لم تتدخل الحكومات العربية في الشؤون الداخلية لفتح وحركة التحرير الفلسطينية وما لم تحاول فرض اي حل لا تقبله حركة المقاومة .

وبالنسبة للجبهة الشعبية ، يجري التأكيد الان على الكفاح ضد اسرائيل والصهيونية اكثر من الكفاح ضد القوى الرجعية العربية داخل الاقطار العربية . الى ذلك ، ابدى قادة الجبهة الشعبية رغبة في التعايش مع بنية طبقية معينة في الوسط العربي اكثر مما تدل على ذلك خطاباتهم . ويبدو ان التفسيرات التي يعطيها الناطقون باسم الجبهة الشعبية لهذه التنازلات تعكس تقديرا واقعيا لقدراتهم العسكرية المحدودة على الاقل في الوقت الحاضر .

لقد قبل كل من فتح والجبهة الشعبية نظريا منطق فانون في العنف . فهما تقولان بالتحديد ان الانسان الفلسطيني ، كزميله الافريقي ، ثار ليمحو شكلا من المواطنية المضطهدة فرضته عليه ، بالعنف ، الصهيونية الاوروبية في فلسطين ، شكلا شبيها جدا بالاشكال التي فرضتها الكولونيالية الاوروبية على المواطنين الافريقيين . لقد استخدم المستعمرون الاوروبيون مفهوم المواطنية ليرادف المعاملة السيئة المحسوبة للمواطنين الاصليين . ويقول قادة المقاومة ان الانسان الفلسطيني كالانسان الافريقي قد عومل زمنا طويلا **كمواطن اصلي** وشعر **كمواطن اصلي** وعانى **كمواطن اصلي**، وتؤكد حركة المقاومة ان هذه الحالة يمكن وصفها وصفا صحيحا بانها قمعية بما لا ضرورة له .

بالاضافة الى المنظورات الثلاثة التي وضعت اعلاه (اريندت ، فانون ، ماركس) ، يمكن دراسة العنف الفلسطيني طبقا للنموذج الذي طوره آرثر واسكو لدراسة حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة(٤٥). وموضوعة واسكو ، في الجوهر ، مزدوجة : ان انهيار « سياسة النظام » في المجتمع تؤذن بقدوم سياسة الفوضى ، وان سياسة الفوضى غالبا ما تكون خلاقة(٤٦). ويمكن لسياسة الفوضى ان تكون عنفية او سلمية ، فهي نوع من المتوالية التطورية تبدأ باللاعنف وتنتهي بتأليف جديد ينتج عن تداخل الفوضى العنفية ، التي تحدث في مكان ما وسط المتوالية ، والمجتمع الذي تكون المتوالية جزءا منه. ان مدى سياسة الفوضى دالة مباشرة للضغط الذي تتعرض له هذه السياسة من داخل المتوالية (ذلك القطاع من المجتمع الذي يتأثر مباشرة بالفوضى) ومن خارج المتوالية (المجتمع ككل) . وعلى الرغم من أن أداة واسكو التحليلية قد الهمتها حركة الحقوق المدنية (في اميركا) في الستينات ، الا انها يمكن ان تطبق على التطورات العنيفة على النطاق القومي والعالمي. من السهل ، باستخدام نموذج واسكو ، ان نزيح النقاب عن نمط من « سياسة النظام » وجد في فلسطين منذ عام ١٩٢٢ عندما فرضت عصبة الامم نظام الانتداب على فلسطين(٤٧). ويجب ان يشار هنا الى ان هذه السياسة قد فشلت في نصف القرن الاخير ، كما يقول الفدائيون ، في تحقيق نظام حقيقي في فلسطين لانها كانت تطبق ضد رغبات اغلبية الفلسطينيين وبالقوة (الشاهد على ذلك القسوة والفظاظة التي عاملت بها سلطات الانتداب البريطاني قادة ومناضلي انتفاضة ١٩٣٦ — ٣٩) ، وتكرس ، على الاقل على المستوى الدولي ، بمناورات دبلوماسية تتعارض مع نص تقرير المصير الذي يعلنه ميثاق العصبة بوضوح. فقد كان يشار الى الفلسطينيين العرب الذين يعتبرون انفسهم الملاك الشرعيين لارض فلسطين على انهم « الجاليات غير اليهودية الاخرى » . وفي الثلاثينات والاربعينات اخرج الفلسطينيون العرب الذين كانوا لا يزالون الطرف الحقيقي في الصراع من الصورة عمليا ، وذلك بالمناورة . وقد كان هذا ممكنا عبر جهود متناسقة لتعريب الصراع الفلسطيني وكذلك نتيجة فشل الفلسطينيين العرب بسبب الثارات العائلية (الحسينيضد النشاشيبي) في خلق قيادة حيوية . وفي الخمسينات والستينات كف العرب الفلسطينيون عن ان يكونوا موجودين كشخصية سياسية في نظر الاسرة الدولية ، واصبحوا بدلا من ذلك لاجئين . ولم يعد الفلسطينيون الى الظهور الا في اواسط الستينات وعلى الاخص بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ عندما برزوا كحركة فدائية تسعى الى رفع الظلم واستئصال ما يعتبرونه وضعا راهنا فرضه

الغرب ، ذلك الوضع الذي هو رمز سياسة النظام التي سادت خلال العقود القليلة المنصرمة . ولقد اعتبر الفدائيون مبررا لاستخدام العنف عجز الفلسطينيين العرب بين اوائل العشرينات واواسط الستينات عن التأثير على مجرى الاحداث في فلسطين لصالحهم (على الاخص فيما يتعلق بالهجرة اليهودية) وفي المؤتمرات الدولية (على الاخص فيما يتعلق باحداث السيادة اليهودية الشرعية على نحو ما في فلسطين) . وليثبت الفدائيون وجهة نظرهم فانهم يشيرون ان الكتاب البريطاني الابيض للعام ١٩٣٩ لم يكن ليصدر لولا العنف الذي ساد فلسطين في فترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ .

كانت حركة المقاومة الفلسطينية، مثل حركة الحقوق المدنية في الاباما ، احتجاجا ، وان بعنف اكبر ، على نظام قانوني غير عادل ونظام اجتماعي قمعي . لكن الفارق الاساسي بين الحالتين هو ان الحيف في الاباما كان متضمنا في قوانين الولاية (التمييز العنصري بحكم القانون) بينما كانت القوانين الفدرالية وعلى الاخص الدستور اقل تمييزا من قوانين الولاية . ومع ذلك فان مشكلة التمييز بحكم الواقع خارج الجنوب الاميركي لا تزال تستدعي حلا(٤٨). اما في حالة فلسطين ، فقد كان التمييز ضد السكان العرب الاصليين بموجب القوانين المحلية (القوانين المدنية وقوانين الدفاع البريطانية قبل عام ١٩٤٨ والقوانين المدنية وقوانين الدفاع الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨) يسير جنبا الى جنب ، كما يقول الفلسطينيون ، مع حيف آخر في النظام القانوني الدولي . ويشعر الفلسطينيون ان القوى المعنية في كل من عصبة الامم وهيئة الامم قد خرقت، بحرمانها الشعب الفلسطيني، حق تقرير المصير وهو المبدأ المركزي في ميثاقي العصبة والهيئة . مما أدى بالفدائيين الفلسطينيين الى اعتبار اللجوء الى العنف سبيل العمل الوحيد المفتوح امامهم لاستعادة هذا الحق(٤٩).

اقترن انهيار سياسة النظام في فلسطين باندلاع سياسة فوضى عنفية جديدة — حركة التحرير الفلسطينية . ويقدم النضال الثوري الفلسطيني نفسه في هذا الديالكتيك المتوجه نحو العمل كبديل منطقي موثوق لسياسة النظام التي فرضت ظاهريا . نظريا ، يمكن فهم التغيير الذي تسعى اليه سياسة الفوضى العنفية قبل تحقيق هذا التغيير ، اي قبل ان ينجز التحرير ، وذلك بالمعاينة المستمرة لغرض العملية العنفية واهدافها. واحدى نقاط الضعف في هذا الربط بين النظرية والعمل في الحالة الفلسطينية تكمن في فشل حركة المقاومة في تفصيل الاهداف التي تتوخاها — وهذا سبب اخر ملح يدعو الى الاتيان بتعريف واضح للدولة « الديمقراطية — العلمانية »(٥٠).

المقاومة الفسطينية : التطور والعقيدة

تتألف المقاومة الفلسطينية أساسا من حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، وهي الطرف الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية وقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وهي ليست عضوا في قيادة الكفاح المسلح . أما المنظمات الاخرى ، التي توجد داخل او خارج منظمة التحرير وقيادة الكفاح المسلح ، فهي على وجه العموم اضعف من ان تشكل هوية مستقلة فعالة تستطيع تعديل مجرى الثورة كما تراه فتح والجبهة الشعبية تعديلا جذريا(٥١) . واذا افترضنا ان الحركتين الرئيسيتين تختلفان في ايديولوجيتهما وطريقة عملهما وان تأثيرهما على الثورة ككل سيكون مختلفا ، فان بحثهما يجري هنا من وجهة نظر الاهداف التي ترميان اليها ، لا من وجهة نظر الوسائل التي تستخدمانها .

ظهرت فتح الى حيز الوجود كحركة سرية لتحرير فلسطين في غزة في مطلع العام ١٩٥٦ ، واصدرت بيانها الاول في ١٩٦٥/١/١ بعد ان قامت بعمليتها العسكرية الاولى في ١٩٦٤/١٢/٣٠ . وقد عملت فتح بين ١٩٥٨ و١٩٦٦ في ظروف تكاد لا تقهر : الشك الجماهيري والصراعات بين الحكومات العربية والموارد المحدودة واللامبالاة الانهزامية من جانب الفلسطينيين والحملة المتناسقة من النقد والتجريح التي شنتها الصحافة العربية على فتح لتشويه سمعتها وتصويرها على أنها نفر من المغامرين تدعمه قوى اجنبية(٥٢).

يتضمن التطور المبكر لفتح اربعة تواريخ هامة ، اولها الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ . ففي هذا اليوم هاجم الاسرائيليون قرية السموع في الاردن (الضفة الغربية) ، مما أدى بصورة مفاجئة وعن غير قصد الى انهيار «جدار الصمت» الذي اقامه الاردن حول حركة التحرير(٥٣).وثاني التواريخ الهامة هو العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الذي كشف انهيار الجيوش العربية التقليدية

في وجه الهجمة الاسرائيلية خلال ما يسمى حرب الايام الستة . وعلى الرغم من « حالة الذهول التي سادت الجماهير العربية »(٥٤) فقد رفض العرب وخاصة الفلسطينيون فكرة الاستسلام دون تردد وفي ١١ حزيران « اقتحم رجال العاصفة بالسلاح الارض المحتلة لاول مرة بعد الهزيمة »(٥٥). اما التاريخ الثالث الهام في تقويم فتح فهو ١٩٦٧/٨/٢٩ . ففي هذا التاريخ نسقت فتح خطوط عملها السياسي والعسكري وقررت البدء بعمليات واسعة النطاق نسبيا في الاراضي المحتلة(٥٦) . التاريخ الرابع والاهم بالنسبة لفتح هو ١٩٦٨/٣/٢١ ، اي معركة الكرامة . ففي ذلك اليوم عبرت قوة اسرائيلية كبيرة نهر الاردن وهاجمت قرية الكرامة . فأمر الفدائيون الفلسطينيون ان يلتحموا بالقوة الاسرائيلية في مجابهة مباشرة — وكان ذلك استراتيجية اثبتت أنها ناجحة بالنسبة للفدائيين ومكلفة باكثر مما يتوقع للاسرائيليين . وفي ١٩٦٩/٥/٢ نجحت فتح في تجربة استراتيجيتها الجديدة التي نشأت في الكرامة والتي تقوم على المجابهة المحدودة الواسعة النطاق مع القوات الاسرائيلية ، بعكس قاعدة « اضرب واهرب » التقليدية في تكتيك العصابات، ففي هذا اليوم احتلت قوات العاصفة التابعة لفتح لمدة قصيرة قرية الحمة التي يحتلها الاسرائيليون. وتقوم فتح الان باختبار هذه الاستراتيجية الجديدة كمدخل لمرحلة تالية(٥٧).

ظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ نتيجة اندماج مجموعتين صغيرتين هما : ابطال العودة والجناح الفلسطيني من حركة القوميين العرب . وقد انشقت عن الجبهة الشعبية مذ ذاك ثلاث جماعات هي : الجبهة الشعبية الديمقراطية (ويقودها نايف حواتمه) وجماعة زعرور وجماعة جبريل . على اية حال ، شاركت الجبهة الشعبية فتح في ارض المعركة حوالي كانون الاول / كانون الثاني ١٩٦٧/١٩٦٨ . وعلى الرغم من ان فتح تقوم بمعظم عمليات المقاومة ، الا ان الجبهة الشعبية اكتسبت شهرة بـ « عملياتها الخاصة » المثيرة ، التي تقوم بها خارج الساحة المباشرة للصراع . وكانت اولى هذه العمليات خطف طائرة العال بوينج ٧٠٧ من روما الى الجزائر في تموز ١٩٦٨. وتبرر الجبهة الشعبية عملياتها هذه على اساس أن « معسكر الخصم ليس اسرائيل وحدها وانما هو اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية والرجعية العربية »(٥٨). وتقول الجبهة الشعبية ان هناك « تلاحما عضويا » بين الرجعية العربية والامبريالية(٥٩). فوق ذلك «فان الجغرافيا يجب ان تكون قضية غير مهمة في الحرب الشاملة التي يشنها شعب فلسطين لمواجهة الحرب العدوانية الموجهة ضده . والمسألة ليست داخل المناطق المحتلة او خارجها »(٦٠). تخالف فتح الجبهة في مفهومها للعدو على أسس ذرائعية (براجماتية) وتكتيكية ، غير انها تقبل ضمنا موقف الجبهة الشعبية ولكنها تتحفظ بأن هذا الموقف صحيح فقط بعد انجاز تحرير فلسطين .

تبقى حقيقة واحدة قائمة لا نقاش فيها ، بغض النظر عن اختلاف توجه وطريقة عمل وتكتيك الحركتين الفدائيتين الرئيسيتين : لقد بدأت حركة المقاومة في ظروف شديدة العداء داخل فلسطين والعالم العربي والمجتمع الدولي ، ولكن هذا الحال قد تحسن بدرجة كبيرة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . كتب جيرار شاليان في « لوموند ديبلوماتيك » قائلا : « يمكننا ، اذا استخدمنا المصطلحات الكوبية ، أن نقول ان المقاومة الفلسطينية بدأت كـ « بؤرة » او كنواة تستخدم العنف المسلح ، دون أي اعداد سياسي للسكان الذين تريد المقاومة تعبئتهم . ولكن بينما برهنت استراتيجية « البؤرة » عن عدم فعاليتها في اميركا اللاتينية في اطار **الصراع الطبقي** ، فان نواة المقاومة الفلسطينية المسلحة نجحت في اطار **الحركة الوطنية** »(٦١). ان المجال البنيوي الذي عملت فيه حركة المقاومة الفلسطينية منذ بدايتها ، اي كحركة وطنية ، قد حدد أساسا لا بمخطط تنظيمي مسبق بل بالاعتبارات العملية للمجتمع العربي ، على الاخص في العلاقة مع القوى التي يمكن ان تدعم او تعارض المقاومة . ومن الطبيعي انه لا يمكن صرف النظر عن مصادر الدعم المالي المحتملة ، وهنا تفترق فتح عن الجبهة الشعبية . ففتح تعترف بأن المجتمع العربي يحبل بالتناقضات وان الانسان العربي في حاجة ماسة الى التحرير . ولكنها مع ذلك ترى أن تحرير فلسطين والحقيقة الفلسطينية من الصهيونية هو الهدف الاولي الذي يجب الا يغيب عن المقاومة. وهي ثانيا تقول انه ما دامت معركة التحرير طويلة

الامد فان كل قدرات المجتمع العربي يجب ان تعبأ بغض النظر عن التوجهات الايديولوجية لهـــذه القدرات . وترى فتح ثالثا أنه ما دامت معركة التحرير هي المهمـــة الملحة فان مسالة طبيعـــة وشكل مجتمع ما بعد التحريـــر في الاطـــارين الفلسطيني والعربي مسالة اكاديمية سجالية لم يحن اوانها بعد(٦٢).

لقد فشلت هذه النقطة الاخيرة كما اوضحنا سابقا، في الاستجابة للحاجة التي تقضي بتفصيل طبيعـــة مجتمع ما بعد التحرير. واذا كان للمجتمع المنشود ان يمسي جديرا بالثقة ، فان من الضروري ان تهتم فتح جديا باقامة حوار جدي مع العناصر اليهودية وغير اليهودية ، الفلسطينية وغير الفلسطينية . وتجب الاجابة على الاسئلة المطروحة بصدد بنية مجتمع المستقبل ونوع الحكم فيه وتوجهه الايديولوجي وارتباطاته القومية . والا فلن تؤدي الخطابيـــة الثورية للمقاومة الى أي حوار ذي معنى وستقود فحسب الى الشك وفقدان الثقة . من جهة اخرى ترى الجبهة الشعبية ان التحرير الحقيقي لفلسطين لا يمكن تحقيقـــه الا بانجـــاز شرطين : تربيـــة الجماهير سياسيا ، وتحرير المجتمع العربي ككل . وعلينا ان نعترف ان الجبهة الشعبية هي أول حركة ماركسية — لينينية تكسب دعما شعبيـــا ملحوظا بين اللاجئين الفلسطينيين . ولكن هـــذه النقطة ينبغي الا تؤكد بما لا تحتمل ، ذلك أن القول بأن هذا الدعم يمكن ان يكون ناجما عـــن عمليات الجبهة الدعاوية الجريئة (خطف الطائرات الخ) لا عن ايديولوجيتها الماركسية اللينينية يبدو مقنعا(٦٣). ولا شك في ان هذه الاعمال قد اشبعت مؤقتا على الاقل ضمير الشباب العربي المتضعضع بصورة محزنة منذ هزيمة ١٩٦٧ . وهناك سبب اخر لنجاح الجبهة الشعبية هو هجماتها علـــى المصالح الاميركية ، على الرغم من قلة عددها ، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار شعور الفلسطينيين المعادي للولايات المتحدة بسبب ما يعتقدون مـــن دعمها الذي لا يتزعزع لاسرائيل . بيد أن هـــذه الاعمال يترتب عليها مسؤولية جسيمة تقع علـــى عاتق استراتيجيي الجبهة : ان عليهم أن يثبتوا أن الجبهة الشعبية حركة مقاومة موثوقة لهـــا برنامج حيوي وانها ليست عصابة المغامرين القساة. أي أن الجبهة يجب ان تشجب تمجيد العنف من أجل العنف ، خـــاصة وانه لا يمكن ايجاد رابط مبرر ما بين معاناة شعب ما واعتماد هذا الشعب على العنف من أجل العنف . وبيانات الجبهـــة التي تفيد العكس لا تكفي .

يكفي هنا ان نورد بعض النقاط الهامة من عقيدتي كل من الحركتين الرئيسيتين ، ذلك أن هـــذا المقال ليس مهتما أساسا بتركيب حركة المقاومة أو بالجماعات الايديولوجية داخلها . تحتوي عقيدة فتح على النقاط التاليـــة : ١ — « ان الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة هي المسؤولة الاولى عن اشهار الحق العربي بصورة عملية حاسمة . ٢ — « ان محور القضية الفلسطينية واساسها هو الثورة الفلسطينية المسلحة(٦٤). ٣ — « يأخذ علينا البعض اننا لم نفكر حتى الان في المضمون الاجتماعي لثورتنا المسلحة . والحقيقة اننا كحركة ثورية نشأت كتلبية تاريخية لرغبة شعبنا المناضـــل من أجل عودته الحرة الكريمة ، لا نأخذ بالمذاهب الكلاسيكية والمفاهيم المثالية الجامدة التي لا تمس واقعنا بشيء . ٤ — « ان صراعنا الدامي مـــع الاحتلال الصهيوني في الواقع صراع وجود وليس صراعا عن مبدأ اجتماعي معين . هو صراع بقاء او فناء . هو صراع أن نكـــون او لا نكـــون . ٥ — يجب ان « يلتحم الشعب كله في جبهة ثورية عريضة لاجتثاث الكيـــان السياسي والاجتماعـــي والاقتصادي لدولة الاحتلال ، بل لاجتثاث كـــل الوجود الصهيوني عن ترابنا الطاهر »(٦٥). ٦ — شعارنا « الارض للسواعد الثورية المسلحة التـــي تحررها »(٦٦).

أما عقيدة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فتتضمن النقاط الرئيسية التالية : ١ — اعداد الشعب كله للحرب يعني خلق الشعب المسلح . ٢ — ان عدونا الامبريالي حقـــود ومصمم على اخضاعنـــا لارادته وذلك لحماية مصالحه الحيوية . ان واجبنا ان نضرب هذه المصالح في كل مكان . ٣ — نستطيع هزيمة الامبريالية عبر الحرب الطويلة الامد بجبهة عربية عريضة تنتظم العالم العربي كله — بخلق ميتنام جديدة . ٤ — اننا واثقون من اننا نستطيع كسب دعم كل شعوب العالم التقدمية والمحبـــة للسلام ، فنضالنا نضال عادل . ٥ — ليس من بديل لطريق النضال الطويل الامد والتضحيـــات الجسيمة . ان نضالنا نضال من أجل البقاء . ٦ — علميا ، ينتصر الجانب المتفوق تقنيا انتصارا حتميا في الحرب الخاطفة ، ولكن النصر المحتـــوم

في الحرب الطويلة الامد من نصيب الجانب الذي يملك قدرات بشرية اكبر(٦٧).

يستطيع المرء آخذا بعين الاعتبار الاهداف التي ذكرناها ، ان يوجه الاسئلة التالية : كيف يمكننا أن نضمن قيام مجتمع انساني حقا عند التحرير ؟ اذا كانت حركة المقاومة تهدف الى مساعدة الانسان الفلسطيني على تطوير اطار سياسي — اجتماعي لا يستطيع فيه ان يعيش ويدع غيره يعيش فحسب بل أن يعيش حقا ايضا ، فما هي الضمانات، التي تستطيع الحركة تقديمها ضد امكانية وقوع المجتمع الجديد ضحية الشوفينية والتحريرية الوحدوية (وهو مبدأ سياسي ينادي بتحرير المقاطعات المتصلة تاريخيا او عرقيا وجمعها في نطاق وحدة) في غمرة حماسة النصر العربي ؟ وهي حالة ليست مختلفة عن تلك التي اجتاحت اسرائيل بعد النصر الصهيوني عام ١٩٤٨ . هل تضمن حركة المقاومة لليهود الفلسطينيين الذين يتنصلون من الصهيونية استمرار وجود حقيقة يهودية في فلسطين دون أن تطغي عليها وتضطهدها الحقيقة العربية ؟ أيحقق المجتمع الجديد الذي سيولد في فلسطين حقيقة انسانية حقا تعيد التوكيد على نزعات الانسانية الاولية نحو العدالة والقسطاس؟ أم يكون المجتمع الجديد مجرد دولة اخرى تحتضن كل مفارقات الدول الاخرى وآفاتها الاجتماعية ؟ ان طرح هذه الاسئلة ليس تمرينا في الطوباوية ولا محاولة عقيمة للتنظير . فالاجابة عن هذه الاسئلة ، على الرغم من أنها ستفتقر الى اليقين، قد تلمح الى مستقبل المجتمع الجديد فتساهم بالتالي في فهم النسيج الاخلاقي / المعنوي للعملية العنفية الراهنة وفهم اتجاهها . وسنبحث في الفصل التالي كيف يمكن للمشاركين في هذه العملية أن يؤثروا عليها ايجابا .

المقاومة الفلسطينية : تاليف انساني

يمكن للمقاومة الفلسطينية ان تكون بمعنى ضيق كحركات التحرير الاخرى « مدمرة ومحرفة وشريرة »(٦٨) اذا كان ما سيحرر صورة متزمتة لحقيقة جماعية محدودة ، مغلقة على الحقائق الاخرى في المنطقة ذاتها . وسيكون الامر كذلك لو أن حركة المقاومة الفلسطينية تدفع الى اقامة مجتمع طبقة واحدة او دين واحد أو لون واحد . ففي مجتمع كهذا تسيطر الطبقة الممتازة او العرق الممتاز (الشعب المختار ، ان صح التعبير) على افراد المجتمع الجديد وتستغلهم ، او تعطي الفرص للافراد على اساس الطبقة او الانتماء العرقي بدلا من الكفاءة . فتسيطر اغلبية عربية على هذا المجتمع ، في حين يشكل غير العرب اقلية مضطهدة من الدرجة الثانية . غير أن حركات التحرير ، بما فيها النضال الفلسطيني ، قد تكون على مستوى اوسع « بناءة دامجة موحدة»(٦٩) اذ كانت عملية التحرير مكرسة لخدمة الانسان ضمن الوقائع الموضوعية للصراع بغض النظر عن العرق والاصل والانتماء الديني — ما دام الانسان المحرر قد اختار الانضمام الى المجتمع الجديد طوعا . ومن الضروري ان تنادي حركة المقاومة دون تردد بحقيقة انسانية منفتحة في فلسطين ، وهذا هدف يجب أن يؤكد باستمرار ، اذ عبر هذه الانسانية ، فقط ، تتغذى عملية التوحيد والبناء والدمج . هذا هو جوهر المنطق الثوري ، اذ عبر هذه العملية فقط تمكن اقامة رابطة عضوية بين المجتمع المحرر وكل افراده . ومن الواضح أن هذا الالتزام الخلقي يلقي مسؤولية ثقيلة على عاتق الثوريين الفلسطينيين . ومع ذلك فان عليهم أن يواجهوا الامر مباشرة لئلا يقعوا في وهدة التحلل الانساني ذاتها التي وقع فيها الاستعمار الصهيوني في فلسطين . ولكي يجري تجنب هذه الوهدة ، فان من المناسب ان نبحث الدعائم الايديولوجية / الخلقية للصهيونية الهرتزلية التي كان مقدرا لها ان تحل « المسالة اليهودية » في اوروبا .

اقترح ثيودور هرتزل ، وهو صحفي من فينا ، في كتاب له بعنوان « الدولة اليهودية » حل « المسالة اليهودية » باقامة دولة قومية مستقلة لليهود . وتتمحور موضوعة هرتزل الاساسية حول اربعة افتراضات(٧٠). اولها أن اليهود يؤلفون امة سيكولوجيا وثقافيا ، ولكنهم يفتقرون الى خواص المواطنة السياسية . الافتراض الثاني هو أن افتقار اليهود الى دولة أمر شاذ ادى الى اللاسامية والعذاب اليهودي (« المسالة اليهودية الابدية ») . وثالث هذه الافتراضات انه ما لم يعط اليهود الفرصة للتعبير عن انفسهم روحيا دون خشية الانتقام الجسدي فان الحضارة والثقافة اليهودية مهددة بالفناء . اما الافتراض الرابع فهو ان الطريقة الوحيدة لضمان تعبير اليهود عن أنفسهم ودفاعهم عن أنفسهم هي اقامة دولة

قومية مستقلة . ولقد تم تحول الحلم الهرتزلي الى حركة سياسية عملية تعمل لاقامة دولة يهودية في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في آب ١٨٩٧ في بال بسويسرا . فقد تبنى المؤتمر في مقرراته التي عرفت بأسم « برنامج بال » فلسطين على أنها **الارض** التي ستقام فيها الدولة الصهيونية .

ليس الامر المهم هنا مطامح الصهيونيين في وطن ، ولكن المهم هو التوجه الصهيوني فيما يتعلق بمصير سكان فلسطين الاصليين . نظر هرتزل الى المخطط الصهيوني لاقامة دولة قومية في فلسطين على أنه امتداد لثلاثة عناصر هامة . اولا : الاستيطان الصهيوني في فلسطين امتداد للامبريالية الاوروبية. وقد بنى هرتزل على هذا المنطق آماله في الدعم الاوروبي . واوضح ان الدولة الصهيونية في فلسطين ستكون المركز الامامي للسياسات الامبريالية الاوروبية في الشرق ، فكتب يقول « سنؤلف هناك جزءا من المتراس الاوروبي ضد آسية ومركزا أماميا للمدنية بوجه البربرية»(٧١). العنصر الثاني في الخطة الصهيونية هو السلبية الكامنة في موقف هرتزل من اليهود . فقد كان يعتقد ان اللاسامية «حركة نافعة للخلق اليهودي». وكان يرى مفهومه للخير والحرية والابداع القومي في ضوء الضغط الذي يتعرض اللاسامية اليهود له(٧٢). ومع ذلك فقد كان الحل الذي ارتآه هرتزل في جوهره تكريسا للانعزالية ذاتها التي طبعت اللاسامية بطابعها . فهو لم يناد بالقضاء على اللاسامية في اوروبا ، ولم يدع الى خلق مجتمع اوروبي جديد منفتح ، بل كان الحل الذي تقدم به وفيا للتقليد الاوروبي : اقامة دولة انعزالية في مكان ما بعيدا عن اوروبة . لقد كانت اللاسامية الاوروبية ترى في اليهودي عقبة انسانية ، فأتت صهيونية هرتزل لترى في المواطن الاصلي الفلسطيني عقبة انسانية. وكان اللاسامي والصهيوني مصممين على التخلص من هذا العائق .

العنصر الثالث والاكثر اهمية في المخطط الصهيوني هو تعداد هرتزل لـ « الالتزامات » التي يتوجب على المستوطنين الصهيونيين القيام بها تجاه مواطني فلسطين العرب : ١ ـ « علينا ان نقوم بنزع الملكية الخاصة بلطف عن الاراضي المعينة لنا . ٢ ـ سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين العمل لهم في البلدان الانتقالية (بلدان الترانزيت) ، على أن نسد في وجوههم كل مجالات الاستخدام في بلادنا . ٣ ـ اذا انتقلنا الى منطقة تضم حيوانات متوحشة لم يعتد عليها اليهود ـ كالافاعي الكبيرة ... الخ ـ فسوف استعين بالاهلين ، قبل اعطائهم عملا في البلدان الانتقالية ، للقضاء على هذه الحيوانات . على ان تكون المكافآت عالية لمن يأتي بجلود الافاعي او بيوضها »(٧٣).

تبين « الالتزامات » التي ذكرناها الطريقة التي اقترحها هرتزل للتعامل مع العقبة الانسانية التي ستواجهها الدولة الصهيونية المستعمرة في فلسطين. ولقد اتبع مخطط هرتزل لسوء الحظ بدقة حرفية بعد أن بدأ الصهيونيون في استعمار فلسطين . ولقد كان الصهيونيون جد مخلصين لهذه المدركات الى درجة جعلت آحاد هاعام ، وهو فيلسوف روسي عبري ، يكتب في مطلع هذا القرن مؤنبا اليهود لسلوكهم تجاه عرب فلسطين ، معبرا عن أساه للتغير الذي طرأ على المستوطنين الصهيونيين منذ قدومهم الى فلسطين والذي « ولد في نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما هي الحال عندما يصبح العبد سيدا. وهم يعاملون العرب بعداء وشراسة، فيمتهنون حقوقهم بصورة غير معقولة ... ولا يفعل احد شيئا ضد هذا الميل الخطر الخسيس»(٧٤). لقد مارس المستوطنون الصهيونيون هذه السياسات التمييزية قبل وبعد عام ١٩٤٨ عندما اعلنت اسرائيل دولة . فحرم السكان الاصليون حقهم الانساني الخلقي الاساسي ، الا وهو حق العيش . ولقد رفض رجال الاعمال اليهود ببساطة استخدام العمال العرب ، وذلك ليحلوا مشكلة بطالة المستوطنين اليهود . « ففي تل ابيب ، حيث كان يقطن قرابة ٣٠٠٠٠٠ شخص عشية انشاء دولة اسرائيل ، لم يكن هناك عامل عربي واحد ، ولا قاطن عربي واحد »(٧٥).

ولقد تبنت دولة اسرائيل سياسة الافقار والتمييز ضد عرب فلسطين هذه على شكل قوانين أمن اضطهادية ومصادرة اراض وانكار للحقوق الانسانية والتمييز في الاستخدام . حتى لقد ذهب الناطقون الرسميون باسم اسرائيل حديثا الى حد القول بأن الشعب الفلسطيني لم يوجد على الاطلاق ، وهذا اعتراف بأن الاسرائيليين الصهيونيين يظنون أن العقبة الانسانية قد ازيلت اخيرا .

يتوجب على حركة المقاومة الفلسطينية ان تنظر الى أهدافها على هذه الخلفية . وعلى الرغم من أن الطوباوية حالة عقلية ، الا ان حلا انسانيا حقا ، اقل من طوباوي ، يجب أن يدعى اليه ، حلا يتضمن كل مبادىء العدل والاخلاقية التي قبلتها الشعوب المتحضرة على امتداد العالم . لقد دعت الثورة الفلسطينية الى اقامة فلسطين ديمقراطية تقدمية لا عرقية ولا طائفية يعيش فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون بلا تمييز . ويستطيع مواطنو اسرائيل الحاليون ان يصبحوا اذا ارادوا مواطنين في فلسطين المحررة في مجتمع مفتوح تصان فيه الحقوق والحريات الفردية . « ان الثورة الفلسطينية مصممة على القتال من اجل خلق فلسطين جديدة ديمقراطية لا طائفية كهدف نهائي بعيد الامد للتحرر . اما افناء اليهود او المنفيين الفلسطينيين واقامة دولة عرقية انعزالية في فلسطين سواء اكانت يهودية ام مسيحية ام مسلمة فامر لا يمكن القبول به اطلاقا وليس عمليا ولا يستطيع ان يدوم »(٧٦).

ان المعاني الاخلاقية المتضمنة في هذا الموقف قوية والمنطق مفهوم . لكن ايضاحا للهدف كهذا ليس كافيا ، كما بينا ، الا اذا برهنت حركة المقاومة بالعمل على اليقينية الخلقية لمناداتها بمجتمع مفتوح. اذ ان كثيرا من اليهود يشترك في المخاوف الحقيقية والتردد والشك بمستقبل ما بعد التحرير . ولا يمكن تخطي هذه النزعات الا بأن يظهر الفدائيون رغبة مقنعة في بدء حوار مع العناصر اليهودية التي تعبأ بفلسطين وبشعب فلسطين والتي ستشارك في مصير المجتمع الجديد . وينبغي التأكيد هنا بما لا يقبل الشك ان الحقيقة الانسانية ستكون قادرة على تحقيق ذاتها دون ان تسلب بشواذ كاللاسامية والعرقية والاستغلال الطبقي والظلم العرقي . ويجب ان تضيء الحاجات الانسانية جدا — التعاون والسلام والعدالة — المجتمع المحرر حديثا ، وفي التحليل الاخير هكذا يبرأ العنف وهذا ما يجب ان تفعله حركة التحرير الفلسطينية .

---

١ — سنستخدم في هذا المقال تعابير حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية لتعني الشيء ذاته .

٢ — القمع الدائري تعبير يستخدم في هذا المجال لوصف علاقة التناسب الطردي بين حاجة السلطات الواعية للحفاظ على المستوى الادنى الضروري من الشرعية ، والاجراءات — غالبا القوة القمعية — الضرورية لضمان مستوى الشرعية الذي تم وعيه سابقا . فكلما كانت الحاجة الى الشرعية اكثر الحاحا ، كلما استخدمت القوة القمعية اكثر .

٣ — يشير التشديد على الاحتمال وليس التأكيد في هذه الحالة الى ان صحة الاجابات التي تقدم ، مهما كانت هذه الاجابات لا يمكن تبنيها الا في اطار ثورة ناجحة . ولنعترف ان فرضية نظرية قد تكون صحيحة بذاتها ولذاتها بغض النظر عن امكانية تطبيقها في وقت محدد على ظرف محدد . غير ان الكاتب يعتقد ان عملا ناجحا هو الشرط المسبق لنظرية صحيحة في تحقيق تحويل مجتمعي حقيقي في فلسطين، خاصة وان التحويل المعني لا يمكن بعد الان تحقيقه بالاقناع — على الاقل اقناع اولئك الذين يحتلون مراتب هرم القوة .

٤ — "An Intellectual Grab Bag". Kenneth W. Thompson in Abdul A. Said (ed.), Theory of International Relations, Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1968, p. 36.

٥ — Hans J. Morgenthau in Abdul A. Said (ed.), Theory of International Relations, Ibid, p. 176.

٦ — Abbie Hoffman, Revolution for the Hell of It, New York, The Dial Press, 1968.

يعتقد هوفمان ، في مجال ثوري مختلف تماما ، أن « العمل هو الحقيقة الوحيدة ، وليس الحقيقة فحسب بل الاخلاقية كذلك . فالمرء يتعلم أن الحقيقة هي تجربة ذاتية » ص ٩ .

٧ — Jerry Rubin, Do It ! (New York: Simon and Schuster, 1970).

حلم جري روبن الرؤيوي أنه يوما ما « لن تكون سجون ولا محاكم ولا شرطة ... وسيصبح العالم عامية (كومونة) واحدة كبيرة ، الطعام والسكن فيها مجانيان وكل شيء مشترك » .

٨ — Raymond Aron, Peace and War: A Theory of International Relations (New York: Praeger, 1967), p. 1.

٩ — كتب الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز في ١٦٧٩ بعنوان "Leviathan" قاصدا بها

الدولة، والليفياتان وحش اسطوري ضخم ، وأصبح هذا التعبير يستخدم في الانجليزية للدلالة على الدولة الكلية القوة او الدكتاتورية .

١٠ — Kenneth W. Thompson, "Toward a Theory of International Politics," American Political Science Review, XLIX, 3 (Sept. 1955) pp. 735-36.

١١ — المصدر ذاته ص ٧٣٦ .

١٢ — Hannah Arendt, "On Violence," Journal of International Affairs, XXIII, No. 1 (1969) pp. 2-3.

١٣ — « لذا فان نظرية في الثورة او في الحرب لا يمكن الا أن تتعامل بتبرير العنف ، لان هذا التبرير يشكل قصورها السياسي . واذا ما وصلت نظرية كهذه بدلا من ذلك الى تمجيد او تبرير العنف بما هو ، فانها لا تعود سياسية بل ضد — سياسية » .
Hannah Arendt, On Revolution (New York: The Viking Press, 1965), p. 10.

١٤ — سول النسكي : « في حقل العمل ، عليك أن تقوم بالتفكير وانت تجري ، فليس لديك الوقت لتفكر فيما اذا كان ما تفعله معقولا حقا».
Marion K. Sanders (ed.), The Professional Radical : Conversation with Saul Alinsky (New York: Harper and Row, Publishers, 1970), p. 34.

١٥ — Barington Moore Jr., Political Power and Social Theory (New York: Harper Torchbooks, 1965), p. 204.

١٦ — المصدر ذاته ص ٢٠٥

١٧ — المصدر ذاته ص ٢٠٦

١٨ — Quoted in Tariq Ali (ed.), The New Revolutionaries: A Handbook of the International Radical Left (New York: William Morrow and Company, Inc. 1969) p. 302.

١٩ — تؤكد حنه اريندت ان معظم المنظرين السياسيين يتفقون على أن « العنف ليس الا اكثر تجليات السلطة انكشافا » .
Journal of International Affairs, op. cit., p. 12.

٢٠ — C. Wright Mills, The Power Elite (New York, Oxford University Press, 1959), p. 171.

٢١ — Hans J. Morgenthau, Politics Among Nations, 4th edition (New York: Knopf, 1970), p. 25.

٢٢ — Journal of International Affairs, op. cit., p. 18.

٢٣ — المصدر ذاته ص ٢٣ .

٢٤ — من بين ما كتبه فرانز فانون الكتب التالية :

١) معذبو الارض ، ترجمة سامي الدروبي وجمال الاتاسي ، دار الطليعة .
The Wretched of the Earth (New York: Grove Press, Inc. 1963).

وقد كتب جان بول سارتر مقدمة له .

٢) Black Skins, White Masks (New York: Grove Press, Inc. 1967).

٣) Toward the African Revolution (New York: Grove Press, Inc. 1969).

ومن بين ما كتب آرثر واسكو
Arthur Waskow, From Race Riot to Sit-In (Garden City, New Jersey: Doubleday and Company,Inc. Anchor, 1967).

٢٥ — « ان من الصعب أن ننكر أن أحد الاسباب التي جعلت الحروب تتحول بهذه السهولة الى ثورات والتي جعلت الثورات تبدي هذا الميل المشؤوم الى شن الحروب هو كون العنف القاسم المشترك للحروب والثورات » .
Hannah Arendt, On Revolution, op. cit., p. 9.

٢٦ — كتبت البروفسورة اريندت تقول أن أعضاء المقاومة « قد زارهم شبح الحرية للمرة الاولى في حياتهم ، ليس بالتأكيد لانهم كانوا يعملون ضد الطغيان وما هو أسوأ ، .. بل لانهم اصبحوا « متحدين » ... وبدأوا في خلق ذلك الفراغ العام بين انفسهم حيث يمكن للحرية أن تظهر ».
Between Past and Future : Eight Exercises in Political Thought. (New York: The Viking Press, 1968), p. 4.

٢٧ — Barrington Moore, Jr. op. cit., p. 206.

٢٨ — المصدر ذاته .

٢٩ — المصدر ذاته ص ٢٠٧ .

٣٠ — المصدر ذاته .

٣١ — المصدر ذاته ص ٢٠٩ .

٣٢ — المصدر ذاته .

٣٣ — The Wretched of the Earth, op. cit., p. 17.

٣٤ — المصدر ذاته .

٣٥ — المصدر ذاته ص ١٥ .

٣٦ — المصدر ذاته . « يكتشف المواطن الاصلي ... من خلال قوة السلاح براءته المفقودة ويتوصل الى معرفة نفسه بأن يخلق هو نفسه».

٣٧ — المصدر ذاته ص ٣٠ .

٣٨ — المصدر ذاته ص ٣٥ .

٣٩ — المصدر ذاته ص ٧٣ .

٤٠ — هشام شرابي ، المقاومة الفلسطينية في وجه اميركا واسرائيل (دار النهار للنشر ١٩٧٠) ص ٢١٥ .

Hisham Sharabi, Palestine and Israel: The Lethal Dilemma (New York: Pegasus, 1969), p. 198.

يوضح الدكتور شرابي الامر باحكام بارع جدا فيقول : « فالمقاومة الفلسطينية باعلانها الكفاح المسلح طريقا وحيدا لبلوغ « سلم عادل » ، استشرفت استراتيجية انهاك تقوم على حرب طويلة . وبذلك ارست تقديراتها على القول بأن القوة هي اساس الاستراتيجية الصهيونية ، واذن فالشرط الذي لا بد منه لاحداث اي حل انما يكون بتعقيم القوة كوسيلة يعتمدها السلام الصهيوني . وهذا لا يمكن تحقيقه بالاقناع بل بالقوة » (ص ٢٢٣) .

٤١ — ليس دعم سوريا العلني للثورة الفلسطينية مطابقا لحرية حركة الثوريين الفلسطينيين بالضرورة . فالثوريون يشكلون فعلا خطرا على الانظمة العربية القائمة كما على اسرائيل . اذ أن حرية الحركة التي يسعى اليها الفلسطينيون تتضمن في النهاية مشاركة في سيادة الاقطار المعنية ، وهذا من شأنه أن يقود الى العنف ، كما حدث اخيرا في الاردن .

٤١ — شرابي ، المصدر السابق ص ٢١٥ .

٤٣ — من حديث لناطق رسمي من فتح لمراسل « نيويورك تايمس » (٣ كانون الثاني ١٩٦٨ ، ص ٦) .

٤٤ — شرابي ، المصدر السابق ص ٢١٦ .

٤٥ — Arthur I. Waskow, From Race Riot to Sit-In, op. cit.

٤٦ — المصدر ذاته ص ٢٢٦ .

٤٧ — من الممكن أن نؤرخ لبداية سياسة النظام ، كما يراها الغرب ، في فلسطين ، بالعام ١٩١٧ عندما كتب بلفور وزير خارجية بريطانية في رسالة الى البارون روتشيلد عرفت فيما بعد باسم وعد بلفور ، يخبره أن الحكومة البريطانية تحبذ « انشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ... » غير ان رسالة بلفور لم تكن كالانتداب معاهدة دولية ، على الرغم من أنها استخدمت كذلك . لمراجعة مسح ممتاز للتطور التاريخي للمسألة الفلسطينية أنظر :

Don Perez, A Palestine Entity ? (Washington, D.C. : The Middle East Institute, 1970). pp. 1.55.

٤٨ — كان مرسوم الحقوق المدنية للعام ١٩٦٤ أول تشريع للحقوق المدنية على المستوى القومي . وقد أقر مجلس النواب (الكونجرس) في العام ١٩٦٥ مرسوم حقوق التصويت . وأقر الاسكان المفتوح عام ١٩٦٨ . وعلى الرغم من أن الغاء التمييز في المدارس فورا قد أقر في العام ١٩٥٤ ، فان المحكمة العليا لم تأمر به حتى العام ١٩٦٩ . ولا يزال بند (تنفيذ الالغاء) « بكل سرعة وتصميم » مفتقرا الى التطبيق الكامل .

٤٩ — كثيرا ما يسمع المرء الحجة القائلة أن الفلسطينيين العرب قد تلقوا شروطا مجحفة في معظم المؤتمرات الدولية لانهم رفضوا أن يمدوا يد العون لمعظم هيئات التحقيق الدولية التي زارت فلسطين . ولكن وعلى فرض صحة هذه الحجة ، فان عدم تعاون الفلسطينيين لا يبرر اطلاقا الظلم الذي اوقع بهم — وهذا تبرير آخر لاستخدام العنف .

٥٠ — كتب واسكو يقول « في سياسة العنف ، يوجه الناس اهتمامهم الى ناحيتين : نحو التغييرات التي يجب ان تحقق ، ونحو الاقوياء الذين يقفون في طريق التغيير — أي العدو . أما في سياسة الفوضى فان الناس يركزون اهتمامهم على التغييرات التي يجب أن تحقق». واسكو ، المصدر السابق ص ٢٧٨ . لقد قرنت حركة المقاومة الفلسطينية في هذا المجال سياسة العنف بسياسة الفوضى ، منتجة بذلك سياسة الفوضى العنفية .

٥١ — لمراجعة تركيب منظمة التحرير الفلسطينية ولجنتها التنفيذية وقيادة الكفاح المسلح بالتفصيل أنظر

Hisham Sharabi, Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness (Supplementary Papers of the Center for Strategic and International Studies, Georgetown University, Washington, D. C., 1970), Appendix I, p. 45.

٥٢ — حوار بين فتح والطليعة : حديث بين ابو أياد أحد قادة فتح ولطفي الخولي رئيس تحرير الطليعة القاهرية . الطليعة العدد السادس السنة الخامسة ١٩٦٩ . ص ٥١ — ٨٧ .

٥٣ ــ المصدر ذاته ص ٦٣ .

٥٤ ــ المصدر ذاته ص ٦٤ .

٥٥ ــ المصدر ذاته ص ٦٤ «وقيمة المبادرة بالعمل في ١١ حزيران (يونيو) هو تخطي كل مواقف اليأس والذهول . وترجمة ارادة الشعب العربي عامة والفلسطيني خاصة في عدم الاستسلام والاستمرار في محاربة العدو دون انقطاع » . ص ٦٤ .

٥٦ ــ « اضطررنا ان نبدأ المقاومة في ذلك التاريخ ... لعدة اعتبارات هامة . اولا لانه ليس من السليم سياسيا وعسكريا ونفسيا ان تجمد التنظيمات والمقاتلون عن العمل بعد الدرجة التي كنا قد وصلنا اليها من التدريب والتنظيم وحشد السلاح . وثانيا لان التجميد دون الحركة كان يجعلنا عرضة اكثر للمخاطر. وثالثا لان العدو كان قد بدأ يشعر ويتشمم ببعض قواعدنا السرية » . المصدر ذاته ص ٦٥ .

٥٧ ــ ان هذا التفكير العسكري الجديد « يعني احتلال موقع يسيطر عليه العدو ، وذلك لمدة محدودة من الزمن نظهره خلالها من كل قوات العدو وامكانياته فيه ... وهذه المرحلة بدورها تمهيد للمرحلة التي تليها ... واعني بها مرحلة احتلال المواقع وتطهيرها والاقامة فيها » المصدر ذاته ص ٥٨ .

٥٨ ــ الجبهة الشعبية والعمليات الخارجية . كتاب « الهدف » ، لا تاريخ ، ص ٧ .

٥٩ ــ المصدر ذاته ، ص ٨ . هذا الموقف يشكل جوهر ايديولوجية الجبهة الشعبية الماركسية ــ اللينينية .

٦٠ ــ المصدر ذاته ص ١٣ .

٦١ ــ The Palestine Resistance Movement. An extract from a report by Gerard Chaliand, Published by Le Monde Diplomatique, March 1969, pp. 13-14.

٦٢ ــ ان محاولات فتح الاخيرة للدخول في نقاش نظري لمجتمع ما بعد التحرير ناجمة عن سببين : الضغط الذي احدثته انتقادات جماعات المقاومة والجماعات الاخرى التي تقول ان فتح ذات توجه عسكري وانها تفتقر الى برنامج سياسي للمجتمع الذي تسعى الى خلقه . وثانيا الضغط من داخل فتح لتطوير مفهوم المجتمع الديمقراطي المتعدد القوميات الذي سينشأ في فلسطين عند التحرير . غير ان هذه المحاولات كانت في معظمها سطحية الى حد بعيد .

٦٣ ــ يربط الدكتور هشام شرابي بوضوح نجاح الجبهة الشعبية بين الجماهير العربية بايديولوجيتها الماركسية اللينينية . ويؤكد شرابي ان هذا النجاح « ذو أهمية خاصة لان الاحزاب الشيوعية العربية فشلت حتى الان في شق طريقها بين الطبقات البروليتارية والفلاحية وظلت جماعات فئوية صغيرة يسيطر عليها مثقفون بورجوازيون صغار عديمو الفعالية » .
H. Sharabi, Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness.

٦٤ ــ فتح ، كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة من دراسات وتجارب ثورية ص ١٠٥ .

٦٥ ــ فتح ، من منطلقات العمل الفدائي ، طبعة جديدة آب ١٩٦٧ ، ص ٦٤ ــ ٦٥ .

٦٦ ــ المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

٦٧ ــ الجبهة الشعبية ، المقاتل الثوري ، حزيران ١٩٦٩ ، ص ٤ ــ ٨ .

٦٨ ــ Kenneth W. Thompson in Abdul A. Said (ed.), Theory of International Relations, op. cit., p. 35.

٦٩ ــ المصدر ذاته .

٧٠ ــ Samuel Halperin, The Political World of American Zionism (Detroit, Michigan: Wayne State University Press, 1961), p. 6.

٧١ ــ Theodor Herzl, The Jewish State (London 1946) p. 30.

٧٢ ــ Theodor Herzl, Foundation, The Complete Diaries of Theodor Herzl, Vol. I (New York: Thomas Yoseloff, 1960 p. 196).

٧٣ ــ المصدر ذاته ، المجلد الاول ص ٨٨ .

٧٤ ــ Free Palestine (Washington D. C.) Vol. 11. No. 1 (May 1970), p. 6.

٧٥ ــ Tony Cliff, "The Struggle in the Middle East" in Tariq Ali, The New Revolutionaries, op. cit., pp. 220-221.

٧٦ ــ Free Palestine, op. cit., Vol. II, No. 2 (June 1970) p. 6.

العقيدة الصهيونية في ظل السلام

الدكتور اسعد رزوق

تطرح هذه التوقعات والتنبؤات في مستهلهـــا سؤالا يتناول ما يلي : ما هي الآثار أو النتائج التي قد تنجم على صعيد العقيدة الصهيونية من جراء احلال السلام الدائم بين العرب واسرائيل وعقد الصلح بين الطرفين ؟ وما هي بالتالي انعكاسات ذلك كله على مستوى التفكير العقائدي والاتجاهـــات الحضارية والفكرية السائدة في العالم العربي اليوم ؟ ولا بد من توضيح جملة أمور قبل الانتقال الى معالجة الموضوع من الزاوية التي يطرحها هذا السؤال ، ودفعا لكل التباس أو فهم خاطىء قد يتبادر الى الذهن فيشوش عليه . لذا نجد لزاما علينا ايراد التوضيحات المعنية من خلال الملاحظات المبدئية التالية : **اولا** : ان المقصود بالصيغة المطروحة أعلاه ليس الاجواب عما اذا كان السلام ممكنا أو تابلا للتحقيق بين الطرفين المتنازعين ، أو بين الاطراف المتنازعة . **ثانيا** : ان السؤال الماثل أمامنا ينطلق من فرضية اساسية على صعيد النظر والتجريد ، لكي ينقلها من مجال الامكان الى حيز التطبيق والوجود . أي أن احلال السلام واقامة الصلح بصورة دائمة ليست مطروحة على بساط البحث بقدر ما هي على سبيل الافتراض وامكان الحدوث . فالتركيز ينصب على الآثار والنتائج المترتبة عـــن حالة السلام والصلح فيما لو امكن الوصول اليها ونجحت المساعي الرامية الى تحقيقها . **ثالثا** : هناك صيغ ونماذج متعددة لحالات الصلح والسلام بين أطراف النـــزاع ، وهي صيغ لهـــا مستلزماتها القانونية والحقوقية مثلما انها تنطوي على شتى التنويعات والدلالات ، بحيث قد تستتبع عن كل منها نتائج متغايرة وآثار متمايزة فيما بينها . فالى جانب الاجتهادات والتخريجات التي يبرع فيها أرباب القانون الدولي العام توجد انماط واحتمالات مختلفة يتداولها المعنيون بدراسة حقل مستجد من حقول النظر العلمي الذي تطلق عليه تسمية « بحوث السلام » (Friedensforschung . Peace Research) . حتى باتت « نظرية السلام » متعددة الجوانب والاتجاهات ، وتكاثرت الانماط والنماذج التـــي تخطط لاستراتيجية السلام وترسم صورة لعالم يسوده السلام بعيدا عن الايديولوجية وسياسة القوة . **رابعا** : ازاء تعدد الصيغ الممكنة لاحلال السلام وتشعب الملابسات والدلالات القانونية التي تلازم كل صيغة من تلك الصيغ لا يسعنـــا الا التنويه بوجود شتى الاحتمـــالات دون الدخول في تفاصيلها او التصدي لدقائقها القانونية . لذا نكتفي بالاشارة الى هذه الناحية الهامة ، تاركين مسألة التوقف عندها وايفائها حقها من البحث والتحليل الى اهـــل الاختصاص وأرباب الاجتهاد القانوني . وبناء عليه سوف تتم الاجابة على السؤال الوارد في مطلع هذا البحث انطلاقـــا من حالة السلام « البسيطة » أو المفترضة على أساس الاعتراف

المتبادل واقامة العلاقات الطبيعية بين الطرفين المتنازعين ، دون تخصيص الصيغ القانونية أو الالتفات الى سائر التنويعات والاحتمالات الممكنة في هذا المجال الواسع . فالسلام الذي يفترضه السؤال هو سلام يقوم على انهاء حالة الحرب بين العرب واسرائيل وعلى عقد معاهدة صلح دائم بين الطرفين وانشاء علاقات متبادلة على مختلف المستويات بحيث تأخذ الامور سيرها الطبيعي كما هي الحال بين الدول المتجاورة في نطاق وجود اقليمي متصل الحلقات يؤمن حرية الحركة والتنقل ويفسح المجال أمام التعاون والتفاعل والاحتكاك المباشر ، دون فرض القيود الاستثنائية أو اتخاذ الاجراءات التي من شأنها ايجاد حالة الحرب واحداث المقاطعة الاقتصادية أو ارجاعها الى سابق عهدها . **خامسا** : تبقى مسألة على جانب كبير من الاهمية وان كانت وثيقة الصلة بما سبقها من اشارات الى الصيغة التي سوف يتخذها الصلح بين الطرفين : هل ينعقد الصلح العتيد بين طرفين متكافئين ؟ وهل سينبع السلام المنشود من عودة الى جذور النزاع واساس المشكلة ؟ ان احلال السلام لا يتم الا بازالة أسباب النزاع واستئصال شأفة العوامل التي أوجدت حالة الحرب . وكل صلح أو سلام يتم بمعزل عن الطرف الاصيل والمعني في القضية المتنازع عليها أو حولها سوف يزيد من حدة النزاع ويعمق جذوره ، لانه يتجاهل أصحاب الحق المشروع ويتحاشى الاعتراف بكيانهم وبلوغهم سن الرشد على مستوى الوعي القومي ، مثلما انه يفشل في الاعتراف بحقهم في تقرير المصير وفي معاملتهم معاملة الند للند . فالصلح الذي تنشده اسرائيل ينطلق من موقعها الحالي ومركز قوتها الراهن ، ولا يرغب في الرجوع الى جذور المشكلة ، اي انه يفترض وجود الدولة الصهيونية في وضعها الحاضر ، ومعنى ذلك انه لا يطرح مسألة الغزو الصهيوني لفلسطين ضمن اطارها التاريخي والحقوقي الصحيح . لذا فان النتيجة الحاصلة مسبقا هي ترسيخ الاستعمار الصهيوني وتوطيد دعائمه .

نعود الى السؤال الاصلي من جديد لنطرحه على الشكل الآتي : لو افترضنا انه سوف يتم عقد صلح بين العرب واسرائيل ، فما هي الآثار والنتائج التي تنجم عن هذا الصلح بالنسبة للعقيدة الصهيونية وما هي الانعكاسات المحتملة أو المتوقعة على الصعيد العربي في المجال العقائدي . هل يعني الصلح ان العقيدة الصهيونية على استعداد تام لدفع الثمن الذي يترتب على انتصارها وتسليم الطرف العربي بوجودها وبالحقوق التي تدعيها لنفسها . وبكلام آخر ، هل يكون الصلح بمثابة الخاتمة لانتصار العقيدة الصهيونية في تحقيق مآربها وغاياتها من خلال انتزاع الاعتراف العربي بالكيان الذي اوجدته ؟ أم ان الانتصار لن يعقبه انحسار عقائدي ، بل سوف يكون من شأنه تمهيد السبيل أمام المزيد من الانتصارات ومضاعفة المطالب والادعاءات ، لا بل تصعيد المد الصهيوني وتأمين المنطلقات الجديدة له من خلال التطلع الى أهداف أبعد والسعي لتحقيق انجازات أخرى تضمر التوسع الاقليمي على حساب الكيانات العربية المجاورة وتتوسل الطرق السلمية لتوطيد الدعائم وترسيخ المكاسب تحت ظل السلام الملائم ؟

الصهيونية المنتصرة

مما لا ريب فيه ان الاثر المباشر والبديهي لعقد الصلح بين العرب واسرائيل يضفي على العقيدة الصهيونية حلقة جديدة في سلسلة انتصاراتها التي دشنها ثيودور هرتزل منذ سبعة عقود ونيف من الزمن . فقد بادر هرتزل في المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨) الى رفع شعار « الاستيلاء على الجماعات اليهودية » في محاولة ترمي الى استقطاب ولاء اليهود لصالح الحركة الصهيونية وكسب تأييدهم للفكرة والدعوة التي تقوم عليها تلك الحركة . واستطاعت الحركة خلال عشرين عاما من تأسيسها تحقيق بعض الانتصارات المحدودة في هذا المجال ، فأوجدت لنفسها ركائز ثابتة بين جماهير اليهود في بلدان أوروبا الشرقية . ثم جاء صدور وعد بلفور بمثابة تتويج للسياسة التي أرسى دعائمها مؤسس الصهيونية ، فرأت فيه الحركة « براءة » تؤكد حقها في الهجرة

والاستيطان ، واعتبرته « مظلة واقية » للوجود الاستعماري اليهودي بفلسطين بحيث أصبح هذا الوجود في نظرها ، وتحت رعاية الاحتلال والانتداب البريطاني وبتشجيع تام منه ، حقا وليس منة .

وخلال ثلاثين عاما من الاحتلال البريطاني لفلسطين كانت العقيدة الصهيونية هي المحرك الفعال لسياسة تأسيس الوطن القومي اليهودي ، فجاء قيام اسرائيل بعد انقضاء قرابة نصف قرن على انشاء الحركة الصهيونية بمثابة الانتصار الجديد للعقيدة التي جعلت من صلب أهدافها الاستيلاء على فلسطين واقامة الدولة اليهودية فوق أرضها وضمن حدود جرى رسمها تارة وفقا لاعتبارات تاريخية معينة أو نوازع دينية متطرفة، وطورا بالنسبة الى الحاجات الجغرافية والسياسية والاقتصادية بحيث تستطيع استيعاب القسم الاكبر من يهود العالم .

ان قيام دولة اسرائيل فوق رقعة من الارض الفلسطينية تتجاوز في مساحتها تلك الرقعة التي أوصى بها قرار التقسيم الصادر في الجمعية العامة للامم المتحدة يمثل انتصارا للعقيدة الصهيونية بحيث يزكيه نجاح الاجهزة العاملة في الحركة في تهجير المزيد من يهود العالم الى فلسطين المحتلة واحلالهم مكان السكان العرب الذين أرغموا على النزوح عن ديارهم والفرار من وجه الارهاب الصهيوني . لكن المؤتمنين على مقدرات العقيدة الصهيونية سارعوا غداة اعلان قيام دولتهم على التوكيد بأن الانتصار المذكور ليس سوى مرحلة في طريق تحقيق الهدف النهائي لكل من العقيدة والحركة . فالحرب التي شنها المستوطن اليهودي ضد العرب واتخذت لدى دخول الجيوش النظامية العربية طابع النزاع العربي ــ الاسرائيلي أصبحت توصف في القاموس الصهيوني بـ « حرب الاستقلال » و« حرب التحرير » . والأجزاء التي وقعت تحت الاحتلال الصهيوني صارت تعرف بـ « الاجزاء المحررة » ، تقابلها تلك « الاجزاء غير المحررة » في قطاع غزة والضفة الغربية للاردن والمناطق المجردة من السلاح على جانبي خط الهدنة الفاصل بين سوريا واسرائيل . ثم تكررت عملية « التحرير » على صعيد الممارسة ابان العدوان الثلاثي على شبه جزيرة سيناء وقناة السويس عام ١٩٥٦، فجاءت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ومواقفهم لتؤكد على انتقال العقيدة الصهيونية الى المرحلة التالية من مراحل تحقيق ذاتها ووضع منطقها الاساسي موضع التنفيذ . وفي حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل توسيع حدودها وضم مساحات شاسعة من الاراضي الفلسطينية واراضي الدول العربية المجاورة، لكي تعاود الحديث الصهيوني عن «المناطق المحررة » وتستعيد الى ذاكرتها صورة « أرض اسرائيل » في حدودها التاريخية .

فالعقيدة الصهيونية لعبت دورا أساسيا في تحقيق الانتصار المتمثل بقيام اسرائيل بعد خمسين عاما من اطلاق الحركة المنفذة لتعاليمها ، كما انها أسهمت في تحقيق الانتصار الذي تجسد غداة عدوان الخامس من حزيران ، لكي تصبح اسرائيل الصغرى (١٩٤٨) بعد مضي عشرين عاما على قيامها دولة « اسرائيل الكبرى » . هذه السلسلة من الانتصارات ، مهما يكن طابعها وبغض النظر عن أبعادها في المستقبل واحتمالات مصيرها ، تؤلف في مجموعها وسياقها ذخيرة اثباتية لقوة العقيدة الصهيونية وفاعليتها في المجالين الاساسيين : مجال اسرائيل وأوساط يهود العالم . فقد أثبتت العقيدة الصهيونية انها قادرة على استقطاب المزيد من يهود العالم ، سواء كان ذلك لصالح تدعيم اسرائيل ومدها بالمساعدات والمعونات والتأييد ام لصالح حمل الكثيرين من اليهود على الهجرة الى اسرائيل والاستيطان فيها بصورة دائمة . ومما لا سبيل الى نكرانه ان الدعوة الصهيونية لعبت دورا حاسما وفعالا ، الى جانب عوامل أخرى تمكنت الحركة من تطويعها واستغلالها لمصلحتها ، في تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . كما لا يخفى علينا بأن الهجرة بالنسبة لاسرائيل تؤلف وظيفة اساسية من وظائف الامن وامتلاك القدرة الكافية للحفاظ على المكاسب والمغانم .

استمرار الفاعلية

ان استمرار العقيدة الصهيونية بعد تحقيق الهدف الذي اعلنته قبل قيام اسرائيل بنصف قرن من الزمن يؤلف دليلا قاطعا على ان تلك العقيدة ليست منوطة بذلك الهدف وحده ، بل هي تعتبره مجرد مرحلة جزئية تثب منها الى مراحل اخرى . فقد مارست الحركة نشاطاتها طيلة خمسين عاما في ظل البرنامج الذي اعلنه مؤتمر بازل الصهيوني الاول ١٨٩٧ بأن « هدف الصهيونية هو خلق وطـن للشعب اليهودي في فلسطين (« أرض اسرائيل ») يضمنه القانون العام » . لكنها عادت بعـد مضي ثلاث سنوات على قيام دولتها فوضعت « برنامج القدس » (١٩٥١) الذي أكدت فيه « ان مهمة الصهيونية هي توطيد دعائم دولة اسرائيل وتجميع المنفيين في أرض اسرائيـل وتعزيز وحدة الشعب اليهودي » .

وغداة حرب حزيران كان الجنرال اسحق رابين يخطب في الحفل الذي اقيم بمناسبة مرور سبعين عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول قائلا ما يلي : « ان موقعنا اليوم يختلف عما كان عليه قبل سبعين عاما . فقد تأسست آنذاك حركة يهودية صهيونية تهدف الى اقامة دولة يهودية في أرض اسرائيل . أما اليوم فهناك دولة يهودية عظمى تبحث عن المزيد من سكانها، عن أولئك الذين سوف يأتون للاستيطان والعيش فيها . هذا هو محك الحركة الصهيونية اليوم ، لأنه الطريق المؤدي الى تقوية دولة اسرائيل وتوطيـد دعائمها . وعندما يصبح لدينـا ٤ أو ٥ ملايين من اليهود في اسرائيل ، فلن يستطيع شيء ما الحاق الاذى بها أو زعزعة أركان وجودها .... ان المهمة المحورية التي تقبع أمام الحركة الصهيونية هي البحث عـن سبل جديدة لزيادة الهجرة »(١).

لقد انقضى ما يزيد على عشرين عاما بعد قيام اسرائيل ولا تزال مسألة تشجيع الهجرة اليهودية من مختلف انحاء العالم احدى المهمـات الرئيسية التي تضطلع بهـا الحركة الصهيونية . فالهجرة ليست في نهاية المطاف وظيفة من وظائف الامن فحسب ، بل ان تهجير اليهود الى اسرائيل يعتبر أسمى أشكال الصهيونية وأرفعها شأنا .

وحين انعقد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون (١٩٦٨) تم الاتفاق على اعادة صياغة الأهداف الصهيونية في برنامج جديد يتضمن المرتكزات الاساسية التالية : وحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيل وسط الحياة اليهودية . جمع شمـل الشعب اليهودي في موطنه التاريخي (« أرض اسرائيل ») عن طريق الهجرة من جميع البلدان . تقوية دولة اسرائيل التي تقوم على أساس الرؤيا النبوئية للعدالة والسلام . الحفاظ على هوية الشعب اليهودي عن طريق رعاية التربية اليهودية والعبرانية وتنمية القيم الروحيـة والحضارية اليهودية . حماية الحقوق اليهودية في كل مكان(٢).

ان هذا البرنامج الصهيوني الذي تبنته الحركة لن يتأثر في عناصره الاساسية من جراء عقد الصلح بين العرب واسرائيل . اي انه لن يشهد تراجعـا أو انحسارا فيما لو تم احلال السلام بين الاطراف المتنازعة . فهو من صلب العقيدة الصهيونية ، اذ ينص على الاهداف العريضة التي تسعى هذه العقيدة الى ممارستها ووضعها موضع التنفيذ . ومن السخف أن نتوقع مبادرة الصهيونية الى التخلي عن منطقها الداخلي وتمييع الروابط التي تشدها الى اسرائيل ، لا بل ابطال ذاتها وسلب مضمونها الجوهري ، متى تم عقد الصلح العتيد .

لذا تتراءى لنا احدى النتائج المترتبة عن حالة السلام بالنسبة للعقيدة الصهيونية على النحو الآتي : سوف تشكل حالة السلام تذليلا لكثـير من العقبات التي كانت تعترض سبيل البرنامج الصهيوني ، وسوف تجد العقيدة الصهيونية نفسها في ذروة الانتصار ، وعلى عتبة مرحلة جديدة من تحقيق الذات واستمرار الممارسة والفعالية .

ان المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين أعاد في قراراته تعريف برنامج القدس بحيث

بصبح هدف الصهيونية « تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ، مع التشديد على مركزية اسرائيل في الحياة اليهودية » . واذا كانت اللجنة السياسية للحركة قد اقترحت اضافة عبارة « أرض اسرائيل » بعد عبارة « وطنه التاريخي » ، فان اسقاط هذا الاقتراح لا يعني تراجعا عن المعادلة التقليدية ، بل يعود الى الرأي القائل بانه ليس من المستحسن « التسبب في احراج السياسة الخارجية الاسرائيلية » ، لئلا تنطوي تلك العبارة على دلالة معينة بالنسبة الى قضية الحدود .

لكن ما أحجم عنه المؤتمر الصهيوني لأسباب تكتيكية ، سبق له أن كان لسان حال الاوساط الاسرائيلية في مطلع العام نفسه . فقد كتبت مجلة «ذي اسرائيل ايكونوميست» تحت عنوان « حدود السلام » ما يلي : « ثمة نزعة للبحث عن حدود طبيعية . ومن الواضح ان هذا الامر مرغوب فيه ، لكن الوصول اليه عادة وبصورة كلية لا يتسنى الا للدول الجزيرية (القائمة بذاتها مثل الجزيرة) . فمن وجهة النظر هذه تبدو قناة السويس ، على قصرها وامتدادها المستقيم بمعالمه الواضحة ، أفضل حد مع مصر . بينما يصبح وادي الاردن وغوره السحيق الذي يفصل شرقي الاردن عن فلسطين وكأنه خلق ليشكل الحد الطبيعي بين بلدين . وعليه فان نهر الليطاني هو الحد الأمثل والطبيعي مع لبنان ، كما ان نهر الاردن هو ذلك الحد مع سوريا » . ثم يستدرك كاتب المقالة ليؤكد وجود مقاييس أخرى لتعيين الحدود المنشودة . فيقول : « بيد ان ذلك يؤلف مقياسا واحدا من مقاييس الحدود . فالتاريخ والديموغرافيا والاقتصاد والامن لا تقل أهمية عما تقدم في كثير من الاحيان »(٣).

فالملاحظ ان هذه الاعتبارات الاخرى يجري وضعها أيضا في خدمة الاهداف الصهيونية بحيث تغدو أداة طيعة بتصرف « حدود السلام » . وليس هناك ما يدل على ان الصلح سوف يحمل العقيدة الصهيونية على التخلي كليا ونهائيا عن مضمونها « الارتدنتي » وعن نظرتها الى « أرض اسرائيل في حدودها التاريخية » . فالتراجع عن بعض المناطق المحتلة سوف يضع هذه المناطق في عداد الاجزاء السليبة أو المسلوخة عن أرض الوطن القومي اليهودي ، مما يؤهل العقيدة الصهيونية للالتزام بمسألة « تحريرها » في المستقبل وضمها الى « الوطن الأم » .

ومن المستبعد أن تعمد الصهيونية الى التغلب على ذاتها وابطال منطقها الاساسي بهذه السهولة ولقاء السلام المتبادل . ان ما يقوله الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان بأن « المعنى الاوحد والصحيح للصهيونية يقبع في الحقيقة التي مؤداها أننا استوطنا في يافا . وكل ما عدا ذلك فلا يعدو كونه شروحات وتفسيرات »(٤). هذا القول ربما كان يصدق على فئة قليلة من الذين يتطلعون الى الخلاص من الماضي الصهيوني وتجاوز العقيدة الصهيونية . فالمحاولات الرامية الى تخطي المنطق الصهيوني تبقى حتما أسيرة هذا المنطق بالذات من حيث تدري أو لا تدري . وليس هناك ما يمثل على قصور هذه التوقعات او التمنيات الفردية بصورة افضل من تلك الصورة التي تطالعنا لدى أوري آفنيري .

« اسرائيل بلا صهيونية » ؟

ان احدى النتائج المترتبة عن عقد صلح مع اسرائيل، حتى ولو أبدت اسرائيل استعدادها للتخلي عن القسم الاكبر من الاراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، سوف تكون الابقاء على العقيدة الصهيونية في موقع القوة والسيطرة. والحديث عن «اسرائيل بلا صهيونية» لا يعدو كونه شعارا ترفعه أصوات مفردة تفتقر الى القاعدة الواسعة داخل الحركة الصهيونية . ان اسرائيل لا تستطيع نكران ذاتها وتجاوز طبيعتها الراسخة والمتأصلة ، فكيف يتوقع لها أصحاب الشعار المذكور أن ترتد على نفسها وتتنكر للعقيدة التي كانت من صلب مقومات وجودها ؟

يتمنى آفنيري على الصهيونية أن يكون نجاحها بالذات سبيلا لتحولها الى عقيدة ممانة

وبالية . اي انها في تحقيق اهدافها تكون قد تجاوزت نفسها وابطلت ذاتها . لكنه سرعان ما يبادر الى قطع الطريق على كل التمنيات من هذا القبيل ، فيقول : « من الطبيعي ان النظام السياسي للحكم الذي قاد الصهيونية الى عصرهـــا البطولي ليس بالنظام الذي يتخلى عن السلطة طوعا وبسهولة . فالبنـــاء الفوقي ، الايديولوجـــي والسياسي ، للصهيونية ما زال يمارس تأثيرا هائلا في اسرائيل . وقيام الدولة لم يغير ذلك . والحق انه لم يبدل تبديلا يستحق الذكر في التركيب الشخصي والسياسي للطبقة القائدة في البلاد . لذا فانه من الصعب جدا الاجابة على سؤال من طراز: هل اسرائيل دولة صهيونية؟»(٥) .

وعلى الرغم مما تعنيه لفظة « صهيونية » ـــ على حـــد قول آفنيري ـــ بالنسبة للجيل الجديد من الشبان المولودين في اسرائيل ، اذ يجري تشبيهها بالهراء او الشعار الفارغ، فان ابناء هذا الجيل بالذات « قد يتعلقون عن غير وعي بالافكار الصهيونية التي يعرفون انهـــا برهنت على خطأها » . الا يمكن الاستدلال من هذا الاعتـــراف بأن الجيل الذي ينسبون اليه ابتعادا عن الصهيونية او لامبالاة بها هو في الواقع ذلك الجيل الذي تربى عليها وترعرع في كنفها وما زال على تعلقه اللاواعي بها رغم الاخطاء التي تعتريها . ان آفنيري لا ينكر ابدا وجود مرتكزات اساسية للعقيدة الصهيونية ، وهي مرتكزات تؤلف المناخ الفكري السائد في اسرائيل. فالمدارس تعلم طلابها جوهر الصهيونية والحياة السياسية شديدة الصلة بالاتجاه الصهيوني ، كما ان الصحافـــة تمارس نشاطها من خلال الاطار الصهيوني العام . والنظـــام القائم في اسرائيل يعتبـــر مرتكزات العقيدة الصهيونية بمثابة جوهره الاساسي ومقومات وجوده . فكيف يتوقع دعاة ازالة الطابع الصهيوني عن اسرائيل ان يتم ذلك ؟

ان صهيونية اسرائيل ليست بالقشرة البرانية التي يمكن انتزاعها في سبيل الوصول الى عقد الصلح واحلال السلام . ومن المؤكد ان عقد الصلح مع دولة اسرائيل لن يقلل من شأن طابعها الصهيوني ، ولن يكون من نتائجه اضعاف التزاماتها الصهيونية ابدا . بل على العكس من ذلك تماما . اذ سوف تجد العقيدة الصهيونية في ظل الاوضاع الجديدة متسعا من المجال لتنفيذ مرتكزاتها الاخرى بالطرق السلمية وتوسيع رقعة نشاطاتها وتحقيق المزيد من الانتصارات التي تتطلع اليها منذ زمن بعيد . فلا ننسى مطلقا بأن هرتزل كان سباقا في وصف الصهيونية بـــ « صانعة السلام » ، مثلما ان ماكس نوردو وغيره من زعماء الحركة توسموا في الدعوة الصهيونية تلك الحركة التي تحمل مشعل التمدن الى شعوب الشرق وتعمل على توسيع حدود الحضارة الاوروبية حتى تصل الى الفرات شرقا . وليس من المتوقع او المعقول ان تتجرد العقيدة الصهيونية من مرتكزاتها ومقوماتها الاساسية لتنقلب على نفسها وتخرج من جلدها محاولة القفز فوق ظلها . اذ كيف يقدم المنتصر على اطراح أسباب انتصاره جانبا ، متى امكنه تحقيق السلام دون التضحية بشيء من مكاسبه الحقيقية او التنازل عن العناصر الاساسية لقوته الرادعة والمنفذة لمآربه القريبة منها والبعيدة .

ان الدعوة الرامية الى تصوير اسرائيل بلا صهيونية والمنادية بتجريد الدولة اليهودية من طابعها الصهيوني وازالة الصفة الصهيونية عنها سوف تبقى محصورة ضمن نطاق ضيق جدا ، ولن تتهيأ لها أسباب النجاح والانتشار الواسع . والصلح الذي نفترض حدوثه لن يتم مع اسرائيل كما يتمناها أصحاب تلك الدعوة ان تكون ، بل مع اسرائيل في واقعها الصهيوني وكافة الابعاد التي ينطوي عليها هذا الواقع . فمن السابق لأوانه ، لا بل هو اشبه بضرب من المحال ، توقع زوال الصبغة الصهيونية عن اسرائيل القائمـــة في ظل الصلح والسلام مع العرب . ان الروابط الصهيونية التي تشد اسرائيل الى يهود العالم ما برحت تزداد قوة ومتانة حتى بعد تحقيق هدف الصهيونية بقيام دولة اسرائيل .

ولا غرو فان المناداة بشعار زائف من طراز « اسرائيل بلا صهيونية » ترمي من جملة ما ترمي اليه لتشجيع العرب على القبول بالكيان الصهيوني في وسطهم والاعتراف بحقه في

الوجود دون أن تساورهم المخاوف والشكوك حيال الطبيعة المتأصلة لهذا الكيان القائم على سلب حقوقهم واغتصاب أرضهم . وما علينا سوى النظر الى الوزن الطفيف الذي يتمتع به أصحاب تلك الدعوة بالنسبة الى مجموع القوى الصهيونية الواقفة بالمقابل . ثم هناك التقصير من جانب الذين يرفعون هذه الشعارات عن ادراك طبيعة العقيدة الصهيونية ومدى تملكها من نفوس معتنقيها وهيمنتها على نظرتهم الشاملة الى الحياة والانسان والتاريخ . فالقول باطراح الصفة الصهيونية ينم عن سذاجة في فهم الابعاد والمعاني التي ينطوي عليها وجود اسرائيل ، وفي الاحاطة بطبيعة المنابع التي تستمد منها اسرائيل كيانها الصهيوني . لذا ينبغي الحذر من مغبة السير في ركاب الشعارات الزائفة من هذا الطراز وامثاله . وما علينا سوى التوقف عند بعض العناصر الاساسية في العقيدة الصهيونية لكي نتبين الاتجاه الذي سوف يأخذه التطور في ظل الصلح والسلام دون أن يخطر للصهيونية خاطر الارتداد على نفسها والانكفاء أو الانحسار .

عناصر الصهيونية الاساسية

ثمة عناصر أساسية في العقيدة الصهيونية سوف تبقى بمعزل عن تأثيرات السلام العتيد بين العرب واسرائيل . فهي عناصر ونزعات متأصلة في تلك العقيدة ، ومن المستبعد كليا ، لا بل من المتعذر ان تطرأ عليها أية تعديلات أو تخضع الى التغييرات . فهي أشبه ما تكون بالمسلمات أو البديهيات التي تأبى التعديل والتغيير طالما انها أثبتت حتى الآن جدواها وفعاليتها في تمكين العقيدة الصهيونية من احراز الانتصارات التي أحرزتها . وليست هناك علاقة مباشرة تشدها الى حقل النزاع العربي ــ الاسرائيلي فتجعلها عرضة للتأثر باحتمالات السلام او اقامة الصلح بين الطرفين . على أن توضيح ذلك يتطلب الينا تعداد العناصر المقصودة والتوقف عند أبرز نواحيها وأكثرها أهمية .

أ ــ **الجالوت ومعاداة السامية** : تنطلق العقيدة الصهيونية لدى هرتزل وعلى أيدي الذين توارثوا أفكاره من نظرة معينة الى الظاهرة المعروفة بـ « معاداة السامية » أو العداء لليهود . هذه النظرة تعتبر العداء المذكور بمثابة خاصة طبيعية وابدية تتأصل في الطبع الانساني . أي انه عداء ليس من الممكن استئصال شأفته والقضاء على بذوره وجذوره الكامنة في قلب الامم وعقلها . وفي ذلك يقول هرتزل : « ان الامم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها كلها عدوة للسامية ، اما في الباطن او في الظاهر »(٦). هذا العداء المستحكم يمثل قيمة ثابتة في نظر هرتزل ، ربما كان قابلا للازدياد والاستفحال ، لكنه غير قابل للزوال أو النقصان والانحسار . ومن المعروف ان هرتزل ونوردو اتفقا على اعتبار هوية اليهودي وادراكه لتلك الهوية المميزة رهنا بوجود العداء المشار اليه . فقد كان يطيب لهما القول التالي : « لولا العداء للسامية ، لما كنا أوحافظنا على يهوديتنا . فهو الذي جعل من اليهود يهودا » .

واذا كانت الصهيونية ترى في العداء للسامية باعثا دائما يحفز اليهود الى اكتشاف هويتهم والالتفاف حول بعضهم ورص صفوفهم ، فان الشق المقابل لهذا المرتكز الاساسي يقوم على العنصر العقيدي الصهيوني القائل بضرورة ابطال الجالوت او النفي . أي ان الواقع اليهودي المشتت في سائر أنحاء العالم ، حالة النفي التي يعيشها اليهود هي المسؤولة عن البؤس والشقاء والالم الذي يعانون منه(٧). ولا سبيل الى الخروج من هذا الوضع الا باستخدامه كحافز ومحرك للانتقال الى حالة صهيونية جديدة . هذا هو المقصود بـ « سلب الجالوت » أو تجاوز المنفى عن طريق الاستعانة بوجود العداء للسامية .

فهل من المتوقع أن تتخلى العقيدة الصهيونية عن هذا المرتكز الاساسي من مرتكزاتها الراسخة ؟ ان تحقيق الحل السياسي للمشكلة اليهودية بقيام اسرائيل وفقا للتصميم الهرتزلي لم يضع حدا لظاهرة العداء مثلما انه لم يقلل من شأن الاخطار التي تتوجس الصهيونية منها خيفة : كالاندماج والانصهار وايثار البقاء خارج اسرائيل . ولا يخفى بأن

الصيغة المستحدثة لظاهرة العداء للسامية أصبحت تتألف من أطراف المعادلة التالية : العداء للسامية = العداء للصهيونية = العداء لاسرائيل . هذا التوافق المتعمد سوف يبقى في متناول اسرائيل والحركة الصهيونية ، حتى في ظل الصلح والسلام ، لأنه يؤلف أحد المنابع الرئيسية التي تستمد منهـا العقيدة الصهيونية حوافزهـا والدوافع التي تحركها ، لا بل المقومات التي تتيح لها البقاء والاستمرار قيد الممارسة والتطبيق .

ان الحركة الصهيونية العالميـة تتمتع بأكثرية بين القوى السياسية داخـل المجتمع الاسرائيلي وعلى صعيد التنظيم الصهيوني العالمي . ففي مطلع هذا العام (١٩٧٠) عهدت اللجنة العقائدية في الامانة العالمية للحركة الى أحد كبـار المنظرين الصهيونيين ـ شلومو درخ ـ بوضع مخطط عقـائدي لكي يجري طرحه على بساط البحث لدى أوساط الحركة ومراكزها في الدياسبورا . ومما جاء في المخطط العتيد ، لرصد التحديات الجديدة والتطلع نحو آفاق السبعينـات ، تحت عنوان « الصورة الجـديدة لمعاداة السامية » القول التالي : « ان التنبؤ المتفائل بأن العداء للسامية سوف يتناقص ويصير في نهاية المطاف الى الزوال كعامل اجتماعي وسياسي بارز في المجتمع اللاحق للنازية قد برهن على كونه تنبؤا خاطئا . واتضح الآن ، رغم اضعاف الاسـاس الديني والعرقي للعداء ، بأن المنابع الاخرى التي غذت العداء التاريخي للسامية لم تنضب بعد . هذه المنابع هي الآتية : روح المنافسة والتحاسد الاقتصادي والفروقات القومية والحضارية، والحاجة الملحة لدى كل حركة سياسية رجعية الى كبش محرقة ، خصوصا ابان الازمات السياسية أو الاقتصادية »(٨).

فهل سيؤدي الصلح مع اسرائيل الـى زوال هذه الاخطار التي لا تريد لهـا العقيدة الصهيونية أن تزول ؟ ان الصهيونية لن تتورع عن استنباط الاخطار الوهمية حتى في زمن السلم ، لان اعتقادها بوجود تلك الاخطار يضمن لها الاستمرار والفاعلية ويؤهلها للمضي في ممارسة نشاطها لدى الاوساط اليهودية في العالم .

ب ـ اليهودية والصهيونية : تنطوي العقيدة الصهيونية على نظـرة معينة الى الماضي اليهودي والى الروابط التاريخية بين اليهود وارض فلسطين . هناك محاولة لتعزيز مكانة « أرض اسرائيل » في الوجدان اليهودي التاريخي ولتوثيق الصلات التي لا تنفصم عراها بين « الشعب اليهودي » و« أرضه » . وهناك تشديد على التواصل بين الطرفين الى درجة « الرباط الصوفي » بينهما ، كما يطالعنا ذلك التوكيد على الجهود المستمرة والآمال المعقودة طيلة الفي سنة بغية تحقيق العودة واستئناف الاستيطان من جديد . هذا بالاضافة الى الدور المنسوب لعقيدة انتظار المسيا والامل بمجـيء العصر المسيائي . فالعقيدة الصهيونية ترى في التاريخ اليهودي سياقا متصل الحلقات وتضفي عليه الطابع القومي منذ زمن بار كوكبا (ابن الكوكب) حتى العصر الحاضر .

ولو شئنا استخلاص المرتكزات التي تنبع من هذه المقدمة الرئيسية ، لجاز لنا تعدادها على الشكل الآتي : أولا : ان جميع اليهود الموزعين في شتى انحاء العالم يؤلفون أمـة واحدة . ثانيا : ان الفرد اليهودي لا يستطيع تحقيق ذاته والحفاظ على جوهر يهوديته الا في الصهيونية : « الصهيونية وحدها هي التي تمكن الفرد اليهودي من صيانة مثله ، العصرية منها والمتطرفة ، دون تشويه جوهر يهوديته أو احداث تناقض داخلي بين كيانه الانساني وهويته اليهودية »(٩). ثالثا : اسرائيل هي الدولة اليهودية التي أوجدها اليهود لكي تجمع شمل شتاتهم من سائر أنحاء العالم. رابعا : ان الهجرة اليهودية الى اسرائيل هي السبيل الأمثل لتحقيق المرتكز الصهيوني الاساسي في ابطال المنفى ووضع حد نهائي للشتات . وبما ان العداء للسامية ظاهرة متأصلة في نفوس غير اليهود ، فمن المحتم عاجلا ام آجلا ان يستجيب يهود العالم لنداء الهجرة وان يدفع بهم العداء الى التوجه شطر اسرائيل . خامسا : بالاضافة الى احياء التحركات المعادية لليهود في المجتمعات الحديثة ، هناك دوافع أخرى ممكنة قد تحفز اليهود على المهاجرة الى اسرائيل : منها

« الرغبة في أن يعيشوا حياة يهودية تامة وأصيلة » ، ومنها « الاغراءات التي تقدمها لهم دولة اسرائيل » . سادسا : بالنسبة لدولة اسرائيل ، فان تجميع المنفيين وتوطينهم فوق الارض التي تسيطر عليها هو **علة وجود الدولة** وفي رأس مقومات هذا الوجود . انه الغاية القصوى التي تستقطب جميع الاهداف والغايات وتجعلها بمثابة وسائل للوصول اليها . سابعا : « ان المجتمع اليهودي في دولة اسرائيل هو نبتة من غرس افكار الحركة الصهيونية واعمالها . وكل يهودي يعيش في اسرائيل يعمل من خلال حضوره أو وجوده بالذات على تحقيق الصهيونية ، حتى ولو كانت هجرته لم تأت نتيجة دوافع صهيونية ، وحتى ولو كان من مواليد اسرائيل »(١٠) . وهنا لا بد من الاشارة الى المحاولات التي تسعى لتعزيز الوجدان الصهيوني لدى مواطني اسرائيل تبعا للحاجة ، وذلك بقصد « الحفاظ على الطابع العقائدي للدولة ولضمان الروابط بين اسرائيل ويهود العالم » . ثامنا : ان « أرض اسرائيل » بحدودها التاريخية غير قابلة للتجزئة ، وكل تجزئة تبقى مرهونة بالمرحلة الزمنية فقط ، دون ان تؤثر على طبيعة الهدف النهائي وشموله . وقد عبر دعاة الاحتفاظ بالمناطق العربية التي استولت عليها اسرائيل في حرب حزيران عن « تمامية ارض اسرائيل » بقولهم « ان الصهيونية كحركة سياسية للعائدين الى أرض الآباء والاجداد لم تفرق أبدا بين يافا والخليل أو بين حيفا ونابلس » . و« اذا لم يكن لنا حق أخلاقي للاحتفاظ بأريحا ، فلا حق لنا كي نحتفظ بتل أبيب »(١١) .

هذا التصور الصهيوني لفلسطين باعتبارها « أرض اسرائيل التي لا تقبل التجزئة » يتخذ شتى الصيغ ويحتمي وراء العديد من الحجج والتبريرات الملفقة . فلا حاجة بنا الى تكرار قصة المطالبة بحدود آمنة او تلك « الحدود التي يمكن الدفاع عنها وحمايتها » . كما ينبغي لنا تذكر مسألة التوحيد بين « حدود السلام » و« الحدود الطبيعية » . وبالاضافة الى كل ذلك فان اسرائيل التي تستطيع حمل العرب على توقيع معاهدة صلح وسلام ليست على استعداد ابدا للتراجع عن مطالبها وأمانيها الصهيونية . فالحجة التي يتذرعون بها اليوم لتبرير احتفاظهم بالاراضي التي احتلوها تنطوي على ناحية هامة لا يجوز اغفالها . انهم يقولون بأن العرب لو قاموا بتوقيع معاهدة صلح مع اسرائيل ، فهم لا يعنون ذلك بصورة جدية . اي ان الصلح الذي يتحدثون عنه يبقى حبرا على ورق ، طالما ان الهدف الاساسي للعرب سوف يبقى قائما على « ازالة اسرائيل من خريطة الدول ذات السيادة » ! فهل نذهب بعيدا في التوقعات حين نقول بأن الصلح لن يؤدي الى حمل الصهيونية على التنازل عن مبادئها ومقوماتها ؟

اسرائيل والدياسبورا

ان المرتكزات التي أوردناها فيما تقدم تشير الى الطابع الصهيوني العقائدي على صعيدين بارزين : صعيد الدولة والمجتمع في اسرائيل ، وصعيد التواقف بين اسرائيل والدياسبورا . فعلى صعيد الدولة ، تطالعنا آفاق السبعينات من خلال منظور التحديات التالية : « ان الطابع الفريد والجاذب في اسرائيل لا يكمن في حقيقة كونها دولة من اليهود فحسب ، بل في انها دولة يهودية تتحلى بطابع يهودي : في روحها ولغتها ومثلها العليا — القومية منها والانسانية ، في كونها حاملة لاستمرارية التراث القومي الخلاق ، وكملجأ وملاذ من الاخطار الجسدية ، بالاضافة الى كونها نجعة كل يهودي ينشد حياة تنطوي على معنى قومي وكرامة فردية » . « ان دولة اسرائيل لا توجد لأجل ذاتها فحسب ، وليس لاجل اولئك اليهود الذين تجمعوا حتى الآن داخل حدودها . بل هي توجد أيضا لاجل الامة ككل . انها الضمانة لوحدة الشعب وبقائه على قيد الحياة . وهي كذلك تصون هذه الوحدة على الصعيد العملي ، لان جميع ثقافات الدياسبورا وطبقات الشعب فيها قد اندمجت داخل حدود اسرائيل في كتلة واحدة » . « ان الدولة والدياسبورا متواقفان . فالتحديات الرئيسية التي تواجه الدولة في ايامنا هي التالية : الامن والسلام ، استيطان الارض ، التوسع العددي السريع ، والانماء الاقتصادي المعجل عن طريق استخدام العلم

الحديث والتكنولوجيا العصرية ». « ان هذه التحديات تتطلب تعبئة كافة الموارد البشرية والاقتصادية ، موارد القوة التي يجسدها الشعب ، في سبيل بناء صرح الدولة . مثلما تتطلب في المقام الاول : الهجرة الجماعية ، وبنوع خاص هجرة الشباب واصحاب المهن والمهارات »(١٢).

أما على صعيد التواقف بين الدولة والدياسبورا ، فان الصهيونية تلتزم بالعمل على تحقيق جملة أمور الى جانب التمسك بقاعدة الصلات العضوية بين الطرفين . ففي التوصيات المرفوعة من اللجنة العقائدية في الامانة العالمية للحركة الصهيونية العمالية نقرأ ما يلي عن التحديات الرئيسية التي تواجه اليهود في الدياسبورا : * تعزيز الوعي القومي * الوقوف بوجه موجات الانصهار الطوعي داخل بلدان الديمقراطيات الحرة * ومقاومة الانصهار الالزامي في «بلدان الاستبداد». ثم نعرف بأن الدياسبورا سوف لن تستطيع معالجة هذه المشاكل بنجاح ومجابهة تحدياتها دون الحصول على مساعدة الدولة — أي اسرائيل من حيث كونها تعتبر نفسها دولة الشعب اليهودي بأسره وفي تطلعها الى احتلال مركز الوسط في حياة اليهود قاطبة . معنى ذلك ان الفرد اليهودي أصبح ملزما باتخاذ موقف شخصي من اسرائيل، وعليه ان يعتبر مسؤوليته تجاه اسرائيل بمثابة المحك الذي يمتحن ولاءه ليهود العالم واخلاصه نحو هويته اليهودية . كما ان « مركزية اسرائيل » تفرض بدورها على الدولة مسؤولية «تجاه جميع الجاليات اليهودية في ظل كافة الحكومات » .

ان اسرائيل في ظل السلام لن تتخلى مطلقا عن حصيلة الاعتبارات الواردة أعلاه ، بل سوف تمضي في ممارسة « الدمج الجوهري بين الاعتبارات السياسية واليهودية في جميع أعمال الدولة وافعالها ، وفي المجالين الداخلي والخارجي على حد سواء » . فالفصل بين اسرائيل والصهيونية يشبه ضربا من المحال ، لان التصور الذي تنسجه اسرائيل لذاتها ولكيانها يقوم في الاساس ، زمن الحرب والسلم على السواء ، على ذلك التواقف المتبادل بينها وبين يهود العالم .

واذا كانت اسرائيل بحاجة مستمرة وملحة الى الطاقات البشرية اليهودية في العالم والى أموال اليهود ومساعداتهم ، فان الطرف الآخر لهذه المعادلة الصهيونية ما فتىء يردد بأن : « الشعب اليهودي لا يستطيع البقاء على قيد الحياة دون دولة اسرائيل . وكل خطر يتهدد الدولة هو خطر يتهدد الامة ايضا . فمن الجوهري ان تصبح الدولة اكبر تمركز يهودي في العالم خلال المستقبل القريب . ان توسعها هو أمر حيوي بالنسبة لأمنها ورخائها ، مثلما هو أمر جوهري بالنسبة للدياسبورا ايضا . ان اسرائيل القوية والمستقلة عن تكرّمات الامم الاخرى ، والمتحررة من التهديدات المستمرة لوجودها ، هي وحدها القادرة على تحقيق رسالتها التاريخية : في ان تقوم بدور الاداة التي تكفل بقاء الشعب وتضمن الاستمرار الخلاق لتراثه القومي »(١٣).

ان هذا الدور الاسرائيلي في المجال الصهيوني لن يتقلص ابدا في ظل الصلح والسلام . وليس هناك ما يحول دون استمرار الترابط المصيري من زاوية العقيدة الصهيونية بين دولة اسرائيل من جهة ويهود العالم من جهة ثانية . لا بل ان هذا الترابط سوف يزداد وثوقا ويتسع مداه ، بحيث تؤمن اسرائيل المتطلبات اللازمة والمجالات الكافية لحمل المزيد من يهود العالم على المجيء اليها بقصد الاستيطان والاقامة الدائمة . فالمخاوف التي تساور أصحاب الخبرات والمهارات والرساميل بينهم سوف تبدد شيئا فشيئا ، لكي يحل محلها مناخ الاستقرار والطمأنينة . كما ان الانتقال من اقتصاد الحرب الى اقتصاد السلام سوف يفسح المجال أمام تأمين العمل للقوى الناشطة في الميدان العسكري بحيث تسعى الدولة الصهيونية الى اتاحة فرص العمل المنتج أمام القوى المجندة في خدمة الاغراض العسكرية او الدفاعية . ولا ندري الى اي حد من النجاح سوف تصل اسرائيل في محاولتها الرامية الى استخدام القوى العسكرية للاغراض السلمية(١٤).

الفكر العربي والسلام الصهيوني

حين ننتقل الى الحديث عن النتائج المرتقبة والتوقعات المحتملة بالنسبة للاتجاهات الفكرية والعقائدية في العالم العربي ، تحت ظل السلام الصهيوني في فلسطين ، نجد من المناسب استحضار الرؤيا التي أطلقها نجيب عازوري في مطلع هذا القرن فأصبحت تتميز اليوم برصيدها التنبؤي . فقد كتب عازوري في **يقظة الامة العربية** (باريس ، ١٩٠٥) يقول : « هنالك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما يقفان على طرفي نقيض : هما يقظة الامة العربية وسعي اليهود الخفي لاستعادة ملك اسرائيل القديم على نطاق اوسع . ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر ، حتى تتغلب الواحدة منهما على الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين »(١٥).

وعلى سبيل التبسيط ، يمكن القول بأن اعتراف العرب باسرائيل وعقد صلح معها يعني بالتالي اقرار دعوة القومية العربية بحق القومية اليهودية وعقيدتها الصهيونية في الوجود فوق أرض فلسطين . فانتصار الحركة الصهيونية على صورة انتزاع الاعتراف العربي بوجود الكيان الاسرائيلي قد لا يعني بالضرورة نهاية الصراع بين الحركتين او حسم النزاع القائم بشكل قاطع . بينما يصبح « التعايش » المتخيل بين القوميتين — فيما لو تم الوصول الى تعايش — اشبه ما يكون بتعايش في ظل السلام الصهيوني ورهنا بمشيئته الى حد بعيد . فالغلبة هي دون ريب للقومية اليهودية وعقيدتها الصهيونية ، وسوف تستمر هذه الغلبة طيلة فترة زمنية يصعب تحديدها . ويمكن اعتبار الانتصار الذي تحرزه اسرائيل بمثابة كسب للجولة القادمة ، دون الالتزام بشيء حاسم لجهة النتيجة النهائية للصراع .

ان السلام الاسرائيلي معناه رضوخ العرب لمنطق القوة الصهيوني وخضد شوكة الرفض العربي للوجود الصهيوني في فلسطين . فلو اعتبرناه رضوخا للامر الواقع وتنازلا عن جملة من المبادىء الاساسية والاماني القومية ، لجاز لنا ان نتوقع سلسلة من ردود الفعل على شتى المستويات الفكرية . ولا بأس من تعداد تلك الردود والنتائج (بشيء من التحفظ والتحسب، وعلى سبيل التجربة الاولية ازاء خلفية من الاستبطان الشخصي):

أولا : ان انتصار الصهيونية في عقد الصلح مع العرب لا يوازيه سوى الفشل الذريع من جانب التفكير العربي والممارسة العربية بنوع خاص في ايصال الحركة القومية الى ما يشبه الانتصارات الآنية او المرحلية . فهل يقدم الفكر العربي على خطوة حاسمة لتخطي ذاته واستعادة الثقة بنفسه ، أم انه سوف يلجأ الى اجترار الخيبة والانكفاء ضمن دائرة الذاتية والقصور ؟ **ثانيا** : ليس بمستبعد ابدا ان يصاب « علم النكبة » و« أدب النكسة » و« هول الكارثة » بنوع من التضخم والتخمة . ولا نغالي اذ نقول بأن هذا « التسامي » والتصعيد اللفظي لا يعدو كونه بديلا مرضيا لارادة القتال او مرارة العجز والقصور .

ثالثا : ربما أسهم « السلام الاسرائيلي » في شحذ « الوجدان الشقي » لدى المفكر العربي الملتزم بقضايا الشعب المصيرية فأدخل الى روعه القنوط واليأس الى جانب النقمة العاجزة عن ترجمة لواعجها الى فعل وعمل . وهناك احتمال بأن يتم القضاء على البقية الباقية من ايمان المثقفين العرب بفكرتين شهدتا أسوأ أنواع الممارسة والتطبيق خلال العقود الاخيرة من تاريخ العرب الحديث ، وهما : فكرة الوحدة العربية وفكرة الاشتراكية أو البناء الاشتراكي . **رابعا** : من المحتمل ان تشهد ساحة الايديولوجيات العربية انحسارا لموجة الافكار التقدمية ، يقابله ارتفاع مد الرجعية والسلفية الى حدود لم تكن مألوفة من قبل . ان هذه الردة الرجعية سوف تحمل في طياتها بذور ارتباط أوثق بالقوى الامبريالية التي تقف وراء اسرائيل وتستخدم الدولة الصهيونية كأداة لتحقيق مآربها وحماية مصالحها في المنطقة العربية. **خامسا** : سوف يتزعزع ايمان الفكر العربي بحق الشعوب في تقرير مصيرها أيما تزعزع ، ويرسخ في وجدان العرب الحديث ذلك

القصور المخيف ازاء ما حل بالشعب العربي الفلسطيني على أيدي الصهيونية والاستعمار دون أن تملك الملايين حيلة للوقوف بوجه التوسع والتشريد والنزوح عن الديار والوطن. فالجرح الذي قد يصيب وجدان الانسان العربي الواعي ليس من السهل له أن يلتئم ، كما ان الزمن ليس كفيلا بتضميده وشفائه . **سادسا** : ان نزعة الاستقلال والتحرر الوطني سوف تجد نفسها رهينة السلام الصهيوني او الاسرائيلي وتحت أمرة مقتضياته وشروطه . فالسلام الذي تفرضه اسرائيل ، وقد تلجأ الى اخفاء معالمه تحت ستار « السلام السامي » (Pax Semitica) ، ليس في الواقع سوى سلام المنتصرين على الضعفاء والمهزومين . ومن الواضح ان هذا الامر لا يحتمل التمييع باسم « لا غالب ولا مغلوب » . **سابعا** : ان المصير الفلسطيني يتبوأ منزلة اساسية في وجدان الحضارة العربية الحديثة وفي نظرتها الى مائة وخمسين عاما مضت من تاريخ اتصالها بالغرب . فهل ستخفق راية الحضارة اليهودية والثقافة العبرانية في ظل السلام العبراني (Pax Hebraica) الذي تصبو اليه الصهيونية؟ ان اسرائيل كدولة يهودية وصهيونية سوف تزداد رسوخا وتوطدا كجسم غريب في جسد الوطن العربي دون ان تكون منه في شيء او دون ان تحظى بقبوله ورضاه . **ثامنا** : ان التطلعات الحضارية في العالم العربي ، من حيث واقعها ومرتجاها ، سوف تنكمش داخل ذاتها وتنكفىء على نفسها ازاء المجتمع المغلق الذي تتألف منه اسرائيل . ومهما اتسع التبادل الثقافي والحضاري بين الطرفين فان العقيدة الصهيونية تأبى الا الحفاظ على الطابع المغلق للمجتمع اليهودي في فلسطين ، لجهة العنصرية والحفاظ على نقاء العرق اليهودي . وليس بمستبعد ان تصبو الدولة اليهودية في ظل السلام الى استلام الدور الحضاري الذي اضطلع الغرب بمسؤوليته طيلة العقود الماضية ، لكي تصبح واسطة بين العرب والعالم الغربي او تضعهم أمام قطعة من الغرب وجها لوجه في قلب الوطن العربي . وهناك خطر «الليفانتينية» (Levantinism) الذي قد يساهم الى حد كبير في التشكيك بأصالة العروبة وابعادها الحضارية .

هذه الردود او النتائج لا تعدو كونها مجرد تكهنات أو تحسبات للمستقبل . فمن الصعب تحديد الوقع الذي يتركه ابرام السلام مع اسرائيل وعقيدتها الصهيونية على الفكرة العربية والعقائد التي تلازمها او تستمد منها بصورة متبادلة . والحديث عن « اسرائيل بدون صهيونية » — كما مر معنا — هو حديث خرافة لا يستند الى أساس عيني على الاطلاق .

ان « السلام العربي » — متى تهيأت له اسباب الوجود والتحقيق — هو وحده الكفيل باعادة الامور الى نصابها واعطاء صاحب الحق حقه . فالأقلية اليهودية في فلسطين العربية لن تكون مهضومة الحقوق في ظل دولة ديموقراطية وعلمانية ، حيث تتعايش مختلف الطوائف والفئات فوق أرض فلسطينية واحدة . هذا هو الحل الحضاري والانساني الممكن لاحلال السلام وتصفية المشكلة اليهودية .

ويجب الا ننسى بأن تقرير الهوية اليهودية في نظر الصهيونية لا يختلف عنه في نظر معاداة السامية ابدا . فالصهيونية تعتبر عداء العالم غير اليهودي بمثابة العامل الحاسم في تعيين هوية اليهودي . وكذلك معاداة السامية تشاطرها الرأي بتقديم مواصفات مماثلة للشخصية اليهودية . أما التقليد الديني اليهودي فانه يستند الى مقياس من العنصرية الدينية والنقاء البيولوجي العرقي لتحديد تلك الهوية . فهل يستطيع المجتمع الاسرائيلي المنغلق على ذاته كسر هذا الطوق والخروج من تلك الحلقة المفرغة الا في ظل تجاوز الصهيونية لذاتها وانحسارها الكلي أمام انفتاح السلام العربي ورحابة صدر تقاليد العروبة السمحاء والمتساهلة ؟

ان تغلب العروبة هو وحده الكفيل بتقديم حل انساني ومشرف للمشكلة اليهودية، والمبدأ العربي والفلسطيني يملك الامكانات والاستعدادات اللازمة لاحتواء المبدأ اليهودي

واضافته الى الرصيد العريق من معاملة العرب للأقليات وتجاوز التعارض القائم بين المبدأين . ولا حاجة بنا الى تكرار النتائج التي سوف تترتب عن كل صلح أو سلام صهيوني ، علما بأن هذا الصلح لن يؤدي مطلقا الى ازالة التناقض بل الى زيادة حدته والسير بالقوى العالمية نحو مزيد من التوريط في لجة الصراع بحيث يجرها ذلك الى صدام محتوم ويزجها في أتون حرب لن ينفع معها سلام الاموات أو صلح الابادة والفناء.

حاشية : ثمة اغراء يجذبنا نحو القول بأن العقل العربي سوف يبقى بمنأى عن كل ذلك ، غير عابىء بأمور مصيرية أو حضارية من هذا النوع ، طالما ان المجتمع الاستهلاكي لن يتأثر بشكل سلبي . فالعقل والتفكير الذي لم تهزه نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ ، لن يحرك ساكنا ازاء تحصيل الحاصل والاقدام على ابرام معاهدة صلح مع اسرائيل والصهيونية. والواقع ان هذا الاحتمال الذي يخشى منه هو أسوأ الاحتمالات قاطبة ، لكنه يبقى احتمالا واردا في متناول الحدوث . وهناك نوع من التحجر يعتري العقل العربي فيجعله يتقبل الصدمات برحابة صدر وطول اناة ، لكي يكتفي في فوراته بالتصعيد اللفظي . مثلما توجد نزعة انفعالية تبحث عن خلل ما في التفكير والعقل العربي : هناك شيء أعوج لدى العرب ، وثمة خلل حضاري يعانون منه على صعيد الفرد والمجتمع !

---

١ — انظر الكراس التالي: *Basele 1897-Israel 1967:* Assembly to Mark the 70th Anniversary of the Foundation of the Zionist Organization at the First Zionist Congress, (Published by the Organization Department of the World Zionist Organization, Jerusalem 1967), See pp. 38-43.

٢ — راجع النص الكامل في المصدر التالي : *The Jerusalem Post* (Weekly Overseas Edition), No. 493, April 6, 1970, p. 10.

٣ — انظر: *The Israel Economist,* Vol. XXIV, No. 2, February 1968, pp. 38-39: "Frontiers of Peace".

٤ — Amos Kenan: *Israel - A Wasted Victory,* trans. from Hebrew by Miriam Shimoni, (Amikam, Tel-Aviv Publishers, 1970), p. 166.

٥ — راجع Ury Avnery : *Israel Without Zionists.* A Plea for Peace in the Middle East, (New York, Macmillan, 1968), p. 157.

٦ — Theodor Herzl. *The Jewish State,* 4th Ed., (London, 1946), p. 23 .

٧ — انظر المقتطفات التالية : Prof. Benzion Dinur: "The Zionist Ideology", (from "Sefer Hatzionut") in *Zionism: The Force of Change* (Information Dept. of the W.Z.O., Jerusalem, 1968), p. 17.

٨ — انظر النص الكامل في *The Jerusalem Post* (Weekly Overseas Edition), No. 483, January 26, 1970, p. 10: "The Challenge of New Thinking".

٩ — المصدر نفسه .

١٠ — **المصدر السابق** : عدد ٤٨٤ ، ٢ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

١١ — انظر *Jewish Observer and Middle East Review,* Jan. 12, 1968, p. 6 ("Israelis Debate the Big IF").

١٢ — المصدر نفسه .

١٣ — المصدر نفسه .

١٤ — يحسن الرجوع الى الدراسة التالية حول هذا الموضوع :
Hugh Hanning: *The Peaceful Uses of Military Forces* (Praeger Special Studies in International Politics and Public Affairs), New York 1967 (2nd Ed. 1968). See Chapter 12: "Israel", pp. 119-131.

١٥ — Néguib Azoury: *Le Réveil de la Nation Arabe* (Paris, 1905), p. V.

التسوية السياسية والنهوض العربي

الدكتور نديم البيطار

قبل كل شيء اريد أن أؤكد انني شخصيا لا اعتقد ان الحل السلمي ممكن بأي شكل أو وجه . ان القتال فقط هو القدر المفروض علينا تجاه احتلال فلسطين ، وأن العلاقة الوحيدة الممكنة بيننا وبين الصهيونية هي علاقة حرب وحرب فقط . أقول هذا في ضوء قناعة تعتمد تجارب التاريخ قاعدة لها. فمن هذه التجارب يمكن لنا أن نصل الى استنتاج عام فيما يتعلق بموضوعنا .

الوصول الى تسوية ممكن عندما يشارك الاطراف المتحاربون في مفهوم متماثل عن مجرى الحرب ، والاهداف التي تسعى اليها . فعندما تكون التضحيات والتنازلات التي يرقبها كل طرف من الآخر تضحيات وتنازلات محدودة يسهل انهاء حالة الحرب ، ويكون بامكان الطرف الذي يشعر بالخسارة أن يطالب بوقف القتال واحلال السلم . ولكن عندما تكون الاهداف غير محدودة ، وخصوصا ان كانت من النوع الذي يعني القضاء على كيان أو وجود الخصم القومي ذاته ، فان الحرب تصبح كلية ، هدفها القضاء التام على الخصم ، على قواه ومقاصده ، او حتى ازالته ، ويستحيل عندها اجراء تسوية ، مصالحة ، او معايشة .

في حربنا مع اسرائيل لا توجد ابدا اية صلة بعيدة أو قريبة ، بين المقاصد العربية والمقاصد الصهيونية . هذا يعني أن ليس هناك أية ارضية مشتركة ابدا لأية مصالحة أو سلم . عندما تكون علاقة الطرفين المتحاربين من هذا النوع ، عندما يستحيل على أي طرف قبول تحديد الآخر للوضع ، أو مفهومه عن الصلح أو المعايشة ، فان أي حل سلمي نهائي يصبح مستحيلا . وكل كلام أو حديث عن سلم ممكن يمسي اقصوصة او مناورة تكتيكية لكسب الوقت .

الاطراف المعنية قد تقبل بانهاء المعركة عندما ترى ان متابعة القتال لا تحقق مقاصدها ، او ان تحقيق هذه المقاصد يتطلب ثمنا باهظا هي غير مستعدة لتأديته،او ان المواظبة على القتال أقل فائدة وقبولا من السلم . ففي جميع هذه الاوضاع ، يرفض المتقاتلون قبول الهزيمة وان كانوا يقبلون بوضع لا يمثل نصرا نهائيا ، هنا قد يضطر هؤلاء الى استقصاء امكان تسوية .

ان نحن نظرنا الى القوى والمقاصد التي تحدد المعركة بيننا وبين اسرائيل نجد أنها تنفي جميع هذه الاوضاع التي تسمح بتسوية أو سلم . فالطرف العربي ، وان هزم في حزيران ، يرى أن امكانات وطاقات متابعة المعركة الى أجل غير محدود متوفرة له ، ولكنها لا تتوفر للصهيونية ، كما ان المقاصد التي يريدها هي مقاصد لا تمكن المساومة عليها ابدا وباي شكل كان لانها ترتبط اساسيا وقبل كل شيء بالوجود القومي ذاته ، بأن يكون او ان لا يكون ، وليس بتصحيح حدود هذا الوجود او تحديد علاقته بوجودات قومية أخرى . الصهيونية تدرك هذا ، تعيه وتنطلق منه ، ولذلك تحيل عليها الاقتناع

بأن الجانب العربي يقبل فعلا واكيدا وضعا سلميا نهائيا . ثم ان مقاصدها هي الاخرى مقاصد تتعلق بوجود « قومي » لا يمكن لها المساومة عليه ، بوجود بررت به وجودها وبلورت فيه كل نفس من انفاسها ، ولا يمكن لها التنازل عنه او عن جزء واحد منه . ثم ان هذا الوجود الذي تبغيه وتريده والذي عجن تركيبها النفسي والاخلاقي منذ الفي عام لا يقتصر على الارض التي تحتلها ، بل يمتد الى أراض عربية أخرى تزيد مساحتها مرات عديدة على المساحة التي تم لها الاستيلاء عليها .

ولكن ماذا يعني الحل السلمي ؟.. من وجهة عربية تتمثل بالطرف العربي الذي تحمل عبء المعركة كلها حتى الآن ، أي الطرف المصري ، فانه يعني الانسحاب التام الكامل من جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حزيران عام ١٩٦٧ وعدم التنازل عن « شبر واحد » من هذه الارض ، وعدم المساومة على قضية فلسطين او قضيـــة المقاومة . القبول بوجهة النظر هذه من قبل اسرائيل يعني انها مستعدة ان تنسحب من جميع هذه الاراضي وان تقبل ثمن ذلك « حدودا آمنة » تؤكدها اتفاقيات او ضمانات دولية . هذا شيء لا يوجد أي دليل أبدا عليه ، وهو أمر لا يقول به الذين قبلوا مبادرة روجرز او الذين رفضوها . كل الدلائل والشواهد تعلن ، في الواقع ، عكس ذلك . ثم ان اسرائيل تعلم أن التاريخ يكشف بوضوح ان اتفاقيات وضمانات من هذا النوع تجد قيمتها في أوضاع دولية وعسكرية وسياسية معينة ، وأنه عند تغير هذه الاوضاع في مرحلة لاحقة لمصلحة احد الاطراف المعنية تموت هذه الاتفاقات والضمانات او تخسر قيمتها . كما انها تعلم أن التاريخ يكشف أيضا وبوضوح تام أن المهم في أية اتفاقات وضمانات ليس مضمونها بل مفاهيم الاطراف المعنية لهذا المضمون ، وأن هذه المفاهيم تتغير وتتحول أوضاع هذه الاطراف اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ودوليا واجتماعيا ، الخ، ... هذا يعني بكلمة اخرى ، أن اسرائيل ستتنازل ليس فقط عـــن مكاسبها الهائلة في حزيران ١٩٦٧ ، بل عن المطامع والنوازع والمقاصد التي تعجن نفسيتها ذاتها ، اي تنكر ذاتها بذاتها ، مقابل ضمانات لا تكون قيمتها ـــ هذا اذا كان لها أية قيمة ـــ سوى قيمة مؤقتة.

ولكن « يمكن » القول ان اسرائيل ستقبل بهذا النوع من الحل السلمي المشروط بخروجها التام من جميع هذه الاراضي لان الولايات المتحدة تخلت عنها وهي تريدها أن تنسحب ، لانها لا تريد تصعيد الموقف العسكري بشكل يقودها الى مواجهـــة عسكرية خطرة لا تريدها مع الاتحاد السوفياتي . ولكن كما نعلم كلنا ليس هناك اي شاهد أبدا على هذا ، كما أنه ليس هناك من يقول به .

من ناحية أخرى ، فان الحل السلمي قد يعني أن الطرف العربي ، أي بالضبط الطرف المصري ، مستعد أن ينكر ما يعلنه من مفهوم للحل السلمي ، لقرار مجلس الامن ولمبادرة روجرز ، وأنه مستعد بأن يقبل باسترجاع قسم من تلك الاراضي والابقاء على القسم الآخر في يد اسرائيل بقاء نهائيا . هذا أمر لا يستطيعه أي قائد في مصر ، او أي قطر عربي آخر ثوري . موقف كهذا سيستنفر الجماهير ويحرضها ضده ، ويدفع الى قيام انقلابات تضع حدا له . اي نظام يحاول ذلك يعلم انه سيزول ، وكل قائد تداعبه فكرة من هذا النوع يعلم تماما انه لا محالة مقتول .

واخيرا يمكن القول ان الطرف العربي المصري سيقبل بحل سلمي يعيد الينا فقط جزءا من تلك الاراضي ليس لانه يريد ذلك ، ليس لانه لا يريد متابعـــة الحرب او لانه تنكر لمقاصدنا التحريرية والقومية ، ليس لان الحرب انهكته ويريد تجنبها ، بل لان الاتحـــاد السوفياتي تخلى عنه ، ويريده أن يقبل بحل من هذا النوع كي يتجنب مجابهة عسكرية مع الولايات المتحدة . ولكن حتى الان ليس هناك اي دليل او شاهد يشير الى ذلك ، على العكس تماما ، فالوقائع كلها تدل ان الاتحاد السوفياتي مثابر حتى النهاية في دعم وتأييد المطلب العربي بضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة في حزيران ، فلا يبقى من هذه الاراضي في يدها شبر عربي واحد .

ولكن حتى وان افترضنا المستحيل ، اي قبول اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة في حزيران ، فهذا لا يعني حلا سلميا في المدى البعيد . فالعرب لا يمكن لهم تجاهل وجود الاحتلال الاسرائيلي الذي شرد شعب فلسطين ، الذي اذلهم وامتهن كرامتهم ، الذي يشطر الوطن العربي الى شطرين ، يجعله اسير التخلف ولقمة سائغة للاستعمار والتجزئة . فمسيرة الثورة العربية ستدفع الى ظهور حركات وقيادات ثورية جديدة تستطيع أن تستغل بعض الاوضاع الدولية المناسبة لمتابعة تحرير فلسطين وانهاء وجود اسرائيل . المهم في وضع كهذا هو الشروط الاساسية الثابتة للقوة العسكرية السياسية وهي المساحة الجغرافية الواسعة ، القوى البشرية الكبيرة ، والامكانات الاقتصادية . هذه الشروط تتوفر لنا بشكل كبير ، ولكنها لا تتوفر لاسرائيل أبدا . اما الشروط الاخرى وهي التكنولوجيا والتصنيع والتنمية وعقلية جديدة عن طريق تصور ايديولوجي جديد للتاريخ فأمور يمكن توفرها مع الزمن ، بالجهد او الصراع الثوري ، ولكن ان كانت الشروط الاساسية مفقودة ، فلا يمكن توفيرها بأي جهد كان . كل ما نحتاجه في الافادة من هذه الشروط الاساسية المتوفرة لنا هو الوقت والجهد الثوري ، وعندما نستطيع تسخيرها وحشدها ونفيد منها افادة صحيحة تجعل منا قوة عسكرية سياسية بمقاييس هذا القرن ، فانه يستحيل عندئذ استمرار اسرائيل ، كما انه يستحيل علينا عدم استخدامها في اول فرصة ممكنة في متابعة معركة التحرير .

ولكن ان استحال الحل السلمي ، ولا خوف منه ، في الواقع ، فان مناقشة آثاره الممكنة تكون مفيدة لانها تدل على الآثار الثورية ، التي تترتب على متابعة القتال والاستمرار في معركة التحرير ، والتي نحتاجها في تثوير الواقع العربي والانتقال الى مجتمع جديد . فما هي هذه الآثار ؟

بما أن المجال لا يتسع لدراسة تفصيلية ، سأقتصر على بعض الآثار الاساسية الشاملة التي تتناول المجتمع العربي ككل . هذه الاثار أساسية لانها تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في جميع مقاصدنا الثورية ، وفي جميع أوضاع الثورة العربية . فهي بمثابة الاصل للفرع .

(١) الحل السلمي قد يقضي — هذا ان لم نقل سيقضي — نهائيا على المقصد الثوري الاول الذي نريده أو يجب أن نريده ، اي على الدولة الثورية الواحدة التي تجمعنا من الخليج الى المحيط . معركة تحرير فلسطين معركة يفرض ديالكتيكها الخاص المستقل أن تكون معركة قومية وحدوية ثورية ، وهي تغذي وتدعم وتعمق النزعة الوحدوية ، وتدفعها دفعا الى الوحدة العربية . بما أن الدولة الثورية الواحدة هي قاعدة جميع مقاصدنا الثورية الاخرى ، فان معركة فلسطين تصبح رقبة جسر الى هذه المقاصد ، اي الى المجتمع الجديد الذي نريد اقامته . الحل السلمي قد يقتل نهائيا امكان ولادة هذا المجتمع ، لذلك كان من الضروري مقاومة هذا الحل .

اشكال الصراع المختلفة كانت باستمرار من اهم اسباب التوحيد السياسي التي كانت توحد بين جماعات مختلفة في مجتمعات سياسية اكبر ، الحرب ضد عدو خارجي كانت تأتي في طليعة هذه الصراعات .

الحاجة الى تركيز القوى والطاقات الممكنة في اي صراع اجتماعي وسياسي ، وخصوصا عندما يكون من النوع المصيري الذي نعانيه في معركة تحرير فلسطين ، لا تحتاج في الواقع الى تدليل . هذا التركيز هو الأداة التي تسمح بحشد هذه القوى والطاقات ، دون تبذير ودون اضاعة كبيرة للوقت والجهد . جميع اشكال الصراع السياسي والاجتماعي والعقائدي في التاريخ تدل على ذلك ، وبشكل يسمح بالاستنتاج أن التركيز هو من اهم القوانين التي يفرضها هذا الصراع . لهذا نجد أن كثيرا من المجتمعات التاريخية كانت توفر حتى أثناء السلم ، نظاما سياسيا وعسكريا آخر يعبر عن هذا التركيز ، ويمكن اللجوء اليه عند الحاجة ، اي عند تعرض المجتمع لازمة خارجية او

داخلية كبيرة . خذ مثلا مجتمع الهنود في شمالي اميركا ، فاننا نجد فيه نظامين مختلفين ، واحدا للسلم وآخر للحرب ، نفس الشيء يطالعنا في العالم القديم وخصوصا في روما ، كما انه يبرز واضحا في الديمقراطيات الغربية الحديثة التي افسحت المجال في دساتيرها لهذا التركيز الذي يجب تحقيقه اثناء الازمات او الحرب . ثم اننـــا نرى نفس الشيء في بعض التنظيمات المهنية في القرن التاسع عشر ، التي كانت تمارس تنظيما معينا اثناء الاوقات العادية، وتنظيما آخر يؤكد درجة من التركيز يوحد بينها اثناء الازمات والصراع.
التجارب التاريخية تدل بوضوح ان المجتمعات المجزأة تجد وحدتهـــا وتحققها في دولة واحدة نتيجة الصراع مع عدو خارجي . ان سويسرا توفر لنا مثلا واضحا عن اثر النكبات الوحدوي . فحتى القرن التاسع عشر كان ما يجمـــع هذه البلاد يقتصر علـــى تحالف عسكري فقط بين كانتونات مختلفة ومنقسمة ، دينيا واجتماعيـــا وسياسيا واقتصاديا ولغويا ، تتعاون فيما بينها فقط بسبب خطر الغزو الخارجي . فابتداء من عام ١٢٩١ ، كان سكان سويسرا يتساندون من وقت الى آخر بسبب ضرورات دفاعية ، ولكنهم لم ينشئوا أية مؤسسة سياسية مشتركة الا عام ١٦٤٨ . ففي ذلك التاريخ اقاموا مجلسا تشريعيا مشتركا ، ولكن هذا المجلس كان في الواقع مجـــرد مكان يلتقي فيـــه سفراء مستقلون يمثل كل منهم مصالح كانتونه القومية الخاصة . الوحدة السياسية جاءت في ذيل الغزو النابليوني ، الذي كان من نتائجه تحالف البورجوازية مع الحرفيين والعمال في ثورتين ، عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٨ ، ضد الارستقراطية الحاكمة ادتا في النهاية الى تثبيت الوحدة والديمقراطية الليبرالية. ولكن شخصية سويسرا القومية كانت قد تطورت وتبلورت سابقا ، بين القرن الثالث عشر والقـــرن السادس عشر اثناء تلك الصراعات الحاسمة التي خاضتها في سبيل استقلالها .
فيتنام حققت وحدتها من لانج سون في الشمال الى كاموه في الجنوب في مراحل قصيرة من تاريخها الطويل ، في الفترة التي كانت تقاوم فيها الصين ، اثناء نضالها ضد الاستعمار الفرنسي ، وحاليا في صراعها ضد الامبريالية الاميركية .
من الحقائق المعروفة أن حرب المائة عام هي التي عجنت وصنعت وحدة فرنسا ، وان هذه الوحدة وطابع فرنسا الخاص تثبتا وقويا أثناء صراعات الثورة الفرنسية .
وحدة هولندا ووعيها القومي تبلورا واستقرا أيضا أثناء حرب الاستقلال ضد اسبانيا .
والحرب ضد العرب هي التي وحدت بين مناطق اسبانيا المختلفة وادت الى انشاء دولة واحدة .
الثورة الهوسية وصراعاتها في القرن الخـــامس عشر كانت عاملا اساسيـــا في ولادة الشخصية التشيكية والوعي القومي التشيكي .
العصبة الاخية اليونانية برزت نتيجة الحرب ضد مقدونيا ، والحلف اليوناني الاتحادي المسمى بـــ (Delos League) تحقق بقيادة اثينا كرد على الغزو الفارسي . وكان من نتائجه رد هذا الغزو والانتصار عليه .
الاستعمار مزق وحدة بولندا ، وطيلة قرن ونصف بعثر هذه الوحدة ، ولكن بولندا لم تمت ، وكانت وحدتها النفسية تترسخ بسبب تلك النكبة نفسها .
غزو الغرب لروسيا وسلخ أراضيها عنها ابتداء من القرن الثالث عشر قاد كرد أول الى ظهور نظام سياسي قومي جديد فرض على روسيا الوحدة السياسية التي تحتاجها ان هي أرادت أن تحافظ على بقائها . لذلك لم يكن غريبا ، كما يكتب توينبي ، أن يولد هذا النظام الاتوقراطي في موسكو ، المدينة التي توجد في الطريق الذي يتبعه كل غاز غربي يريد غزو ما تبقى من روسيا .
تشكيل شعب اميركي من عناصر مختلفة، وشتيت من الجماعات المتناقضة يعود بالدرجة الاولى الى حرب التحرير ضد بريطانيا . جورج واشنطن اكد على هذه الناحية في أوامره الوداعية الى الجيش عام ١٧٨٣ ، عندما أعلن : « من رأى سابقا حشدا منظما يتشكل

راسا من تلك المواد الخام ؟.. اي انسان ، لم يكن شاهدا عيانا لما حدث ، كان يستطيع ان يتصور ذلك الزوال السريع لأعنف أهواء التفرض ، والتحيز المحلية ؟.. من كان يستطيع ان يتصور أولئك الرجال الذين اتوا من مناطق القارة المختلفة ، الذين يميلون ، بسبب عادات التربية التي تعودوها ، الى ازدراء ومخاصمة بعضهم بعضا ، يتحولون فجأة الى عصبة وطنية من الاخوة ؟.. » .

حرب التحرير هي المسؤولة عن ذلك ، وهي التي خلقت ، عبر الكفاح المسلح الطويل ، تلك الوحدة القومية الجديدة . فقبل تلك الحرب ، لم يكن هناك اي شعور ولاء لـ « أميركا » ، لان الولاء كان يتجه اما الى بريطانيا ، واما الى الولايات الفردية المختلفة التي كانت تعيش منفصلة عن بعضها ، متباغضة ، متخاصمة ، متنافرة ، متهاترة ، سياسيا ، واقتصاديا، واخلاقيا . كثيرون من معاصري تلك المرحلة ، من أميركيين ، ومن أجانب ، علقوا آنذاك على هذه المشاحنات والانقسامات الصريحة ، وكثيرون ، كفرانكلين ، كانوا متشائمين من امكان تجاوزها .

هنا تجدر الملاحظة أن أميركا اللاتينية التي لم تواجه هذا النوع من الصراع الخارجي ضد المستعمر لم تستطع ان تحقق الوحدة التي استطاعتها الولايات الاميركية . فحرب التحرير ضد اسبانيا كانت محدودة ، لم تتطلب تلك المواجهة القاسية الطويلة التي عانتها الولايات الاميركية . فالضغط الاسباني كان ضعيفا ، ولذلك كان بامكان بعض المناطق أن تحقق حريتها دون أن تخوض معركة واحدة ضد اسبانيا .

وحدة بريطانيا ، وكذلك وحدة المانيا ووحدة ايطاليا تعود ايضا أساسيا الى صراعات مع اعداء من الخارج .

بلدان آسيا وافريقيا كانت تعيش في ظل انظمة تقليدية ثابتة، ولا تتميز بديناميك اجتماعي تاريخي . المرحلة الانتقالية التي تمر بها الآن تعني فيما تعنيه أن هذه البلدان أصبحت تعاني هذا الديناميك . أما الاسباب التي فجرته، فلم تكن داخلية ، تتمثل في قوى انتاجية وطبقية جديدة ، بل خارجية تقوم في نكبات أصابتها نتيجة هزائمها أمام الغزو الغربي . هذا الغزو هو الذي حرك أولا شعوب هذه البلدان ــ وخصوصا الاسيوية ، ودفعها الى التحول ، وهو الذي قاد الى ظهور طبقات وقوى انتاجية جديدة كانت جزءا من الرد ضده .

هذا لا يعني أن البلدان الاسيوية والافريقية لم تعرف التحولات الداخلية في الماضي . ففي ماضيها الطويل الذي يمتد الى آلاف السنين ، عانت هذه البلدان تحولات عديدة ولكنها لم تعرف ما يمكن تسميته بردود الفعل المتسلسلة التي يقود فيها تحول ما الى تحول آخر ، بسلسلة متتابعة من التحولات المترابطة ، وبشكل يشعر فيه الناس أن التحول شيء طبيعي، وهو ما نعنيه عندما نتكلم حاليا عن الديناميك الاجتماعي التاريخي. هذا النوع من التحول لم يفرض ذاته عليها نتيجة تطور بطيء ، بل نتيجة كوارث وهزائم من الخارج ، كان من أولى نتائجها الكشف عن افلاس الانظمة والطبقات التقليدية ، وتشتيت وحدة الوجود التقليدي . ماركس كان ، بين مؤسسي السوسيولوجيا الحديثة، اول من نبه الى اثر هذا الغزو الثوري في آسيا . فقد كتب أن استعمار الدول الاوروبية لآسيا كان قاسيا وشرسا ، ولكنه قوة تدعم ــ طبعا من حيث لا تريد ــ التقدم في البلدان المتخلفة . ذلك الاستعمار كان قاسيا ــ وكل تقدم في نظر ماركس يكون في الاغلب قاسيا ــ ولكنه في الوقت نفسه كان نافعا لانه ينهي ذلك السبات الطويل الذي ساد آسيا ، ويدفع شعوبها الثابتة « في المجرى الاساسي للتطور التاريخي » .

هذه الوحدة التي تنتج عن صراع ضد غزو ، استعمار او صراع خارجي تؤكد ذاتها في صعيد آخر هو صعيد الاقليات الدينية والقومية . فهذه الاقليات تحقق عادة درجة من الوحدة والشعور الواحد لا تتوافر للأكثرية التي تحيط بها ، وذلك بسبب الضغط الذي تعانيه من الخارج .

ماركس جعل الصراع الطبقي ضد الرأسمال والرأسمالية الشرط الاساسي في تحول العمال الى طبقة واعية لذاتها ، لوحدتها ووحدة مصالحها . فالوحدة الطبقية تنتج عن حالة صراع موضوعية . وعن طريق معاناة هذا الصراع ، طريق استيعائه والعمل بوحي هذا الوعي ، يمكن للطبقة أن تحقق شخصيتها .

الرد على نكبة خارجية تتمثل في غزو ، احتلال أو استعمار كان لا يقتصر تاريخيا على التوجه ضد المعتدين الاجانب فقط ، بل كثيرا ما كان يحاول التحرر على جبهتين ، من هؤلاء ، ومن الانظمة والطبقات الوطنية التقليدية الحاكمة التي تفقدها هذه النكبات سمعتها ومكانتها وشرعيتها. هذا الوضع كان يؤدي الى تحالف بين الاسياد من الخارج، والاسياد من الداخل ، وهو تحالف أكد ذاته تقريبا في جميع بلدان آسيا وأفريقيا .

اليابان كانت اول مجتمع في آسيا وافريقيا دخل العصر الحديث ، وقد استطاعت ان تقوم بذلك رغم موانع هائلة . ففي عام ١٨٦٨ ، عندما أخذت حركة التنمية تؤكد ذاتها ، كانت اليابان لا تعتمد الاساس الصناعي الذي كان بامكان الغرب اعتماده عام ١٨٠٠ ، أو حتى روسيا عام ١٩٠٠ . فأرضها المزروعة كانت صغيرة محدودة ، وكانت تحتاج الى المواد المعدنية الاساسية ، كما أن الوضع الدولي آنذاك لم يكن يسمح لها بفرض تعرفة جمركية تحمي انتاجها ، أو الاعتماد على مستعمرات كمصدر للتصنيع والاسواق . ولكن هذا المجتمع الزراعي الفقير استطاع فعلا أن يخلق اقتصادا حديثا . بداية الطريق كانت نكبة خارجية نتجت عن غزو أجنبي ، وادت الى ثورة داخلية ، كان قصدها الاول والاخير معالجة الوضع . حتى عام ١٨٦٨ ، كانت قبائل التاكوجوا تحكم اليابان في نظام اقطاعي انموذجي ، وتصونها ضد كل احتكاك مع الغرب . ولكن هذا الغرب تدخل بشكل جذري عندما أخذت بواخره عامي ١٨٦٣ و١٨٦٤ ، تضرب مدينتي شاشو ، وساتسمو . هذا الدليل القاطع على تفوق التكنولوجيا الحديثة أقنع طبقة أخرى، خارج السلطة ، مستثناة منها ، وهي طبقة الساموراي ، بأنه على اليابان ان تنقض طريق حياتها التقليدية ان هي ارادت حريتها وبقاءها ، فجمعت صفوفها في حركة تمرد ناجحة تسلمت فيها السلطة من الطبقة السابقة . في العهد الجديد ، المعروف بعهد المايجي ، تابعت اليابان برنامج تصنيع وتحديث نشيط وناجح تأدى بها في بضعة عقود من السنين الى دخول القرن العشرين .

هذا الذي حدث في اليابان كان ظاهرة أعادت ذاتها في جميع الردود الثورية على الاستعمار الخارجي في جميع بلدان آسيا وأفريقيا، وهي الان ابتدأت تؤكد ذاتها في أميركا اللاتينية . ففي هذه البلدان كان الرد على الاستعمار يعني التحرر من الطبقات التقليدية الحاكمة ومن الانظمة التي تمثلها . الهزائم الخارجية تدل بوضوح ان النظام التقليدي عاجز عن حماية وحدة وكيان الامة ، فتنخفض او تزول شرعية الطبقات الحاكمة ، وهي تؤدي ، من جهة أخرى ، الى افراز طبقات وفئات جديدة كان يتمخض عنها النظام التقليدي ، فتدفعها الى الاستيلاء على السلطة كأداة في اجراء تغيير اساسي في الوضع الراهن ، فكلما اشتدت الهزائم والنكبات اشتدت حدة الردود الثورية. فان كانت روسيا والصين مثلا قد مارستا حلا جذريا ثوريا شاملا لمشكلة التخلف على نقيض الهند التي تمارس حلا ليبراليا اصلاحيا براجماتيا ، فالاختلاف يعود بمقدار كبير الى النكبات الخارجية والداخلية التي تعرضتا لها ، بينما كانت الاخيرة تنعم بقرن من الاستقرار .

التجارب الاوروبية الثورية الحديثة تدل أيضا على الظاهرة نفسها . فجذور الديمقراطية الدانمركية مثلا تعود الى هزيمة أصابت الدانمرك . تحالف الدانمرك مع نابليون ، ومن ثم انكسارها العسكري ، كان العامل المباشر الذي حرض على اجراء تحولات سياسية واجتماعية كانت نتيجتها تثبيت الديمقراطية الليبرالية عام ١٨٨٠ عن طريق طبقات جديدة هي طبقات الفلاحين والبورجوازية .

وفي هولندا تعود أيضا الديمقراطية الليبرالية الى هزيمة الطبقة الحاكمة الاقطاعية امام

جيش نابليون ، وهي هزيمة ادت الى ظهور حزب الوطنيين الذي تشكل اساسيا من طبقة التجار وانتهى بعد كثير من الاضطرابات الى ترسيخ هذه الديمقراطية عام ١٨٦٨ ضد ارادة الملك والاقطاعيين .

وفي ايطاليا كانت الديمقراطية الليبرالية نتيجة رد ثوري على هزيمة خارجية أمام الغزو النابليوني . وهكذا دواليك !..

وفي اميركا اللاتينية نجد مثلا ان النكبة التي اصابت بوليفيا في حربها مع البارجواي بين عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٥ ادت الى نتائج سياسية واجتماعية ثورية لم تكن في حسبان الطبقة الاقطاعية الحاكمة آنذاك . بما أن الحكومة كانت تحتاج في هذه الحرب الى جميع القوى البشرية المتوفرة ، فانها اخذت في تجنيد جماهير الفلاحين التي كانت منذ الفتح الاسباني مستثناة من الحياة السياسية وتعيش خارجها . هذا التجنيد جعل هذه الجماهير تشعر لأول مرة بأنها جزء من المجتمع ، خاصة وان الطبقات الحاكمة كانت تعمل اثناء الحرب على ايقاظ الشعور القومي الذي كانت تحتاجه . الهزيمة نزعت من هذه الطبقات هيبة السلطة وشرعيتها وادت الى تمرد الجماهير عليها ، والى دخولها في حركات اشتراكية وليبرالية ثورية غايتها تغيير قواعد النظام السياسي الاجتماعي . هذا التحول ادى في النهاية ، عبر اضطرابات وثورات متتابعة الى ثورة اجتماعية كان من نتائجها تأميم البترول والصناعات المعدنية الاساسية ، وتوزيع الارض على الفلاحين .

وفي كوبا ، كانت الثورة الاخيرة بقيادة كاسترو الرد الثوري على غزو الامبريالية الاميركية البلاد وتواطؤ الطبقات الحاكمة معها .

الشيوعيون في الصين ، يوغسلافيا ، البانيا ، البلقان ، وفيتنام ، استلموا السلطة بعد حروب ثورية ضد محتل اصاب البلاد بالهزيمة . ففي كل من هذه البلدان ، نجد أن هناك محتلا وحربا ثورية ، وان الاحتلال والحرب قادا الى افلاس ونهاية سلطة الطبقات التقليدية الحاكمة .

الاثر الاول للازمة الاقتصادية التي اصابت الولايات المتحدة في أوائل الثلاثينات لم يكن اقتصاديا فقط بل نفسيا . فقد هدمت تلك الازمة وجاهة الطبقة الحاكمة التقليدية ، التي كانت تسود دون مقاومة او تحد منذ الحرب الاهلية . فالسلطة الاقتصادية نكبت نكبة هزتها من الاساس ، والشعب خسر ثقته القديمة بها . اصحاب البنوك والاعمال الكبيرة انفسهم خسروا آنذاك الايمان بقدرهم الخاص .

من ناحية اخرى يمكن القول أن التجارب التاريخية تدل ايضا ان المجتمعات والطبقات والاحزاب تخسر وحدتها عندما لا تجد عدوا يناصبها العداء والصراع . كثيرون من المؤرخين دلوا مثلا على هذه الناحية في دراستهم للحركة البروتستانتية ، التي تعني الرفض والتمرد . فقد قيل انها كانت تخسر « وحدتها » و« حيويتها » عندما لا تجد أمامها عدوا تمارس الرفض والتمرد ضده ، وأن هذه الوحدة كانت تنحسر الى درجة تدفع الى ظهور نفس الصراع مع العدو في اطار تركيبها ذاته ، اذ كانت تنقسم آنذاك الى جناحين متخاصمين متقاتلين ، الجناح الليبرالي ، والجناح المحافظ .

تاريخ الاحزاب السياسية يوفر لنا مثلا آخر على هذه الناحية . ففي الولايات المتحدة مثلا نرى انه عندما كان ينتصر أحد الحزبين الكبيرين انتصارا نهائيا على الحزب الآخر ، فان وحدة الحزب المنتصر كانت تتلاشى ، فيتبدد الحزب الى جماعات مختلفة متخاصمة .

وحدة الكنيسة الكاثوليكية كانت تجد دائما ما يقوي ويوطد وحدتها في « البدعات » و« الهرطقات » التي كانت تخرج عليها وتخاصمها . فموقفها العنيد الصلب الذي لا يتعرف على اية مصالحة او تسوية مع هذه البدعات والهرطقات ، كان يدفع مختلف عناصر الكنيسة الى الاتجاه في وجهة واحدة ، رغم ما قد يكون بين هذه العناصر من اختلاف او مصالح متباينة .

الانتصار التام على العدو لا يؤدي اذن الى نتائج ايجابية في المعنى السوسيولوجي

للكلمة . فالنصر يضعف الطاقة التي تضمن وحدة المجتمع ، ويدفع العناصر المجزئة ، التي لا تغيب أبدا ، الى أن تطفو على سطح الحياة وتسودها. هذا الديالكتيك ، ديالكتيك الصراع والنصر ، هو من الاسباب التي قدمهـا المؤرخون في تفسير صعـود وهبوط المجتمعات والحضارات المختلفة . فقد قيل مثلا أن انهيـار الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي ، يعود الى أنها كانت قد أخضعت تماما أعداءها . لا شك ان أسباب هذا الانهيار كانت عديدة ، ولكن هذا المفهوم يقول أن هـذه الاسباب أصبحت واضحة وادت الى نتيجتها المحتومة عندما لم تجد تلك الامبراطورية عدوا ما يرفعها فوق تناقضاتها الداخلية .

الوحدات القومية والطبقية تبرز للوجود وتؤكد ذاتها بفاعلية فقط اثناء الازمات والمخاطر الداخلية والخارجية التي تحيق بطبقة أو أمة ما . هذا الشعور الحاد بالوحدة ينكمش عند زوال الخطر والازمة ، وهو في الاوقات العادية يكون هامشيا لان الجماعات المختلفة تتحرك أثناءها تبعا لمصالحها الشخصية والمحلية .

التوحيد قد يجري في خدمة قصد واحد مباشر ، كانتصار في حرب معينة ، وبعد نجاحه أو فشله فيما يبغيه ، فان الوحدة التي انشأها لهذه المناسبة تنفرط ويرجع الفرقاء الى ما كانوا عليه قبل التوحيد ، أي الى كياناتهم السياسية المستقلة. هذا ما صنعته اليونان مثلا ، بعد أن تغلبت نهائيا على الخطر الفارسي . ولكن التجارب التاريخية تدل أيضا ان هذه الوحدات السياسية التي تنشأ في الصراع وفي خدمـة مقاصده ، تستمر بعد انتهاء دور القتال والحرب ، اذ تتميز آنذاك بمصالح ومقاصد جديدة ، وتعتمـد قوى توحيدية لا تختلف عن تلك التي انطلقت منهـا . ان مغزى الصراع الخارجي ، في هـذا الصعيد ، يكمن في الواقع ، في التعبير عن وحدة ممكنة أو ضمنية (Latent) . فهو لا يشكل قصدا للتوحيد ، بل بالاحرى ، فرصة مناسبة في تحقيق هذه الوحدة الممكنة ونقلها الى حيز الفعل .

العمل العربي الوحدوي الثوري لا يجد ضرورته المصيرية بسبب معركة التحرير ضد الاحتلال الصهيوني فقط ، او في كون العرب ، من الخليج الى المحيط ، يشكلون أمـة واحدة ، تبغي التعبير عن ارادتها في دولة واحدة ، بل هو يجدهـا في جميع مقاصدنا الثورية الجديدة ، التغلب على التخلف ، الانتصار على الامبرياليـة ، تحقيق التنمية الاقتصادية الفعالة والتصنيع الحـديث ، دخول القرن الواحـد والعشرين ، وتحقيق اشتراكية صحيحة . لهذا فان معركة التحرير لا تعني فقط قوة دفع زاخمة نحو الدولة الواحدة ، بل هي أداة تكشف عن قوى واتجاهات وحدوية كامنـة تدعو المعركة الى تفجيرها ، وتدفع الى هذا التفجير .

هذه الملاحظات التاريخية* تدل بشكل واضح على دور الصراع ضد عدو خارجي في توحيد المجتمعات المجزأة ، ومنها يمكن القول ان معركة تحرير فلسطين ضرورة أساسية في تحقيق المقصد الثوري الاول الذي يشرط كل مقصد آخر ويجعله ممكنا . فان كانت هذه المعركة غير موجودة وجب علينا خلقها .

هذا يكشف بوضوح عن الخطر الذي ينطوي عليه أي حل سلمي — هذا ان افترضنا امكانه — . فهو لا يعني خسارة فلسطين ، شطر الأمة العربية الى شطرين ، تشريد عرب فلسطين ، اذلالنا بشكل نهائي ، بل سد طريق الوحدة ، أي الطريق الى جميع مقاصدنا الثورية .

المقياس الوحدوي هو المقياس الاول الذي يتقدم على ويقاس به كل مقياس ، كل موقف ثوري آخر . فالعربي الثوري الذي لا يقيس جميع أعماله ومواقفه ، جميع تخطيطاته الاستراتيجية والتكتيكية بهذا المقياس الوحدوي ، يعثر الثورة، وهو ليس بثوري، او هو

---

* — راجع كتاب **الفعالية الثورية في النكبة** ، لكاتب المقال ، حول هذا الموضوع .

بعبر عن ثورية مبتورة تزيد اضرارها على فوائدها .
(٢) التذرر الاجتماعي ، اي خسارة الفرد للعلاقات العضوية التقليدية التي تشده الى الوجود التقليدي ، وحداته الاجتماعية الاساسية ، عاداته ، قيمه ، وانظمته ، يشكل اساس الحركات الثورية الجذرية الشمولية . فدون درجة كبيرة من هذا التذرر يستحيل هذا النوع من الثورات . حرب تحرير فلسطين هي اداة فعالة في احداث هذا التذرر في المجتمع العربي ، اي في احداث وضع نحتاجه في توفير الابعاد الجذرية الشمولية التي تحتاجها الحركة العربية القومية الاشتراكية الوحدوية في تجاوز ذاتها . الحل السلمي يعني انهاء هذه الحرب والغاء الوضع الثوري الذي ينتج عنها . لذلك كانت مقاومة الحل السلمي ضرورة ثورية .
خروج الافراد والجماعات من الوجود التقليدي خروجا ماديا ونفسيا هو الشرط الاساسي للثورة المتكاملة ، للثورة الجذرية الشمولية ، وذلك لسبب بسيط ، بله بده واضح . فثورة من هذا النوع تعني تدمير النظم والانظمة والقيم والوحدات الاجتماعية الاساسية التي ينشكل منها الوجود التقليدي ، تعني تجديد الانسان نفسه وخلقه من جديد في اطارات نفسية وعقلية وايديولوجية جديدة تعبر عن ذاتها في مجتمع جديد . هذا يعني ان الجماعات والافراد الذين لا يزالون يعانون ويعيشون الروابط التي تربط بينهم وبين تلك النظم والانظمة والقيم والوحدات والاطارات التي تسود الوجود التقليدي ، يعجزون عن المساهمة الفعلية في احداث الثورة او الانتماء لها ، لان طاقاتهم تكون مجمدة بتلك الروابط . لذلك كان انهيار او تفسخ او تمزيق هذه الروابط الشرط الاساسي الذي يشرط جميع الاوضاع الاخرى في تكامل الثورة ، وفي احداث جذريتها وشموليتها .
الحروب الخارجية والاهلية هي من اهم القوى التي كانت عبر التاريخ تؤدي افقيا وعموديا الى درجة عليا من التذرر الاجتماعي الذي كان يؤدي ويدفع بدوره الى تحولات اجتماعية وسياسية وايديولوجية ثورية جذرية ، هذا التذرر يعني انهيار الوحدات الاجتماعية التي كانت تضبط سلوك الفرد ، فيصبح الافراد انفسهم الوحدات الحقيقية ، وذلك لان التذرر يهدم ويدمر تلك الوحدات التقليدية التي كانت تقف بين الفرد والمجتمع ككل ، او بين الفرد والدولة ، هذا يفرض على الفرد نفسه أن يختار سلوكه وان يتحكم فيه ، وهذا بدوره يدفعه الى ارتباطات ثورية تعبر عن ذاتها في وحدات جديدة . ثورات روسيا والصين وفيتنام مثلا لم تنتج فقط عن تناقضات داخلية تفرعت عن قوى انتاجية جديدة بل عن درجة كبيرة من التذرر الاجتماعي ولدتها حرب تحريرية ضد احتلال استعماري .
دون هذا التذرر يستحيل علينا بناء مجتمع جديد ، او تحويل المجتمع التقليدي بشكل اساسي جذري ، فقد ندخل اليه التحويلات السياسية والاجتماعية ، وقد نصبغ عليه التنظيمات والتشكيلات الثورية ، ولكنه يبقى تقليديا ، على الاقل نفسيا وعقليا واخلاقيا وايديولوجيا ، ان لم يتقدم تلك التحويلات والتنظيمات والتشكيلات درجة معينة من التذرر . لا شك ان هذه الاجراءات والتغييرات تؤدي في المدى البعيد الى هذا النوع من التذرر ، ولكن سيفرض آنذاك هذا التذرر تحويلات أخرى على صعيد ثوري جديد . فكيفما نظرنا الى الموضوع نجد ان درجة معينة من التذرر شرط اساسي لا يمكن دونه تحقيق تحولات ثورية ، كما أن الانتقال من صعيد ثوري الى صعيد آخر اكثر جذرية يفترض توسيع درجة التذرر السابقة .
معركة تحرير الارض المحتلة فرضت علينا ولم نختارها ، وهي فرضت علينا في وقت ومرحلة لم تتوافر لنا فيهما تلك الدرجة من التذرر التي تنفتح لتحولات ثورية جذرية تسمح بارتفاعنا الى صعيد المعركة . ولكن المعركة نفسها ، وقد فرضت علينا ، ستوفر هذا النوع من التذرر الذي يفجر الامكانات والطاقات التي لا تسمح فقط في التغلب على

الاحتلال ، بل تدفع الى انشاء المجتمع الجديد . وهي ستفجرها لانها تفرض على العربي المشارك فيها ، مباشرة او غير مباشرة ، ارتباطات وانتماءات سياسية وايديولوجيـة وتجارب نفسية واخلاقية وقواعد سلوكية يومية لا تنسجم مع الارتباطات والانتماءات وقواعد السلوك التقليدية ، وتؤدي ضمنـا ، على الاقل ، الـى تفتيت هذه الاخيرة وانهيارها .

الولاءات والانتماءات التي كانت تسود سلوك العربي هي أساسيا ومن ناحية عامة انتماءات وولاءات عائلية وقبلية ومحلية ودينية ، وليست طبقية او حتى عربية او قومية. الوحدة العائلية أو العشائرية كانت الوحدة التي تشكل قاعدة السلوك العربي طيلة قرون عديدة ، وتمتد جذورها الى تاريخ سحيق . أما الاطار العام الذي كانت ترتبط به هذه الوحدة والسلوك الذي يتفرع منها ، فكان دائما اطارا دينيا. هذا الاطار كان الاطار الذي كانت تتعاون فيه هذه الوحدات ، تحدد فيـه وبه مقاصدها العامة في الحياة ، وعلاقتها مع التاريخ .

ولكن مفهوم الامة والقومية برز واخذ يعمل في بسط ظله على المجتمع العربي بشكل غايته ان يحل محل تلك الوحدات والاطار الذي يعمل فيه . ثم ما لبث هذا المفهوم ان اقترن بمفهوم آخر جذري وثوري هو مفهوم الثورة الاجتماعية الذي اضاف الى المفهوم الاول ليس فقط فكرة تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، بل نوعا جديدا من الارتباط هو الارتباط الطبقي الثوري . هذه المفاهيم تعني ولاءات وانتماءات جديدة تعمل في ديالكتيكها الخاص على اقتلاع جذور الولاءات والانتماءات التقليدية. هذا التحول يعني صداما بين هذين النوعين من الولاءات والانتماءات ، يؤدي بدوره الى انفصام في المجتمع والدولة والانظمة المختلفـة ، وفي ذات الفرد نفسها ، يمهـد الطريق ويخلق الوضعية الملائمة لتجديد الفرد والمجتمع . ولكن كي يحدث ذلك على نطاق افقي وعمودي مناسب يجب ان تتفتت علاقات الفرد العربي العضوية بالوحدات الاجتماعية التقليدية. الحرب التحريرية اداة فعالة في هذا السبيل ، لذلك كان اي انحراف عنها انحرافا ليس فقط عن ضرورات تفرضها معركتنا ضد الصهيونية ، بل عن مقاصدنا الثورية كلها .

هذا التناقض هو ، بكلمة اخرى ، تناقض بين الثقافة التقليدية وبين الثقافة الحضارية الحديثة التي اخذت تغزوها . انه ، بكلمة توينبي ، اهم واقعـة في القرن العشرين ، وهو ، في اي شكل يعبر عن ذاته اولا ، سياسيا كان هذا الشكل ، او تكنولوجيا ، او اقتصاديا ، فلا مندوحة له من التحول الى تناقض اخلاقي وايديولوجي . انه حالة من التوتر بين مواقف ومفاهيم اخلاقية وفكرية وايديولوجية شاملة ، متناقضة ومتصارعة ، نتيجتها المحتومة هي غلبة المفاهيم والمواقف الحضارية الحديثة على المفاهيم والمواقف التقليدية .

ان الذات ، في ابعادها النفسية والعقلية تستمد غذائها ومقوماتها من العالم الخارجي ، من الاوضاع المختلفة التي تحيط بها مـن الخارج ، ومفاهيمنا السياسية والاجتماعية والاخلاقية والايديولوجيـة والميتافيزيقية نفسها تتفرع نهائيا مـن الواقع الموضوعي (Reality) . التكيف مع تحولات هذا الواقع يستلزم دائما وقتا ونفسا طويلين . ولكن عندما تهتز الاطارات العقلية والنفسية التي تجد فيها الذات التقليدية وحدتها ، اهتزازا ينتج عن علاقتها بتحولات جذرية تحدث في المحيط الخارجي ، تفقد هذه الذات قدرة الامساك بهذا الواقع ، قدرة توجيهه او التوجه فيه ، فتتخبط وتصبح في بلبلة ، وبذلك تخسر مقاصدها الفاعلية . هذا ما ابتدأ يحدث فعلا الآن في المجتمع العربي ، وفي كل مجتمع آسيوي آخر ، والنتائج هي واحدة متماثلة ، حالة من الضياع والبلبلة الاخلاقية والنفسية والايديولوجية .

نزع السلطة عن المفهوم الديني والرجعية التي تمثله ، تجريد الطبقات الاقطاعية من دورها الاقتصادي والسياسي، العائلة أو القبيلة من دورها واهميتها كالوحدة الاجتماعية

الاساسية ، وادخال التكنولوجيا ، والعلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة ، والتصنيع ، والنظم التربوية الجديدة ، الـى المجتمع التقليدي ، كل هـذا يؤدي الى نتائج نفسية واخلاقية واجتماعية وفكرية وايديولوجية جذرية التحول وهائلة النتائج .

ان ما يمكن أن نسميه بالازمة الانتقالية التي يعانيها العربي — والانسان الآسيوي في جميع مجتمعاته — هي في الواقع ازمة الانتقال من هذا النوع من الولاءات والانتماءات التقليدية الى نوع آخر ينقضه . هذا الصدام بين هذين النوعين يشكل فحوى هذه الازمة ومضمونها الاساسي. بما ان النوع الجديد ليس نتيجة تصورات ذاتية أو مواقف تبشيرية بل ينتج حتما عن القوى الحضارية الجديدة التي تغـزو المجتمع العربي ، فان الوقت يعمل له والزمان يقف الى جانبه . الثوري هو اذن انسان يعمل جهده في استخدام كل وسيلة ممكنة في مساندة هذا النوع ، في تغذيته ، وفي دفعه ، ليس لان انتصاره يرتبط بهذا الموقف ، بل لان هذا الموقف يسرع في تحقيق ديالكتيكه المستقل ويختصر الطريق أمامه ، وبذلك يفسح الطريق أمام القوى الحضارية الجديدة الفاعلة في المجتمع العربي التقليدي بأن تسرع الخطى وتحث السير نحو غايتها المحتومة : توليد مجتمع جديد . هذا المجتمع قد يتخذ أشكالا عديدة ، ولكن لا مفر لها كلها من الالتقاء في أرضية واحدة مشتركة ، وهي نقض المجتمع التقليدي والغاؤه .

هذه الملاحظات التي تكشف لنا أن درجة من التذرر الاجتماعي يجب أن تتقدم كل تغيير ثوري توضح وتفسر لنا كيف انه لم يكن مـن قبيل الصدفة أن الحـركات والانقلابات العسكرية ، وليس الاحزاب الثورية ، كانت حتى الآن في افريقيا وآسيـا اداة التغيير الاولى . ذلك يعود الى كون الجيش مؤسسة تحدث درجة مـن التذرر لا يعرفها بعد المجتمع القبلي ، العائلي ، الزراعي ، الدبني التقليدي . فعند المقارنة نجد ان الجيش يتميز بدرجة من الفردية لا يتميز بها هذا المجتمع . فبين السلطة العسكرية وبين الفرد لا توجد وحدة أو سلطة وسطية ، لان وحدة من هـذا النوع تضعف أو تلغي وحدة وضرورة السلطة العسكرية التي لا يمكن لجيش أن يتكون دونها ، لذلك كانت التشكيلات العسكرية تؤدي الى نوع من الفردية في العلاقات الاجتماعية لانها تضعف الوحدات التقليدية الاساسية لهذه العلاقات . ثم ان السلطة العسكرية تعمل عن طريق أوامر لا تتفرع من التقاليد والقيم التقليدية ، بل من صعيد خاص بها . لذلك فهي تتميز بدرجة من الحرية الاخلاقية مجهولة في المجتمع القبيلي أو الزراعي التقليدي . أما من ناحية ثالثة ، فان التشكيلات العسكرية تحاول ، على عكس هذا المجتمع ، أن تكون عقلانية في توزيع السلطة والادوار التي يفترض فيها ان تكون في اكثر الايدي أهليـة ، بصرف النظر عن المكانة العائلية ، الاصل الاجتماعي ، أو السن .

هذه الدرجة من التذرر الاجتماعي التي تميز التشكيلات العسكرية هي السبب الذي جعل هذه التشكيلات تقبض على زمام المبادرة في محـاولة تكييف المجتمع مع القوى الحضارية الحديثة ، وذلك لان الفرد المتذرر ، أي الذي تحرر بقدر ما على الاقل من الولاءات والانتماءات التقليدية يستطيع أن ينفتح لارتباطـات جديدة تتجاوب مع هذه القوى الحديثة ، بينما أن الفرد التقليدي يعجز عن هذا الانفتاح ، فيبقى على الرغم من الاكثرية الكبيرة التي يمثلها ، على هامش التاريخ الذي يصنع نفسه بشكل جديد . لهذا لم يكن من قبيل المصادفة ايضا ان الحركات السياسية الثورية التي استطاعت أن تحول المجتمع تحويلا ثوريا جذريا دون الانطلاق من الحيش كانت تلك التي توفرت لها درجة عليا من التذرر الاجتماعي نتجت عن صراع مجتمع معين ضد غزو خارجي امتد اليه ككل وسامه الاستعباد والاستغلال والمهانة كما نرى مثـلا في الصين وفيتنام وكوريا الشمالية . فهذا التذرر هو الذي جعل جماهير الشعب منفتحة لمعاناة ولاء جديد ، الولاء للحزب الثوري .

كل مجتمع صناعي حديث تقريبا كان وليد صراعات وحروب أهليـة سياسية ودينية

واجتماعية تقدمتها درجة معينة من التذرر ، ووسعت هي بدورها هذه الدرجة الى أبعاد واصعدة جديدة . اننا نجد مثلا واضحا على ذلك في الثورة الانكليزية ١٦٤٠ — ١٦٨٨ ، في الثورة الاميركية ، ١٧٧٥ — ١٧٨١ ، وفيما بعد في الحرب الاهلية التي عانتها الولايات المتحدة وفيها انتصرت الصناعة نهائيا على الزراعة ، ١٨٦٠ — ١٨٦٥ ، في الثورة الفرنسية ، ١٧٨٩ ، في الثورة الروسية ، ١٩١٧ ، في الحرب الاهلية التي خاضتها ، ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

في اطار حياة اجتماعية عادية ، يكون الفرد عادة عضوا في وحدات أو تشكيلات عديدة ، والتناقضات التي لا يخلو منها أي مجتمع تعبر عن ذاتها آنذاك في اشكال ثانوية محدودة من الصراع او الخصام، يحمل اليها الفرد جزءا فقط من ذاته ، دون ان يلتزم كيانيا بها ، ودون أن يعلق بها قضية وجوده نفسه . ولكن عندما يستثني المجتمع جزءا من ابنائه — كاستثناء الزنوج في الولايات المتحدة مثلا — من المشاركة على قدم المساواة مع الآخرين ، في هذه الوحدات والتشكيلات العديدة ، فان التناقضات تصبح أساسية وشمولية تعبر عن ذاتها في اشكال من الصراع العنيف يدخلها الفرد بكل ذاته ، ويلتزم بها بكل كيانه ، لان النظام القائم كان قد استثنى ليس جزءا بسيطا او ثانويا من هذا الكيان من المساهمة فيه ، بل كل الكيان وكل الذات ، لذلك يكون الرد عليه ردا يلزم كل الكيان ، وكل الذات .

تشتت عرب فلسطين لم ينه ويمزق فقط العلاقات والوحدات الاجتماعية التي عرفوها في مجتمعهم الفلسطيني ، بل اخرجهم من المجتمع العربي ككل ، وبذلك وفر لهم الوضع الاجتماعي النفسي الذي يمكنه افراز وضعية ثورية مثلى ، لانه قطع جميع الروابط والعلاقات التقليدية التي تربطهم بهذا المجتمع في وجهيه ، الوجه الفلسطيني والوجه القومي . هذا الخروج من المجتمع التقليدي ، هذا التذرر هو — على الرغم من سلبياته — بداية الانطلاق نحو حياة جديدة ، نحو بناء انسان عربي جديد . فهو لا يستطيع أن يبقى في هذه السلبيات وظواهرها المرضية ، لانه يجد أمامه قضية ثورية كبرى تتميز بمقاصد نبيلة تدعوه الى الالتزام بها ، وعن طريق هذا الالتزام تحقيق وحدة ذاتية جديدة ، تقوده الى ولادة جديدة .

هذا التذرر الذي عاناه عرب فلسطين عن طريق النكبة والمأساة ، فوفر له أولا الخروج المادي من المجتمع العربي التقليدي ، الذي يدفعه بديالكتيكه الخاص الى الخروج النفسي الاجتماعي والايديولوجي منه ، هو التذرر الذي يفرضه القتال في سبيل تحرير فلسطين على العربي . فدونه لا يمكن للعربي أن يكشف عن جميع طاقاته وامكاناته وتكريسها للمعركة ، ودون الكشف عن هذه الطاقات والامكانات لا يستطيع ان يكسب المعركة .

من هذه الملاحظات العامة نصل الى الحقائق التالية التي يجب الارتباط بها :

١ — المرحلة الانتقالية المفروضة علينا فرضا كنتيجة لديالكتيك تفاعلنا مع التاريخ الحديث ، تعني درجة متزايدة من التذرر الاجتماعي والنفسي . أي أن المرحلة الانتقالية تعمل — كنتيجة تلقائية للاقتباسات الحضارية التي نأخذها وتدخل الينا باستمرار ، التي نمارسها ونعانيها ولا قبل لنا بدفعها او التهرب منها — على تهديم الولاءات والانتماءات التقليدية ، وتحويل الفرد العربي عنها .

٢ — ان هذا التذرر الذي يعني تحويل العربي ، بطريقة واعية او لا واعية ، بشكل مباشر او غير مباشر ، عن تلك الانتماءات والولاءات التقليدية ، ويجعله يعاني حالة من الاغتراب والفراغ لا قبل له بها ، تولد فيه جميع انواع الاضطرابات النفسية والاخلاقية والانحرافات السلوكية .

٣ — ان هذه الحالة ، حالة الاغتراب والفراغ ، لا يمكن — كما نعرف من التجارب التاريخية الثورية ، او بكلمة محددة اكثر ، من الاوضاع التي مهدت لظهور هذه التجارب — أن تستمر طويلا ، لان الجماعات التي تعانيها تحاول دائما أن تتجاوزها

بالانضمام تحت لواء انتماءات وولاءات جديدة تنسجم مـــع التاريخ كما يصنع نفسه . الذين يعانون هذه الحالة يتشوقون دائما وبالحاح الى الخروج منها بأي شكل كان . من هذه الحقائق التاريخية الاجتماعية نصل الى النتيجة التالية التي يجب على الثوريين العرب الارتباط بها ، وهي : ضرورة مساندة جميع القوى الحضارية والسياسية التي تسرع بعملية التذرر ، التي تزيد من اتساع وعمق هذا التذرر .

العمل الفدائي ينطوي على امكانات هائلة في احداث هذا التذرر ، لان حدة المجابهة مع العدو ، حدة المخاطر التي يتعرض لها في هذه المواجهة ، حدة الاستقطاب الشعبي الذي يجب عليه ممارسته ان أراد الكشف عن فاعلية ثورية صحيحة ، الالتزامات الجديدة التي يلزم بها والتي تناقض الانتماءات والولاءات التقليدية ، التحرير الذي يفرضه من الوحدات الاجتماعية التقليدية من عائلية وعشائرية وطائفية ومحلية وقطرية، وديالكتيك التحول الثوري الذي يجب على هذا الاستقطاب أن يكشف عنـــه ان هو أراد انجاز مقاصده التحريرية ، كل هذا يجعل منه أداة فعالة في توسيع وتعميق هذا التذرر ، أي في نزع الولاءات والانتماءات التقليدية عن العربي ودفعه نحو انتماءات وولاءات جديدة ترتبط بالتاريخ الحديث ، وبذلك يكون أداة فعالة في دفع هذا العربي نحو مصير جديد .

(٣) العنف الثوري ضروري في تثوير العربي ، في اقتلاع جذوره من المجتمع العربي التقليدي ، في تحريره من الاطارات النفسية والعقلية التقليدية ، في خلقه وولادته من جديد ، ضروري في تجديد الحياة العربية ومعالمها وبلورتها في مصير جديد. الحل السلمي يعني نهاية العنف الثوري في أعمق وأنبل صوره المتوفرة لنا ، وهذا يعني نهاية شرط من الشروط الاساسية التي نحتاجها في تحقيق جميع مقاصدنا الثورية . لهذا وجب علينا مقاومة الحل السلمي لانه يفوت علينا فرصة فريدة في تحقيق حياة جديدة .

ليس من قبيل المصادفة أن تتميز جميع المراحل السياسية والايديولوجية الثورية الكبرى التي تشكل منعطفات التاريخ الاساسية بالعنف الثوري. ليس من قبيل الارتجال التاريخي أن نرى الاصعدة التاريخية التي كان يعلو فيها الانسان على ذاته تتصف بممارسة هذا العنف على نطاق واسع. ليس من الغريب أن تقترن المراحل التقدمية التحولية الجذرية في حركة صعود الانسان وتطوره بقسوة الانسان على نفسه وعلى غيره . ليس من الامور العرضية أن تكون الادوار التاريخية التي تميزت بأعلى درجة من الحرية تتصف بهذا العنف وتنطلق منه . لماذا ذلك ؟..

الانسان هو قبل كل شيء كائن معلق بين وضع يحياه ووضع يتجه نحوه ، بين حالة يجد نفسه فيها ، وبين مثال يريده ، بين واقع يحيط به ويفرض عليه من الخارج وبين تصور جديد لهذا الوضع يعمل على تحقيقه ، بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون* . ليس هناك من خاصة أصيلة في الوضع الانساني متأصلة فيه أكثر من هذه الخاصة ، وهي خاصة يستحيل دونها ادراك الوضع التاريخي الثقافي ، طبيعة التاريخ والحضارة . هذا يعني أن الانسان كائن يحاول دائما ان يتجاوز ذاته ، لا يقـــر له قرار في وضع ساكن جامد ، انه يجد ذاته وحريته في مواجهة الصعاب والعقبات وفي ممارسة الصراع ضدها. في أوضاع معينة ، يتخذ هذا الصراع شكله الاعلى في ممارسة العنف الثوري* .

عندما ندرس الاوضاع التاريخية التي لازمهـــا العنف الثوري ، نجد ، فيمـــا يتعلق بموضوعنا ، أنها تتميز ، فيما تتميز بـــه ، بصفتين أساسيتين هما : أولا ، أزمة حادة تتولد عن تحولات وتناقضات داخلية ، مخاطر او نكبات من الخارج . وثانيا ، تصور جديد للحياة والتاريخ يحاول أن يعالج الوضع وينقل الحياة الى صعيد جديد .

هذا يدل ، فيما يدل عليه ، أن الانسان يكشف عن انسانيته بشكل خاص عندما يجد ان

---

* ــ راجع في هذا الموضوع **من النكسة الى الثورة** ، للكاتب .

* ــ راجع حول هذا الموضوع **الايديولوجية الانقلابية** ، وخاصة ص ٥٤٩ ــ ٧٢٢ ، للكاتب .

هناك ما يعترض طريقه . أهم اشكال خلقه وابداعه تنتج عن حدة نفسية تتولد فيه بسبب موانع تقف بينه وبين مقاصد يبغيها . فعندما تتعثر الحياة اليومية السطحية وتعجز عن تاكيد ذاتها ، ينفصل الانسان عنها ، ويأخذ يتساءل عن معناها وشرعيتها . في الاوضاع العادية تتخذ أفكار ومشاعر واعمال الفرد أشكالا يومية رتيبة ، ولكن عندما يكون هناك خطر ، أو نكبة خارجية ، أو أزمة داخلية ، يخرج الافراد من عوالمهم الفردية والاجتماعية المحنطة ، ويصبح من الممكن الكشف عن طاقات كبيرة يمكن تجنيدها ضد الخطر ، النكبة ، أو الازمة . الاوضاع العادية تبلد الذهن ، تغذي اللامبالاة ، تشجع على الريبة والتشكك ، كما أنها توسع دائرة الانانية والنفعية . كل مجتمع ، مهما كان متطورا يكون عرضة للجمود السياسي ، لشلل في الارادة ، وتشتت في الطاقة ، عندما تكون أوضاعه عادية . الازمات الكبيرة تأتي في طليعة العوامل التي تغير الوضع وتدفع الى تجاوز هذه الظواهر السلبية . في الازمات ، والمخاطر والنكبات فقط ، عندما لا يعود بامكان الحياة اليومية التقليدية أن تكون بدها يوميا نستطيع أن ننظر الى وجودنا من الخارج ، وأن نعين ما ينطوي عليه من نقص وضعف . معظم النظريات الاجتماعية التي تحاول تفسير التحولات التاريخية وظواهر الخلق فيها تعيدها الى أزمات ونكبات تداهم مجتمعا ما ، تتحداه وتدفعه الى الكشف عن أحسن ما ينطوي عليه من امكانات . الاوضاع المستقرة لا تعرف أو تتعرف على اشكال الخلق في التاريخ .
من هايديجير الى جاسيرز وخصوصا عند الاخير ، نجد أنه يصبح من الممكن لنا أن نقدر حقا الوجود ونعانيه بعمق عندما نجابه الخطر الكبير الذي يهدد بالعدم والابادة . فكي

التمييز ضد اليهود الشرقيين

في اسرائيل

بقلم

السيدة هلدا شعبان صايغ

اول دراسة علمية بالعربية عن اضطهاد اليهود الغربيين

لليهود الشرقيين في فلسطين المحتلة

جميع المعلومات مستقاة من المصادر الصهيونية والموالية لاسرائيل

مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

ل.ل.

نحيا حياة عميقة يجب أن نحيا في ازمة ، لان الازمة هي التي ترفعنا الى اصعدة نبيلة في الوجود . وكي نتذوق الحياة باصالة وجب ليس فقط أن نغامر ، بل أن نخسر .
بين مشاغل الوجودية الاولى ، في الواقع ، نجد التنبيه الى الابعاد العميقة والجدية في الوضع الانساني ، كأبعاد تناقض الحياة السطحية والضحلة التي يحياهـــا الانسان ، والتي يتجنب فيها مواجهة قضايا وجوده الاولى ، مما يجعل الحياة فقيرة ومنكفئة . هذا المفهوم ليس تصورا ادبيا او فلسفيا محضا ، بل كان ذا نتائج مباشرة وجذرية في علم التحليل النفسي حيث وجد بعض علمائه كماسلو وماي انه يلقي الضوء على الكثير من القضايا التي تواجههم . فقد رأى هؤلاء مثلا أن المصيبة او النكبة التي يتعرض لها فرد ما غالبا ما تكون ذات مفعول علاجي . فقـــد يقود الالم الذي تولده الى شفاء المريض النفسي . هناك عدد آخر ايضا من علماء هذا العلم يرون أن من اهم الاسباب في كون المعالجة بالصدمات ، كهربائية وغيرها ، تقود الى نتائج ايجابية في المرضى ، هو أن هذه المعالجة توفر لهم تجربة موت وولادة خيالية .
في الادب أيضا نجد تأكيدا لهذه الطبيعة الخلاقة للازمات ، للصراع ، للعنف والالم . فالانسان يتنازل عن معناه عندما يقبل بوجود رتيب ، يعيش فيه وبه . هذا القبول يعبر عن ضعف ، ولا يمكن ان يقود للحرية ، والوجود الصحيح هو الذي يصل اليه الانسان بعد المرور بالفوضى والبلبلة والالم . هذا المفهوم يطالعنا في مجموعة كبيرة من الادباء ، من نيتشه ، وبلاك ، ودوستويفسكي ، الى هيس ، وويلسن . اننا ، في الواقع نجد عددا من كبار الادباء ، كهيس ، وستريندبرغ ، قد انتجوا اجمل انتاجهم أو قسما مهما منه ، بعد انهيار عصبي أو عقلي أصابهم . في « الدكتور فوست » ، يكتب توماس مان ، بأن الخاطىء العادي لا يثير عطفا كبيرا ، والسلوك العادي لا يتميز بأية مكانة لاهوتية . ولكن القدرة على خطيئة لا تجد شفاء وتجعل الانسان ييأس باطنيـــا من الفداء ، هي الطريقة اللاهوتية الصحيحة الى الخلاص .
الاوضاع التي يحدث فيها العنف الثوري الكبير تكشف عن الظاهرة نفسها . فهي أوضاع يشعر فيها المجتمع أو قسم منه شعورا حادا بانهيار الوجود اليومي الرتيب ، فيرد على الانهيار بالعنف الثوري يعالجه ويتجاوزه فيه . هذا الشعور بالوصول الى نهاية الاشياء القائمة والعادية ، أو بوصول الوجود الراهن والتقليدي الى نهايته كان من أهم الحوافز الى العنف الثوري . لقد كتب كيركجارد مرة ، « ليست الطريق هـــي الصعبة ، ولكن الصعوبة هي الطريق » . العنف الثوري الذي يجابه فيه الانسان التحديات الكبيرة هو الطريق الى الخلاص من وجود مرهق ومذل .
الخلق والابداع يتوفران في ذيل التدمير والهدم ، ولا يمكن للصعيد الاول أن يحقق ذاته دون الصعيد الثاني . فهما وجهان لحقيقة واحـــدة ، وعلاقتهما هي علاقة ديالكتيكية وثيقة . كل شيء موجود مقضي عليه بالخراب والموت ، وعملية الخلق والابداع تبدأ ، عند اعتماد العنف الثوري ، في تكنيس مسرح التاريخ مـــن العقائد والنظم والتراكيب الهرمة التي أخذ يدب اليها الموت والخراب . هزة الخلق والابداع تلازم مطرقة الهدم والتدمير القاسية .
العنف الثوري المستمر ضد احتلال ارضنا ضروري ليس فقط في سبيـــل تحرير هـــذه [illegible] ض ، بل للحيلولة دون استقرار الاوضاع العربية وتحجرها ، ولممارسة الضغط الار[illegible] عليها بغية تجديدها ومعالجتها . فالمجتمع العربي يحتاج الى هذا العنف الذي الدائم [illegible] كي يتمكن من تجديد حيويته واحياء طاقاته ، الكشف عنها وحشدها . فهو يمتد ويتعمق [illegible] الحاد ليس بيننا وبين الاحتلال فقط ، بل بين الواقع العربي يمثل ويبلور ويعم[illegible] ل عليه هذا الواقع ، بين المصالح والقيم المرتبطة بهذا الواقع القائم وبين ما يجب [illegible] ض تجاوزها ، بين حياة يومية تقليدية رتيبة وبين سلوك جديد وبين التحرير الذي يؤ[illegible] لى تكسير طوق هذه الحياة اليومية والتحرر من كابوسها الذي يحفز الشعب ويدفعه [illegible]

يخنق ما فيه من امكانات الخلق والابداع .
الوعي الذي كان ، منذ فلسفة ديكارت ، شاملا للحياة النفسية كلها ، خسر هذا المركز ، وابتداء من فرويد بشكل خاص ، اصبحنا ندرك أن الوعي يمثل فقط جزءا من هذه الحياة ، وأن الاجزاء الاخرى فيها غير متيسرة للملاحظة المباشرة . فهي كالجبل الجليدي المغمور تحتاج الى البحث والتنقيب في الكشف عنها .
العنف الثوري في خدمة انتماءات وولاءات جديدة تتناقض مع الانتماءات والولاءات التقليدية هو من اهم الادوات في ترويض هذه الاخيرة ، اضعافها ، تفتيتها ، واقتلاع جذورها ، وذلك لان الالتزام بهذا العنف هو التزام حياة وموت ، ولان ممارسته يوميا وبشكل كلي ، يبلور الذات تدريجيا في الانتماءات الجديدة، وبطريقة تقضي على الانتماءات القديمة ، لأن الانتماءات التي لا تحدد سلوك الفرد ، الانتماءات التي لا تعين مقاصده ، لا يمكن لها أن تعيش كمحرضات فعالة للسلوك .
الوعي المستقل يبرز نتيجة العثرات والصعوبات والازمات التي تجابه الناس والجماعات المختلفة في حركة تفاعلها مع الخارج والآخرين . العنف الثوري الذي يعالج هذه العثرات والصعوبات والازمات يشحذ الفكر ويوقظه ، يحرك حس الملاحظة والذاكرة ، يرهف حاسة الخلق ويحرض على الابداع ، يهزنا من ركودنا المشابه لركود الغنم ، وهو الشرط للوعي .
العنف الثوري ضروري في تحرير العربي من ذاته المهلهلة الفضفاضة ، وممارسته ضد الطبقات المستغلة ، والانظمة البالية ، والاستعمار ، والاحتلال ، كان ولا يزال يمثل صعيدا انسانيا يعلو فيه الانسان على وضعه ، ويتجاوز فيه ذاته . المساهمة فيه يوفر لمظلومي الارض فرصة يؤكدون فيها شخصيتهم ، كرامتهم ، وانسانيتهم الكاملة التي نزعتها عنهم قوى الاستبداد والظلم . انه الاداة التي تعطي هؤلاء حق المشاركة في المجتمع ، حق دخول المواطنة التاريخية الصحيحة . العنف الثوري يلزم صاحبه كيانيا بقضية ثورية ، وعن طريق هذا الالتزام ينهي علاقته بحياته والتزاماتها السابقة . في ممارسته يولد ثانية ، وبه يتخذ موقعه الصحيح في عالم الانسان الجديد .
المفهوم النفعي والليبرالي الذي يرى أن المحرك الاول للسلوك الانساني هو المصلحة الفردية ، مفهوم فاشل في الكشف عن معنى وحركة التاريخ ، لان هذا التاريخ يفرز انجازاته الذروية والأوجية في تلك الاوضاع التي يستطيع فيها الانسان تجاوز منافعه الشخصية فيقبل على التضحية بها في سبيل منافع ومقاصد مجموعية وشمولية . ما يميز سلوك الانسان بشكل خاص هو القدرة على التضحية بالمصالح الفردية ، في تأجيل مصالح آنية بسبب التزام بمقصد عام يكرس الحاضر للمستقبل ، والذات الفردية لحقيقة عليا . فالانسان الذي يستطيع أن يعبر عن مقاصد ومصالح جماعية عامة هو فقط الانسان الذي يستطيع أن يساهم في بناء الانسان ، وفي تحديد قدر التاريخ .
معركة تحرير فلسطين هي من اهم هذه الاوضاع في التاريخ العربي ، وقد تكون اهمها على الاطلاق . انها توفر فرصة فريدة في دعوة الانسان العربي الى تفجير طاقته ، والى بلوغ ذروته الانسانية عن طريق العنف الثوري . الحل السلمي يبتر هذه الفرصة ، لانه يعيد العربي الى وضعه اليومي الرتيب المعذب الاليم ، لذلك وجبت مقاومته لان المقاومة تعني حماية ورعاية وتغذية طريق ينفتح أمامه كي يحيا انسانيته ويمارسها في أجلى وأنبل ما يمكن أن تنطوي عليه من طاقة . فكي يمكن للعربي ان يتجه بعزم حاسم، بكل امكاناته وزخمه نحو مصير جديد ، يحتاج الى الخروج من الحياة التقليدية ، ومن مهانة الاحتلال والاستعباد ، يحتاج الى الخروج من ذاته نفسها واتخاذ قاعدة لسلوكه وحياته في حقيقة خارجية عليا . العنف الثوري الذي تفرضه معركة تحرير فلسطين ، بوجهها القومي والانساني والاخلاقي النبيل ، يوفر هذه الحقيقة ، يوفر هذه الطريق .
العنف الثوري ضرورة ليس فقط لان معركة التحرير تفرضه ، أو لان الاستعباد يزيد

ويمتد ان لم يلق مقاومة ، بل لان هذا العنف يشحذ انسانيتنا ويوفر لنا راحة وجدانية تجاه هذه الانسانية والزاماتها . العنف الثوري يشعرنا بأننا لسنا تماما ضحايا الاوضاع التي أحاطت وتحيط بنا ، وبذلك يوسع ويعمق من حريتنا .

القضية ليست فقط استرداد أرض مهما عزت علينا الارض ، بل هي أولا وبالدرجة الاولى استرداد الارض بالطريقة التي خسرنا فيها الارض . هنا طريقة الاسترداد قد تكون أهم من الاسترداد ، وأداة التحرير قد تكون أهم من التحرير . احتلال فلسطين جرد العربي من الكرامة والانسانية ، والعنف الثوري الذي يحرر الارض فقط يمكن العربي ان يسترجع ما خسره من كرامة وانسانية .

من الضروري أن نجد طريقا تتجاوز فيه الثورة العربية ذاتها . العنف الثوري قد لا يكون قادرا على تحقيق مقاصده او جزءا من هذه المقاصد ، ولكن عن طريق الفداء والضغط اللذين يمكن له ممارستهما ، فانه يستطيع دفع هذه الثورة نحو آفاق جديدة تعدها لتحرير الارض وبناء مصير جديد .

العنف الذي مارسه الاحتلال ضد العربي امتهن كرامته ومسخها ، وبالعنف الثوري المضاد يستطيع العربي أن يسترد كرامته ، أن يسترجع احترامه لنفسه ، وأن يعاني انسانيته من جديد . قتل المحتل ضروري في تطهير العربي ، في تحريره من عقد النقص ، الواعية او اللاواعية ، التي ولدها هذا المحتل فيه . قتل المحتل ضروري لنجاة العربي من القنوط واليأس ، من التردد والذبذبة ، من التأرجح بين القديم والحديث ، ومن العيش على هامش التاريخ . انه ضروري كي يجد العربي حريته من جديد . فمن جيف المحتلين ورائحتها الكريهة يطل الجو النقي الذي يساعد العربي في تنقية نفسه وتحريرها . في هذا العنف الثوري تتجاوز الذات العربية التمزق الذي ولده الاحتلال فيها ، وفيه يتحول تبعثر هذه الذات الى وحدة صلبة شامخة . العنف الثوري الذي يقاوم بالقتل والدم مهانة الاحتلال والمحتلين يشق للعرب طريقهم الى الوحدة . ان وحدة الشعب العربي تعمد وتكرس في الفتك الذي تستطيع ممارسته بالمحتل في أرض فلسطين . هدف كل عربي يجب أن يكون المساهمة ، مباشرة او غير مباشرة ، ولكن دائما بالتزام كلي بمعركة التحرير ، في هذا القتل ، لان الفتك بالمحتل هو طريقه الى هويته الثورية . في هذا القتل نحرق مراتب التاريخ ، ونقفز قفزا الى المصير الجديد الذي نريد .

اقول هذا لان العنف الثوري الذي نمارسه لاجل التحرير يحمل في الواقع بذور معركة قد تكون أجمل معركة انسانية في القرن العشرين . لهذا يجب على الفكر الثوري أن يكشف عن هذه البذور فيعطيها جميع ابعادها الانسانية . هذا العنف الثوري ليس فقط في سبيل تحرير فلسطين ، ليس فقط في سبيل تحرير العربي ، بل هو في سبيل تحرير الانسان ذاته . فالرصاص الذي نسدده الى القتلة والسفاكين العنصريين من الصهيونيين ، والى عملائهم وكل من يتواطأ معهم مباشرة وغير مباشرة ، هو رصاص نسدده رمزيا ضد جميع اشكال التعصب ، والحقد ، والاستغلال ، والاستعلاء العنصري والقومي التي تفرق بين الشعوب . هو رصاص ضد كل ما يزرع البغضاء والتفرقة بين هذه الشعوب ، هو انتقام لكل انسان أهين ويهان ، لكل شعب ذل ويذل . فالى جميع اشكال الاغتصاب الانساني ، الى جميع أنواع الاذلال والعسف التي واجهت الانسان ولا تزال تواجهه في هذه الارض التعيسة ، يجب أن نقول ، اننا لا نستطيع ان نصل اليك في كل مكان ، بل نستطيع ان نطال رمزا لك في فلسطين ، وفي قتالنا ضد هذا الرمز لك ، نقاتلك جمعاء ، وفي القتل الذي نمارسه ضد هذا الرمز نريد قتلك انت ، وفي اصلاء هذا الرمز نار عنفنا الثوري ، نريد الايحاء لجميع مظلومي الارض ، ضرورة اصلائك نفس النار ، في كل مكان ، في كل شبر من هذه الارض ، لاننا نؤمن ان كل اهانة تلحق بأي انسان ، في أية بقعة من بقاع هذه الارض هي اهانة لنا ، هي اهانة للانسان كانسان . ان العنف الثوري الذي ندعو اليه هو تكريس لهذا الايمان .

الاثار القانونية المترتبة على الصلح مع اسرائيل

الدكتور صلاح الدين الدباغ

أولا : مقدمـــة

دراسة الاثار القانونية المترتبة على عقد صلح مع اسرائيل هي دراسة في احكام القانون الدولي العام وقواعده . وهذه الاحكام والقواعد قد تكون بعيدة عن الممارسة اليومية للسياسة الدولية . ذلك ان سياسات الدول لا تنقرر وتتحدد دوما على هدى المبادىء والاعتبارات التي يفرضها القانون الدولي . وعليه فالسياسة الدوليـــة تأتلف حينا مع القانون الدولي وتختلف أحيانا اكثر . ويتضح هذا التباعد والاختلاف في موضوع الحرب والسلم . فثمة فرق بين نظرة القانون الدولي الى حالتي الحرب والسلم ونظرة السياسة اليها . فالقانون الدولي يعتبر الحرب والسلم حالتين منفصلتين تمام الانفصال بعضهما عن بعض . ويضع لكل منهما احكاما تختلف عن الاخرى . فالقواعد التي تحكم علاقات الدول ابان الحرب وتحدد حقوق المتحاربين وواجباتهم تختلف اختلافا واسعا وبيّنا عن تلك التي تحكم علاقات الدول في حالة السلم وتحدد حقوق كل دولة وواجباتها . وقد درج فقهاء القانون الدولي العام على استعمال تعبير مأخوذ في الاصل عـــن شيشرون لوصف الانفصـــال التـــام بين حـــالة الحرب والسلم هـــو : Inter Pacem et Bellum nihil medium اي ليس من حالة وسطى بين السلم والحرب .

اما السياسة الدولية فتعتبر ان حالة السلم هي حالة سلبية تستمر فيها الحرب بأسلحة اخرى . فتحتل فيها القوة السياسية والاقتصادية مكان القوة العسكرية التي تتراجع عن مركز الصدارة الذي تحتله زمن الحرب . ولكن هذه القوة العسكرية تبقى قـــوة ضاغطة كامنة وتشكل عنصرا تهديديا يبقى في حيز الامكان بدلا ان يدخل حيّز الممارسة الفعلية كما في حالة الحرب .ومرد الاختلاف بين السياسة الدوليةوالقانون الدولي هو أن السياسة الدولية تقررها مصالح الدول المعنية بينما تحدد احكام القانون مبادىء الحق والعدالة والاستقرار في المجتمع الدولي . وعندما تتعارض مصالح الدول ، لا سيمـــا القوية منها ، مع احكام القانون الدولي ومبادئه ، تفضل هذه الدول اتباع مصالحهـــا وتعرض عن تطبيق احكام القانون الدولي . وسبب ذلك ان المجتمع الدولـــي لا يزال مجتمعا بدائيا بمعنى انه يفتقر الى سلطة مركزية تطبق احكام القانون بواسطة القسر ، وان القوة تبعا لذلك ، لا تزال تقوم بدور اساسي في تسيير مقدار هذا المجتمع .

والعبرة مما تقدم هي ان الاعتبارات القانونية ، في ظل المجتمع الدولي المعاصر ، ينبغي أن لا تكون الاعتبارات الوحيدة لاي قرار سياسي تتخذه القيادة السياسية في موضوع دولي ، لا سيما اذا كان هذا القرار يتعلق بمصالح الامة في الصميم .

ان الصلح هو انتهاء لما يعرف بالقانون الدولي بحالة الحرب واحلال حالة السلم مكانها . وان حالة الحرب التي نعنى بها في هذه الدراسة قائمة بين فرقاء ثلاثة هم : الشعب الفلسطيني والدول العربية من جهة واسرائيل من جهة اخرى . وعليه فاننا سنتناول في هذا البحث دراسة الاثار القانونية المترتبة على اجـــراء صلح بين الشعب الفلسطيني واسرائيل من ناحية وبين الدول العربية واسرائيل من ناحية اخرى .

ثانيا : اثار الصلح على العلاقة بين الشعب الفلسطيني واسرائيل

الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في السيادة على فلسطين . ولقد احتل الصهيونيون فلسطين بقوة السلاح وطردوا شعبها رغما عن ارادته وحرموه وجردوه من حقوقه الاساسية . وحسبنا ايراد الحقائق الموجزة التالية لاقامة الدليل على ذلك :

أ ـــ بموجب الاحصاء الذي أجرته السلطات البريطانية عام ١٩٢٢ كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن ٨٣،٧٩٤ نسمة اي ما يوازي ١١،٠٦ ٪ من مجموع السكان(١). وقد قام الشعب العربي الفلسطيني بثورات متعاقبة طيلة أيام الاحتلال مطالبا بالاستقلال ومحتجا على سياسة السلطة المنتدبة الرامية الى ادخال اعداد وفيرة من المهـــاجرين الاوروبيين اليهود الى البلاد . ونتيجة لهـــذه السياسة بلغ عدد اليهود في اخر عهـــد الانتداب حوالي ٣٠ بالمئة من السكان(٢). ولم يملكوا آنذاك سوى ٥،٧٦ ٪ من مجموع اراضي فلسطين(٣).

ب ـــ ونتيجة الاحداث عام ١٩٤٨ استولت الاقلية اليهودية المذكورة بقوة السلاح على ٧٧،٤٠ بالمئة من مساحة فلسطين واجلت بقوة السلاح أيضا حوالي مليونا من السكان العرب الفلسطينيين خارج بلادهم لتحل محلهم سكانـــا مستوردين . وفي عام ١٩٦٧ استولت اسرائيل في موجة توسعية جديدة على جميع أراضي فلسطين فضلا عن احتلال اراضي دول عربية أخرى . وأضحى الشعب الفلسطيني اما مشردا خارج بلاده او رازحا تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي .

ج ـــ ان قيام الغزاة الصهيونيين بانشاء الكيان الاسرائيلي كان متوقفا على هدر حقوق الشعب الفلسطيني ومشروطا به . اي أن هذا الكيان كان يستلزم لقيامه وانشائه كشرط مسبق هدر حقوق الشعب الفلسطيني لا بل سحقها وابادتها . ومن هذه الحقوق الحق في الارض والممتلكات والحق في العودة الى الوطن . وعلى ضـــوء هذا تبرز لاشرعية الكيان الاسرائيلي بوضوح .

د ـــ بيد ان أهم الحقوق التي هدرها قيام الكيان الاسرائيلي ، على الاطلاق ، هو حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وان حرمان الشعب الفلسطيني من هذا الحق لا يجعل من هذا الكيان كيانا غير شرعي فحسب ، بل ان هـــذا الحرمان يعطي للشعب الفلسطيني حقوقا ايجابية هي الحق في مقاومة الغزاة والحق في تحرير الوطن .

وتجدر الاشارة هنا ولو بايجاز شديد الى أن الحق في تقرير المصير لم يعد حقا نظريا او طبيعيا فحسب ، بل اضحى حقا وضعيا تكفله المواثيق الدولية ومنها ميثاق الامم المتحدة الذي اعتبره في مادتيه الثانية والخامسة والخمسين ، هدفا من أهداف المنظمة الدولية ، وكذلك كرسته وكفلته كل من شرعـــة الحقوق المدنيـــة والسياسية وشرعـــة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اللتين اقرتهما الجمعية العامة للامم المتحدة بالاجماع بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٦٦(٤). وكذلك تجدر الاشارة هنا الى أن الحق في المقاومة قد أضحى حقا وضعيا معترفا به بموجب احكام القانون الدولي العام الحديث . وقد أقرت هذا الاعتراف وكرسته المعاهدات الدولية وقرارات المحاكم وكتابات الفقهاء وهي المصادر الرئيسية الثلاثة للقانون الدولي العام في الوقت الحاضر .

فمن جهة المعاهدات أقرت اتفاقية جنيف المؤرخـــة في ١٢ آب ١٩٤٩ والمتعلقة بمعاملة اسرى الحرب بحق السكان في مقاومة المحتلين فهي قد نصت على ضرورة معاملة أعضاء المقاومة المنظمين معاملة اسرى الحرب . وهذا يعني ان الاتفاقية المذكورة قد أقرت بحق

منظمات المقاومة بحمل السلاح ضد الاعداء. ومن ناحية قرارات المحاكم نجد في محاكمات مجرمي الحرب التي تلت الحرب العالمية الثانية أن المحاكم كانت تعطي صفة المحاربين ، وبالتالي ما يتمتع به هؤلاء من حقوق ، للفدائيين والمقاومين حتى في الحالات التي لم يكونوا يتقيدون فيها بالشروط المنصوص عليها في اتفاقية جنيف المشار اليها ، اي ان هذه المحاكم ذهبت الى أبعد من اتفاقية جنيف في اعطاء المقاومين صفة المحاربين . واننا نجد لدى مراجعة بعض قرارات هذه المحاكم أنها قد اعتبرت من لا يحترم الحقوق الممنوحة لمنظمات المقاومة والفدائيين مجرمي حرب وادانتهم بهذه الجرائم(٥).

نستخلص مما سبق أن حق الشعب الفلسطيني في المقاومة لم يعد حقا نظريا او طبيعيا، بل هو حق قانوني وضعي تكفله وتكرسه احكام ومبادىء القانون الدولي الحديث . كما نستخلص ان للمقاومة الفلسطينية حق التذرع بأحكام القانون الدولي التي تحكم علاقات المحاربين بعضهم ببعض . وعليه فان اي صلح يعقد مع اسرائيل ويكون الشعب الفلسطيني طرفا من أطرافه يعني تنازل الشعب الفلسطيني تنازلا قانونيا عن حقوقه (او بعض منها) في ارضه او في تقرير مصيره وتصبح بالتالي أعمال المقاومة التي يقوم بها أعمالا عدوانية تقع تحت طائلة احكام القانون الدولي العام بدلا من أن تكون ممارسة لحق مشروع . وتجدر الملاحظة هنا ان المفاوضات التي يقوم بها الشعب الفلسطيني مع الاعداء لن يكون لها أثر قانوني ما لم تقترن باتفاقية ملزمة للفريقين .

ان الصلح مع اسرائيل الذي يكون الشعب الفلسطيني طرفا من أطرافه يبدل اذن الاوضاع القانونية لهذا الشعب راسا على عقب . بيد ان الصلح مع اسرائيل حتى وان لم يكن الشعب الفلسطيني طرفا من أطرافه سيرتب على هذا الشعب آثارا قانونية معينة.. ذلك ان سياسة اسرائيل ترتكز على أن تقوم الدول العربية المحيطة بها بدور الحارس والشرطي على حدودها ، أي أن تجعل من المقاومة مشكلة بين الدول العربية والمقاومة بدلا من أن تكون مشكلة بينها وبين المقاومة.وفي ردود فعل اسرائيل على أعمال المقاومة الدليل الواضح على ذلك . وتطبيقا لهذه السياسة ، يبدو من المحتم أن تتضمن ترتيبات الصلح نصوصا واضحة تتعهد بموجبها الدول العربية تعهدا قانونيا صريحا بمنع اي عمل موجه ضد اسرائيل ينطلق من اراضيها .

ففي اتفاقيات الهدنة المعقودة بين كل من لبنان والاردن وسوريا من جهة واسرائيل من جهة أخرى ، نصوص تحظر على قوات الفريقين العسكرية أو شبه العسكرية او غير النظامية دخول اراضي الفريق الاخر كما تحظر القيام بأي عمل عدائي من اراض واقعة تحت سيطرة فريق ضد الفريق الاخر . فالفقرة الثانية من المادة الثالثة من اتفاقية الهدنة بين سوريا واسرائيل تنص على ما يلي : « لن يقوم اي عنصر من عناصر القوات العسكرية أو شبه العسكرية البرية أو البحرية او الجوية بأي عمل حربي او عدواني ضد القوات العسكرية او شبه العسكرية للفريق الاخر ضد المدنيين في الاراضي الخاضعة لاشراف الفريق الآخر ، او أن يتجاوز لاي غاية من الغايات حد خطوط الهدنة كما هو مبين في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية أو أن يدخل او يمر عبر الفضاء الجوي للفريق الاخر أو عبر المياه الواقعة ضمن ثلاثة أميال من شواطىء الفريق الاخر » . وتتضمن الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من الاتفاقية المذكورة(٦) على ما يلي : « لا يسمح بالقيام بأي عمل حربي أو عمل عدواني من الاراضي التي يشرف عليها أحد الفريقين الموقعين على هذه الاتفاقية ضد الفريق الآخر»(٧).

ومن المتفق عليه قانونا أن اتفاقيات الهدنة لا تلغي حالة الحرب ، فمن باب أولى أن تتضمن اقامة صلح دائم ونهائي مع اسرائيل تنهي فيه حالات الاحتراب نصا أقوى من هذا النص تحظر فيه وبشكل واضح وصريح الاعمال الحربية مهما كان نوعها وشكلها من اراضي الدول العربية الى اسرائيل والعكس بالعكس . لا سيما وان المقاومة الفلسطينية لم تكن موجودة وقت توقيع اتفاقيات الهدنة ، وان الصلح الذي يدور الحديث عنه الان

منطلق من قرار مجلس الامن المؤرخ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ الذي ينص فيما ينص على ما يلي : « انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وسلامتها الاقليميه واستقلالها السياسي **وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنه ومعترف بها خرة من التهديد واعمال القوة** واحترام كل ذلك » .

ومن المحتم اذن أن تتعهد الدول العربية التي تقوم على الصلح مع اسرائيل **تعهدا قانونيا صريحا** بمنع اعمال المقاومة المنطلقة عبر أراضيها الى المناطق المحتلـــة . أي ان عبء مواجهة المقاومة سينتقل قانونيا الى الدول العربية . وان هذا الا دليل آخـــر على ان تصفية المقاومة هو شرط أساسي لكل صلح نعقده الدول العربية مع اسرائيل .

ثالثا : آثار الصلح على العلاقة بين الدول العربية واسرائيل

منذ أيار ١٩٤٨ والدول العربية في حالة حرب مع أسرائيل . وان اتفاقيات الهدنة ، في الفترات التي كانت فيها احكامها سارية المفعول ، لم تنه حالة الحرب هذه . فالهدنة بموجب احكام القانون الدولي لا تنهي حالة الحرب القائمة بين المتحاربين لا قانونيا ولا واقعيا ، بل ان حالة الحرب تستمر وتحكم اعمـــال المتحاربين(٨). وتترتب على حالة الحرب القائمة بين الدول العربية واسرائيل بعض الحقوق والواجبات التي تزول عند انتهاء حالة الحرب واحلال حالة السلم مكانها . كما ترتب حالة السلم حقوقا وواجبات على الفرقاء مختلفة عن تلك التي ترتبها حالة الحرب . وفيما يلي تفصيل ذلك :

ا ـــ **الاعتراف باسرائيل** : لم تعترف الدول العربية حتى الان باسرائيل كدولة ليس لانها في حالة حرب معها فحسب ، بل وايضا لان اسرائيل قد تأسست كدولة على حرمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وعلى تجريده من حقوقه الاخرى بالقوة والعدوان . وان عقد صلح معها لا بد وان يستتبع اعتراف الدول العربية بكيانهـــا كدولة . وهذا الاستنتاج تفرضه نصوص قرار مجلس الامن الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ كما تفرضه الاعتبارات القانونية الملازمة لحالة الصلح . فقرار مجلس الامن المشار اليه والذي يدور من حوله موضوع قيام الصلح ينص فيما ينص على : « انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب **والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وسلامتها الاقليمية واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها** » . كما ينص على : « ضمان حرمة الاراضي الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة » . اي ان عقد الصلح بموجب قرار مجلس الامن المشار اليه مشروط بالاعترافبالسيادة الاسرائيلية وبسلامة اسرائيل الاقليمية واستقلالها السياسي .

وبصرف النظر عن نصوص قرار مجلس الامن المشار اليهـــا فان الصلح بموجب احكام القانون الدولي يستلزم الاعتراف بالجهة التي يعقد الصلح معها ، اذ لا صلح مع الدولة التي لا يعترف بوجودها اصلا ومن الاساس ، لا سيما وان الاعتراف بدولة من الدول قد يكون صريحا او ضمنيا . وفي هذا نصت الاتفاقية الامريكية حول حقوق الدول وواجباتها المعقودة في مونتفيديو عام ١٩٣٣ في مادتها السابعة على ما يلي : « الاعتراف بدولة من الدول قد يكون صريحا او ضمنيا ، ويستنتج الاعتراف الضمني من كل عمل ينطوي على قصد الاعتراف بالدولة الجديدة »(٩). وفي هذا المعنى كتب احد علماء القانون الدولي ما يلي : « الاعتراف من حيث الجوهر مسألة قصد وقد يكون صريحـــا او ضمنيا وليست طريقة القيام به ذات اهمية خاصة »(١٠).

الصلح اذن لا بد أن ينطوي على الاعتراف بالكيان الصهيوني اعترافـــا قانونيا . وعلى هذا الاعتراف تترتب النتائج التالية : ١ ـــ اعطاء صك البراءة لجميع الجرائم الاسرائيلية والاعتراف بحق اسرائيل في السيادة والاستقلال السياسي ، والتضحية بحقوق شعب فلسطين في وطنه السليب . ٢ ـــ ان أية حرب تقوم بها الدول العربية بعد عقـــد صلح مع اسرائيل والاعتراف بها تصبح في نظر القانون الدولي العام حربا غير مشروعة ، أي ان مهاجمة اسرائيل تصبح من الناحية القانونية اعتداء يعاقب عليه . ذلك ان الحرب في

الوقت الحديث لم تعد من الوجهة القانونية وسيلة متاحة يمكن للدول أن تلجأ اليها متى ارادت . وينتج تحريم الحرب في العصر الحديث عن وثائق قانونية مختلفة لعل اهمها معاهدة كيلوج ــ بريان ، والمسماة بمعاهدة التخلي عن الحرب ، وميثاق منظمة الامم المتحدة . وتنص معاهدة التخلي عن الحرب التي أصبحت نافذة المفعول بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٤٩ على ادانة اللجوء الى الحرب من أجل حل الخلافات الدولية وعلى التخلي عن الحروب كوسيلة من وسائل السياسة في علاقات الدول فيما بينها وكذلك تنص على ان تسوية النزاعات الدولية مهما كان أصلها او طبيعتها والتي قد تنشأ بين الدول لا ينبغي أن تحل الا بالسبل السلمية . وتنص الفقرة الثالثة من المادة الثانية من ميثاق منظمة الامم المتحدة على تعهد الدول الاعضاء بحل منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية بحيث لا يعرضون السلام والامن الدوليين للخطر . كما تنص الفقرة الرابعة من المادة ذاتها على تعهد الدول الاعضاء بالامتناع عن التهديد بالقوة او استعمالها ضد السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لاي دولة من الدول(١١). وهكذا نرى ان اي هجوم تقوم به الدول العربية على اسرائيل بعد الاعتراف بها وعقد الصلح معها يعتبر ، من وجهة النظر القانونية البحتة ، عملا غير مشروع وخرقا للقانون الدولي واعتداء يعاقب عليه .

٢ ــ لا يحتم الاعتراف باسرائيل اقامة علاقات دبلوماسية معها . فالاعتراف بدولة من الدول شيء واقامة علاقات دبلوماسية شيء آخر(١٢).

ب ــ **الامتناع عن ممارسة الحقوق التي يتيحها القانون الدولي للمتحاربين طيلة استمرار حالة الحرب حتى بالرغم من وجود هدنة عامة** : يعطي القانون الدولي للمتحاربين حقوقا لا يعطيها اياهم في حالة السلم . واهم هذه الحقوق هو حق منع الاتجار مع العدو والحقوق البحرية .

١ ــ الاتجار مع العدو والمقاطعة الاقتصادية : ان وجود حالة الحرب تجيز للدول المتحاربة ان تتخذ اجراءات لايقاف جميع التعامل التجاري مع العدو وفرض عقوبات شديدة على من يتعامل تجاريا مع الاعداء . ولكن تحريم الاتجار مع العدو وفرض العقوبات الجنائية بحق من يتعامل تجاريا مع اسرائيل يصبح غير متلائم مع حالة الصلح ، فلا بد اذن من اعادة النظر في القوانين الداخلية التي تحرم الاتجار مع الاعداء. وكذلك تصبح المقاطعة العربية غير مشروعة مع حالة الصلح . ذلك ان شروط قانونية المقاطعة ، بموجب أحكام القانون الدولي، ان تفرض هذه المقاطعة كعقاب ضد عمل لا شرعي تقوم به احدى الدول(١٣). وبما أن الصلح يتضمن انهاء حالة الحرب وصفحا ضمنيا عن جميع الاعمال غير المشروعة بين الدولتين المتصالحتين ، فلا يبقى من مبرر قانوني لحالة المقاطعة بعد الصلح .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان حالة الصلح لا تتعارض مع بعض الاجراءات الاقتصادية التي تتخذها دولة من الدول تجاه دولة اخرى بغية فرض ضغوط عليها . ومن هذه الاجراءات فرض رسوم جمركية مرتفعة على بضائع تستوردها دولة من دولة اخرى وتجميد الاموال التابعة لهذه الدولة او لمواطنيها ومنع السفر اليها واغلاق الموانىء بوجه سفنها وما شاكل . بيد انه من غير المحتمل ان تلجأ الدول العربية الى اتخاذ مثل هذه الاجراءات بعد التوصل الى صلح مع اسرائيل يفترض معه حل جميع المشاكل واحلال جو ملائم من العيش بينها وبين اسرائيل . بل من المتوقع أن تزول التدابير الاقتصادية التي اتخذتها الدول العربية بحق اسرائيل وتتلاشى شيئا فشيئا .

٢ ــ الحقوق البحرية : للمتحاربين ، بموجب القانون الدولي وأعرافه ، ممارسة خمسة حقوق بحرية اساسية في حالة الحرب هي : ا ــ ضبط المواد الحربية التي تحملها سفن محايدة . ب ــ حق فرض الحصار البحري . جـ ــ حق مصادرة سفن الاعداء التجارية. د ــ حق ضبط السفن المحايدة التي تقوم بعمل غير حيادي. هـ ــ حق الزيارة والتفتيش. ــ حق ضبط المواد الحربية التي تحملها سفن محايدة : المواد الحربية هي المواد غير

المسموح بنقلها الى العدو على اعتبار انها تيسر له سبل القيام بالحرب ، او تسهل له عملية الاستمرار فيها . ولا توجد لائحة موحدة بالمواد الحربية تعترف بها جميع الدول ، بل ان كل دولة تفرض لائحة خاصة بها ، وان كان من المعتاد ان يتناول مثل هذا الحظر الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية على اختلاف انواعها والذهب والعملات والوقود والمواد الغذائية والمنسوجات والالبسة .

ب ــ حق فرض الحصار البحري : الحصار البحري هو منع دخول السفن جميعا الى شواطىء العدو او الى قسم منه وخروجها منه منعا شاملا وعاما . وبينما لا تضبط ، في حالة حظر المواد الحربية ، سوى البضائع المدرجة في لوائح خاصة والمتجهة الى اراضي العدو ، تصادر في حالة الحصار البحري جميع السفن وجميع البضائع التي تحملها مهما كان نوعها ومهما كانت جنسيتها اذا حاولت الدخول الى السواحل او الموانىء المحاصرة، او الخروج منها .

ج ــ حق مصادرة سفن الاعداء التجارية : فضلا عن مهاجمة السفن الحربية للعدو ، يحق للدول المتحاربة أن تصادر سفن الاعداء التجارية متى كانت هذه السفن في المياه الاقليمية للدولة المصادرة او في أعالي البحار ، وسواء كانت هذه السفن تعود للدولة او للمؤسسات الخاصة او الافراد . وكذلك يحق للدولة مصادرة ما تحمله هذه السفن من بضائع تعود للاعداء .

د ــ حق ضبط السفن المحايدة التي تقوم بعمل غير حيادي : عندما تشترك السفن المحايدة بعمليات القتال او تقوم بنقل جنود العدو او بأعمال التجسس ، يحق للدولة المتضررة ان تصادرها على اعتبار انها تساعد العدو في عمليات القتال . وكذلك يجوز ضبط أي سفينة محايدة يتبين انها تخضع لسلطة الاعداء او تقوم بعملها في خدمتهم كأن تؤجر للقيام برحلات تجارية لمصلحة الاعداء وكأن يشرف على سيرها وكيل او عميل منهم .

هـ ــ حق الزيارة والتفتيش : ليس هذا الحق حقا منفصلا ولكنه تابع للحقوق الاخرى المذكورة اعلاه . وهو حق المتحاربين في زيارة السفن المحايدة وتفتيشها عند الاقتضاء للتحقق من انها تتبع دولا حيادية ، وللتثبت والتأكد من انها لا تحمل بضائع حربية محظورة ، او انها تحاول خرق الحصار البحري او انها تقدم خدمات غير محايدة للاعداء. ولزيارة السفينة وتفتيشها لا بد من ايقافها . والمعتاد أن يعطى أمر بالتوقف باطلاق طلقات نارية وفق قواعد معينة . وبعد التوقف ، يصعد على السفينة ضابط او اكثر لتفتيشها ويتم التفتيش بوجود قبطان السفينة الذي يتوجب عليه الانصياع لعمليات التفتيش . وفي حال ممانعته ، فان هذه الممانعة تعتبر سببا كافيا يبرر ضبط السفينة. وقد مارست الجمهورية العربية المتحدة من هذه الحقوق البحرية حق مصادرة السفن الاسرائيلية وحق مصادرة البضائع الحربية التي تحملها سفن محايدة ، عند مرور هذه السفن في قناة السويس وفي مضيق تيران . وبينما بقيت قناة السويس مقفلة في وجه السفن الاسرائيلية وفي وجه السفن المحايدة التي تحمل البضائع الحربية لاسرائيل حتى عام ١٩٦٧ ، فتح مضيق تيران في وجه هذه السفن في اعقاب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ومن المؤلم حقا ان نلاحظ ان الدول العربية باستثناء ما ذكر أعلاه لا تمارس الحقوق البحرية التي يعطيها اياها القانون الدولي لمواجهة اسرائيل على امتداد البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندي والخليج العربي وان ممارسة هذه الحقوق كفيلة لان تحول الحياة لدى الاعداء الى ضيق لا يطاق .

وعلى كل حال ، فمن المؤكد ان انهاء حالة الحرب مع اسرائيل لا تتيح للعرب ممارسة اي حق من الحقوق البحرية المذكورة وهي تؤدي بالضرورة الى فتح قناة السويس ومضيق تيران بوجه الملاحة الاسرائيلية . وذلك طبقا للفقرة الرابعة من المادة السادسة عشرة

من اتفاقية جنيف حول المياه الاقليمية والمنطقة المجاورة(١٤) التي تنص على ما يلي :
« لا يجوز ايقاف المرور البري للسفن الاجنبية عبـر المضائق التي تستخدم في الملاحة الدولية والتي تصل بين جزئين في أعالي البحار أو التي تصل بين جزء من أعالي البحار وبين جزء من مياه البحر الاقليمية لدولة اجنبية » .

---

١ ـ حكومة فلسطين ، **الكتاب الاحصائي لفلسطين ١٩٣٦** باللغة الانكليزية (القدس ، المطبعة الحكومية ، ١٩٣٧) ، الجدول رقم ٥ .

٢ ـ حكومة فلسطين ، **النشرة الشهرية للاحصاءات الجارية** باللغة الانجليزية (القدس ، دائرة الاحصاء ، كانون الثاني ـ شباط ١٩٤٨) .

٣ ـ سامي هداوي ، **فلسطين ـ ضياع تراث** باللغة الانجليزية (سان انطونيو شركـة نايلر ، ١٩٦٣) ص ٢٥ . ووفق الاحصاءات اليهودية بلغت مساحة الاراضي اليهودية عند انتهاء الانتداب ١٩٢٢ كيلومترا مربعا اي حوالي ٧،٣١٪ من مجموع اراضي فلسطين . **الكتاب السنوي والاطلس الاسرائيلي للجيب** باللغة الانجليزية (القدس ، ١٩٦١) ص ٤٣٠ .

٤ ـ انظر ايضا توصية الجمعيه العامة المؤرخة بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٥٢ المنشور في **السجلات الرسمية للجمعية العامة** ، الجزء السابع ، ٢٠ ، ص ٢٦ .

٥ ـ لجهة كتابات الفقهاء انظر مثلا اوبنهايم ، **القانون الدولي** ، الجزء الثاني ، الطبعة السابعة للاوترباكت (لندن : لونغمانز ، ١٩٦١) ، ص ٢١٢ و٢١٣ .

٦ ـ تتضمن اتفاقيات الهدنة مع لبنان والاردن نصوصا مماثلة .

٧ ـ ان اتفاقيات الهدنة ، لا سيما بعد عدوان عام ١٩٦٧ قد اصبحت لاغية وذلك وفقا للمادة الاربعين من مدونة لاهاي للحرب المبرمة الموقعة عام ١٩٠٧ التي تنص على ان اي خرق خطير لاتفاقية الهدنة من جانب احد الفريقين الموقعين عليها يؤدي الى اعطاء الحق للفريق الاخر بالغائها . انظر بالمعنى ذاته نص المادة ١٣٦ من التعليمات الموجهة الى جيوش حكومة الولايات المتحدة للبروفسور فرانسس لايبر .

٨ ـ انظر في ذلك كتاب **السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران** للكاتب . (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٧) ص ٦٨ وما يليها .

٩ ـ انظر النص الكامل للاتفاقية في **قوانين الولايات المتحدة** ، الجزء ٤٩ ، ص ٣٠٩٧ .

١٠ ـ هاكورث ، **مجموعة القانون الدولي** ، الجزء الاول ، ص ١٦٦ .

١١ ـ انظر ايضا الفقرات الاولى والثانية والثالثة من المادة السادسة عشرة من ميثاق عصبة الامم .

١٢ ـ انظر تصريح وزير الخارجية البريطانية امام مجلس العموم بتاريخ ٢١ آذار ١٩٥١ منشور في *Hansard's Parliamentary Debates*, Vol. 485, Cols. 2410 - 2411.

١٣ ـ وهذا يستفاد من المادة ٤١ المعطوفة على المادة ٣٩ من ميثاق منظمة الامم المتحدة والفقرة الاولى من المادة ١٦ من ميثاق عصبة الامم . كما يستفاد من مقاطعة الامم المتحدة لجنوب افريقية وروديسية ومقاطعة الولايات المتحدة لكوبه بتاريخ ٦٢/٢/٣ . انظر حول كل ذلك جوزف مغيزل ، **المقاطعة العربيـة والقانون الدولي** (بيروت : مركز الابحاث ، ١٩٦٨) .

١٤ ـ أقر هذه الاتفاقية مؤتمر الامم المتحدة الثاني لقانون البحار في ٢٩ نيسان ١٩٥٨ ، واصبحت نافذة المفعول في العاشر من ايلول ١٩٦٤ وذلك بمرور ثلاثين يوما على تاريخ ايداع وثائق الابرام العائدة للدولة الثانية والعشرين من الدول الموقعة عليها .

الضغوط الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة

الدكتور سعيد حمود

تظل الحاجة الى دراسة اوضاع شعبنا الرازح تحت الاحتلال الاسرائيلي على درجة عالية جدا من الالحاح والاهمية ، مهما يكن من أمر التطورات السياسية التي طرأت والتي قد تطرأ في السياقين القصير والمتوسط . ولعل الاعتبارات التالية ، بأبعادها المختلفة ، تقف على رأس الدوافع وراء ضرورة وضع هذه الدراسة في اطار موضوعي علمي ، محدد وواضح :

١ ــ ان المطامع التوسعية للحركة الصهيونية منذ بدء تخطيطها لايجاد دولة لها على أرض فلسطين لم تعد بحاجة الى أية براهين . وكذلك الامر بالنسبة لمطامع اسرائيل منذ نشوئها في العام ١٩٤٨ . وبعد العدوان في العام ١٩٦٧ والاحتلال الذي تلاه ، باتت حقيقة المطامع التوسعية اشد خطورة ووضوحا وأثرا على المستقبل . لم يعد الاستيلاء امرا في ضمير المحتمل ، بل تحول الى واقع ضاغط ، ذي مخططات وبرامج لها امتدادات وخطوات تنفيذ تشمل رقعة واسعة من الاراضي وقطاعات عريضة من البشر (تمثل أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي ٢٢ بالمائة من مساحة فلسطين كلها ، يعيش فوقها حوالي مليون فلسطيني) .

٢ ــ يظل صمود شعبنا في وجه مختلف التحديات والمخططات التي يمثلها الاحتلال الاسرائيلي ، القضية المركزية الاولى المؤهلة بأن تطوع التطورات الى مصلحة التحرير وفي اتجاهه في المدى المرحلي والاستراتيجي . غير ان الصمود لا تتحقق صلابته بمجرد تمنيه أو مناشدته ، وانما عبر مخططات علمية مضادة (للاجراءات الاسرائيلية) وفي اطار برامج لدعمه . وحتى تكون خطة الصمود في حيز الواقع وفي متناول التحقيق العملي ، لا بد ان تكون واضحة صورة الضغوط التي يتعرض لها شعبنا ، وبشكل خاص فئاتها الاقتصادية .

٣ ــ لعل هذا الاعتبار الثالث هو أهم الاعتبارات : ان شعبنا في الاراضي المحتلة المقيد بالاجراءات والضغوط يحتاج الى ثقة عالية جدا بأداة التحرير حتى تنطلق لديه ارادة الرفض والصمود وارادة المقاومة الى آفاقها الواسعة . ولا شك ان الامر الحاسم الذي يطلق عنان هذه الثقة ، انما هو التصديق والقناعة بأن أداة الثورة تدرك الواقع الذي يعيشه على حقيقته دون أوهام ولا مبالغات ، وبأنها (أي اداة الثورة) قادرة على تحويل ادراكها هذا الى برامج عمل ، دؤوبة واثقة ومخططة .

ما هي ، اذن ، فئات الضغوط الاقتصادية التي يتعرض لها شعبنا ؟ من المفيد قبل الاجابة على هذا السؤال ان نعمد الى استعراض موجز للاوضاع القائمة في الاراضي المحتلة :

اولا : لمحة عامة حول الاوضاع القائمة في الضفة الغربية وقطاع غزة(١): تبلغ مساحة الاراضي التي احتلت في حزيران ١٩٦٧ حوالي ٢٧،٠٠٠ ميل مربع . قسمت الاراضي اداريا الى اربع مناطق : مرتفعات الجولان، قطاع غزة وشمالي سيناء ، جنوبي سيناء، والضفة الغربية للاردن. يتولى الاشراف على كل منطقة من هذه المناطق حاكم عسكري. اما الادارة المدنية فيقوم بها قسمان : اقتصادي وخدمات . يشرف القسم الاقتصادي على النشاطات المحلية للوزارات الاسرائيلية ، العمل والزراعة ، التجارة والصناعة ، بينما يشرف قسم الخدمات على نشاطات تتعلق بالصحة والتعليم الخ .. ويبلغ مجموع عدد سكان المناطق المحتلة حوالي مليون نسمة ، تتركز غالبيتهم في الضفة الغربية وفي قطاع غزة . اما مرتفعات الجولان فهي صغيرة الحجم ، مساحة وفي عدد السكان . يشكل الاولاد دون سن الخامسة عشرة ٤٨،١٪ من مجموع السكان : ٣٤،٧٪ تتراوح اعمارهم بين ١٥ و٤٤ سنة . اما الذين تزيد اعمارهم عن ٤٥ سنة فتبلغ نسبتهم من مجموع عدد السكان ١٧،٢٪ . اما نسبة عدد الرجال في فئة الاعمار بين ١٥ و٤٤ سنة فهي صغيرة ، وهذا يعود الى ظروف الحرب وظروف الهجرة التقليدية من هذه المناطق الى مناطق اخرى بحثا عن العمل .

من المعروف ان اقتصاد الضفة الغربية للاردن يقوم على الزراعة . قبل حرب حزيران كان حوالي ٣٦٪ من مساحة الارض في الضفة مزروعا ، وحوالي ٥٪ من الاراضي المزروعة مرويا . ويقع حوالي ٦٤٪ من الاراضي المروية في وادي الاردن ، حيث يسبب اشتداد الحرارة في الصيف استهلاكا كبيرا من المياه . قبل حرب حزيران كان عماد الاقتصاد المحلي للضفة هو تجارة المزروعات مع الضفة الشرقية. اما القطاعات الاخرى فيمكن ايجاز اوضاعها على الشكل التالي : كان يعمل حوالي ٢٩،٥٠٠ شخص في قطاع البناء اي ١٧٪ من القوة العاملة . وحوالي ٦٠٠ شخص كانوا يعملون في المنشآت العامة . وحوالي ٢٠٠ شخص كانوا في المحلات الصغيرة لتصليح السيارات . وفي قطاع التعليم كان هناك حوالي ٣٨٢٠ معلما . اما في المستشفيات وقطاع الصحة فكان هناك ٧٠٩ بين طبيب وممرض وممرضة . وحوالي ٧٠٠ شخص كانوا يعملون في العام ١٩٦٧ في الصناعات التذكارية الصغيرة والبلاستيك وفي بعض المنشآت الصغيرة التي تنتج الالبسة والمفروشات الحديدية . هذا في منطقة بيت لحم . اما في منطقة الخليل فكانت هناك بعض الصناعات لانتاج الاغذية وصناعة الزجاج والاحذية . بلغ عدد العاملين فيها حوالي ٥٥٠ شخصا . وفي رام الله كانت في العام ١٩٦٧ بعض محلات المفروشات ، وعدد قليل من اماكن انتاج النبيذ والكحول ومصنع حلويات كان يشغلها حوالي ٣٥٠ عاملا . اما مجموع العاملين في الصناعات على اختلافها في منطقة نابلس فكان حوالي ١٣٥٠ عاملا . مجموع عدد سكان الضفة الغربية يبلغ ٥٩٨،٦٣٧ نسمة ، توزيعهم على الشكل التالي(٢): نابلس ١٥٢،٣٨١ والخليل ١١٨،٣٥٨ ورام الله ٨٨،٨٧٧ وجنين ٧٨،٢٩٥ وطولكرم ٧٢،٢٢٩ وبيت لحم ٤٩،٥١٥ والقدس ٢٩،٩٠٤ واريحا ٩٠٧٨ .

في نهاية العام ١٩٦٨ كان حجم القوة العاملة في الضفة الغربية حوالي ١٠٤،٠٥٣ — اي حوالي ٣٠،٣٪ بالنسبة لعدد السكان فوق سن الرابعة عشرة . من هؤلاء كان حوالي ٩٢،٦٠٠ اي ٨٩٪ يعملون في الضفة الغربية وفي اسرائيل . (وسوف نبين اثر الضغوط الاقتصادية على القوة العاملة وعلى توزيعها وتطورها في البحث اللاحق) . وفي نهاية العام ١٩٦٩ كان حجم القوة العاملة حوالي ١٠٨،٠٠٠ عامل ، بنسبة بطالة ٣٪ فقط. اما العمل نفسه فيتأمن عبر برامج للمشاريع العامة ، بناء الطرق والتشجير . بلغت نسبة العمال الزراعيين حوالي ٤٦٪ وفي الحرف والصناعات حوالي ١٥٪ ، في البناء والمشاريع العامة حوالي ١٢٪(٣). اما بالنسبة لقطاع غزة فان ما مساحته ٢٤٠،٢٤٠ دونما من مجموع مساحة تبلغ حوالي ٣٣٢،٦٤٠ دونما هو من الاراضي المزروعة ، من هذه الاراضي يقع حوالي ١٢٩،٣٦٠ دونما في شبكة الري بينما تروي الامطار فقط

المساحات المتبقية .
تعتبر زراعة الحمضيات في القطاع الجزء الرئيسي من نشاط القطاع ومن مصادر دخله الاساسية . وقد تأثر اقتصاد قطاع غزة تأثرا كبيرا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وخاصة بعد انقطاع سيل تجارة البضائع المعفاة من الضرائب الى الجمهورية العربية المتحدة . كما ان التجارة مع الدول العربية مثل لبنـــان وسوريا والعراق تقلصت لتصبح قائمة بشكل ضيق عبر الاردن فقط ، في حين ابتدات علاقات تجارية مع السوق الاسرائيلية . (وسوف نبين طبيعة هذه العلاقات الاقتصادية في بحث الضغوط) وقد احتكرت السوق الاسرائيلية كافة الصادرات الى القطاع .

يبلغ عدد سكان قطاع غزة ٣٥٦،٢٦١ (حسب احصاء شهـــر ايلول ١٩٦٧ ، المكتب الاحصائي المركزي لاسرائيل) . يتوزعون على الشكل التالي : غزة ١١٨،٢٧٢ وخان يونس ٥٢،٩٩٧ ورفح ٤٩،٨١٢ وجباليا ٤٣،٦٠٤ ودير البلح ١٨،١١٨ ومخيم النصيرات ١٧،٦٣٨ والبريج ١٢،٧٨٦ . ويسكن ٨،٨٪ من سكان القطـــاع في القرى (مقابل ٦٣،٣٪ في الضفة الغربية) . ٤٨،٤٪ من مجموع سكان القطاع يسكنون في المخيمات. ويعتمد غالب السكان على الدعم المالي الذي يأتي من ذويهم الذين يعملون في الخارج ، وعلى معونات وكالة الغوث .

تشكل قوة العمل في قطاع غزة نسبة صغيرة من مجموع السكان ، ففي نهاية العـــام ١٩٦٩ بلغ حجم قوة العمل حوالي ٥٤،٠٠٠ (حوالي ١٥٪ من عدد السكان) . بعد حرب حزيران كانت نسبة البطالة مرتفعة جدا (٣٦٪) وذلك بسبب غياب مصادر العمل الرئيسية في القطاع : جيش التحرير الفلسطيني ، الجيش المصري وقوات الطوارىء الدولية . أما في نهاية العام ١٩٦٩ فقد انخفضت نسبة البطالة لتصل الى حوالي ٤٪ (من قوة العمل) . يشكل العمال الزراعيون حوالي ٣٣٪ من مجموع قوة العمل، التجار حوالي ١٦٪ ، عمال الحرف والصناعات الخفيفة ١٤٪ ، عمال البناء ١٠٪ (٤).

وحول التعاطي الاقتصادي والعلاقات الاقتصادية في الضفـــة والقطاع نورد الصورة الموجزة التالية : بالنسبة للضفة فان القوة العاملة موزعة على الشكل التالي :
من اصل ٩٢،٦٠٠ عامل : في الزراعة ٤٢،٦٠٠ عامل وفي الخدمـــات ٢٧،١٠٠ عامل وفي الصناعة ١٠،١٥٠ عاملا وغير مصنفين ١٢،٧٥٠ .

منابع العون بالنسبة للنازحين :

	في المخيمات	خارج المخيمات
اونروا	٨٥،٨٪	٧٤،١٪
من الاقارب في الخارج	٦،٥ ٪	١٣،٧٪
من مصادر أخرى	٢،٠ ٪	٣،٦ ٪

وهناك ٨٦ مؤسسة خيرية تقدم الدعم وتسع منظمات دولية ، وتدعي الادارة العسكرية انها تقدم عونا الى جزء كبير من المحتاجين . وهناك ايضـــا العمال الذين يعملـــون في اسرائيل والذين سوف نأتي على دراسة اوضاعهم في القسم الاخير من هذا البحث . كما ان ما يقارب ٨١ بالمائة من عائلات قطاع غـــزة وشمالي سيناء يتلقـــون العون ، والمصدر الرئيسي هو الاقارب العاملون في الخارج . حوالي ٧٠،٠٠٠ شخص يتلقون العون من منظمة (CARE) الاميركية ، وتدعي الادارة العسكرية الاسرائيلية انها تتولى حوالي ثلث النشاط الانمائي في منطقة العريش عبر برنامج « الطعام مقابل العمل » ، حيث تتاح فرصة العمل مدة ١٥ يوما في الشهر للمحتاجين . الاجـــر اليومي للعامل المدرب هو ٣ ليرات اسرائيلية وغير المدرب ٢،٤٠ ليرة اسرائيلية . وتبلغ قيمة الاعاشة التي تقدم للفرد الواحد في الشهر حوالي ٦ ليرات اسرائيلية . في العام ١٩٦٩ شمل هذا البرنامج البدو ايضا ، وهم يتلقون حوالي ٣٥،٠٠٠ اعاشة .

ثانيا : فئات الضغوط الاقتصادية : ثلاث ملاحظات من الضروري تأكيدها في مقدمة بحث

فئات الضغوط الاقتصادية: ١) لا بد أن يؤخذ مجموع الاجراءات والقرارات التي أصدرتها سلطات الاحتلال بالنسبة لمختلف القطاعات ، بعين الاعتبار ككتلة واحدة . بمعنى انه . حتى نتمكن من حصر آثار تلك الاجـراءات ، وحتى نتلمس نتائجهـا على دورة الحياة الاقتصادية في المناطق المحتلة ، لا بد من اعتبارها مجتمعة وغير مجزأة . ٢) لا شك ان العديد من الاجراءات التي تحمل طابعا سياسيا او شكلا يتعلق بأمور الامن ، تفرز ، كضغوط ، آثارا مباشرة وغير مباشرة على الحياة الاقتصاديـة . فمنع التجول فترات طويلة ، وتقييد حرية التنقل ، واشاعة جو من القلق والتوتر مثلا ، كل هذه وغيرها تؤثر بشكل مباشر على الانتاجية وعلى الاستمرارية وعلـى العمل وعلى كثير مـن الامور الاقتصادية الرئيسية . ٣) لا شك ان الوضع الاقتصادي لمنطقـة تقع تحت الاحتلال ، يكون دائما في حالة عدم استقرار ، وخاصة اذا كانت هناك، كما هي الحال تحت الاحتلال الاسرائيلي، مخططات معادية وهادفة الى السيطرة الاقتصادية والاستغلال الاقتصادي، بالاضافة الى السياسة التوسعيـة الاستيطانية ، التي عرفت بهـا المطامع الصهيونية والاسرائيلية عبر تاريخها الطويل .

بعد هذه الملاحظات نعمد الى تعداد فئات الضغوط الاقتصادية وآثارها :

أ) **الهجرة والتهجير** : شهدت الضفة الغربية وشهد قطاع غزة ابان حرب حزيران ١٩٦٧ موجات كبيرة من الهجرة ، فقد قر ما مجموعـه حوالي ٢٠٠،٠٠٠ نسمة خلال الحرب (من الضفة الغربية وحدها) ومنذ ذلك الحـين اضطر آخرون قدر عددهم بحوالـي ٢١٠،٠٠٠ شخص (من الضفة الغربية وقطاع غزة) بدافع الخوف ونسف بيوتهم او فقدان اقربائهم الى مغادرة ديارهم واراضيهم. ولم يسمح الا لـ ١٤٠،٢٧ لاجئا بالعودة بالاضافة الى ١٨٤٧ دخلوا بموجب « مشروع جمع شمل العائلات »(٥). ان لهذه الهجرة بالاضافة لمعانيها وآثارها الاخرى ، وقع رهيب على الحالة الاقتصادية من ناحية النشاط الاقتصادي، والقوة العاملة فيه ، ثم من ناحية الاستهلاك والتوفـير وحوافز الانتاج الاخرى . انه من الصعب جدا تقدير الدلالة الاقتصادية لعمليات الهجرة والتهجير ولعل فقدان الممتلكات الفردية وفقدان موارد الرزق (فرص العمل والانتاج) تمثل أهم الفئات من الخسائر التي سببها الاحتلال وادت الى الهجرة . لا بد من النظر الى هذه الخسائر من زاويتين : الاولى ، اثرها على المهاجرين انفسهم ، والثانية : اثرهـا على اقتصاد الضفة والقطاع ، هذا الاقتصاد الذي جاء وجود اسرائيل بين الضفة والقطاع وعامل الهجرة ليكسرا دورته الطبيعية .

ب) **تهديم المنازل** : بغض النظر عن العدد الحقيقي للمنازل التي قامت سلطات الاحتلال بتدميرها ، اما بعد الحرب مباشرة او خلال الفترة التي تلت الحـرب ، عبر اجراءات العقاب الجماعي او بالادعاء بأن احتياطات الامن انما تكمن وراء هذه الاجراءات (هناك تقدير نعتقده قريبا من الحقيقة لعدد المنازل التي هدمت حتى اواخـر العام ١٩٦٩ ، يصل تقريبا الى ٧٥٤٢ منزلا) . بغض النظر عن العدد الحقيقي ، وكذلك عن الاسباب وراء التهديم ، فان تهديم المنازل ادى الى عدة نتائج اثرت على الوضع الاقتصادي تأثيرا بالغا واصابت استقرار الناس في صميمه من النواحي التالية : اجبار اصحاب البيوت المهدمة على دفع ايجارات لم يكونوا يتوقعونها ، التشويش والتوتر الذي اصاب الاعمال والوظائف ، من جهة انقطاعها والاضطرار الى البحث عن عمل في أماكن مختلفة ، الحيف الاقتصادي الذي أصاب حياة الناس من جراء عمليات التهديم ، تدمير قسم من راس المال المنتج لدى السكان ، فبين العاشر والخامس والعشرين من حزيران ١٩٦٧ اي بعد حرب الايام الستة مباشرة دمرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي منازل ثلاث قرى عربية في قضاء رام الله/البيرة ، هي قرى : عمواس ، بيت نوبا ويالو . مجموع عدد المنازل التي تهدمت هو ١٩٠٠ منزل ، تبلغ تكاليفها التقديرية ، حسب تقديرات مخاتير القرى مـا مجموعه ١،١٢٣،٣١٢ دينارا. بعد هذا التاريخ قامت سلطات الاحتلال بتدمير حوالي ٥٦٤٠ منزلا

في الاراضي المحتلة ، يكون المجموع في أواخر ١٩٦٩ حوالي ٧٥٤٠ منزلا ، اذا افترضنا الآن ان قيمة تكاليف المنازل التي تهدمت بعد تدمير منـــازل القرى الثلاث ، تتقارب مع تكاليف منازل القرى نفسها ، لوجدنا ان القيمة الاجمالية لتكاليف المنـــازل التي تهدمت تصـــل الى حوالي ٤٤،٤٥٧،٩٠٠ دينـــار . هذا الرقـــم يمثـــل الحد الادنـــى مـــن الخسائر الناجمة عن تدمير هذه المنازل ، لانه يمثل قيمة تكاليف بنائها فقط ولا يشمل قيمة محتوياتها (وان كان الكثير منها قد افرغ من محتوياته قبل النسف) ولا يشمل أيضا قيمة الاراضي التي اقيمت عليها هذه المنازل والتي تم الاستيلاء عليها . (لقد تم الاستيلاء على اراضي القرى الثلاث المذكورة وعلى بعض الاراضي الاخرى ، وليس على كافة الاراضي التي تهدمت المنازل فوقها) .

نورد هنا احصائية بمساحة اراضي القرى الثلاث التي تم الاستيلاء عليها ، لنعطي فكرة عن حجم الخسائر المادية التي لو أمكن تقديرها لبلغت ملايين الدنانير . **قرية عمواس** : كانت مساحة اراضيها في العام ١٩٤٨ حوالي ٣٠،٠٠٠ دونم ، استولى عليها العدو في ذلك الحين وابقى للقرية ٢،٠٠٠ دونم منها ليعود يستولي عليهـــا في حزيران ١٩٦٧ . **قرية بيت نوبا** : مساحتها في العام ١٩٤٨ حوالي ١٦،٠٠٠ دونم ، استولى عليها العدو وعاد في حزيران ١٩٦٧ ليستولي على ما تبقى وهـــو ٤،٠٠٠ دونم . **قرية يالو** : كانت مساحتها ١٧،٨٠٠ دونم ، بقي منها ٤،٠٠٠ استولت عليها سلطات الاحتلال خلال حرب حزيران . ان هذه الخسارة الواسعة للارض واضطرار السكان الى الانتقال الى مناطق مجاورة ، ادت الى ضغط سكاني على الموارد الطبيعية لا بد من اخذه بعين الاعتبار .

ج) **الاعتقالات والتوقيفات الواسعة النطاق** : ربما كان من الصعب تحديد عدد المعتقلين والموقوفين في سجون العدو ومراكزه ، ولكننا نتمكن من القـــول انه لم يمض شهر منذ حزيران ١٩٦٧ الا وكان فيه معتقلون وموقوفون اداريا ، وتحقيقات والى ما هنالك من مثل هذه الاجراءات . انه بصرف النظـــر عن الاذى الذي يلحق بالمواطنين مـــن هذه الاجراءات ، فان الاعتقالات والتوقيف الاداري الذي تمارسه سلطـــات الاحتلال تؤثر بشكل مباشر على اوضاع العمل واستمراريته . ان الانقطاع عن العمل بسبب الاعتقال او التوقيف او التحقيق يصيب ناحيتين : العامل او الموظف نفسه من ناحية ، ومكان العمل من ناحية اخرى . وعندما تكون هذه الحالة دائمة وشاملة لعدد كبير من الحالات فان الحياة الاقتصادية تتأثر من جرائها تأثرا بالغا .

د) **عدم الاستقرار الاقتصادي الناجم عن الاحتلال** : ربما كانت حركة الاستثمار واحدا من اهم اعصاب حركة الحياة الاقتصادية في بلد ما ، فهي التي تنعش الاقتصاد وتعمل على تحقيق تسارع دورته (بتنشيط حوافز الانتاج) وربما كان الاطمئنان والاستقرار من أهم الشروط لنمو حركة الاستثمار وتصاعدها . ولا شك ان الاحتلال العسكري هو من اشد العوامل الباعثة على عدم الاطمئنان وعدم الاستقرار . هذه الصورة تعيشها ، منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ، الاراضي العربية التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي . ولا تفيد، بصدد تغيير النتائج الاقتصادية المترتبة على الاحتلال ، جملة المحاولات المصطنعة التي بمكن ان تبذل . فلا صورة البحبوحة السطحية ، ولا الازدهار الشكلي ، يمكن لهما ان يدفعا بحركة الاستثمار الى تنشيط فعلي لدورة الحياة الاقتصادية . ما نقصده ، من هذه الزاوية ، هي الارقام التي تشير اليها بعض الاستنتاجات الاسرائيليـــة حول اقتصاد المناطق المحتلة ، اذ تحاول هذه الارقام اعطاء صورة مشرقة حول الاوضاع القائمة ، وربما كانت الارقام صحيحة ، ولكن العامل الحاسم هـــو زاوية النظرة الى الاوضاع الاقتصادية . الجهات الاسرائيلية تعتبر النتائج التي توصلت لها سياساتها الاقتصادية في المناطق المحتلة ، دلائل نمو وتطور . وفي الواقع فانه لا يجوز ان يقيم اقتصاد المناطق المحتلة من زاوية ارتباطه بالاقتصاد والتخطيط الاقتصادي الاسرائيلي الذي يحاول ان يبتلعه ، وفي أحسن الاحوال يريد ان يخضعه لمخططاته التوسعية العدوانية . وانما لا

بد ان تكون زاوية تقييم اقتصاد المناطق المحتلة ، على أساس انه اقتصاد مستقل ، كانت ارتباطاته تمتد (قبل الاحتلال) داخل اطار اقتصاد الضفتين . الى ماذا تشير الارقام الاسرائيلية ؟ تبين دراسة قام بها « بنك اسرائيل » في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧(٦)، ان النشاط الاقتصادي في هذه المناطق ازداد نموا وباضطراد طيلة العام ١٩٦٩ ، كما ان ارتفاعا في مستوى المعيشة رافق هذا النمو . وان الناتج القومي العام، بالارقام الفعلية ارتفع بنسبة ٢٥٪ (بالنسبة للسنة السابقة) . كما ان نسبة الانتاج للفرد ارتفعت بـ ٢٣٪ . وقد ارتفعت المداخيل وكذلك الطلب الخاص بنسبة ١٩٪ . واستمر عامل الارتباط باسرائيل بكونه المحرك الحقيقي للاقتصاد . اخذت المناطق المحتلة ما نسبته فقط ١،٥٪ من صادرات اسرائيل (اقل من ١٪ من الناتج القومي الاسرائيلي) ولكن هذه النسبة تساوي حوالي ١٧٪ من الناتج القومي للمناطق المحتلة للعام ١٩٦٩ . اما العجز في الميزان التجاري (حوالي ١٤٦ مليون ليرة اسرائيلية) فقد أمكن التغلب عليه بواسطة المقبوضات (اجور العمال الذين يعملون في اسرائيل زائدا الاستثمارات والمعونات الخ . . .) تضاعفت الاستثمارات في العام ١٩٦٩ الى مبلغ ٦٧ مليون ليرة اسرائيلية ، منها ٤٤ مليونا للضفة الغربية و٢٣ مليونا لقطاع غزة وشمالي سيناء . كان نصف قيمة الاستثمارات في القطاع العام وبواسطة السلطات العسكرية والمحلية ، وكذلك كان الاستثمار الخاص في ازدياد ونمو . هذا ما تقوله الارقام الاسرائيلية وهو يؤكد ، بالفعل، خطورة المحاولات الاسرائيلية الرامية الى السيطرة على اقتصاد المناطق المحتلة واضفاء صورة مزيفة من الازدهار على تلك المناطق .

هـ) **ارتفاع ضرائب الاستيراد وأثره على صغار التجار (بشكل خاص)** : لقد اضطر عدد كبير من أصحاب المحلات التجارية الى ترك مهنتهم الاساسية والعمل خارج المناطق المحتلة ، نتيجة الارهاب والضغط الاقتصادي ، المتمثل باجبارهم اما على شراء بضائعهم من تجار الجملة الاسرائيليين وبأسعار مرتفعة ، او باستيرادها من الضفة الشرقية وبضرائب استيراد مرتفعة جدا . وقد توسعت سلطات الاحتلال في فرض الضرائب على السلع المستوردة وضاعفت من قيمة الضريبة ، نورد هنا بعض الامثلة :

	قبل الاحتلال	
ـ الرز يستوفى	٥٠ فلسا كرسم جمركي	الضريبة كانت ٢٥ فلسا تقريبا
ـ الشاي	٢٦٠ فلسا كرسم جمركي	الضريبة كانت ١٣٠ فلسا تقريبا
ـ الزجاج	٩٠٪ من قيمته كرسم جمركي	٤٥٪ من قيمته تقريبا
ـ القرطاسية	١٥٪ من قيمته كرسم جمركي	لم تكن هناك ضريبة اطلاقا
ـ المنسوجات	١٥٪ من قيمته كرسم جمركي	لم تكن هناك ضريبة اطلاقا

وتجدر الملاحظة ان السلطات الاسرائيلية تمنع استيراد بعض السلع (السكر مثلا) ، وتقوم هي باستيراده وتبيعه بأسعار احتكارية ، وتقدر أرباح الخزينة الاسرائيلية بحوالي ١٠٠٠ دينار يوميا من الضفة الغربية لوحدها ومن السكر لوحده . ويتمثل الضغط الاقتصادي أيضا باغلاق الاسواق بأوامر عسكرية وفرض الحصار على بعض المناطق والاحياء التجارية كما حصل في الخليل وغزة . وكذلك اجبار التجار على دفع ما يمثل نصف قيمة البضائع التي يريدون استيرادها الى السلطات الاسرائيلية كتأمين من أجل الحصول على اجازة استيراد ولا يمكن استرداد هذا التأمين قبل مدة ستة شهور على دفعه ، مما يؤدي الى تجميد هذه المبالغ ، الامر الذي يعود بالربح على الخزينة الاسرائيلية بسبب تمكنها من التصرف بهذه الاموال .

و) **صعوبات التحويل من الخارج** : لقد بينا في مقدمة بحث فئات الضغوط الاقتصادية أن نسبة كبيرة من شعبنا في الاراضي المحتلة تعيش على ما يحوله لها ابناؤها الذين يعملون خارج الاراضي المحتلة وخاصة في دول الخليج العربي . حتى هذا المدخول لم تتركه سلطات الاحتلال دون تضييق وتعقيد ، فقد أخضعت سعر التحويلات الى تعادل في

مسالح العملة الاسرائيلية ، مما ادى الى خفض قيمة التحويلات بالنسبة لشعبنا وزيادة مدخول الخزينة الاسرائيلية من هذا الباب ايضا .

ز) **مصادرة الممتلكات والاراضي وتفريغ المنازل من أجل الاسكان** (وهو بند يختلف عن تهديم المنازل) : لقد اشرنا سابقا الى عدد المنازل التي نسفت بعد الاحتلال في العام ١٩٦٧ وكذلك الى مساحة الاراضي التي استولت عليها سلطات الاحتلال وخاصة في القرى الثلاث عمواس ، بيت نوبا ، ويالو في قضاء رام‌الله / البيرة . ان سجل الاستيلاء والمصادرة الذي كونته ممارسة سلطات الاحتلال في السنوات الاخيرة القليلة كبير وحافل ، لذلك سوف نكتفي بالاشارة الى اهم البنود فيه ، للدلالة على ضخامة العبء الناتج عنه (ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى كتاب روحي الخطيب المشار اليه في الحاشية رقم ٧) : ١) بتاريخ ١٩٦٨/٤/١٨ نشر في الجريدة الرسمية الاسرائيلية عدد ١٤٤٣ امر يتعلق بمصادرة الاراضي والمباني العربيه داخل اسوار القدس القديمة . تمتد المساحة المصادرة بين السور الجنوبي الغربي للحرم الشريف والحي الارمني داخل اسوار المدينة . تقدر المساحة بحوالي ١١٦ دونما . وهي في غالبيتها العظمى املاك عربية (حوالي ٥٩٥ منزلا عربيا من اصل ٧٠٠ منزل شملتها المصادرة) ، ويسكنها حوالي ٦٠٠٠ عربي(٧). ٢) نشر في جريدة الوقائع الاسرائيلية (النشرة العبرية) رقم ١٦٥٦ بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠ ، اعلان من وزير المالية الاسرائيلي يتعلق بمصادرة اراض جديدة في القدس : قطعة ارض مساحتها الاجمالية ٤٧٠ دونما وتقع في منطقة النبي يعقوب . قطعة ارض اخرى مساحتها ٤٤٨٤٠ دونما تقع شمالي — غربي القدس . واحدة اخرى بجنوبي شرقي القدس تبلغ مساحتها حوالي ٢٤٢٠ دونما . وفي جنوبي — غربي المدينة قطعة مساحتها ٢٧٠٠ دونم تقريبا . ثم مجموعة اراض في مواقع مختلفة من القدس تقدر مساحتها الاجمالية بحوالي ١٤٣٠ دونما . وتكون المساحة الاجمالية المصادرة بموجب هذا القرار المعلن بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠ حوالي ١١٦٨٠ دونما(٨). ٣) بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٤ نشرت جريدة هآرتس الاسرائيلية خبرا احتوى المعلومات التالية : تقوم وزارة الاسكان ببناء ثلاثة آلاف وحدة سكن في شرقي القدس ، كما تقوم شركات تجارية ببناء ٥٠٠ وحدة سكنية اخرى ، ومن المتوقع أن يتم بناء ٦٩٨ وحدة سكن اخرى في ضاحية رامات اشكول . وكذلك ١٥٠ وحدة على جبل سكوبس و١٢ عمارة في كرم لويز . ٤) بتاريخ ١٩٧١/١/٥ نشرت هآرتس الخبر التالي : «تعمل في البلدة القديمة وحدة خاصة مهمتها تخلية عقارات الحي من السكان العرب ولم يبق منهم حتى الان سوى ٢٥٠٠ عائلة تبذل الجهود لاخلائهم . فقد تم مؤخرا اخلاء خمسين حانوتا وحوالي ٣٠٠٠ ساكن عربي في الحي » . ٥) وقد نشرت جريدة « معاريف » بأعدادها بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١٣ و١٩٧١/١/١١ و١٩٧١/١/١٤ معلومات حول التخطيط لانشاء ٣٣ الف وحدة سكن جديدة في الاراضي المستملكة والمصادرة حديثا . وقد جاء في عدد ١٩٧٠/١/١٤ وضمن مقال حول الموضوع : « لو كنا حقا نخشى الردود العربية او اية ردود اخرى لهذه الخطوة الهامة في مواصلة العمل لتوحيد شطري القدس لما اقدمنا على مصادرة هذه الاراضي»(٩). ٦) في الجولان اقيمت ١٤ قرية ، وفي الضفة الغربية ٩ «قرى دفاعية» وخمس مستعمرات في شبه جزيرة سيناء . اما في قطاع غزة فقد انشئت اول «مستعمرة دفاعية » في مطلع شهر ١٩٧٠/١٢ ، الدوافع وراء كل ذلك : استراتيجية — سياسية — جغرافية — اقتصادية(١٠) « كلما ازداد عدد المستعمرات في المناطق الهامة استراتيجيا ، تضاعفت فرصنا في المستقبل لاقامة حدود آمنة » (يغال آلون) . ٧) هناك خطة سوف يحضر على اساسها ٣٥٠٠ اسرائيلي لغاية العام ١٩٧٥ للاقامة في ١٧ قرية جديدة في الجولان ، وخطة اخرى لانشاء ثلاثة مراكز سكنية ومركزين سياحيين . ٨) ان الاستيلاء على اراضي الفلاحين في غور الاردن لم يعد امرا خافيا على احد (كيبوتس « مهولا ») وكذلك قرار الحكومة الاسرائيلية باقامة ٢٥٠ وحدة سكنية في الخليل(١١). هذا قليل من

كثير يمكن ايراده في هذا الصدد وهو يثبت ان كافة الاجراءات المتعلقة بتفريغ المنازل ومصادرة الممتلكات والاراضي انما ترمي الى غايتين : غاية توسعية بفرض الامر الواقع وخلق « حقائق جديدة » ، وغاية اخرى هي افساح المجال للمستوطنين الجدد .

ح) **فرض الضرائب الاسرائيلية علـــى القدس وبعض الضرائب على المناطـــق المحتلة الاخرى** : ذكرنا سابقا الضرائب على الاستيراد التي فرضتها السلطة المحتلة على تجار المناطق المحتلة والتي سببت لهم ضيقا وضغطا جديدا فوق ما يعانونه . بالاضافة الى هذه الضريبة هناك عدة ضرائب اخرى جديدة :

ـــ ضريبة الانتاج ، وهي ضريبة على السلع التي تصنع محليا ، وقد تدرجت هذه الضريبة حتى أصبحت تشمل كافة السلع التي تنتج مهما بلغت قيمتها. وازدادت حتى بلغت ١٥ ٪ من قيمة السلعة . من الطبيعي ان يكون أثر فرض هـــذه الضريبة كبيرا على ارتفاع الاسعار ، مما سبب ضيقا ، وبشكل خاص، على أصحاب الدخول البسيطة من الحرفيين الصغار (كالنجارين والحدادين ومعامل البلاط والخزف والنسيج واشغال الابرة) . حتى الصناعات البسيطة مثل تلك التي تعبر عن رموز دينية مقدسة شملها هذا الاجراء، فقد احتجز موظفو الجمارك هذا الانتاج الديني ، بحجة انه لم تدفع عليه ضريبة الانتاج .

ـــ ضرائب الدخل ، بقصد مزيد من الضغط الاقتصادي والتضييق الهادف الى قهر صمود المواطنين وبالتالي اجبارهم على مزيد من الارتباطات بالمخططات الاسرائيلية ، تلاحق الادارة المحتلة اصحاب المحال التجارية ، الذين يعانون كافة انواع الضيق حتى ان كثيرين منهم أصبحوا عاجزين عن سداد ايجارات محالهم، تلاحقهم الادارة الاسرائيلية بضرورة دفع ضريبة الدخل ، التي تحددها هي بمستواها المطبق في اسرائيل . واكثر من ذلك فانها تطالبهم بضرائب دخل استحقت عليهم قبل الاحتلال (كمطالبتها شركة الزيوت بمبلغ ٢٥ الف دينار كضريبة عن ارباحها، ورفضها اعطاءها براءة ذمة لاجل الاستيراد).

ـــ ضريبة الدفاع ، نشرت جريدة القدس الاسرائيلية في عددها الصادر بتاريخ ٧٠/٢/٤ قرارا لوزير المالية الاسرائيلية يقضي بجباية ضريبة الدفاع عن استهلاك الكهرباء على مواطني القدس العربية ، وقد أعلن احد المسؤولين انه ستتم في المستقبل جباية ضريبة الدفاع على استهلاك الكهرباء في جميع المناطق .

ـــ الضريبة على السيارات ، تحصل السلطات الاسرائيلية ٤٠٠٠ ليرة اسرائيلية عن كل سيارة خصوصية تباع الى أي شخص في القدس العربية ، وقد حجزت السلطات كافة السيارات التي بيعت هناك والتي لم يستجب اصحابها للقرار بدفع القيمة المذكورة. بالاضافة الى هذه القضية فاننا نلاحظ هنا الاستنزاف المخطط ، اذ حسبنا على اساس تقدير معين (تشير الارقام التقريبية الى أن الرسوم الجمركية على بضائع المناطق المحتلة تبلغ ربع مليون دينار أردني شهريا) عائدات الخزينة الاسرائيلية طيلة ثلاث سنوات من الاحتلال فقط من الرسوم الجمركية المفروضة على بضائع المنطقة المحتلة فوصلنا الى مبلغ تقريبي هو عشرة ملايين دينار اردني .

ط) **ارتفاع الاسعار وتكاليف المعيشة** : فئات صغيرة من ابناء شعبنا في المناطق المحتلة لم يؤثر عليها كثيرا ارتفاع الاسعار وارتفاع تكاليف المعيشة ، بينما عانت وتعاني الكثير من أثر الضغوط الاخرى التي عددناها والتي توجه ضد شعبنا يوميا . هذه الفئات هي : العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل (وسوف نتعرض بعد قليل لاوضاعهم) وموظفو الحكومة الذين يتقاضون راتبين من الادارة الاسرائيلية والحكومة الاردنية . أما باقي فئات شعبنا الرازحة تحت الاحتلال كالمزارعين والعاطلين عـــن العمل ، فان ارتفاع الاسعار المضطرد يمثل عبئا حياتيا عليها يكاد يخنقها ويشلها ، فهي كما بينا سابقا ، تتعرض لكافة أنواع الضغوط بالاضافة الى الحالة السياسية القائمة التي يعيشها شعب تحت احتلال معـــاد لا يلتفت الى حقوق الانســـان البديهية ولا يراعـــي ابسط شروط العيش . نورد فيما يلي بعض الفروقات في اسعار السلع الحياتية الرئيسية بين عامي

١٩٦٧ و١٩٦٩ : الرز من ٧٠ ــ ٨٠ فلسا للكيلو الى ١٠٠ ــ ١٣٥ والسكر من ٤٠ الى ٦٥ والشاي من ٨٠ ــ ٨٥ الى ٩٠ ــ ١٠٠ والحبوب من ٩٥ الى ١١٠ والخبز من ٩٥ الى ١١٠ والصابون من ٢٣٠ الى ٢٦٠ والقهوة من ٥٥ للمئة غرام الى ٨٠ .
لا شك ان العبء الذي يمثله ارتفاع الاسعار هذا يمكن اعتباره مضاعفا (وخاصة ان هذه المواد هي من المواد الرئيسية التي لا يمكن الاستغناء عنها) اذا اخذنا بعين الاعتبار الانخفاض في المداخيل . يكون الارتفاع في مستوى الاسعار مؤشرا الى تحسن في مستوى المعيشة العام ، فقط عندما يرافقه او يسبقه ارتفاع في المداخيل . ولكن ارتفاع الاسعار في المناطق المحتلة ، الذي نحقق بسبب عدة عوامل منها ارتفاع اسعار الجملة ومنهـا الرسوم الجمركية المرتفعة ، انما يمثل ضغطا اقتصاديا جديدا واستنزافا موجها الى صمود الناس ومعنوياتهم .

ي) **اغلاق الحسابات ومصادرتها في البنوك العربية** (١٢): ان الاستمرار في اغلاق البنك العربي والبنك العثماني والبنك البريطاني للشرق الاوسط وفروعها في الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل يسبب قلقا واضطرابا للالاف من سكان القدس الغربية والضفة الغربية كلها ، اذ ان هؤلاء ما زالوا يملكون الملايين من الدنانير في الاردن ولا يستطيعون الاستفادة من خدمات البنوك التي وضعوا ودائعهم فيها .
قامت بعد الاحتلال مباشرة مجموعة خاصة من قبل السلطة العسكرية بتدقيق حسابات ٣١ فرع بنك في الضفة الغربية فوجدت ان ميزان الموجودات العام يبلغ حوالي ١٥ مليون دينار . اما موجودات البنوك النقدية فبلغت ٦٢٠،٠٠٠ دينار (كان النقد الفعلي الموجود في الخزائن حوالي ٤٨٠،٠٠٠ دينار بسبب السحوبات في اللحظة الاخيرة) . بلغت قيمة الودائع ١٣ مليون دينار وحسابات الفروع الاخرى (للبنوك نفسها) حوالي مليوني دينار . بلغت قيمة الودائع في فروع البنكين الانكليزيين عشية الاحتلال ما مجموعه ٤،٥ مليون دينار ، وهي تمثل حوالي ثلث الودائع العامة في بنوك الضفة الغربية ، اي حوالي ٢٥ ٪ من وسائل الدفع المتداولة الان في الضفة الغربية باستثناء القدس . جملة القروض غير المدفوعة تبلغ ١،٧ مليون دينار . على ضوء هذه الصورة قامت السلطة العسكرية باغلاق البنوك ريثما يتخذ قرار بشأنها . ومع هذه القضية برزت مشكلة ٣٠٠ موظف اصبحوا بلا عمل نتيجة لاغلاق البنوك وفروعها . ان هذه المشكلة ما زالت قائمة حتى الان ولا يخفى على احد اثرها ودلالتها . وربما يفيدنا ان نحدد عناصر الموقف الاسرائيلي من قضية البنوك ، لمعرفة الزاوية التي تنظر مـن خلالها سلطات الاحتـلال الى هذه القضية : ١) ان اقتصاد الضفة الغربية هو اقتصاد بدائي ، لذلك فانه ليس بحاجة الى شبكة بنوك ولا الى معاملات بنكية (تصريحات حاكم البنك المركزي في اسرائيل ومقالات الصحف الاسرائيلية مثل الايكونومست الاسرائيلية حزيران ١٩٦٨ ، ص ٢٣٧) . ٢) رغم ذلك فان السلطات الاسرائيلية ترغب في اعادة فتح البنوك لان ذلك « يؤدي الى اعادة الحياة الى طبيعتها في المناطق المحتلة وفي الوقت نفسه يشد اواصر الروابط الفعلية بين المناطق التي تشرف عليها اسرائيل والبلدان العربية » (المرجع نفسه ، ص ٢٣٦) . ٣) تشترط السلطات الاسرائيلية ان يستمر اشراف بنـك اسرائيل على معاملات هذه البنوك ، حتى لا تظل مرتبطة بالبنوك الام في عمان ، وان تخضع هذه البنوك لقوانين البنوك الاجنبية في اسرائيل .
اما ما يمثله استمرار اغلاق البنوك بالنسبة لشعبنا في الاراضي المحتلة فيمكن تلخيصه بما يلي : ١) استمرار القيد على حركة الاقتصـاد ، والضيق الذي يسببه ذلك على المودعين والتجار وغيرهم . ٢) استمرار الحيف اللاحق بالموظفين (ذكرنا انهم حوالي ٣٠٠ موظف) ، من حيث بقائهم خارج وظائفهم الاصلية ، واضطرارهم للبحث عن عمل جديد في وضع اقتصادي صعب . ٣) تعميق سيطرة السلطات الاسرائيلية على اقتصاد الضفة الغربية ، وبالتالي على كافة جوانب الحياة فيها . (هناك الان ١٣ فرعا لبنوك

اسرائيلية تعمل في المناطق المحتلة منها ٩ في الضفة الغربية و٤ في قطاع غزة) . وهذا كله يشترك مع فئات الضغوط الاخرى في مخطط مدروس لاذلال شعبنا وقهر صموده .

ك) **تقلص الزراعة والانتاج الزراعي بسبب الارهاب المخطط** : ذكرنا سابقا ان الزراعة هي القطاع الاقتصادي الرئيسي والاهم بالنسبة لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، فهو يشمل ٤٧٪ من سكان الضفة و٣٩،٥٪ من سكان القطاع . وعلى هذا الاساس فان سياسة الارهاب التي مارستها السلطة المحتلة نجاه هذا القطاع الاقتصادي تعتبر من ابرز نشاطاتها الموجهة ضد شعبنا وضـــد صموده . ١) قامت القوات الاسرائيلية في مناسبات عدة بحرق المزروعات في مناطق الاغوار وطوباس بحجة مطاردة الفدائيين ، ٢) منع مزارعي الاغوار من الوصول الى بياراتهم واغلاق مناطق زراعية اخرى في وجه المزارعين ، وعدم منحهم التصاريح لتفقد بياراتهم ومزارعهم الواقعة في الاغوار .

(تعتبر « قضية رؤوف الحلبي » مثالا صارخا على سياسة الارهاب الاسرائيلية في هذا الصدد . كان الحلبي مزارعا في الغور الشرقي ، وظل متمسكا بأرضه على خط وقف اطلاق النار ، جاعلا منها نقطة تمركز ضاربة للفدائيين ، غير آبه بالقصف اليومي الذي كان يتعرض له من قبل القوات الاسرائيلية ، محاولة منعه من القيام بنشاطه الزراعي . ولكن الحلبي لم يستسلم ولم يهدأ الى أن استشهد في أواخر العام ١٩٦٩ على اثر قصف مباشر اصابه في منزله ضمن مزرعته في الغور الشرقي . وكانت مجلة «التايم» الاميركية قد كتبت تحقيقا عنه وعن محاولاته ونشاطه الزراعي قبل عام من استشهاده تقريبا .) ٣) فرض منع التجول ولمدة طويلة على المناطق الزراعية ممـــا ادى الى تلف الثمار في الحقول نتيجة عدم تمكن المزارعين من جني ثمار مزروعاتهم . ٤) نتيجة لسياسة الارهاب والتهجير وفرض الحصار ومنع التجول المتواصل فقـــد ترك ما لا يقل عن ٧٠٪ مـــن الاراضي الصالحة للزراعة دون فلاحة .

ل) **القيود (المالية خاصة) على الدخول والخروج من الاراضي المحتلة** : لا بد ، قبل البدء في تعداد نوعية القيود التي تفرضها سلطات الاحتلال على أبنـــاء شعبنا وعلى حركة خروجهم ودخولهم من والى الاراضي الواقعة تحت الاحتلال من ابداء ملاحظة هامة : ان سلطات الاحتلال لم تضع هذه القيود على حركة السفر من اجل منع السكان من المغادرة او من العودة ، وانما قصدت في الدرجة الاولى الى ارهاقهم او استنزافهم ، باتجاه مزيد من السيطرة عليهم وعلى مصيرهم . هذا ما تشير اليه ، بالفعل ، نوعية القيود التي فرضتها سلطة الاحتلال : ١) لا عودة للذين يغادرون بتصاريح عمل او دراسة قبل ستة أشهر ، هذا يعني مزيدا من تحطيم احتمالات الاستقرار في الضفة او في القطاع ، وخاصة بالنسبة للذين يخرجون بحثا عن عمل ولا يوفقون بذلك . ٢) اجبار كل شخص يتأخر عن العودة بموجب تصريح الخروج ان يدفع دينارا عن كل يوم يتأخر مهما كان العائق الذي تسبب في تأخره . ٣) فرض على جميع المواطنين والتجار الذين يرغبون في الحصول على تصاريح سفر تقديم كفالة مالية موقعة من تجار ثلاثـــة والصاق طوابع على الكفالات المالية بمعدل ١٥٠ فلسا عن كل مائة دينار وقد سرى مفعول هذا الامر الذي نشر في جريدة القدس الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١/٣٠ في عددها رقم ٣٦٩ بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٩ وقد وزعت قيمة كل كفالة كما يلي : اصحاب السيارات والتجار، ٢٠ الف ليرة اسرائيلية، تصاريح الزيارة ، ٥ آلاف ليرة اسرائيلية ، تصاريح الاشخاص من سن ١٤ ــ ٤٥ ، ٥ آلاف ليرة اسرائيلية ، تصاريح الطلاب ، ٥ آلاف ليرة اسرائيلية ، طلبات جمع الشمل ، ١٠ آلاف ليرة . ان العبء الذي تفرضه هذه الاجراءات كبير جدا ، وخاصة ان الناس لا يمكن ان يتجنبوها ، فهم مضطرون للخروج لانجاز اعمالهم . وكذلك فان العائدات لخزينة سلطات الاحتلال كبيرة ايضا ، فقد خرج عبر الجسور في العام ١٩٦٩ حوالي مائة الف شخص ، وبلغ عدد الذين عادوا ضمن برنامج جمع الشمل ٣٩٢٩ شخصا . ٤) فرض القيود على الحجاج الفلسطينيين باجبار كل حاج يغادر بلده الى مكة على دفع كفالة مالية

مقدارها ٥٠ دينارا لكل حاج . ٥) بالاضافة الى هذه الاعباء تأتي قضية الرشاوى التي يأخذها المختصون باصدار التصاريح من اجل الاسراع في الحصول على التصريح ، لان مدة اعطاء التصريح غير محددة ، فقد تطول لمدة تزيد عـــن الشهر ، ومن هنا يضطر اصحاب الاعمال الى دفع هذه الرشاوى خوفا على مصالحهم من التعطيل . من الصعب جدا اعطاء أرقام دقيقة تدل على حجم هذه الفئة من الضغوط ماديا ، ولكنها بدون شك تعتبر عبئا ثقيلا يزيد في قهر شعبنا الرازح تحت الاحتلال .

م) **الاستيلاء على أموال وممتلكات المبعدين والغائبين** : بالاضافة الى العدد الكبير من ابناء شعبنا الذين هاجروا وهجروا اثناء حرب حزيران وبعدها ، هناك مجموعة أخرى من مواطني الضفة الغربية والقطاع أبعدوا عن هذه المناطق ولا زالت السلطات الاسرائيلية تمنع عودتهم وهم موجودون في الكويت وغيرها من البلدان ، وقد وضعت السلطات يدها على ممتلكاتهم وعقاراتهم ، ورفضت الاعتراف بوكلائهم او اقاربهم كمشرفين على هذه الممتلكات ، كما عمدت السلطات الاسرائيلية الى تأجير واستغلال الاموال مستفيدة من العائدات لخزينتها هي . انه من الصعب جدا الوصول الى الارقام التي توضح حجم هذه الفئة من الضغوط ، ولكننا على أي حال نتمكن من القول بأن شعبنا يعاني كثيرا منها . ولا بد من التوصل الى حل في صددها .

ن) **العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل** : ابقينا بحث هذا الموضوع الى الفقرة الاخيرة من دراسة فئات الضغوط الاقتصادية ، وذلك لاهميتـــه وحساسيته ، ولكونه في نظرنا بحاجة الى وقفة دقيقة في خطة الصمود .

ترتكز اهمية هذا الموضوع الى العوامل التالية : ١) ان ما يزيد عن ثلاثين الفا (٣٠٠٠٠) من ابناء شعبنا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة يعملون داخل اسرائيل وبشكل خاص في قطاعي البناء والزراعة. ٢) ان السلطات الاسرائيلية تطمح (حسب برامج مكاتب العمل الاسرائيلية الموزعة في المناطق المحتلة) الى اغراء ٢٥ الفا آخرين في العام للعمل داخل اسرائيل ، وذلك بدفع أجور مرتفعة نسبيا عما يمكن ان يتقاضوه في مناطقهم لو توفرت فرص العمل لهم هناك (وقد أشرنا سابقا الى صعوبة بل استحالة توفر فرص العمل). ٣) ان هؤلاء العمال لا يذهبون يوميا للعمل داخل اسرائيل بناء على رغبة ذاتية او طمعا في أجر مرتفع ، ولكن نتيجة لضغط ظروف العيش عليهم وعلى عائلاتهم بما لا يدع امامهم فرصة للتردد في الاقبال على العمل لتأمين استمرار حياتهم في غيـــاب اي احتمال آخر يؤمن لهم هذه الحياة . ٤) نتيجة لادراك المقاومة الفلسطينية لاهداف الخطة الاسرائيلية، في هذا الصدد والرامية الى اجتذاب المزيد من اليد العاملة للعمـــل في القطاعات التي تعاني من نقص في اليد العاملة ، وذلك لزيادة الانتاج خصوصا وان أجور العمال العرب اقل بكثير من أجور العمال اليهود ، كما انه لا يسمح لهم بتأليف نقابات عمالية خاصة بهم (أي انهم طاقة اضافية رخيصة لا تستفيد من مزايا النقابات) ، ونتيجة لادراك المقاومة بأن السياسة الاسرائيلية تهدف ايضا الى ابعاد هذه القوى البشرية عن اي تقارب او تعاون مع المقاومة الفلسطينية ، في حين تستفيد هي (السياسة الاسرائيلية) منهم في تسهيل برامج التجنيد والتعبئة التي تفرضها حالة الحرب عليهـــا وعلى مجمل قواها البشرية ، نتيجة لهذا الادراك تعمل المقاومة الفلسطينية على افشال المخطط المذكور ، وفي غالب الاحيان بالتعرض للعمال العرب الذين يذهبون للعمل داخل اسرائيل ، وتنشأ على هذا الاساس مشكلة معقدة ، لا بد لخطة الصمود من أن تحدد عناصر حلها بكل دقة ووضوح ، اذ انه من غير الطبيعي ان تستمر الحالة القائمة الان والتـــي تسيطر على شكلها الظاهر صورة القاء المتفجرات ووضع العبوات الناسفة على السيارات التي تنقل العمال من اماكنهم الى اماكن عملهم داخل اسرائيل .

لقد ذكرنا ان عدد العمال الذين يعملون داخل اسرائيل من ابناء شعبنا في الضفة والقطاع قد بلغ ما يقارب ٣٠٠٠٠ (ثلاثين الف عامل) هذا الرقم يشمل العمال المسجلين وغير

المسجلين في مكاتب العمل . في شهر آذار ١٩٧٠ بلغ عدد العمال المسجلين فقط من الضفة الغربية والذين دخلوا للعمل داخل اسرائيل حوالي ١٨،٠٠٠ عامل ، وفي الشهر نفسه بلغ عدد العمال من قطاع غزة حوالي ٦٦٠٠ عامـــل . يعمل هؤلاء في الغالب في قطاعي البناء والزراعة ، وتقول المصادر الاسرائيلية انهم يتقاضون الاجور نفسها التي يتقاضاها العامل الاسرائيلي ، غير ان الوقائع تشير الى أن مستوى الاجور التي تدفع للعمال العرب هو اقل (أيضا بسبب الحسومات من اجل الخدمات والنقل الخ ..) من مستوى أجور العمال الاسرائيليين (الاجر اليومي للعامل هو اقـــل بحوالي ٦ ليرات اسرائيلية عن ادنى أجر يتقاضاه العامل الاسرائيلي في نفس المجال) ولكنه على اي حال اكثر من مستوى الاجور التي يمكن ان يتقاضوها في الضفة او القطاع .

ومن هنا ، فان هذه القضية تعتبر من أشد فئات الضغوط الاقتصادية خطورة ، بمعنى ان فرص العمل المتاحة في اسرائيل امام الفلاح والعامل من الضفة والقطاع سوف تؤدي الى الاثار التالية : ١) كسر ارتباط الفلاح بالارض التي يعيش عليها ومنها ، وذلك بسبب اضطراره لتركها والعمل في أراض غريبة عنه . ٢) تعود العامل والفلاح ، بسبب تأثير الاجور المتحسنة ، على الانتقال الى المكان الذي يؤاتيهما اكثر من هذه الناحية ، وبالتالي عدم الاستقرار في مكان واحد . ٣) بالاضافة الى ما ذكر أعلاه مـــن ناحية نزع هؤلاء العمال والفلاحين من مجال تأثير المقاومة عليهم والتحامهم بهـــا ، وايضا مـــن ناحية استيعابهم في قوة العمل الاسرائيلية وتأثيرهم على حجم الانتاج هناك .

على اساس هذه الصورة المتداخلة من الضغوط وآثارها ، فان التوجه الى وضع خطة صمود علمية وشاملة يبقى أمرا على درجة كبيرة من الاهمية والالحاح لرفع عبء هذه الضغوط عن كاهل شعبنا في الاراضي المحتلة .

---

١ ــ المعلومات مستقاة من عدة مصادر :

أ. *Labor Development Abroad, U. S. Development of Labor*, B. of L.S., Jan. 1970, Vol. 15, No. 1.

ب. **ثلاث سنوات من الحكم العسكري ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠** ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ١٩٧٠ .

جـ. بعض الصحف الاسرائيلية والغربية .

د. *Quarterly Economic Review*, The Economist Intelligence Unit,

(الاعداد حول اسرائيل الصادرة في السنوات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠) ،

(نسب الاعمار في المرجع « أ » صفحة ٤ جدول رقم ٢)

٢ ــ المكتب الاحصائي المركزي في اسرائيل ، احصاء عام ١٩٦٧ (أيلول) .

٣ ــ *Israel Economist* عدد تشرين الاول ــ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، تقرير حول الاراضي المحتلة .

٤ ــ **المرجع نفسه .**

٥ ــ سامي هداوي ، د. يوسف صايغ . **ملف القضية الفلسطينية** ، مركز الابحاث ١٩٦٨ ، صفحات ٧٢ و١١١ .

٦ ــ النتائج مأخوذة عن ، *Quarterly Economic Review*, Israel No. 4-1970, p. 10.

٧ ــ انظر من اجل مزيد من التفاصيل : Rouhi El-Khatib, *Jerusalem, Israeli Annexation*, Jerusalem Liberation Committee, April 1969, pp. 34-38.

٨ ــ انظر ملف مركز الابحاث ، رقم ٣٠٢ تاريخ آب ١٩٧٠ .

٩ ــ **المرجع نفسه .**

١٠ ــ مجلة « **در شبيغل** » الالمانية ، عدد رقم ٥٠ ، تاريخ ١٦٧٠/١٢/٧ ، صفحات ١٢٠ ــ ١٢٣ .

١١ ــ **المرجع نفسه .**

١٢ ــ *Israel Economist* حزيران ١٩٦٨ ، ص ٢٣٦ .

الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة في حرب حزيران

عبد الحفيظ محارب

لا نبتعد عن الحقيقة في شيء اذا قلنا ان الكيان الاسرائيلي يعود الى الاستيطان اليهودي في فلسطين . فبفضل الاعمال الاستيطانية التي بدأت بشكل ملحوظ ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، واستمرت الان في فلسطين واجزاء من أراض عربية ، قامت دولة اسرائيل وتعززت بها. ذلك لان الصراع العربي الاسرائيلي يدور بالاصل حول الارض ، وقد رات الحركة الصهيونية ان خير طريقة لبلوغ أهدافها لتكوين دولة في فلسطين بناء شبكة من المستعمرات الاستيطانية في الارض العربية لتشكل عندما يحين الوقت قاعدة اساسية للدولة العتيدة . وتعتبر الاعمال الاستيطانية السمة الرئيسية للصهيونية التي تميزها عن الحركات الاستعمارية العالمية ، ذلك ان هذه الحركات تستهدف ، بشكل عام ، استغلال ثروات البلدان المحتلة ، او الخاضعة لسيطرتها ، او تطويع اقتصاد وثروات تلك البلدان لخدمة اقتصادها . اما الحركة الصهيونية فليس هذا هو مرماها الاساسي ، ولو اقتصرت مراميها على ذلك لهان الامر ، واصبحت كأية حركة استعمارية تقليدية ، فهي تسعى الى شيء آخر اكثر من ذلك وأشد خطورة منه ، تسعى للحصول على الارض. ولذلك فان الوسائل التي تتبعها لتحقيق مآربها تختلف اختلافا جذريا عن الوسائل التي تتبعها الحركات الاستعمارية المألوفة . فالحركات الاستعمارية عند استعمارها لاي جزء من العالم تعتمد اما على القوة العسكرية او على نفوذها في ذلك الجزء الذي تعتزم استعماره . أما الحركة الصهيونية المتمثلة الان في الكيان الاسرائيلي فانها تعتمد كليا بعد اعتمادها على القوة العسكرية ، على بناء لمستوطنات في المناطق التي تحتلها لخلق وقائع جديدة ، وازالة معالم قديمة ، تمهيدا للسيطرة عليها الى الابد . وليس هنالك مثيل في التاريخ الحديث للاسلوب الاستيطاني الذي اتبعته الصهيونية في استعمار فلسطين ، وتتبعه الان في المناطق العربية التي احتلت في حرب الايام الستة، الا الاسلوب الذي اتبعه الاوروبيون في استعمار اميركا وجنوب افريقيا واستراليا . وهو أسلوب يحمل بين طياته خطرا كبيرا للبلدان التي يطبق فيها ، فلولا الاستيطان الاوروبي في اميركا لما انقرض الهنود الحمر ، اصحاب البلاد الشرعيين، ولولا الاستيطان الاوروبي لاستراليا لما اوشك ابناء استراليا الاوائل على الانقراض ، ولولا الاستيطان الاوروبي لافريقيا الجنوبية لما اصبح اصحاب البلاد الشرعيين يعيشون في ظلال التمييز العنصري ، وكذلك يقال بالنسبة للشعب الفلسطيني ، فلولا الاستيطان الصهيوني لما اصبح معظم الشعب الفلسطيني مشردا بعيدا عن أرضه ووطنه !

من هنا ، تبدو لنا مدى الخطورة الكامنة وراء الاسلوب الاستيطاني الذي تتبعه دول او مجموعات بشرية للسيطرة على بلد ما . ومع ادراكنا لاختلاف دوافع وظروف الاستيطان الصهيوني عن دوافع وظروف الاستيطان الاوروبي لا يسعنا الا ان نقرر أن القاسم المشترك بينهما كان الاستيطان البشري كتمهيد للسيطرة التامة على الارض . وقد تمتع الاستيطان الاوروبي بميزتين ادتا الى نجاحه التام، بعكس الاستيطان الاسرائيلي الذي لا يزال يخوض صراعا عنيفا من اجل بقائه ونجاحه : ١ ــ طاقة بشرية كبيرة على امتداد الساحة الاوروبية ، كانت تشكل روافد كبيرة تصب في محيط الاستيطان الاوروبي ، بينما تقتصر الطاقة البشرية التي يحتاجها الاستيطان الصهيوني على ١٣ مليونا من

اليهود مشتتين في بقاع مختلفة من أرجاء المعمورة.
٢ ــ ضعف الاستجابة الحضارية ، لتحدي حملات الاستيطان الاوروبية من قبل شعوب المناطق التي تعرضت لهذه الحملات ، وهذا لم يحظ به الاستيطان الاسرائيلي، لعمق جذور حضارة الشعب الذي يواجهه .

حظي الاستيطان الاسرائيلي بعد حرب الايام الستة في المناطق العربية المحتلة باهتمام الحكومة الاسرائيلية ، ووضعته ضمن الخطوط الرئيسية لسياستها . فقد جاء في الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة في الفقرة رقم ٤ من الفصل الاول الخاص في المهام المركزية لسياسة الحكومة انها ستعمل على « مضاعفة اقامة مستوطنات امنية ، ومستوطنات دائمة ، قروية وبلدية في ارض الوطن »(١). وقد اعتمدت الحكومة في بناء هذه المستوطنات على سلاح الناحال الذي كانت له اليد الطولى في اقامة عدد من المستوطنات في المناطق العربية المحتلة حديثا ، كما كانت له اليد الطولى في اقامة وحماية شبكة من المستوطنات الامنية في المناطق النائية ، وعلى امتداد خطوط الهدنة مع الدول العربية قبل حرب الايام الستة . وقد أسس الناحال ــ اختصار للكلمات العبرية الثلاث « نوعر حالوتسي لوحيم » ومعناها الشبيبة الطلائعية المحاربة ــ في شهر آب ١٩٤٨ ، ويعتبر سلاحا من اسلحة الجيش الاسرائيلي ، ويرئسه قائد برتبة عقيد . وكان الناحال حتى حرب الايام الستة ينشط في مجالين : تحويل المستوطنات الزراعية المؤقتة الى مستوطنات دائمة ، وحماية المستوطنات الزراعية المتاخمة للحدود وجعلها سورا واقيا للجبهة الخلفية . اي انه ينبغي على رجل الناحال ان يكون مزارعا على دراية بالشؤون الزراعية ، ومقاتلا متمرسا بالشؤون العسكرية . اما بعد حرب الايام الستة ، وما تأتى عنها من اتساع لرقعة الارض التي تسيطر عليها اسرائيل ، الامر الذي يتطلب مزيدا من الطاقة البشرية لحمايتها ، فقد اخذ الناحال يتجه اكثر فاكثر الى الاعمال الامنية، منه الى الاعمال الزراعية ــ الامنية.

تقول صحيفة « دافار » في مقارنة لها بين نشاط الناحال قبل حرب الايام الستة وبين نشاطه بعد الحرب ، « بيد ان الناحال يتدفق اليوم في جداول جديدة . وليس سرا اذا قلنا ان الجيش الاسرائيلي بحاجة اليوم الى قوى بشرية اكثر من السابق لتنفيذ المهام في المناطق الواسعة . ان الناحال الذي أقام في الماضي وحدات مختارة في نطاق قوات المظلات ، يتوجه الان نحو مجالات اخرى ، فقد اصبحت قوات الدروع تضم ناحال دروع ضمن تشكيلات وحدات الجيش الاسرائيلي الاخرى المرابطة على امتداد خط وقف اطلاق النار. كما ان ناحال الهندسة يساهم في تحصين الحدود الجديدة ، ويقوم الناحال بجولات استطلاعية في مناطق سيناء . والشيء المميز للوحدة الاستطلاعية التابعة للناحال عن الوحدات الاخرى من هذا النوع هو انها مشكلة من نواة استيطانية تشمل الفتيات. وهؤلاء الفتيات يتواجدن في قاعدة الوحدة ويقمن بخدمات مختلفة من الطهي وحتى الحراسة وينتظرن رجال الوحدة الاستطلاعية العائدين من الصحراء، وفي بعض الاحيان يشتركن بأنفسهن برحلات الاستطلاع من اجل جلب الانبساط لانفسهن ورفع معنوية الرفاق »(٢).

ومع ان الناحال اصبح أقرب الى المنظمة العسكرية منه الى المنظمة شبه العسكرية بعد حرب الايام الستة ، للاستجابة لتحديات مطالب الامن الناجمة عن الرقعة الواسعة التي أصبح الجيش الاسرائيلي يسيطر عليها بعد الحرب ، الا انه استطاع ان يقوم بنصيب كبير في أعمال الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة . وتعمل الى جانب الناحال ، في بناء واشادة وتقديم النواة للمستوطنات الجديدة عدة مؤسسات استيطانية ، كانت ولا تزال تلعب دورا في تنظيم القوى الاستيطانية قبل وبعد قيام دولة اسرائيل. وهذه المؤسسات هي: ١ ــ ايحود هكيبوتسوت فهكيبوتسيم ، وتدين بالولاء الى حزب « مباي » . ٢ ــ هكيبوتس هآرتسي ، وتدين بالولاء الى حزب « مبام » . ٣ ــ هكيبوتس هموحاد ، وتدين بالولاء الى حزب « احدوت هعفودا » . ٤ ــ هكيبوتس هداتي ، وتدين بالولاء الى الحزب الوطني المتدين « مفدال » . ٥ ــ كيبوتس بوعل اغودات يسرائيل ، وتدين بالولاء الى حزب بوعل اغودات يسرائيل . هذا فضلا عن حركة الموشافيم « تنوعات هموشافيم » التي تقوم هي الاخرى بدور فعال في الحركة الاستيطانية في المناطق المحتلة . وقد اقامت هذه الحركة حتى عام ١٩٦٩ اربع مستوطنات في هضبة الجولان ونواة ناحال ارجمان في غور الاردن(٣). كما انها دعمت في الاونة الاخيرة المستوطنة المدنية التي اقيمت عند

مدخل رفح في شمال سيناء . وتقوم هذه المؤسسات بتزويد المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة بالاشخاص ذوي الخبرة في الشؤون الزراعية ، ليشكلوا نواة للمستوطنة ، ويحولوها مع جنود الناحال الى مستوطنة دائمة قادرة على الاعتماد على نفسها . اما من الناحية التمويلية ، فان الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة ، يعتمد على الوكالة اليهودية حيث ينشط « الصندوق القومي » التابع لها في شق الطرق لتلك المستوطنات وتقديم المساعدة لها ، وكذلك على المؤسسات الحكومية والمؤسسات الاستيطانية الانفة الذكر . ومما يسترعي الانتباه انه ليس من الضروري ان تقتصر نواة اية مستوطنة جديدة في المناطق العربية المحتلة على عناصر المؤسسات الاستيطانية (الموشافيم والكيبوتسات) بل يدخل ايضا ضمن تشكيلاتها عناصر من المدن ومن بين صفوف المهاجرين الجدد والمتطوعين الاجانب . ففي كيبوتس « ماروم هجولان » نجد انه يوجد بين كل اربعة اشخاص شخص واحد من ابناء الكيبوتسات .

هنالك عدة عوامل تقف وراء الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة : **العامل القومي** ، وهو الاهم ، اي النزعة الصهيونية للاستيلاء على مزيد من الارض . ثم **العامل الامني** ، فقد بنيت هذه المستوطنات على امتداد خط وقف اطلاق النار مع سوريا لتشكل سورا دفاعيا يقي الجبهة الخلفية من المستوطنات . كما وشيدت مستوطنات الناحال في الاغوار على امتداد نهر الاردن لتحول بقدر الامكان دون توغل الفدائيين العرب الى المناطق العربية المحتلة ، كما اقيمت في الاونة الاخيرة مستوطنة من مجموع ثلاث مستوطنات من المقرر اقامتها عند مدخل رفح في شمال سيناء لتغلق الطريق بوجه الفدائيين العرب الذين يستخدمون مدخل رفح اثناء ذهابهم وايابهم من قطاع غزه الى الاردن(٤). ويقف الدافع الامني ايضا وراء اقامة مستوطنات سيناء. تقول صحيفة معاريف « ليس هنالك شك بانه لولا المستوطنات الثلاث (ناحال يام ، ناحال سيناء ، ناحال دكله) لاستغل الفدائيون الفراغ لتنظيم صفوفهم في المنطقة ، وفرض سيطرتهم على سكان المنطقة »(٥). هذا فضلا عن ان اسم المستوطنة يقترن عادة بصفة الامن ، حيث يصطلح على تسمية هذه المستوطنات بالمستوطنات الامنية . وهو اصطلاح « مستعار من عالم التعابير الاستيطانية التي كانت تستعمل ابان الانتداب البريطاني على فلسطين »(٦). وهناك **العامل السياسي** : ان بناء شبكة من المستوطنات في المناطق المحتلة أمر على جانب كبير من الاهمية في الصراع العربي الاسرائيلي ، فهذه المستوطنات ، فضلا عن انها تجعل الانسان الاسرائيلي يسيطر على الارض ، وتخدم بالاصل العامل القومي ، فانها تعتبر ورقة لها وزنها في حالة التفاوض على تسوية مع العرب، فبفضل هذه المستوطنات تخلق اوضاع جديدة في المناطق العربية المحتلة كما حدث في فلسطين ، وهذه الاوضاع الجديدة هي التي تقرر الحدود الجديدة ، فقد كان الاسلوب الذي سارت عليه الصهيونية يتمثل في بناء مستعمرات ثابتة « لان المستعمرات الثابتة هي التي تضمن سيطرتنا على اقسام البلاد المختلفة ، وقد ثبت ذلك في حرب التحرير ان خارطة الاستيطان المكتظة بالسكان هي التي عينت بدرجة كبيرة خارطة الهدنة »(٧) او كما تقول صحيفة دافار « انه من المحتمل ان يكون لكل مستوطنة معنى عندما يحين الوقت اوسع مما يبدو للوهلة الاولى »(٨). ان اسرائيل تضع في حسابها امرين عند قيامها بالعمل الاستيطاني في المناطق المحتلة . الامر الاول تعذر التوصل الى حل للنزاع العربي الاسرائيلي ، وعند ذاك تكون قد اقامت حزاما امنيا يتمثل في شبكة المستعمرات على امتداد خطوط وقف اطلاق النار مع الدول العربية ، والامر الثاني احتمال التوصل الى تسوية مع الدول العربية ، وهنا يأتي دور « الورقة ذات الوزن »، المتمثلة في المستوطنات القائمة ، فاي تنازل تبديه اسرائيل عن بعض او معظم المستوطنات ، من اجل التوصل الى سلام دائم وحقيقي مع الدول العربية، من شأنه ، كما تعتقد ، ان يصورها بأنها تنازلت عن اشياء كثيرة وكبيرة . ثم هناك **العامل الاقتصادي** : ليس هنالك شك بأن الاستيطان الاسرائيلي يسعى من وراء بناء المستعمرات في المناطق العربية المحتلة الى ايجاد موارد اقتصادية جديدة لاسرائيل . ان اسرائيل ترمي من وراء استيطانها في هضبة الجولان الى تحويل الهضبة برمتها الى مزرعة ابقار تكفي حاجيات اسرائيل من اللحوم الطازجة(٩)، كما وترمي من وراء استيطانها في غور الاردن الى الاستفادة من مزايا الاغوار الزراعية ، حيث الخضار والفواكه المبكرة . هذا علاوة على المزايا السياحية التي تتمتع بها المناطق

المحتلة ، والتي من المحتمل ان تشكل دخلا رئيسيا للمستوطنات الاسرائيلية . فهضبة الجولان تمتاز سياحيا بمناخها الاوروبي حيث الثلوج والبرودة ، بينما تمتاز الاغوار بدفئها وحرارتها ، كما ان شرم الشيخ تمتاز بطبيعتها الجميلة على ساحل البحر الاحمر . ويأتي اخيرا **العامل النفسي** : تعتقد اسرائيل ان وجود مستوطنات اسرائيلية في المناطق العربية المحتلة من شانه جعل السكان العرب في هذه المناطق يشعرون بالوجود الاسرائيلي ويحسون به ، وبذلك « يزول احتمال عودة الحكم العربي الى هذه المناطق من مخيلة السكان العرب » ، ويبداون بالتأقلم مع الحكم الاسرائيلي الجديد(١٠). هذا فضلا عن تلويح المسؤولين الاسرائيليين في بعض الاحيان بالمستوطنات الاسرائيلية كأداة حرب نفسية ضد العرب خارج المناطق المحتلة . فقد قال وزير الدفاع موشيه ديان بعد قصف الجيش السوري لاحدى المستوطنات الاسرائيلية في هضبة الجولان « ان الجواب على تحرش السوريين سيكون اقامة مستوطنات اخرى دائمة في المنطقة ، ومن بينها مستوطنة مدنية في ناحال جيشور »(١١).

ونظرا لاهمية موضوع الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، شكلت في عهد حكومة ليفي اشكول لجنة وزارية بشؤون غوش عتسيون والخليل ، برئاسة ليفي اشكول وعضوية كل من الوزراء : يوسف الموفي ومناحيم بيجن وحايم جباتي وموشيه ديان وموشيه شبيرا وزئيف شيرف ، الا ان اسم هذه اللجنة غير في عهد حكومة غولدا مئير الى « اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان » وعهد الى يجال الون برئاسة اللجنة التي تضم في عضويتها كلا من الوزراء : يوسف بورج وموشيه كول وفكتور شمتوف وموشيه ديان وحاييم لنداو وزئيف شيرف(١٢).

يمكن تقسيم الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة الى قسمين رئيسيين : اولا الاستيطان الزراعي ، ويشكل الاكثرية الساحقة من المستوطنات التي اقيمت حتى الان في المناطق المحتلة . وثانيا الاستيطان المديني ، وقد تعثر هذا الاستيطان حتى الان. ويمثل هذا النمط من الاستيطان الاستيطان الاسرائيلي في الخليل والقدس .

ويقسم الاستيطان الزراعي الى نمطين : ١ ــ الاستيطان الزراعي الامني ، الذي تقوم به كتائب الناحال ، وخطر هذا الاستيطان اقل من خطر الاستيطان المدني على المناطق المحتلة، فمستوطنات الناحال هي بمثابة معسكرات لسلاح من اسلحة الجيش الاسرائيلي ، مهمتها مزدوجة ، العمل الزراعي والعمل العسكري حيث « يكون من السهل حلها اذا ما اتخذت الحكومة قرارا بالانسحاب من احدى المناطق »(١٣). ٢ ــ الاستيطان المدني الذي تقوم به مجموعات مدنية (غير عسكرية) من القرى التعاونية الاسرائيلية او من المهاجرين الجدد وابناء المدن. وهذا النمط من الاستيطان يشكل خطورة اكثر من النمط الاول للمناطق المحتلة، غير ان خطره يبقى محدودا لعدم توفر عدد كبير حتى الان من القوى البشرية في المستوطنات المدنية . اما الاستيطان المديني فهو الذي يشكل الخطر الجسيم على مستقبل المنطقة التي يجري فيها ، ذلك لانه «من الصعب » ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، «مجرد تصور حل مدينة يهودية كاملة . وعلى هذا الاساس يمكن معرفة لماذا لم يكن لدى الحكومة جواب عملي لمسألة الاستيطان في الخليل »(١٤).

يمكن القول ان غالبية الاحزاب الاسرائيلية تدعو الى استيطان المناطق المحتلة وتقف الى جانبه ، وان اختلفت حول سلم الافضلية للاماكن التي ينبغي اقامة النقاط الاستيطانية فيها. فمثلا نجد ان حزب « مبام » يدعو الى استيطان منطقة الهضبة السورية ويتحفظ على الاستيطان في الخليل، بينما تدعو الاحزاب الدينية الى استيطان الخليل والقدس والاماكن التي كان لليهود اثر بها في الضفة الغربية ولا تتحمس للاستيطان في الهضبة السورية، مثل الحزب الوطني المتدين « مفدال » وحزب عمال اغودات يسرائيل . اما حزب « جاحال » فيدعو الى « استيطان كافة المناطق المحررة واقامة ضواح سكنية لليهود في جميع ارض اسرائيل المحررة في اريحا والخليل وبيت لحم ونابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وغزه ورفح وغيرها »(١٥). الا ان زعيم « الحركة من اجل ارض اسرائيل الكاملة » الدكتور « الداد » لا يكتفي باستيطان كافة المناطق العربية المحتلة بل يدعو ايضا الى طرد العرب من هذه الاراضي . ويقول الدكتور «الداد» ردا على سؤال وجه اليه حول الحل الذي يراه مناسبا لحل مسألة السكان العرب في المناطق المحتلة : « ان الحل المثالي والانساني هو تنظيم خروجهم ، حيث يوجد بيننا وبينهم خلاف موضوعي وتناقض تام : فاما ان تكون ارض اسرائيل ، او ارض اسماعيل!

انني اريد حقي . فهـذا بلدي ولو كانت هنالك محكمة دولية عادلة وطرحوا الموضوع امامها فلن يعتريني اي شك بأن المحكمة ستحكم لصالحنا»(١٦)! وفيما يتعلق بالاحزاب والتيارات الاسرائيلية التي تقف في وجه الاستيطان وتعارضه ، فانها تتمثل في اليسار الاسرائيلي الجديد «سيح» وكتلة هعولام هزيه وبعض الاوساط المستنيرة من بين المثقفين في اسرائيل ، وكذلك القائمـة الشيوعيـة الجديدة « راكاح » والمنظمـة الاشتراكية الاسرائيليـة « متسبين » . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الكتل السياسية الثلاث الاولى تعارض الاستيطان في المناطق المحتلة باستثناء الاستيطان في القدس بخلاف الكتلتين الاخيرتين اللتين تعارضان كافة اوجه الاستيطان في كافة المناطق المحتلة بدون استثناء. اما على الصعيد الشعبي فان حركة الاستيطان الاسرائيلية في المناطق العربية المحتلة تحظى بتأييد ما يقرب من ثلثي السكان اليهود في البـلاد . فقد اظهر استفتاء نشرت نتيجته في صحيفة معاريف ان ٧٣٪ من الذين استفتوا يؤيدون الاسراع في العمل الاستيطاني في المناطـق المحتلة(١٧). وفي استفتاء آخر نظمته صحيفة يديعوت احرونوت اتضح ان ٧٤٪ من مواطني اسرائيـل اليهود يؤيدون الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، وان ١٠٪ يعتقدون بضرورة الامتناع كليا عن الاستيطان ، وان ١٦٪ لم يقرروا كيف ينبغي علـى اسرائيل ان تتصرف . كما واوضح الاستفتاء ان ٤٢٪ من بين الذين اشتركوا بالاستفتاء وعددهم ١٢٢٨ شخصا، يعتقدون ان اقامة مدن يهودية هي الوسيلة المرغوب فيها لتنفيذ سياسة الاستيطان ، و٣٢٪ يعتقدون انه يجب ان يكون الاستيطان استيطانا زراعيـا فقط . اما السؤال الثاني الذي وجه للذين يؤيدون الاستيطان في المناطق العربية المحتلة فهو : هل يجب الاستيطان حالا ؟ واوضحت نتيجة الاستفتاء ان : ٣٣٪ يؤيدون الاستيطان السريع في الجولان و٢٦٪ يؤيدون الاستيطان السريع في الضفة الغربية و٢٠٪ يؤيدون الاستيطان السريع في جميع الاراضي العربية المحتلة و١٩٪ يؤيدون الاستيطان السريع في غور الاردن و٢٪ يؤيدون الاستيطان السريع في غزة وسيناء(١٨).

الاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان

يتضح من الاستفتاء الانف الذكر الذي أجرته صحيفة يديعوت احرونوت ان هضبة الجولان تقف على رأس سلم الافضلية من بين المناطق العربية التي يرى الاسرائيليون ضرورة الاسراع بعمليات الاستيطان بها . هذا فضلا عن ان المسؤولين الاسرائيليين بدون استثناء يتحدثون دائما على وتيرة واحدة اذا كان الحديث حول مصير هضبة الجولان ويجمعون على « ان اسرائيل لن تعيد هضبة الجولان الى سوريا حتى ولو مقابل اتفاقية سلام » . واذا كانت هنالك بعض الخلافات بين الاسرائيليين حول مصير بعض المناطق العربية المحتلـة ، فان الهضبـة السورية لا تدخل ضمن المناطق المختلف عليها ، فهي تعتبر « ضمن المناطق التي لا يثار الجدل حولها بين الجمهور الاسرائيلي »(١٩). ولعل ابرز العوامل الكامنة وراء تمسك اسرائيل بالهضبـة السورية تعود الى الوضع الاستراتيجـي الهام لهضبـة الجولان وما كان يشكل هذا الوضع من خطر وتهديد على المستوطنات الاسرائيليـة حيث كانت كافـة مستوطنـات وادي الاردن الشمالي تحت رحمة المدفعية السورية . يقول « ايلي لنداو » المراسل العسكري لصحيفـة معاريف : « ان الهضبـة السورية كانت احد الاسباب التي ادت الى اندلاع الحرب ، فالحياة التي لا تطاق عند اسفل الحصن السوري صعدت من حدة الصراع العربي الاسرائيلي وادت في نهاية الامر الـى اندلاع حرب الايـام الستة »(٢٠). ومن الملاحظ في الاستيطان الاسرائيلي في الهضبة السورية ، ان دوافعه تختلف عن دوافع استيطان المناطق العربية المحتلة الاخرى بأنهـا مشوبة بالحقد وروح الانتقام . يقول احد مستوطني « شاعر هجولان » والعضو في حزب مبام « رافي كوتسر » : « ان سوريا كانت تكن لنا الكراهية اكثر من غيرها . لذلك اقترح ان تقام هناك وقائع جديدة . ان الذي شاهد الهضبة وهي محصنة يدرك بأنه ينبغي المرابطة بها من اجل سلامة جميع المستوطنات المواجهة لها »(٢١).

كان الجيش الاسرائيلي اول مؤسسـة رسمية تقف وراء الاستيطان في الهضبة وتدعم هذا الاستيطان. ولذلك برزت النقاط الاستيطانية فيأماكن استراتيجية على امتداد خط وقف اطلاق النار مع سوريا، وكان وزير الدفاع موشيه ديان مـن بين اولئك الذين اصروا على ان تكون هذه المستوطنات على امتداد خط وقف اطلاق النار(٢٢). ويصف قائد المنطقة الشمالية سابقا ، ورئيس شعبـة العمليات في القيادة العامة حاليا الزعيم دافيد اليعازار ، في

معرض حديثه عن بداية الاستيطان في هضبة الجولان، المساعدات التي قدمها الجيش الاسرائيلي للمستوطنين بقوله : « لقد تلقوا منا كل شيء ، السلاح والتراكتورات والابقار والارض ، وكل شيء . وقد اعتنينا بهم كأولادنا ، الى ان جاءت الحكومة وتبنتهم »(٢٣). وقد خلق ذلك نوعا من العلاقات الطيبة ، والثقة المتبادلة الوطيدة بين الجيش الاسرائيلي والمستوطنات الجديدة بحكم مكان هذه المستوطنات وظروف نشأتها.يقول «يهودا هرئيل » احد سكان كيبوتس « ماروم هجولان » : « ليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان الثقة التامة بين مستوطنات الحدود والجيش الاسرائيلي الذي يقوم بحمايتها هي اغلى كنز تملكه اسرائيل . وقد تم التوصل الى هذه الثقة خلال اعوام من التعاون الحقيقي بين الجيش الاسرائيلي والمستوطنات.»(٢٤) يتسم الاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان ، اكثر منه في غور الاردن وسيناء ، بالصبغة المدنية. اذ ان القاعدة الاساسية للاستيطان هناك تتشكل الى جانب كتائب الناحال من عناصر مدنية من سكان المدن والقرى التعاونية ، ومن بين صفوف المهاجرين الجدد والمتطوعين .

ومن اهم الامور التي يواجهها مستوطنو الهضبة الشكوك حول احتمال انسحاب اسرائيل في المستقبل من هضبة الجولان ، لان اسرائيل لم تقدم حتى الان على ضم الهضبة اليها رسميا ، كما فعلت بالنسبة للقدس ، بالرغم من انها صرحت مرات عديدة بأنها ستبقى فيها الى الابد . ولذلك يقوم المسؤولون في مستوطنات الهضبة بمحاولات شتى لازالة تلك الشكوك بواسطة المحاضرات والمناشير التي تلصق على الحيطان ، والتي تهدف الى جعل المستوطن يشعر بأن مصيره اصبح مرتبطا بمصير الهضبة . فقد جاء في احد مناشير مستوطنة « ماروم جولان » : « ... الذي يقرر الانتماء هنا ، يقول : هنا بيتي ، والذي يقرر الزواج هنا يقول : هنا بيت عائلتي ... والذي يقرر تثقيف ابنائه هنا يقول : هنا بيت اولادي . المزيد من العائلات ، المزيد من الاولاد — هذا هو المهم »!!(٢٥). وبما ان المهم بالنسبة للمستوطنات هو انجاب الاطفال ، فانها تقوم بتشجيع التناسل هناك وتعمل جاهدة الى المزيد منه ، لكي يولد نشء جديد يرى النور لاول مرة في الهضبة ليرتبط بها الى الابد ارتباطا طبيعيا ، ويخلق بذلك واقعا جديدا يحول بقدر الامكان دون ارغام اسرائيل على الانسحاب . يقول احد مستوطني الهضبة : « لنفترض اننا سوف نضطر لا لمواجهة الجيش الاسرائيلي ، بل الضغط الاميركي . انني لست متأكدا بأننا نستطيع الاعتماد على الجيش الاسرائيلي . وفي هذه الحالة يبدو لي انه سيكون لابني وزن اكبر من قوة الجيش الاسرائيلي»(٢٦). وسنورد هنا مثلا من الامثلة الواردة في مناشير المستوطنة التي تدعو الى تشجيع الزواج وانجاب الاطفال . جاء في احد هذه المناشير « انه قد تمت الموافقة على الاقتراح الذي قدمته « لجنة الرفاق » لشراء كل جهاز العرس ، سواء للعروس او للعريس على حساب المستوطنة . كما وانه تمت الموافقة على منح العروسين اللذين يعقدان قرانهما بالمستوطنة وينجبان طفلا تذكرة سفر بالطائرة ذهابا وايابا الى مدينة ايلات علىحساب المستوطنة»(٢٧). وقد بلغ عدد مواليد مستوطنة « ماروم جولان » حتى منتصف عام ١٩٧٠ : ٢٥مولودا(٢٨).وبمناسبة مرور عامين على تأسيس المستوطنة ، رأى المستوطنون ان « خير هدية » يقدمونها لمستوطنتهم « الاحتفال بزواج سبعة ازواج من الشباب ، ستة ازواج من ابناء الكيبوتس ، والزوج السابع من المتطوعين القادمين من خارج اسرائيل »(٢٩).

ومع ذلك فان الشكوك حول مستقبل هضبة الجولان ، واحتمال الانسحاب الاسرائيلي منها ، تبقى تعتري نفوس هؤلاء المستوطنين اذا لم تقدم الحكومة الاسرائيلية على ضم الهضبة رسميا . يقول احد مستوطني « ماروم جولان » : « ان الانسان لا يعرف اية امتحانات تنتظرنا . ومن الصعب التكهن بالصراعات والحروب والضغوط الخارجية والداخلية التي تنتظرنا . ان كل من يقول بأن هضبة الجولان ، بكافة اجزائها ، ستكون بدون ادنى شك جزءا لا يتجزأ من اسرائيل ، لا يفقه ما يجري على لسانه ... ومن الواضح ان الجيش السوري لا يستطيع تعريض استمرار وجودنا في الجولان للخطر ، فليس الجيش المصري هو الذي اخرجنا من سيناء عام ١٩٥٧ . ومن المحتمل جدا انه في صمودنا في مواجهة القوى التي تحاول تعريض تمسكنا بالجولان للخطر ، ان تكون للمستوطنات اهمية لا تقل عن اهمية الالوية المحصنة »(٣٠). وعندما سئل احد المستوطنين عما سيفعلون اذا ما قيل لهم ذات يوم جهزوا حقائبكم

وانسحبوا من الهضبة اجاب : « من اجل ذلك تجلس نحن هنا . من اجل خلق وقائع لكي لا يحدث هذا الامر »(٣١).

وقد حدث بالفعل ان اقترح « ايلي لنداو » المراسل العسكري لصحيفة معاريف بايعاز من قبل عناصر امنية في جهاز الحكم الاسرائيلي بعد المعارك العنيفة التي وقعت بين الجيش السوري والجيش الاسرائيلي في اواخر شهر حزيران من عام ١٩٧٠ والتي احدثت خسائر في الارواح والممتلكات بين صفوف المستوطنين ، اقترح تحريك الحزام الامني المشكل من المستوطنات على امتداد الحدود الى الخلف في اماكن ليست قريبة من القنيطرة الواقعة ضمن مجال النار السورية ، ذلك لان حياة النساء والاطفال في هذه المنطقة معرضة للخطر ، وقال في سياق اقتراحه « انه يمكن تحقيق الرغبات العادلة للسكان الجدد في هضبة الجولان لدق وتد خلف خط مجال المدفعية . وحتى لو ان المستعمرات الاسرائيلية في هذه المرحلة لا تنمو وتتعاظم على « سطح الهضبة » فان ذلك لن يبدو كتقصير في خدمة العلم . ليس هنالك شك بأن سكان قرى الحدود الجدد لن يستهووا ما هو مكتوب هنا ، غير انه ينبغي على المسؤولين في جهاز الامن ان يقوموا الان باتخاذ خطوة متطرفة ، ليحولوا دون وقوع تضحيات ومفاجآت لا فائدة منها بالنسبة لنا » . ثم دعا الى « اقامة خط محصن قوي ، يكون من السهل فيه اجراء حرب على « البطن الطرية » لسوريا »(٣٢). غير ان هذا الاقتراح احدث استياء بين صفوف المستوطنين الذين لم يقبلوه . وكانت حجتهم بذلك ان القذيفة يمكنها اليوم الوصول الى اي مكان في الهضبة ، ولذلك فليس هنالك داع لتحريك المستوطنات الى الخلف لانه « لا يوجد فرق بين مستوطنة تقع على بعد ٥ كم من الحدود وبين مستوطنة اخرى تقع على بعد ٢٠ كم من الحدود، ذلك لان المدفعية السورية بامكانها الوصول الى اي مكان »(٣٣). وقد اعتبر « يهودا هرئيل » (من مستوطني كيبوتس ماروم جولان) دعوة ايلي لنداو كقذيفة من الخلف توجه الى ظهر المستوطنات ، حين رد عليه بقوله : « ان مئات القذائف التي انهالت مؤخرا على مستوطنات الهضبة لم تهز الاحساس بالامن والثقة بالمستقبل لمستوطني هضبة الجولان ، مثلما فعلت « القذيفة » التي ارسلها اليهم من الخلف ايلي لنداو »(٣٤).

غير ان الصورة التي يحاول ان يظهر بها مستوطنو الهضبة تختلف عن الصورة التي اتسموا بها اثناء حملاتهم الاستيطانية الاولى على هضبة الجولان ، ذلك ان الشكل الذي استوطنوا فيه الهضبة يختلف اختلافا كليا عن اي شكل استيطاني سابق . فقد انهمك هؤلاء في بداية الاستيطان بالسطو على قطعان الابقار والاغنام الكثيرة التي خلفها العرب وراءهم(٣٥) كما انشغلوا في السطو على منازل القنيطرة المهجورة ، حيث بدأوا يجمعون كل ما يقع تحت متناول ايديهم من اثاث ، الامر الذي ادى الى اصطدامهم مع قوات الشرطة(٣٦). هذا فضلا عن ان مستوطني «ماروم جولان» لم يتعبوا انفسهم ببناء مستوطنة جديدة لهم ، بل لجأوا الى الطريق الاسهل والاخف، حيث احتلوا منازل الضباط التابعة للجيش السوري وحولوها الى منازل لهم . كما ان مستوطني عين زيوان لم يرهقوا انفسهم ببناء مستوطنة بل فضلوا احتلال المنازل التي كانت تخص سلاح الدروع السوري في المنطقة وحولوها الى منازل لهم . وكذلك يقال بحق رجال مستوطني « ناحال جيشور » الذين استولوا على منازل الحرس السوري بالقرب من رفيد ، وايضا بحق اعضاء « موشاف العال » الذين فضلوا منازل الضباط السوريين على منازل القرية السورية العال نفسها(٣٧).

على ان هنالك ظاهرة اخرى للاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان تدعو الى السخرية ، الا وهي ظاهرة المتطوعين الاجانب حيث استطاع احدهم أن يقيم مستوطنة في الهضبة السورية !! الا انه بعد نصف عام من انشاء المستوطنة وجد نفسه بين تضبان السجن ، كما ان المستوطنة التي استطاع انشاءها اصبحت انقاضا تحتوي على بعض الجرارات والالات الزراعية التي دمرها الفدائيون العرب .

ظاهرة المتطوعين الاجانب

قدمت الى اسرائيل ابان فترة التريث التي سبقت حرب الايام الستة ، وفي اعقاب تلك الحرب ، موجات صغيرة من المتطوعين الاجانب يحملون جنسيات مختلفة من ٤٠ بلدا تقريبا وخاصة من بلدان العالم الغربي(٣٨). وكان من المفترض ان يخدم هؤلاء في المرافق المختلفة لاقتار اسرائيل الى القوى البشرية العاملة ابان الازمات . وقد وصل عددهم عند مطلع عام ١٩٦٨ حوالي ١٢ الف متطوع ،

واقيمت لهم فرقة تحمل اسمهم يرئسها اسرائيلي يدعى « يهودا باز »(٣٩). وقد انيطت بهم اعمال شتى من بينها الخدمة في الكيبوتسات وفي وحدات جمع الغنائم التابعة للجيش الاسرائيلي وفي ترميم مستشفى هداسا في القدس القديمة وفي مد انابيب المياه في صحراء سيناء . غير ان هؤلاء المتطوعين لم يستطيعوا التأقلم مع ظروف الحياة في اسرائيل . ومع ان الكيبوتسات توفر لهم الطعام والمنام الا انهم « لم يستطيعوا العثور على مكانهم في الكيبوتس ، ففي حالات كثيرة خفت حدة حماسهم في القيام بأعمال جسمانية ، ولم يستطع البعض التأقلم مع المجتمع التعاوني . كما ان الكيبوتسات ارادت في حالات كثيرة التخلص منهم بسرعة ، فمظهرهم ولباسهم غير العادي وشعرهم الذي لا يعرف المقص ، كل ذلك خلق سورا بينهم وبين ابناء الكيبوتسات ، وعمق من عدم المحبة ، واصبح انفصال الطرف الواحد عن الطرف الاخر ، امرا محتملا »(٤٠).

ليست صفة الكسل والتهرب من القيام بأعمال جسمانية هي الصفة الوحيدة التي تلازم هؤلاء المتطوعين ، بل هنالك صفات اكثر سلبية واخطر من ذلك ، واصبحت معروفة لرجل الشارع الاسرائيلي . وسنورد هنا بعض الاعمال المشينة التي يقترفونها على سبيل المثال لا الحصر :

السرقة : « القت الشرطة القبض على احد المتطوعين (من فرنسا) بتهمة سرقة محفظة طالبتين».

ترويج تعاطي الحشيش : « القت قوات الامن القبض على متطوع (من كندا) لانه راى ان جزءا من واجبه القيام بتزويد الحشيش لاعضاء الكيبوتس الذين أووه » . **التزوير** : « القت قوات الامن القبض على متطوعين (من استراليا) في احد كيبوتسات الجليل بتهمة التجارة في جوازات سفر مسروقة » . **الزنا** : « تحولت احدى المتطوعات (من بريطانيا) الى زانية ، وقد تلقت بعض اللكمات من بائعات الهوى في تل ابيب ، اللواتي تخوفن من المنافس الجديد » . **السطو** : « القت الشرطة القبض على سبعة متطوعين بتهمة السطو على الحوانيت وسرقة اغذية بقيمة ١٠٠٠ ليرة اسرائيلية». **القتل والاغتصاب** : « ارتكب بعض المتطوعين عملية قتل ، وعمليتي اغتصاب »(٤١). هذا فضلا عن ان الفئة المنتقاة من بين صفوف المتطوعين والتي التحقت بالجامعة العبرية في القدس ، يعود لها الفضل في ترويج تعاطي الحشيش بين صفوف الطلبة ، وادخال « موضة » تعاطي الحشيش بين جدران الجامعة . وشعار هؤلاء هو : « اذا كان الشرب والتدخين يعرقلان الدراسة ، فكف عن الدراسة »(٤٢)!!

والذي يهمنا هنا ، هو الجانب الاستيطاني الذي خدم فيه البعض من هؤلاء المتطوعين ، والنتيجة التعيسة لهذا الاستيطان . فقد استطاع متطوع من الولايات المتحدة يدعى « ديك سكوت » يبلغ من العمر ٣٨ عاما اقناع المؤسسات الاسرائيلية المسؤولة لبناء مستوطنة جديدة تحمل اسم « رمات هشالوم » في الهضبة السورية ، ولم يدر بخلد هذه المؤسسات ان « سكوت » هذا متهم من قبل سلطات كليفورنيا في الولايات المتحدة بتهريب مخدرات من المكسيك بقيمة نصف مليون ليرة ! تمكن ديك الذي استحوذت عليه فكرة بناء مستوطنة لمتطوعين ومهاجرين من الولايات المتحدة عندما سحرته مناظر هضبة الجولان ، من اقناع بعض المهاجرين من الولايات المتحدة وبعض المتطوعين بفكرته . وقد تجمع هؤلاء المستوطنون الجدد في مركز الاستيعاب التابع للوكالة اليهودية في صفد ، بانتظار بناء المستوطنة على يد السلطات ، غير انهم ملوا الانتظار وقرروا الذهاب الى المكان الذي ستبنى فيه المستوطنة قبل البدء في عملية البناء ، ولم تكن هذه المجموعة الاستيطانية المكونة من عشرين شخصا تمتلك شيئا الا البطانيات وبعض السيارات، وشرعت عند وصولها بتمهيد مكان لتنام فيه ، فقد « اخذ الاولاد بابعاد الحجارة ، بينما اخذت النسوة باعداد الطعام في سيارة الاوتوبيس التي تحولت الى مطبخ »(٤٣). وعندما علمت قيادة المنطقة الشمالية بعد يومين بأمر هؤلاء المستوطنين ارسلت اليهم بعض الضباط للوقوف على اوضاعهم حيث مدوهم بالخيام العسكرية وبقطع من الاسلحة . وكان هؤلاء يتخوفون كثيرا من العمل الفدائي . ففي الليلة الاولى من بناء الخيام احس الحراس بحركة مشبوهة واخذوا يطلقون النار بكل غزارة ، وعند الصباح ظهر ان حمارين قد نفقا بالقرب من خنادقهم(٤٤)!!

بعد ذلك رات السلطات الاسرائيلية انه من الواجب وضع حجر الاساس للمستوطنة الجديدة « رمات هشالوم » الواقعة على سفح جبل الشيخ . ففي احتفال ضم عددا من الوزراء وكبار ضباط الجيش

والشرطة تم وضع حجر الاساس في شهر ابريل ١٩٦٨ لهذه المستوطنة . وقد افتتح الاحتفال نائب رئيسة الوزراء يجال الون الذي قال في كلمته التي ألقاها بهذه المناسبة « اذا كان لا يوجد هنالك استعداد من جانب الدول العربية للموافقة على حدود آمن ، فاننا نعين حدود آمن ، ونقيم سورا دفاعيا على خطوط وقف اطلاق النار ، بواسطة تأسيس مستعمرات مدنية .. اذ انه فقط بواسطة مستعمرات نظير رمات شالوم توجد ضمانة لذلك بأن نقيم حدود آمن »(٤٥). وقال رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي كلاما مماثلا(٤٦).

غير ان امور المستوطنة لم تجر على ما يرام ، حيث اخذ الوضع المعيشي لسكانها يتدهور يوما بعد يوم، وأصبح هؤلاء المستوطنون مع ابنائهم على حافة الجوع . تقول « بات شيفع باهر » وهي اسرائيلية انضمت الى مستوطني « رمات شالوم » : « لقد مرت علينا ايام كنا نتناول بها قطعة من الخبز وقدحا من القهوة فقط ، ولم يكن لدينا ما نأكله . انني اتذكر زوجة « ديك سكوت » عندما هجرت المكان وسافرت الى كريات شموناه لان اولادها لم يستطيعوا تحمل الظروف السكنية ، حيث كانت تصعد يوميا الى الجبل لتطلب من الجنود قليلا من الطعام لاولادها لتقيهم غائلة الجوع . وقد كنا جميعا جوعى . وبدأت مرة أخرى موجة من الهجرة من المستوطنة لان المستوطنين لم يستطيعوا الصمود . كنا نطلب طعاما من قوات الجيش الاسرائيلي. وكانوا يقدمون لنا بقايا الخبز والطعام. ولم يكن امامنا مفر من ترك المستوطنة »(٤٧). وهكذا خلت المستوطنة من مستوطنيها ، ولم يبق بها الا انقاض من السيارات والجرارات التي دمرها الفدائيون العرب ، كما ان مصير « الاب الروحي » للمستوطنة وزعيمها ديك سكوت لم يكن بأفضل من مصير مستوطنته ، فقد القت قوات الامن الاسرائيلية القبض عليه في أواخر شهر حزيران من عام ١٩٦٩ بناء على طلب من حكومة الولايات المتحدة بتهمة تهريب مخدرات من المكسيك الى كليفورنيا(٤٨).

من المعروف ان الاستيطان الاسرائيلي القروي يعتمد على الزراعة ، ولذلك كانت مؤسسات الحركة الصهيونية تعمد منذ البدء في نشاطها الى اختيار الاراضي الزراعية الخصبة ، لتقيم مستوطناتها عليها . فأمهات المستوطنات الاسرائيلية مثل « بيتح تكفا » (عام ١٨٧٨) و« ريشون لتسيون » (عام ١٨٨٢) و« جديرا » (عام ١٨٨٢) و« زخرون يعقوب » (١٨٨٢) و« رحوبوت » (١٨٩٢) احتلت اخصب بقعة في فلسطين ، حيث أشيدت في السهل الساحلي الفلسطيني كقاعدة لظهور مستوطنات اخرى، والسيطرة بالتالي على الاراضي الخصبة . وكانت الجهات الاسرائيلية الرسمية المسؤولة عن استيطان هضبة الجولان تأمل ان الهضبة تحتوي على اراض زراعية خصبة غير انه بعد اجراء الدراسات في المنطقة خاب امل هذه الجهات اذ ان خصوبة الارض لم تكن بالشكل الذي تصورته . فقد اشار وزير الزراعة حاييم جباتي في مؤتمر للمزارعين عقد بتاريخ ١٩٧٠/٤/٣٠ في منطقة « جدروت » « الى انه خلافا للامال ، وما كنا نتوقعه ، ظهرت المنطقة كمنطقة غير خصبة من الناحية الزراعية »(٤٩).

ويمكن القول ان الاستيطان الزراعي في هضبة الجولان يفتقر الى عاملين اثنين : خصوبة الاراضي الزراعية ووفرة المياه . ولعل العامل الثاني هو الذي يشكل مشكلة رئيسية امام تطوير الاستيطان الزراعي . فاذا ما توفرت المياه بشكل جيد سيكون بالامكان تحويل الاراضي البور القابلة للزراعة الى اراض خصبة، وهذا ما دفع المسؤولين الاسرائيليين الى القيام — بالاضافة الى أعمال التنقيب عن مصادر المياه في المنطقة — الى دراسة امكانية تزويد هضبة الجولان بالماء من بحيرة طبريا ، حيث « يقوم مختصو المياه الان باعداد مشروع لرفع منسوب مياه بحيرة طبريا بمتر واحد ، لانه بهذه الطريقة يكون بالامكان الحصول على زيادة في مياه البحيرة بـ ٦٠ مليون متر مكعب من الماء »(٥٠). واذا ما خرج هذا المشروع الى حيز التنفيذ فسيكون بالامكان توسيع رقعة الاماكن الزراعية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان مستوطنات الجولان كانت حتى النصف الاول من عام ١٩٧٠ قد مهدت وقامت بزراعة ٥٠ الف دونم ومن الممكن بعد القيام بأعمال تمهيد ، زراعة ٥٤ الف دونم آخر(٥١). غير ان الاتجاه الرئيسي يسير الان نحو العناية بتربية الابقار لوجود مناطق كثيرة في الهضبة السورية غنية بالمراعي تصل مساحتها الى اكثر من ٣٠٠ الف دونم . وقد استغل المستوطنون هذه المراعي وقاموا بتربية الابقار والاغنام ، ويمتلكون

حوالي ٤٠٠٠ رأس من البقر ، و٢٢٠٠٠ رأس من الغنم(٥٣). وتقول صحيفة معاريف : « ان الهدف هو تحويل المنطقة في الاعوام القريبة القادمة الى مركز لتربية الابقار لكي تكفي اسرائيل حاجياتها من اللحوم الطازجة بدل اللحوم المجففة المستوردة »(٥٣). اما صحيفة دافار فقد قالت تحت عنوان « هضبة الجولان مزرعة ابقار لاسرائيل » : « انه بمقتضى الخطة لاعوام السبعينات سيصبح عدد الابقار في الهضبة ٣٠٠ الف راس ، سترعى في مراع تصل مساحتها الى ٨٠٠ الف دونم . اما قطعان الاغنام فيصل عددها الى ٥٠٠٠ راس ، هذا بالاضافة الى ان المنطقة ستنتج ٣٠٠٠ طن من لحوم ديك الحبش ، وبهذا الشكل تتحول الهضبة الى مورّد اللحوم الطازجة الى اسرائيل »(٥٤). والى جانب هذا الاتجاه الرامي الى جعل الهضبة « تكساس اسرائيل » هنالك اتجاه آخر يرمي الى تحويلها الى منطقة سياحية ، حيث الثلوج والطقس الشبيه بالطقس الاوروبي . وقد شرعت السلطات الاسرائيلية بتحريش المنطقة ، وغرست حوالي ١٥٠ الف شجرة في الاماكن غير القابلةكثيرا للزراعة(٥٥). الا ان الاستيطان الاسرائيلي في الهضبة السورية وبقية المناطق العربية المحتلة ، لا زال يعاني — علاوة على المسائل الموضعية — من النقص في القوى البشرية . فسكان معظم هذه المستوطنات يعدون بالعشرات . كما ان معظم مستوطني الهضبة شباب غير متزوجين ومعدل اعمارهم ٢٣ عاما(٥٦). ومن اجل حل هذه المشكلة ، يطالب مستوطنو الهضبة بتوجيه سيل الهجرة اليهم ، ويدعون « ان المهاجرين لم يرسلوا في اعوام الخمسينات الى تل ابيب وحيفا ، بل الى اماكن جديدة » كما ويعتقدون « ان وزارة الاستيعاب لم تبذل جهودا كافية لفحص امكانية توطين مهاجرين في الجولان »(٥٧).

مستوطنات هضبة الجولان

كفار شاريت: تعتبر كفار شاريت طليعة المستوطنات الاسرائيلية في المنطقة . وتقع في منحدرات الهضبة بالقرب من الموقع السوري المعروف باسم تل عزيزات . وكانت هذه المستوطنة تحمل في البداية اسم رمات هبانياس ، لقربها من منابع نهر البانياس ، ثم حول اسمها الى « ناحال شنير » الا انه عاد فبدل بقرار من لجنة الاسماء الحكومية، واصبح كفار شاريت(٥٨) على اسم موشيه شاريت. وتتشكل نواة المستوطنة من عناصر « هشومير هتسعير » المرتبط بحزب مبام . وتعتمد كفار شاريت على الاعمال الزراعية ، وقد نمت وتطورت بسرعة لخصوبة الاراضي التي تستغلها(٥٩). وقد قامت دائرة الاشغال العامة في اللواء الشمالي بمد طريق في اعقاب حرب الايام الستة الى منابع البانياس ، تسهل الوصول الى هذه المستوطنة(٦٠).

كيبوتس ماروم هجولان : بعد مضي شهر تقريبا على حرب الايام الستة قامت مجموعة استيطانية معظم افرادها من مستوطنات الجليل ووادي نهر الاردن الشمالي بتأسيس كيبوتس « ماروم هجولان » ، قبل ان يعلن المسؤولون الاسرائيليون ان هضبة الجولان لن تعاد الى السوريين حتى ولو مقابل اتفاقية سلام . اقيم الكيبوتس في البداية في معسكر سوري في « عليقة » الواقعة بالقرب من طريق القنيطرة — اشدوت يعقوب . وقد انهمك هؤلاء المستوطنون في بداية استيطانهم بجمع قطعان الابقار التي بقيت في المنطقة بعد ان التجأ اصحابها العرب الى سوريا خلال حرب الايام الستة(٦١). وفي شهر اوكتوبر من عام ١٩٦٧ انتقل المستوطنون الى القنيطرة واستولوا على « ضاحية الضباط » التي كانت تخص الجيش السوري وشرعوا بجمع ما يقع تحت متناول ايديهم من الاشياء التي تركها السكان العرب مما تسبب بوقوع اصطدامات مع قوات الامن(٦٢). واصبحوا يمتلكون بالاضافة الى ضاحية الضباط فندقا ومدرسة ميدانية لحماية الطبيعة ومطعما ومحطة بنزين . ثم اخذوا يقومون بزراعة ٥٥٠٠ دونم ، وبتربية قطعان الابقار ، وبصناعة لعب الاطفال . وتوجد لديهم ايضا محددة وكراج لاعتدة ميكانيكية ثقيلة(٦٣). ويعتبر هذا الكيبوتس اكبر مستوطنة في هضبة الجولان ، حيث يبلغ تعداد سكانه ٢٥٠ نسمة ، من بينهم ٣٥ طفلا، ولذلك انشئت في الكيبوتس روضة اطفال . ومما تجدر ملاحظته ان هذا الكيبوتس يحتوي على عدد من المتطوعين الاجانب(٦٤). وتعتزم السلطات الاسرائيلية نقل الكيبوتس الى مكان آخر في الشمال الغربي من تل ابو ندى على بعد ٤٠ كم من القنيطرة ، عندما تستكمل عملية البناء هناك(٦٥).

كيبوتس عين زيوان : مستوطنة مدنية اسست في مطلع شهر شباط ١٩٦٨ ، نواتها من افراد « هكيبوتس هموحاد » التابع لحزب « احدوت هعفوداه » بالاضافة الى بعض المتطوعين الاجانب.

تقع هذه المستوطنة على بعد عشرة كيلومترات جنوبي القنيطرة وقد اقيمت على انقاض موقع سوري للدروع ، بالقرب من القرية الشركسية عين زيوان، ومن هنا جاء اسم المستوطنة الاسرائيلية(٦٦). ويقوم سكان هذا الكيبوتس بالاعمال الزراعية الشتوية ، كما انهم اقاموا مصنعا للصناديل يحمل اسم « مصنع صناديل دفناه » تصل طاقته الانتاجية الى نصف مليون زوج من الصناديل في العام ، الا انه ينتج حاليا ٥٠ الف زوج فقط « بسبب اغراق السوق بالمنتوجات المماثلة التي تنتجها المعامل الجديدة ، التي انشئت في غزة ونابلس وعكا»(٦٧). ويعتبر هذا المصنع اهم مرفق صناعي في هضبة الجولان ، ومن المتوقع ان يغلق بسبب المنافسة الشديدة مع المصانع الاخرى . ويقول «آشر جيل» رئيس مستوطنة عين زيوان : « اذا لم تشرف وزارة التجارة والصناعة على انتاج الصناديل ، فانه لن يكون هنالك مفر من اغلاق معمل « صناديل دفناه » في عين زيوان »(٦٨).

ناحال العال : اقيمت هذه المستوطنة في مطلع شهر شباط عام ١٩٦٨ ، وقد دعيت على اسم القرية السورية المهجورة « العال » . تقع عند منتصف الطريق بين القنيطرة والحمة على بعد ١٦ كم من الحمة شرقي بحيرة طبريا(٦٩). ويمر بالقرب منها وادي العال الذي يمتاز بصخوره الجميلة وبمصابه المرتفعة والصاخبة . وكانت مستوطنة العال في البداية مستوطنة مدنية ، وقد تعثر نموها ، وفشل مستوطنوها في تطويرها لاسباب اجتماعية ، الامر الذي حدا بالمسؤولين عن الاستيطان الى ان يرسلوا في عام ١٩٧٠ نواة الى المستوطنة مكونة من الناحال الديني بغرض تطويرها(٧٠).

ناحال جيشور : انشئت هذه المستوطنة في شهر ابريل من عام ١٩٦٨، نواتها من «هشومير هتسعير» التابع لحزب مبام . اتخذ المستوطنون في البداية المباني المهجورة التابعة لمعسكر سوري للتموين عند منحدرات تل فرس مساكن لهم . الا انهم انتقلوا بعد ذلك الى مبان ثابتة . وتسيطر مستوطنة ناحال جيشور على احد المحاور الرئيسية في هضبة الجولان ، محور البطيحة ــ الحمة الذي يتجه عند مفترق رفيد نحو حوران ، ومن ثم يتفرع الى دمشق(٧١). ومما يسترعي الانتباه والاهتمام معا ان اسم هذه المستوطنة جاء على اسم بلاد «جشور» التي كانت قائمة في عهد المكرا (كتاب مقدس عند اليهود) . وتذكر الكتب اليهودية المقدسة : « ان داوود تزوج معكة ابنة تلماي ملك جشور ، التي انجبت له ابشالوم »(٧٢). ويعتمد سكان ناحال جشور على زراعة الخضروات والاشجار وتربية الاغنام . وقد اقيم في هذه المستوطنة معمل لصنع لعب الاطفال المصنوعة من القماش لتشغيل الفتيات فيه(٧٣).

رمات مجشيميم : تقع مستوطنة « رمات مجشيميم » في المنطقة الجنوبية من هضبة الجولان على الطريق المؤدية الى الحمة التي حول الاسرائيليون اسمها الى « حمة جادر » . ويمكنها موقعها التي اشيدت فيه من الاشراف على المناطق السورية والاردنية معا لقربها من تلاقي خط وقف اطلاق النار مع كل من سوريا والاردن . ويعمل سكانها بالزراعة وتربية الابقار(٧٤). وقد اقيمت هذه المستوطنة في النصف الثاني من عام ١٩٦٨ على أيدي مجموعة من شباب هبوعيل همزراحي ، بعد انتهاء خدمتهم في كتائب الناحال التابعة للجيش الاسرائيلي . اما الفتيات فقد قدمن من المدن(٧٥).

ناحال جولان : انشئت المستوطنة في اوكتوبر١٩٦٧، وتعتبر اقرب المستوطنات الى خط وقف اطلاق النار ، وتقع على الجانب الغربي من وادي « دوقاد » . وتتعرض بين الفينة والاخرى الى اعمال القصف الشديد(٧٦). ونواتها من شباب ايحود هكيبوتسوت (التابع لحزب مباي) ومن المتطوعين الاجانب. وتعتمد المستوطنة على الزراعة وتربية الماشية والدجاج. وقد دعيت هذه المستوطنة على اسم بلدة جولان التي كانت قائمة في عهد المكرا ، والتي أصبحت في عهد التلمود والمشناه ــ كما تدعي المصادر العبرية ــ مستوطنة يهودية مزدهرة . وتوجد بالقرب منها قلعة « جملا » اليهودية التي كانت قائمة ابان الحروب اليهودية الرومانية عام ٦٧ ميلادية(٧٧).

جبعات يوآب : أسست المستوطنة اواخر عام١٩٦٨ بالقرب من قرية فيق السورية المهجورة التي تشرف على بحيرة طبريا . ويقوم سكانها بالاعمال الزراعية وتربية الماشية . ودعيت المستوطنة على اسم المقدم « يوآب شاهم » الذي كان قد لقي مصرعه في العملية التي قام بها الجيش الاسرائيلي ضد قرية السموع العربية قبل حرب الايام الستة . ويزعم الاسرائيليون انه قد عثر بوادي فيق بالقرب من المستوطنة على رسم منحوت على صخر ،

لشمعدان ذي سبعة رؤوس . وعلى كتابة منحوتة عند أسفل الشمعدان تقول : «انا يهودا المرتل». تقول صحيفة دافار : « انه ليس هنالك شك بأن مستوطنة يهودية كانت قائمة هنا »(٧٨).

مفو حمه : تقع المستوطنة جنوبي هضبة الجولان بالقرب من الحدود الاردنية وعلى بعد ٤ كم جنوبا منها ، بينما تبعد عن خط وقف اطلاق النار مع سوريا بحوالي ٢٠ كم(٧٩). وقد شيدت في مكان الموقع السوري « عمارة عزالدين » الذي كان يهيمن على مستوطنات بحيرة طبريا . ودعيت المستوطنة على اسم « حمة جادر » الحمة العربية المشهورة بينابيعها المعدنية ، والتي تقول عنها صحيفة دافار «انها حمة جادر التاريخية اليهودية»(٨٠).

مستوطنة رموت : لم تنشأ حتى الان بيوت ثابتة او مؤقتة لمستوطني « رموت » الذين استوطنوا القرية السورية المهجورة « سكوفيه » منذ اكثر من ثلاثة اعوام . ويقوم المستوطنون بالاعمال الزراعية وخاصة زراعة القطن والغلال الا ان هذه المزروعات قد أتلفت بواسطة الخنازير البرية الموجودة بكثرة في المنطقة(٨١). وبالاضافة الى ذلك يقوم هؤلاء المستوطنون بزراعة الخضروات وتمهيد الارض لاجراء تجارب على زراعة اشتال المانجا والافوكادو. ولكن المشكلة الرئيسية التي تعاني منها هذه المستوطنة هي النقص في القوى البشرية ، حيث انه يوجد بها « اعضاء معدودون وشخصان متزوجان »(٨٢).

مشاريع أخرى

لا تقف المطامع الاسرائيلية في هضبة الجولان عند هذا الحد من المستوطنات التي أشيدت حتى الان في الهضبة السورية ، بل تسعى جاهدة الى بناء المزيد منها ، فقد ذكر يجال الون نائب رئيسة الحكومة في شهر آذار من عام ١٩٧٠ امام الكنيست انه قد تم بناء عشر مستوطنات في هضبة الجولان وان « اربع مستوطنات هي الان في طور البناء »(٨٣). ولم يذكر أسماء هذه المستوطنات ، وكذلك لم يحدد الاماكن التي تقام عليها في الهضبة السورية . كما ذكرت صحيفة معاريف انه من المنتظر ان تتخذ اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قرارا باعادة استيطان مستوطنة «رمات هشالوم» (التي مر الحديث عنها سابقا) الواقعة على المنحدرات الجنوبية من جبل الشيخ واقامة مستوطنة جديدة أخرى في المنحدرات الغربية لهذا الجبل و« سيعمل اعضاء هاتين المستوطنتين ، الذين هم في سن الشباب من مسرحي الجيش ، في الحقل الزراعي »(٨٤).

ويجري العمل الان على اقامة مستوطنة جديدة في منطقة الرمثه في هضبة الجولان ، تعتمد على السياحة كمصدر رئيسي لمعيشة سكانها . ومن المقرر حسب خطة بناء هذه المستوطنة « ربط قمة الرمثه بقلعة النمرود التي ستصبح مركزا سياحيا في كل أيام السنة ، بحافلة معلقة »(٨٥). وقد شرع عمال الكيرن كييمت باقامة مرصد على احدى القمم في الطريق الى جبل الروس في منطقة الرمثه ، ويبلغ ارتفاع القمة عن سطح البحر ١٢٠٠ متر(٨٦). كما ذكرت اوساط الصندوق القومي الاسرائيلي « انه ستقام خلال العام القادم (١٩٧١) مستعمرتان جديدتان في مرتفعات الجولان ومستعمرة اخرى في وادي البطحة »(٨٧). هذا فضلا عن ان الخطة الخمسية لتطوير مستوطنات هضبة الجولان التي وافقت عليها وزارة الزراعة ، والتي تبلغ تكاليفها ١٧ مليون ليرة اسرائيلية ستستثمر في اقامة المباني وتطوير الحقول المنتجة(٨٨). ولعل أهم المشاريع الاسرائيلية واخطرها هو مشروع السبعينات لهضبة الجولان ، الذي يعتمد على الزيادة في الطاقة البشرية للمستوطنين وليس على الزيادة في عدد المستوطنات . وبموجب هذا المشروع سيكون في هضبة الجولان اكثر من عشرين مستوطنة زراعية يبلغ تعداد سكانها ١٢،٥٠٠ نسمة ، بحيث يتراوح عدد سكان كل مستوطنة ما بين ٦٠٠ـ٦٥٠ نسمة . وستعتمد هذه المستوطنات ـ بمقتضى هذا المشروع ـ على زراعة وتصدير الخضروات والزهور والافوكادو بالاضافة الى تربية الابقار والدجاج. ومن المتوقع ان تبلغ قيمة الانتاج الزراعي سنويا في هذه المنطقة ٥٥ مليون دولار ، بينما يبلغ الدخل السنوي الصافي للعائلة الواحدة ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية(٨٩). ان الهدف من وراء هذه المشاريع هو ترسيخ قواعد الاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان ، بواسطة خلق وقائع جديدة في هذه المنطقة التي هجرها معظم سكانها في حرب الايام الستة ، وبقيت شبه خالية . ويقول بن غوريون في كلمة القاها في بيت سوكولوف في تل ابيب « ان الضرورة تحتم حاليا وفي اقرب وقت ممكن اقامة عشرين مستوطنة يهودية في هضبة الجولان بالاضافة الى المستوطنات الموجودة حاليا

هناك . ذلك ان هذه الوسيلة في نظري من انجع الوسائل التي يمكن بواسطتها ابقاء هذه الهضبة تحت سيطرتنا ، ذلك لان العالم حينذاك لن يبادر الى طرد اليهود من هذه المنطقة »(٩٠).

الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية

ليس هنالك شك بأن للحركة الصهيونية مطامع كبيرة في الضفة الغربية وخاصة في الاماكن التي كان لليهود فيها وجود قبل حوالي الالفي عام ، حيث حظوا لفترة محدودة من الزمن بحكم هذه المنطقة ، وتشكلت لهم مملكتان فيها : مملكة يهودا في الجنوب وعاصمتها « أورشليم » بيت المقدس ، ومملكة السامرة في الشمال وعاصمتها « شخيم » نابلس. هذا فضلا عن احتواء هذه المنطقة للاماكن الدينية الهامة لدى اليهود وخاصة في القدس التي تحتوي على حائط المبكى ، والخليل التي يعتبرها اليهود « مدينة الاباء » لاحتوائها على « مغارة المكبيلا » الحرم الابراهيمي . وليس من المستغرب في شيء أن تقوم السلطات الاسرائيلية عند احتلالها لهذه المنطقة بتغيير اسماء المناطق والمدن ، وان تصم آذان العرب بأسماء غير مألوفة ترددها وسائل الاعلام الاسرائيلية مثل « يهودا والسامرة » بدل الضفة الغربية و« حبرون » بدل الخليل ، و« شخيم » بدل نابلس و« أورشليم الشرقية » بدل القدس العربية الخ ...

وربما تكون الضفة الغربية هي المكان الذي كان ينبغي على الحركة الصهيونية أن تبدأ منه في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في بناء مستوطنات لها ، تمهيدا لبناء الدولة العتيدة ، لما لهذه المنطقة من مكانة دينية في قلوب اليهود ، غير ان عامل خصوبة الارض حال دون البدء باستيطان زراعي في هذه المنطقة ، ودفع الحركة الصهيونية الى البدء ببناء شبكة من المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني ، حيث الخصوبة والارض الطيبة . وكان لهذه المستوطنات الفضل الاول في تحديد خطوط الهدنة بين العرب واسرائيل . ولم تحظ اسرائيل آنذاك بالضفة الغربية لندرة المستوطنات الاسرائيلية بها . وليس من المستبعد ان يكون عامل خصوبة الارض الذي صرف في الماضي انظار الحركة الصهيونية عن بناء المستعمرات في الضفة الغربية ودفعها الى بناء شبكة من المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني هو نفسه، الى جانب عوامل اخرى الذي يدفع اسرائيل الى بناء شبكة من المستوطنات في غور الاردن حيث الارض الخصبة والماء ، فضلا عن كون هذه المستوطنات تشكل حزاما أمنيا وتجعل السكان العرب في الضفة الغربية يشعرون بأنهم محاطون من كل الجوانب بحلقة من المستوطنات الاسرائيلية. وازاء تباطؤ الحكومة الاسرائيلية في دفع عملية الاستيطان في منطقتي الخليل وغوش عتسيون ، وتفضيلها بناء مستوطنات ناحال في غور الاردن ، اندفعت بعض المجموعات المتحمسة ، خاصة من بين صفوف المتدينين والحزب الوطني المتدين « مفدال » الى خلق وقائع جديدة في هاتين المنطقتين . فبعد انتهاء حرب الايام الستة بمدة وجيزة قامت سيارات بنقل متطوعين من الكيبوتسات والموشافيم التابعة للاحزاب الدينية ، مع خيامهم واعتدتهم ، وتوجهت بهم الى منطقة غوش عتسيون وعند ذلك فقط وافقت الحكومة على استيطان غوش عتسيون(٩١). وكذلك قامت مجموعة اخرى من المتدينين بالتوجه الى الخليل لخلق امر واقع هناك ، واستأجرت فندقا في المدخل الشمالي من المدينة ، ثم انتقلت الى مكان بالقرب من مقر الحاكم العسكري وعند ذلك فقط وافقت الحكومة وصادقت على استيطان هؤلاء للخليل(٩٢). وهذا لا يعني ان الحكومة الاسرائيلية كانت تقف في وجه الاستيطان في منطقة الخليل وغوش عتسيون ، بل كانت تفضل ارجاء موضوع استيطان هاتين المنطقتين ، حفاظا على وحدة حكومة الائتلاف الوطني ، وتفضل في الوقت ذاته بناء شبكة من المستوطنات الزراعية الامنية (مستوطنات ناحال) في غور الاردن وعلى امتداد النهر لان استيطان منطقة الاغوار لا يشكل مثار جدل بين اعضاء الحكومة ، بعكس الاستيطان الاسرائيلي في كل من الخليل وغوش عتسيون الذي انقسمت وجهات نظر اعضاء الحكومة الاسرائيلية حوله . ولكن الحكومة الاسرائيلية خضعت في نهاية الامر لمطلب استيطان الخليل وغوش عتسيون ، ليس بسبب قوة المستوطنين الذين أتوا خلسة او جهارا بسياراتهم الى هاتين المنطقتين بل بسبب طبيعة تكوين حكومة الائتلاف الوطني (تشكلت عشية حرب الايام الستة ، وانفرط عقدها عند موافقة اسرائيل على مشروع روجرز) المشكلة من تيارات مختلفة ابتداء باليمين المتطرف وانتهاء باليسار المعتدل . وكان اليسار في تلك الحكومة (حزب مبام وبعض حمائم حزب مباي؟) يعارض استيطان الخليل

وغوش عتسيون ، بحجة ان هذا العمل من شأنه ان يبعد من احتمالات السلام ، بينما كان اليمين وعلى رأسه كتلة حيروت الاحرار « جاحال »والحزب الوطني المتدين « مفدال » يدعو الى استيطان كافة المناطق المحتلة ويضع الخليل وغوش عتسيون على رأس سلم الافضلية للاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة .

وكان موقف رئيس الحكومة ليفي اشكول ومن بعده غولدا مئير وصقور حزب العمل المؤثرين في مجريات سير الاحداث في اسرائيل يتذبذب بين موقفي اليمين واليسار ، ولذلك لم تمنع الحكومة الاستيطان في الخليل وغوش عتسيون كما انها لم تفتح الباب على مصراعيه امام هذا الاستيطان ، في الوقت الذي اغلقت فيه الباب كليا امام من يرغب في استيطان منطقة « السامرة » نابلس .

اليسار الاسرائيلي الجديد واستيطان الضفة الغربية : حظيت الضفة الغربية وخاصة منطقتي الخليل وغوش عتسيون اكثر من غيرها من المناطق العربية المحتلة بوقوف تيارات اسرائيلية تمثل اليسار الاسرائيلي الجديد وبعض رجال الفكر الى جانبها ضد الاستيطان الاسرائيلي . فقد وقع ١٥٠ شخصا من رجال الفكر والاطباء والاساتذة واعضاء كيبوتسات في اسرائيل على منشور ضد اقامة ضاحية يهودية في الخليل لكي لا يفسر ذلك : « كخطوة نحو ضم المناطق المدارة. وكتناقض لادعاء الحكومة بشأن رغبتها في مفاوضات سلام . وكخلق وقائع جديدة تغلق الطريق أمام التسوية . ان هذا الامر يضعف العناصر الفلسطينية والعناصر الاخرى التي ترغب في التوصل الى تفاهم مع دولة اسرائيل »(٩٣).

لقد اكتفى الموقعون على هذا المنشور بمطالبة الحكومة ، وبشكل معتدل ، بعدم اقامة الضاحية اليهودية في الخليل ، دون ان يطالبوا بابعاد المستوطنين الموجودين في الخليل ، غير ان «شموئيل جلاي » وهو استاذ في جامعة تل ابيب ، تجرا اكثر من زملائه ومس صلب الموضوع ، فقد طالب في مقالة له بضرورة اظهار حسن نوايا اسرائيل تجاه السلام مع العرب ، واعرب عن اعتقاده ان قضية الاستيطان تثير خشية العرب من توسع اسرائيلي جديد . ومن اجل اثبات حسن نية اسرائيل قال : « ينبغي على الحكومة ان لا توقف فقط استيطانا آخر في المناطق المحتلة ، بل ينبغي ايضا الغاء الاعمال الاستيطانية التي قامت بها في الخليل وغوش عتسيون . هكذا ، وليس عن طريق الاستيطان ؛ نبدأ بالتقدم للحصول على اهدافنا في السلام ، مرحلة بعد مرحلة ، بطول أناة ، وبدون هستيريا الاستيطان »(٩٤).

اما اليسار الاسرائيلي الجديد والمصطلح عليه بالعبرية « سيح » الذي برز بعد حرب الايام الستة في الساحة الاسرائيلية ، كتيار غير مبلور الاهداف وغير مجسد التنظيم، فقد اتخذ من أسلوب التظاهرات وتوزيع المناشير منهجا له ضد الاستيطان الاسرائيلي في الخليل وغوش عتسيون . ومن الجدير بالذكر هنا ان اليسار الاسرائيلي الجديد يتعاون ويتحالف في نشاطاته المناوئة للحكومة الاسرائيلية مع « جماعة رفتين » المنشقة عن حزب المبام ومع جماعة متسبين . فقد قامت مجموعة من اليسار الاسرائيلي الجديد ومن عناصر « جماعة رفتين » بمحاولة تعتبر الاولى من نوعها للتوجه الى مدينة الخليل للقيام بمظاهرة هناك ضد الاستيطان الاسرائيلي ، غير ان قوات الامن الاسرائيلية حالت دون وصول افراد هذه المجموعة الى مدينة الخليل(٩٥). وعندما قررت حكومة اسرائيل بضغط من الاحزاب اليمينية والدينية الاعلان عن موافقتها لاقامة ضاحية يهودية في الخليل قام شباب من المنتمين لليسار الاسرائيلي الجديد ومن المؤيدين له بمظاهرة انطلقت من الجامعة العبرية في القدس وتوجهت نحو وزارة الاسكان ، احتجاجا على مشاريع وزارة الاسكان بشأن الضاحية اليهودية في الخليل . وكان المتظاهرون يحملون نعشا يرمز الى احد احتمالات السلام التي ماتت بسبب مشاريع البناء لهذه الضاحية ، ارادوا مواراته بالتراب بالقرب من وزارة الاسكان . وقد اصطدمت المسيرة بقوات الامن ، وسقط النعش على قارعة الطريق . وكان المتظاهرون يحملون لافتات كتب عليها «غولدا صقر او حمامة المهم ان تطير » « وزارة الاسكان تعد ضاحية الخليل — من يعد السلام » « مستوطني الخليل ، اذهبوا الى النقب »!(٩٦). وقد نشط اعضاء اليسار الاسرائيلي الجديد في طبع المناشير وتوزيعها ، ضد الاستيطان في الخليل ، في الاوقات التي تشتد فيها الدعوة لاستيطان هذه المدينة . وبلغ نشاطهم ذروته في هذا المجال عندما استطاعوا توزيع مناشير مناوئة للاستيطان في بيت الرئيس زلمان شازار ، حيث استطاع عدد من

الشبان التسلل بين الجموع التي اتت لتهنئة الرئيس ووزعوا مناشير ضد الاستيطان في الخليل(٩٧).

حملات استيطانية فاشلة في منطقة نابلس : ازاء حملات اليسار الاسرائيلي الجديد المناوئة للاستيطان في الخليل وغوش عتسيون قامت مجموعات من اليمين الاسرائيلي المتطرف بايحاء وتأييد الكتل اليمينية المتطرفة في اسرائيل مثل كتلة حيروت الاحرار « جاحال » و« المركز الحر » و« الحركة من اجل ارض اسرائيل الكاملة » بحملات استيطانية موجهة بشكل خاص الى مدينة نابلس العربية للاستيطان فيها عن طريق القوة . فقد قامت اربع مجموعات تضم حوالي ٤٠ شخصا من الشباب والشابات في ١٩٧٠/٥/٢٧ من القدس وحيفا والجنوب بالتوجه الى مدينة نابلس . وقد نصبوا خيامهم على ظهر جبل على بعد ١٠ كم جنوبي المدينة واطلقوا على مستوطنتهم اسم « مغو شخيم » (مدخل نابلس) غير ان هذه المستوطنة الوليدة ماتت في مهدها . فعندما علمت سلطات الامن بأمر هؤلاء المستوطنين ارسلت اليهم قوة ارغمتهم على ترك المكان في نفس اليوم الذي قدموا فيه . وقد قال احد المستوطنين يدعى « زئيف بيرل » طالب يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما، على اثر فشل المحاولة الاستيطانية: « يا للخسارة ! ان كل ما كنا نبغيه ، هو ابراز نابلس على خريطة ارض اسرائيل »(٩٨). وقال مستوطن آخر : « ان الامر الذي يوحدنا هو الرغبة في مشاهدة البلاد ماهولة بالسكان اليهود »(٩٩). وقال ثالث : « لقد كانت لدينا برامج لاقامة مدرسة ميدان ، ومحطة وقود ، ومطعم على الطريق الرئيسي »(١٠٠). بعد مرور شهرين تقريبا على هذه المحاولة الفاشلة ، قامت مجموعة اخرى معظم افرادها من الطلاب حوالي ٣٠ شابا وشابة(١٠١) بمحاولة لاستيطان جبل جرزيم ، غير ان قوات الامن تصدت لهم ومنعتهم من الوصول الى الجبل ، الامر الذي دفع المستوطنين الجدد الى الاستعاضة عن هذه المنطقة بمنطقة « شيلا » التاريخية . وبالفعل توجه افراد هذه المجموعة الاستيطانية الى هناك ورفعوا العلم الاسرائيلي ايذانا بانشاء مستوطنة شيلا ، الا ان هذه المستوطنة الجديدة لم يكتب لها ان تعيش اكثر من بضع ساعات ، حيث قامت قوات الامن بتعقبهم ومنعتهم من البقاء هناك(١٠٢). لم ييأس دعاة استيطان نابلس ، واتبعوا محاولاتهم السابقة بمحاولة اخرى عندما قامت مجموعة مكونه من ٦٠ شخصا بالتوجه الى المدينة ونصبوا خيامهم على بعد ٢٢ كم جنوبي نابلس ، الا ان قوات الامن تصدت لهم وحالت دون استيطانهم . وقبل أن ترغمهم قوات الامن على مغادرة المنطقة وزع هؤلاء منشورا جاء فيه انهم « يريدون الاستيطان في نابلس ويسعون الى اقامة معهد لتعليم اللغتين العبرية والعربية ، ومحطة وقود ومدرسة زراعية »(١٠٣).

لم تقتصر المحاولات الاستيطانية الفاشلة التي قامت بها مجموعات اسرائيلية يمينية متطرفة على منطقة نابلس بل شملت نواحي اخرى من الضفة الغربية مثل بيت ايل الواقعة على بعد ٣ كم من رام‌الله ، التي واجهت حملة استيطانية قامت بها مجموعة اسرائيلية مكونة من ٣٠ شخصا(١٠٤) تابعة لمنظمة تدعى « منظمة استيطان الضفة الغربية » يرئسها شخص يدعى « شمعون رحاميم » موظف بنك في القدس ، وقد تصدت قوات الامن لافراد هذه المجموعة ومنعتهم من الاستيطان في بيت ايل . ومثل قرية بتير الواقعة الى الغرب من بيت لحم ، حيث قامت مجموعة معظم عناصرها من الطلبة وحركة بيطار في فرنسا (التابعة لحزب حيروت) بنصب خيمة على تل يقع بين قرية بتير وبيت لحم ، غير ان هذه الخيمة لم يكتب لها البقاء ، حيث قامت سلطات الحكم العسكري بطرد هؤلاء المستوطنين في نفس اليوم الذي قدموا فيه(١٠٥). وهكذا فشل اليمين المتطرف في رسم وقائع جديدة في بقية الضفة الغربية ، كما فشل اليسار الاسرائيلي الجديد في ازالة وقائع جديدة في المناطق العربية المحتلة .

استيطان الخليل

ذكرنا سابقا ان مجموعة اسرائيلية دينية صغيرة قامت بعد حرب الايام الستة بالتوجه الى الخليل بغرض خلق نواة استيطانية في مدينة « الآباء » حيث توجد « مغارة المكبيلا » الحرم الابراهيمي ، واستأجرت فندقا في المنطقة الشمالية من المدينة ، وبعد ذلك فقط وافقت الحكومة الاسرائيلية واقرت هذا العمل بعد ان اصبح امرا واقعا . الا ان سلطات الحكم العسكري هناك قامت لاسباب امنية بنقل هؤلاء المستوطنين الى اماكن اخرى اعدت لهم داخل سور مقر الحاكم العسكري . ولا تزال هذه المجموعة الاستيطانية التي يرئسها الحاخام «موشيه لنجر » والمكونة من ٢٥ عائلة ، يصل تعداد

افرادها الى ١٢٥ نسمة ، من بينهم ٢٦ طفلا ولدوا في مقر الحاكم العسكري بالخليل(١٠٦) لا تزال حتى الان تعيش في هذا المقر المحاط بالحراسة المشددة ! ويقول « عاموس » احد مستوطني مقر الحاكم العسكري في الخليل في وصفه لحياة هؤلاء المستوطنين: « منذ عامين ونحن نعيش ضمن السور داخل باحة الحاكم العسكري ، بعزلة ، وباكتظاظ مخيف ، وباحساس المحكوم عليه بالموت شنقا . غير اننا صمدنا بفضل قوة ايماننا بأن تحولا سيحدث في المستقبل »(١٠٧). وقد اقام هؤلاء المستوطنون ، بفضل المعونات التي تلقوها ، منجرة ومطعما ، كما اقاموا مدرسة دينية وروضة اطفال .

ومع مرور الزمن ، واشتداد مطالبة العناصر اليمينية والدينية وضغطها على حكومة الائتلاف الوطني ، لبناء ضاحية في الخليل على نمط الضاحية اليهودية التي بنيت بالقرب من الناصرة العربية في الجليل في فلسطين المحتلة بغرض تهويد المنطقة ، وعلى اثر تهديد مستوطني الخليل بترك بيوتهم الموجودة بالقرب من مقر الحاكم العسكري ، والانتقال للسكن في مخيمات خارج المقر اذا لم تقم الحكومة بتزويدهم بالوحدات السكنية التي كانت قد وعدتهم بها ، قرأ يجآل الون نائب رئيسة الحكومة بيانا اصدرته الحكومة بهذا الخصوص ، جاء فيه « ان الحكومة تعكف الان على اعداد تخطيط لاقامة ضاحية يهودية في الخليل ... وان هذا التخطيط سيستغرق عاما او اكثر . وفي غضون ذلك ستتمكن الحكومة من مضاعفة السكان اليهود في مدينة الاباء حول النواة الاستيطانية القائمة »(١٠٨). وبذلك تكون الحكومة الاسرائيلية قد اماطت اللثام ولاول مرة بشكل رسمي ، عن اعتزامها لاستيطان منطقة الخليل . وفي نفس الشهر ، كشف يجآل الون النقاب عن عدد الوحدات السكنية التي ستشكل الضاحية اليهودية حين اعلن في الكنيست ان الحكومة قد قررت بناء ٢٥٠ وحدة سكنية « للعائلات التي تريد الانضمام الى المستوطنين في مدينة الآباء »(١٠٩) وبعد ذلك اقرت الحكومة في نهاية شهر آذار من عام ١٩٧٠ الميزانية المطلوبة من اجل اقامة الضاحية اليهودية في الخليل بمبلغ عشرين مليون ليرة اسرائيلية(١١٠) وقد لقي هذا القرار معارضة شديدة من قبل أعضاء حزب « مبام » واعضاء آخرين من حزب العمل .

ويجري العمل حاليا ، بالقرب من مدينة الخليل العربية ، بأعمال تمهيد الارض وشق الطرق وحفر اسس للبيوت لاقامة الـ ٢٥٠ وحدة سكنية التي قررت الحكومة الاسرائيلية بناءها . كما سيجري العمل لاقامة مبان للخدمات العامة تشتمل على « روضة اطفال ومدرسة وعيادة طبية وكنيس ومركز للحوانيت ومصانع »(١١١). ومن الملاحظ هنا ان مباني الخدمات هذه بامكانها تأدية الخدمة ليس فقط لـ ٢٥٠ وحدة سكنية ، بل لاكثر من ذلك . وليس من المستبعد أن تكون مباني الخدمات تلك معدة لتأدية الخدمة لضاحية اكبر من الضاحية المقرر اقامتها والتي سينتهي العمل بها بعد عامين على الاقل . ويمر بناء الضاحية بمرحلتين ، المرحلة الاولى تشاد فيها ٨٠ وحدة سكنية مساحة كل وحدة ٧٥ مترا مربعا ومكونة من ثلاثة طوابق. اما المرحلة الثانية ، فستبنى فيها بالقرب من هذه الوحدات السكنية وحدات أكبر تتراوح مساحة كل منها بين ٨٧ الى ١٠٠ متر مربع ، وهي مخصصة للعائلات الكبيرة ويبلغ ثمن كل وحدة ٩٠ الف ليرة اسرائيلية(١١٢). وقد قامت قبل مدة ١٢٠ عائلة من بين العائلات المرشحة لاستيطان هذه الضاحية بزيارة الخليل بواسطة سيارات الاوتوبيس لمشاهدة المكان الذي يجري فيه العمل لاقامة الضاحية اليهودية وسير العمل هناك(١١٣).

ولكن من الملاحظ هنا ان عملية الاستيطان في الخليل تسير ببطء شديد ويعود ذلك الى ثلاثة اسباب رئيسية : الاول : يتمثل في المعارضة الموجودة داخل الحكومة نفسها ، حيث يقف اعضاء حزب مبام سواء في الحكومة او الكنيست مع أعضاء آخرين من حزب العمل ضد استيطان المدينة لكي لا يؤثر هذا العمل على احتمالات السلام مع الدول العربية . والثاني : المعارضة الخارجية وخاصة معارضة الولايات المتحدة الاميركية بالذات ، فعندما أخذت الاوساط الحكومية في اسرائيل تتحدث حول اقامة ضاحية يهودية في الخليل ، أثار هذا الامر « اهتمام وقلق الولايات المتحدة » مما حدا بوزير الخارجية ابا ايبن الى الادعاء بأن المقصود هو اقامة « وحدات سكنية مقلصة وليس ضاحية كبيرة » ! والثالث : ان الحكومة الاسرائيلية لم تقدم حتى الان على ضم مدينة الخليل الى اسرائيل، وبالتالي فان احتمالات الانسحاب من المدينة في حالة التوصل الى سلام مع العرب أمر وارد ، وهذا الاحتمال هو الذي يجعل السلطات الاسرائيلية

تتردد كثيرا في بناء الضاحية اليهودية ، ذلك لان الضواحي تختلف عن المستوطنات الزراعية من حيث المباني السكنية وعدد المستوطنين ، فمن السهل التخلي عن مستوطنة صغيرة واخلاء سكانها ، ولكن من الصعب التخلي عن مدينة واجلاء سكانها منها ولذلك نرى السلطات الاسرائيلية تقدم على بناء المستوطنات الزراعية الامنية وتحجم عن بناء الضواحي بالقرب من المدن العربية مثل نابلس والخليل وطولكرم وغزة باستثناء مدينة القدس العربية التي أعلنت اسرائيل رسميا ضمها اليها . ومع ذلك فقد اقرت اسرائيل خطة اقامة الضاحية اليهودية في الخليل . فهل يعني ذلك انها ستقيمها لكي تبقى الضاحية مع مستوطنيها اليهود تحت رحمة احتمالات السلام ؟ ترد رئيسة الحكومة الاسرائيلية غولدا مئير على هذا بقولها : « انه من المتفق عليه اذا ما انسحبت اسرائيل من الخليل ، فان ذلك سيكون فقط في نطاق سلام بين اسرائيل والدول العربية . واذا ما تقرر اعادة الخليل للحكم الاردني، فليس هنالك اي سبب يحول دون بقاء اليهود في المدينة التي طردوا منها نتيجة الحوادث التي وقعت قبل حوالي أربعين عاما ، ذلك لان السلام الحقيقي يمكن اليهود من البقاء في الخليل . ومن هنا ينبغي ان لا نرى في الاستيطان تعيين حدود سياسية للمستقبل »(١١٤). اي ان السلطات الاسرائيلية تتصور انها عثرت اخيرا على حل لا يتناقض واستيطان اليهود لمدينة الخليل ، حتى ولو تم التوصل الى اتفاقية سلام مع العرب، تنسحب بموجبها اسرائيل من المدينة ، ويبقى بها المستوطنون اليهود ، كما بقي العرب في اللد والرملة ويافا وحيفا والناصرة !

استيطان غوش عتسيون

ذكرنا سابقا ان فئة صغيرة من المستوطنين قامت بعد انتهاء حرب الايام الستة بالتوجه نحو منطقة غوش عتسيون بغرض استيطانها وخلق واقع جديد هناك . وقد لقي هذا العمل موافقة الحكومة الاسرائيلية فيما بعد . وتقع منطقة غوش عتسيون على هضاب الخليل في المنطقة الواقعة بين مدينتي القدس والخليل . وكانت الحركة الصهيونية قد شادت بعد الحرب العالمية الثانية أربع مستوطنات في تلك المنطقة تعرف باسم مستوطنات غوش عتسيون . وقد جاء انشاء هذه المستوطنات متأخرا بالنسبة لانشاء المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني، والمناطق الخصبة الاخرى في فلسطين. ولذلك لم يكن بوسع هذه المستوطنات تشكيل حزام دفاعي او هجومي قوي كبقية المستوطنات الاخرى، ولذا سقطت بسهولة عام ١٩٤٨ على أيدي المناضلين الفلسطينيين الذين دعمهم الجيش العربي الاردني .

بعد احتلال الضفة الغربية في حرب الايام الستة ، اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تدعو المستوطنين الذين قدموا الى غوش عتسيون بالمستوطنين « العائدين » على اعتبار ان معظم هؤلاء هم من بين الاشخاص الذين بقوا على قيد الحياة بعد احتلال الجيش العربي الاردني لمستوطنات غوش عتسيون . وقد اتخذ المستوطنون الجدد في بداية مجيئهم من مباني الجيش الاردني مساكن لهم ، شأنهم في ذلك شأن معظم المستوطنين الاسرائيليين في هضبة الجولان . وبعد ذلك اخذ الصندوق القومي اليهودي على عاتقه شق طريق بين غوش عتسيون ومنطقة « عدولام » طولها ١٣ كم وعرضها ستة أمتار(١١٥) بغرض تسهيل الاتصال بمدن ومستوطنات السهل الساحلي الفلسطيني وقد انتهى العمل من شق هذه الطريق عند مطلع عام ١٩٦٩(١١٦) دون ان تعبد وبقيت طريقا ترابية ، ولذا اصبحت هدفا للالغام التي يغرسها الفدائيون بها ، الامر الذي أثار الخوف والهلع في قلوب المستوطنين الذين اخذوا بعد ذلك يشكون الى السلطات المختصة من عدم الامن الناجم عن عدم تعبيد الطريق اثناء ذهابهم وايابهم من والى مركز البلاد(١١٧). وقام الصندوق القومي ايضا علاوة على شق الطريق بتشجير المنطقة ، ووصل عدد ما غرس حتى منتصف عام ١٩٦٩ حوالى نصف مليون غرسة(١١٨).

قبل التطرق الى المستوطنات الاسرائيلية التي اقيمت في هذه المنطقة ، تجدر بنا الاشارة الى مكانة هذه المنطقة لدى الاسرائيليين . ذلك ان مكانة غوش عتسيون تختلف وتتفاوت لدى الاحزاب في اسرائيل . فحزب « مبام » مثلا لا يعير هذه المنطقة اهتمامه ، بينما يرى فيها الحزب الوطني المتدين « مفدال » وطن الآباء « القدامى » ووطن الاباء « الحديثي العهد » ، وعليه فان لهذه المنطقة مكانة كبيرة بين أنصار هذا الحزب . وقد قال « يوسف بورغ » وزير الشؤون الاجتماعية (من الحزب

الوطني المتدين) في كلمة ألقاها بمناسبة تدشين مستوطنة « روش تسوريم » : « اننا اقمنا هذه المستوطنة بالدم والدموع والعرق ، ولا تستطيع قوة في الارض ان تنتزعها منا »(١١٩). اما يجال الون نائب رئيسة الوزراء فان مكانة هذه المنطقة بالنسبة اليه تعود الى مزاياها الامنية ، ويمكن تلخيص وجهة نظره التي تشبه الى حد بعيد وجهة نظر مسائر « الامنيين » في اسرائيل كالآتي : « ان صحراء يهودا برمتها من البحر الميت وحتى مشارف الخليل تعتبر منطقة مثالية لتمركز المقاتلين من الفدائيين . وبداعي متطلبات الامن الجمة لمدينة القدس فانه من الضروري ان تكون هذه المنطقة بأيدينا ... ولكي لا يغدو مصير القدس كمصير سايغون مثلا ، ينبغي علينا ان نسيطر على هذه المنطقة»(١٢٠).

مستوطنات غوش عتسيون : يوجد في غوش عتسيون حتى الان ثلاث نقاط استيطانية وهي : كفار عتسيون وروش تسوريم وألون شابوت . وقد اقيمت مستوطنة **كفار عتسيون** في شهر اوغسطس من عام ١٩٦٧ وبلغ عدد سكانها في عام ١٩٦٨ خمسين شخصا نصفهم من الشباب والنصف الآخر من الشابات . ومن بين هؤلاء يوجد عشرون شخصا من أفراد الناحال(١٢١). اما مستوطنة **روش تسوريم** فقد احتفل بتدشينها في ١٩٦٩/٧/٣٠(١٢٢) وتقع في المكان الذي اشيد فيه كيبوتس « عين تسوريم » الذي دمر في معارك ١٩٤٨ . اما المستوطنة الثالثة **الون شابوت** فقد اقيمت لتكون مركزا فرديا يقدم كافة الخدمات للمستوطنتين الانفتي الذكر والمستوطنات التي ستبنى في المستقبل في هذه المنطقة . ولذا اقيمت عند مفترق مستوطنات غوش عتسيون .

تعتمد مستوطنات غوش عتسيون على الزراعة الشتوية لعدم توفر المياه في المنطقة ، كما تقوم بتربية الطيور وخاصة ديك الحبش ، غير ان ذلك لا يكفي حاجة السكان ، ولذا فان الاكثرية من المستوطنين يذهبون يوميا الى السهل الداخلي للعمل هناك ، وتبلغ المسافة التي يقطعونها ذهابا وايابا حوالي ٩٠ كم(١٢٣). ويواجه مستوطنو المستعمرات الثلاث مشاكل جمة أهمها :

١ ــ الوحدات السكنية : تشبه هذه الوحدات الى حد كبير « البراكيات » وهي بيوت مصنوعة مقدما على شكل قطع يتم تركيبها عند البناء ومنظرها لا يدخل البهجة في النفس ، فضلا عن ان نوعيتها غير جيدة فمياه الامطار تتسرب منها خلال فصل الشتاء، كما ان منافعها تبعد قليلا عنها . ويقول احد مستوطني « ألون شابوت » في وصفه للحالة النفسية لدى المستوطنين : « الحقيقة ان اليأس يعصر قلوبنا من هذا البناء . ان الون شابوت ينبغي ان تكون كمركز قروي فخم . غير ان الشعور السائد هو اننا وقعنا في المصيدة »(١٢٤). وقال بعض المرشحين لاستيطان غوش عتسيون « انهم لن يأتوا الى غوش عتسيون ليعيشوا في مخيم لاجئين »(١٢٥). ومن الجدير بالذكر ان البرنامج الاساسي لبناء مستوطنة الون شابوت يتضمن بناء ٣٠٠ وحدة سكنية ، وبناء مدرسة دينية تحمل اسم « هار عتسيون » تضم ٣٠٠ طالب من سن الثامنة عشرة فما فوق، ومدرسة ميدانية تضم مئتي طالب، ومدرسة داخلية ثقافية ، ومدرسة ثانوية دينية وموسيقية فنية تدار بواسطة « جوقة زمير » التي تعتزم ارسال نواة من بين أفرادها من نيويورك الى منطقة غوش عتسيون بغرض الاستيطان، وبناء مركز للخدمات ، ومدرسة ابتدائية ، وعيادة ومطعم ومركز تجاري بالاضافة الى المؤسسات العامة(١٢٦). ولكن خلال عامين من الموافقة على البرنامج الاساسي لم يتم الا بناء ١٤ وحدة سكنية . ويقول أحد المستوطنين ان سبب التأخير في بناء الوحدات السكنية يعود الى اعتبارات سياسية . فقد أخر وزير الاسكان (عن حزب مبام) في صيف عام ١٩٦٨ عملية البناء « لان الحزب الذي ينتمي اليه «مبام» يعارض الاستيطان ، وخلق وقائع جديدة في يهودا والسامرة »(١٢٧).

٢ ــ أزمة المياه : يشكو مستوطنو غوش عتسيون من قلة المياه . ولا زالت هذه المستوطنات حتى الان تعتمد على الماء الذي يصلها بواسطة شاحنة تنقله من آبار تابعة لبلدية الخليل ، ويصل ثمن الكوب الواحد الذي تتقاضاه بلدية الخليل من مستوطنات غوش عتسيون ثمانية اضعاف عما هو عليه في فلسطين المحتلة ، الامر الذي يجعل هذا الثمن المرتفع موضع تندر وسخرية المستوطنين الذين يصفونه بأنه يضاهي ثمن « الشمبانيا » ! وكانت المؤسسات الحكومية قد وعدت بربط المنطقة بأنبوب للمياه يصل قطره الى ٨ انش ، الا ان هذا الوعد لم يخرج الى حيز التنفيذ . ويقول أحد المستوطنين : « انهم يتحدثون دائما ... حول

امكانية مد انبوب ، قطره ٨ انش ، وربط المنطقة بمصادر المياه في قطاع عدولام . انهم يتحدثون ... ونحن نعود من اعمالنا الى البيت ... لنستلقي على الاسرة والاوساخ تلتصق بأجسادنا »(١٢٨).

٣ ــ مشكلة الاراضي : وضع تحت تصرف مستوطني المستعمرات الثلاث في غوش عتسيون حوالي ٦٠٠٠ دونم ، ولكن الاراضي القابلة للزراعة تصل الى ٥٥٠ دونما فقط . ولتغطية النقص في الاراضي الصالحة للزراعة قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة ١٢٠٠ دونم من الاراضي التابعة للفلاحين العرب بغرض منحها للمستوطنات الاسرائيلية . الا ان اجراءات المصادرة لا زالت تسير ببطء شديد ، الامر الذي جعل التذمر يسود المستوطنين اليهود بسبب تباطؤ الحكومة في تنفيذ اجراءات المصادرة(١٢٩).

وهنالك مشاكل اخرى تواجه مستوطني غوش عتسيون مثل تعبيد الطريق بين مستوطناتهم وقطاع « عدولام » ، وربط المنطقة بشبكة كهربائية . وقد بقيت هذه المشاكل جميعها حتى الان دون حل وقيد الدرس، الامر الذي دفع المستوطنين الى ان يدعوا رئيسة الحكومة لزيارة منطقتهم ، وقد لبت غولدا مئير الدعوة وذكرت لهم ان السبب في تأخير مشاريع الاستيطان يعود الى العجز في الميزانية ، ثم اخذت تضرب على الوتر الديني قائلة : « عندما يكتب التاريخ اليهودي سيكتب انه هنا ، وفي هضبة الجولان ، وفي غور الاردن ، وفي اماكن اخرى ، استوطن اناس ليس فقط بفضل القوة اليهودية ، بل ايضا بفضل قوة الايمان اليهودي الذي يعود اليه الفضل في وجود شباب وشابات مثلكم ، مستعدين لترك بيوتهم ، بدافع الامل والايمان بالمستقبل »(١٣٠).

استيطان منطقة اللطرون

مستوطنة موديعين : يعلق الاسرائيليون اهمية خاصة على منطقة اللطرون بسبب الموقع الاستراتيجي الذي تشغله . وقد بذلت القوات الاسرائيلية محاولات كثيرة لاحتلال هذه المنطقة في معارك ١٩٤٨ ، الا ان محاولاتها باءت بالفشل ، فضلا عن الخسائر الباهظة التي لحقت بها .

بعد سقوط منطقة اللطرون في حرب الايام الستة ، قامت القوات الاسرائيلية بتشريد سكان ، وازالة معالم اربع قرى عربية تقع بالقرب من دير اللطرون وهي عمواس ويالو وبيت نوبا وزيتا ، كما واخذت المستوطنات الاسرائيلية المجاورة لهذه المنطقة تتسابق وتتصارع حول نصيب كل منها في اراضي القرى العربية الآنفة الذكر . وفي جو التسابق هذا بين المستوطنات الاسرائيلية لاقتسام اراضي قرى اللطرون العربية ، كان حزب عمال اغودات يسرائيل (حزب ديني ، يشغل في الكنيست الحالية اربعة مقاعد) يقيم من بين صفوفه نواة ، استعدادا لاقامة مستوطنة في تلك المنطقة. وبالفعل برزت على الارض مستوطنة « موديعين » في اواخر اوكتوبر ١٩٦٩ . وكانت نواة المستوطنين المتدينين تتكون حينذاك من الشباب والشابات غير المتزوجين. وقد قرر البعض منهم اجراء طقوس الزواج في بيت حارون التاريخية بالقرب من مقابر المكابيين!(١٣١). وقد خطط لهذه المستوطنة لكي تصبح كيبوتسا مدنيا بعد مدة وجيزة من تأسيسها على يد سلاح الناحال . ويعتمد هذا الكيبوتس على الزراعة وخاصة زراعة الزهور ، التي يتقنها المستوطنون، كما ويعتمد ايضا على تربية الابقار ، حيث توجد المراعي الطبيعية الخصبة(١٣٢).

مستوطنة نفيه شالوم : تعتبر مستوطنة « نفيه شالوم » (واحة السلام) المزمع انشاؤها في منطقة اللطرون ظاهرة فريدة من نوعها في المناطق العربية المحتلة . فهذه المستوطنة لن تقام بواسطة الجهات الاسرائيلية الرسمية او الشعبية، ولا حتى بواسطة المتطوعين الاجانب الذين تزعموا اقامة مستوطنة « رمات شالوم » في هضبة الجولان ، بل سيقوم بتأسيسها الراهب الدومينيكاني « برونو هوسار » احد رهبان دير اللطرون ، تساعده في ذلك امراة يهودية تدعى « رينا جفتمان » كانت قد هاجرت من فرنسا الى اسرائيل قبل خمسة اعوام . ويبدو ان حمى الاستيطان قد اصابت هذا الراهب ، وابعدته عن الامور التي ينبغي ان يكرس نفسه لها . فقام بتشكيل « لجنة تأسيسية » تضم يهودا ومسلمين ومسيحيين وتقوم بنشاط دعائي داخل اسرائيل وخارجها ، لجلب مستوطنين من اصحاب الكتب السماوية الثلاثة ، الى هذه المستوطنة ، الواقعة بالقرب من دير اللطرون في الاراضي العربية المحتلة. وهو يصف دوافعه من وراء اقامة هذه المستوطنة بانها تتسم بالنبل والانسانية : « اننا نستهدف من اقامتنا لهذه القرية ان تكون مكانا يستطيع فيه اليهود والمسلمون والمسيحيون داخل البلاد وخارجها ، ان يلتقوا فيه ويعملوا سوية . اننا

سنقبل اشخاصا ذوي رغبة اصيلة في التفاهم ، مؤيدين للسلام الحقيقي والعادل بين البشر ، وبين الطوائف المختلفة ، وبين الشعوب »(١٣٣). أما مشكلة تعليم اطفال القرية فان الراهب هوسار يعطي حلا بسيطا وسهلا لها اذ يقول : بالنسبة لابناء المسلمين ، ستقلهم سيارة اوتوبيس الى المدرسة العربية في قرية بيت سيرا ، اما ابناء المسيحيين فسينقلون الى مدرسة في رام الله ، وسينقل ابناء اليهود الى مدارس المستوطنات اليهودية القريبة(١٣٤). وفيما يتعلق بقضية الانتماء الى هذه المستوطنة ، يقول الراهب « هوسار » : « ان كل من ينضم الينا ، سيرسل مدة نصف عام الى الكيبوتس ، لكي يتعلم اللغة العبرية ، ويتعرف على الحياة التعاونيةالتي ستتبععندنا ايضا»(١٣٥). اختير مكان اقامة مستوطنة « نفيه شالوم » في منطقة اللطرون ضمن الاراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ ، بالقرب من موقع عسكري اردني ، وفي مكان لا زالت تطل منه مبان قديمة تعود الى عهد الصليبيين . ويقوم عمال عرب ومتطوعون من بين اولئك الذين استهوتهم فكرة الراهب هوسار بترميم هذه المباني وتزيينها . ومن المقرر ان تعتمد هذه المستوطنة على الزراعة والصناعة والاستضافة . وقد تم حتى الان اقامة مطعم ، ومكان للصلاة للاديان الثلاثة . ومن المعروف عن هذا الراهب انه قدم من فرنسا الى اسرائيل عام ١٩٥٣ ، ومنح الجنسية الاسرائيلية عام ١٩٦٥ لقاء الخدمات التي قدمها للصهيونية(١٣٦).

استيطان منطقة الغور

اقام الاسرائيليون منذ انتهاء حرب الايام الستة وحتى الان في غور الاردن ست مستوطنات ، خمس منها مستوطنات ناحال والمستوطنة السادسة مستوطنة مدنية . وهنالك مستوطنة سابعة في طور التخطيط والاعداد ، ستقام على الطريق التي شقت بعد الحرب بين عين جدي وعين الباشا ، تحمل اسم « راس حريبه » . وعلى خلاف الاستيطان في هضبة الجولان وغوش عتسيون ، فان « الاستيطان الارتجالي » الذي قامت به مجموعات اسرائيلية لخلق وقائع جديدة هناك ، لم تنجح في غور الاردن. فقد حدث ان قامت مجموعة استيطانية اسرائيلية مكونة من ١٤ شخصا من ابناء الكيبوتس والطلبة المتحمسين ، بعد انتهاء حرب الايام الستة بأسبوعين ، بمحاولة لانشاء مستوطنة في القسم الجنوبي من غور الاردن ، على الساحل الشمالي للبحر الميت ، الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل . ويصف احد المستوطنين هذه المحاولة بقوله : « كان لدى كل واحد منا مبلغ من النقود ، ووافق كل واحد ان يستثمر نقوده في هذه المحاولة . بعد اسبوعين من انتهاء الحرب اقمنا خيمة ، وبدأنا نفحص الاراضي ، ونهتم بالمياه وما شابه ذلك . وبعد ثلاثة شهور من عملنا في المنطقة ، ابعدنا من هناك بهدوء وادب »(١٣٧).

رات السلطات الاسرائيلية بعد اغلاقها الباب في غور الاردن امام « الاستيطان الارتجالي » ان تبادر هي باقامة شبكة من المستوطنات على امتداد الغور بواسطة سلاح الناحال . وتعتبر مستوطنات الناحال هذه الجزء الذي تم تنفيذه من مشروع الون ، الذي يستهدف خلق حزام أمني على امتداد وادي الاردن ومرتفعات الجولان ووادي عربة وشرم الشيخ بواسطة اقامة مستوطنات امنية في هذه المناطق . ولذلك فان المشاكل التي يواجهها مستوطنو الاغوار تختلف عن مشاكل الاستيطان المستعصية في الاماكن مثل غوش عتسيون والخليل ، وبعض مستوطنات هضبة الجولان ، ويعود ذلك الى كون مستوطنات الاغوار مستوطنات ناحال ، يديرها سلاح من اسلحة الجيش الاسرائيلي ، ويمتلك القدرة على حل مشاكلها . وهنالك ميزة اخرى تتسم بها هذه المستوطنات عن غيرها وهي الرابطة القوية التي تجمع هؤلاء المستوطنين بحكم انتمائهم لمؤسسة واحدة ، مؤسسة الناحال . وتقوم هذه المستوطنات بتبادل الخبرات واعمال الحراسة . فقد يحدث ان ترسل مستوطنة مجموعة من شبابها لحراسة مستوطنة اخرى مجاورة لها اذا ما قررت الاخيرة القيام بحفلة ليلية تستمر حتى الصباح ، كما ويحدث نفس الشيء اذا ما قررت المستوطنة الاولى القيام بهذه الحفلة(١٣٨)، ذلك لان مشكلة الامن هي المشكلة الرئيسية التي تواجه هذه المستوطنات .

اذا استثنينا العامل الامني الذي يقف وراء مستوطنات الناحال في الاغوار ، نجد ان هنالك عدة عوامل تقف وراء هذا الاستيطان اهمها : العامل الاقتصادي : تمتاز الاغوار عن غيرها من المناطق المحتلة بثمارها وخضارها المبكرة ، بحكم طقسها الفريد من نوعه في العالم . وتسعى السلطات الاسرائيلية الى تحويل الاغوار الى

« بستان خضار شتوي »(١٣٩) لاوروبا عندما تنمو وتتطور مستوطنات الاغوار وتتقدم في المجال الزراعي . والعامل السياسي : ان واقع قيام شبكة من المستوطنات الاسرائيلية على امتداد نهر الاردن ، يجعل الضفة الغربية محاطة من جميع الجهات بالتواجد الاسرائيلي ، الامر الذي من شأنه أن يعمل على عزل عرب فلسطين ولو جغرافيا عن الشعوب العربية .

بدافع من هذه العوامل الثلاثة اقامت السلطات الاسرائيلية شبكة من مستوطنات الناحال على امتداد نهر الاردن . غير ان هذه المستوطنات لم تصل بعد من الكثرة الى الحد الذي يمكنها من تحقيق الامال التي علقت عليها . ويقول الدكتور « رعنان فايتس » مدير قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية بعد ان شن حملة عنيفة على المؤسسات التي تعيق فكرة اقامة المستوطنات في الاراضي العربية المحتلة ، ودعا الى بناء المزيد من المستوطنات في غور الاردن : « اننا لم نتمكن حتى الان من اقامة راس الجسر المطلوب اقامته في غور الاردن لضمان خطنا الدفاعي هناك . ذلك انه لا يمكن سد الفراغ هناك عن طريق اقامة المستوطنات النائية ، كما هو الحال اليوم ، وانما عن طريق اقامة سلسلة من المستوطنات القريبة بعضها من البعض الاخر »(١٤٠).

مستوطنات الغور

ناحال محوله : تقع المستوطنة بالقرب من مخاضة ام السوس على طريق اريحا بيسان ، وتبعد عن بلدة بيسان بحوالي ٢٠ كم . وهي تعتبر طليعة مستوطنات غور الاردن ، فقد برزت على الارض في ١٩٦٨/٢/٦ كمستوطنة ناحال للمتدينين من اعضاء « بني عكيفا » ، وقد تبنتها مستوطنة دينية ليست بالبعيدة عنها تدعى « معليه هجلبوع » . تعتمد المستوطنة على الزراعة وخاصة زراعة الخضار المبكرة . وقد سميت هذه المستوطنة على اسم رقصة كان يرقصها اليهود في عهد المكرا « احتفاء بيوم النصر على العدو »(١٤١).

ناحال ارجمان : تقع المستوطنة الى الجنوب من ناحال محوله في وسط غور الاردن ، نواتها من ابناء المدن التابعين لحركة الشبيبة التي تعمل وتتعلم ، ويعتمد مستوطنوها على الزراعة . ويوجد على مرتفعات المستوطنة برج للمراقبة يشرف على المناطق الشرقية للنهر ، وجبال جلعاد ، وجسر داميا(١٤٢).

وقد برزت المستوطنة على الارض بتاريخ ٦٨/٢/٢٠، ودعيت على اسم ضابطين اسرائيليين لقيا مصرعهما على أيدي الفدائيين العرب في معركة كبيرة جرت بالقرب من مكان المستوطنة ، تخليدا لذكراهما ويدعى الضابط الاول « اريه ريجف » وهو برتبة عقيد (من سلاح المظليين) كان يقود اعمال المطاردة ضد الفدائيين العرب، ليشق بذلك طريقه الى قيادة المؤسسة العسكرية في اسرائيل . وقد حزنت اسرائيل على موته ومنعت القيادة العسكرية الاسرائيلية بعد ذلك كبار الضباط من مطاردة الفدائيين . اما الضابط الثاني فهو الرائد « جاد مانيلا » .

ناحال مسوآه : تقع مستوطنة ناحال مسوآه في وسط الغور ، بالقرب من الجفتلك عند مدخل وادي الفارعة . نواتها من ابناء الكيبوتس الديني ، ومن بين هؤلاء ابنة وزير الشؤون الاجتماعية يوسف بورغ (من الحزب الوطني المتدين)(١٤٣) وبرزت على الارض عام ١٩٧٠ . ويعتمد سكانها على الزراعة الشتوية،مثل الباذنجان والكوسا والشمام والخيار والبطاطا . وقد وضع تحت تصرف المستوطنة ٤٠٠٠ دونم . وتتلقى هذه المستوطنة المياه من عيون فاره ، وتقتسمها مع عرب تلك المنطقة(١٤٤). دعيت المستوطنة بهذا الاسم لقربها من قلعة مسرطبة التاريخية ، التي كان اليهود في عهد المكرا يشعلون فوقها المشاعل عند اعلان حاخامية القدس عن مطلع الشهور (شهور قمرية) وعن حلول الاعياد اليهودية ، لتشاهدها منطقة اخرى وتشعل المشاعل بدورها لتشاهدها منطقة ثالثة . وقد قرر الزعيم رحبعام زئيفي قائد المنطقة الوسطى اطلاق اسم مسوآه (مشعل) عليها ، للتذكير بعهود اليهود الغابرة(١٤٥).

ناحال جلجال : تقع مستوطنة ناحال جلجال في المنطقة الجنوبية من غور الاردن ، على بعد ١٥ كم في الشمال من اريحا ، في معسكر تدريب سابق للجيش الاردني . نواتها من اعضاء « هكيبوتس همؤحاد » التابع لحزب احدوت همفوداه . برزت على الارض عام ١٩٧٠ . ويقوم مستوطنوها بزراعة الخضروات والبطيخ والشمام ، وقد خصص للمستوطنة ٤٠٠٠ دونم(١٤٦). ودعيت المستوطنة باسم جلجال على اسم محطة جلجال التي كانت قائمة بالقرب من اريحا ، والتي رابط فيها بنو اسرائيل بقيادة يهوشوع بن نون عند اجتيازهم لنهر

الاردن ودخولهم ارض كنعان(١٤٧).

ناحال كاليا : تقع المستوطنة في المنطقة الشمالية للبحر الميت ، في مكان مستوطنة كاليا القديمة التي احتلها الجيش العربي الاردني عام ١٩٤٨، وحولها الى معسكر . وقد دعي مستوطنو ناحال كاليا الذين قدموا الى المنطقة ، واقاموا في المباني التي كانت تخص ضباط وجنود الجيش الاردني ، بالعائدين . وتواجه المستوطنة مشكلة زراعية تتمثل في ملوحة اراضي المنطقة ، ولذلك قدم اليها مرشدون زراعيون لكي ياخذوا بيد المستوطنين . وقد فكر هؤلاء باتباع طريقة زراعية معقدة ، باهظة التكاليف ، للتغلب على ملوحة الارض كالمستعملة في عين جدي . وتتلخص هذه الطريقة في القيام بغسل كميات كبيرة من التربة بالمياه العذبة لازالة ملوحتها ، ووضع قطع كبيرة من البلاستيك تحت تلك التربة لعزلها عن الطبقة الترابية السفلى المالحة ، ونشر كميات من مادة البازلت المهشمة، والمجلوبة من هضبة الجولان على البلاستيك ، وظيفتها امتصاص الماء وبالتالي المحافظة على رطوبة التربة ومنعها من التبخر . ومع ان هذه الطريقة تجعل الانتاج يصل الى ثلاثة اضعاف ما كان عليه ، الا ان تكاليفها باهظة ، حيث تصل تكاليف الدونم الواحد الى ٤٠ الف ليرة اسرائيلية(١٤٨). ومع ذلك فقد استطاعت مستوطنة « ناحال كاليا » برغم الظروف الزراعية القاسية ، تصدير قسم من انتاجها الزراعي الى الخارج(١٤٩). وقد اشتق اسم المستوطنة من الاحرف الاولى للجملة العبرية « بعث البحر الميت من جديد»(١٥٠).

مستوطنة بتسائيل (فصال) : تقع مستوطنة بتسائيل بين مستوطنتي ناحال جلجال وناحال مسوءه غربي طريق اريحا الجفتلك مسافة ٧ كم على هضبة مرتفعة . وتعتبر هذه المستوطنة الحلقة الاخيرة في سلسلة المستوطنات الاسرائيلية التي بنيت حتى الان في غور الاردن ، كما وتعتبر المستوطنة المدنية الاولى من بين هذه المستوطنات. وقد اعلن عن انشائها في الشهر الاخير من عام ١٩٧٠ . والمشكلة الرئيسية التي تواجه المستوطنة هي مشكلة القوى البشرية ، حيث يوجد نقص كبير في عدد المستوطنين . وهنالك مشكلة اخرى تتمثل في بعد المستوطنة عن المزارع التي خصصت لها والتي تقع على جانب الطريق الرئيسية. فمستوطنو بتسائيل مضطرون يوميا الى قطع مسافة ١٥ كم في ذهابهم وايابهم من اجل الاعتناء بالحقول الزراعية البعيدة عن المستوطنة . ويعتبر ذلك ظاهرة جديدة في الاستيطان الاسرائيلي الذي يقيم عادة المستوطنات الزراعية داخل الحقول او بالقرب منها. ولعل السبب في « ابعاد » هذه المستوطنة عن الحقول المخصصة لها يعود الى عامل الامن ، خاصة وان نواتها من المدنيين وليس من قوات الناحال ، وربما يكون عامل الامن هو الذي دفع المسؤولين عن الاستيطان الى اشادتها فوق قمم الجبال لتكون في مأمن من هجمات الفدائيين . وقد شبه الصحفي الاسرائيلي « مناحيم تلمي » هذه المستوطنة « بعش الصقور » !(١٥١).

استيطان القدس

تعتبر القدس المنطقة العربية المحتلة الوحيدة التي ينعدم الجدل حول مصيرها ، سواء بين الكتل السياسية او الهيئات العامة في إسرائيل . فهنالك اجماع تام بين الاحزاب الاسرائيلية التي تمتلك مقاعد لها في الكنيست (باستثناء القائمة الشيوعية الجديدة) على ضرورة ضم القدس العربية لاسرائيل ، وتوحيدها مع القدس اليهودية والعمل على تهويدها ، وجعلها عاصمة اسرائيل مهما كانت النتائج . ولذلك اقدمت اسرائيل في اواخر شهر حزيران من عام ١٩٦٧ بعيد انتهاء حرب الايام الستة مباشرة على ضمها اليها رسميا ، واخذت تطبق على سكانها العرب القانون الاسرائيلي وتعتبرهم مواطنين اسرائيليين ، كما فتحت باب الاستيطان فيها لمن يرغب من اليهود ، وشرعت تشجعهم في استملاك وشراء واستئجار الاراضي والمنازل العربية ووعدتهم « بتقديم يد المعونة بقدر الامكان ! كما جاء على لسان يجآل آلون نائب رئيسة الوزراء .

لم يكن الاستيطان الاول مبرمجا ، بل جاء عفويا على أيدي مجموعات من العائلات اليهودية من طبقة « الياقات البيضاء » التي أرادت ان تخلق وقائع جديدة في القدس العربية، اسوة بطلائع المستوطنين في هضبة الجولان . واذ كانت الوسيلة لخلق وقائع جديدة لاوائل مستوطني الجولان هي الانهماك في جمع قطعان الابقار المهجورة في الهضبة السورية ، فان الوسيلة لخلق وقائع جديدة في القدس العربية تتمثل في وضع اليد على او استئجار « البيوت المهجورة » في القدس التي تركها اصحابها الشرعيون في الحرب . وتصف « راحيل عنبر »

محررة المجلة الاسبوعية « لمتحيل » ، التي تركت بيتها وانتقلت مع زوجها واولادهـا الى القدس العربية ، دوافع العائلات اليهودية التي استقرت في القدس بقولها : « نما احساس عند كل عائلة بضرورة عمل شيء ما ، لكي يتقرر مصير المناطق على ضوء التواجد ... قلنـا : اننا لسنا ابناء ثمانية عشر ، لن نذهب لجمع الابقار في الجولان ، ولكن ، بما انهم خلقوا هناك وقائع جديدة بواسطة جمع الابقار المهجورة ، خرجنا نحن في نفس الوقت في مسار آخر ، وراء البيوت المهجورة في شمال شرق القدس ... »(١٥٢). الا ان عملية استئجار هذه البيوت « المهجورة » لم تكن بالامر اليسير كعملية جمع الابقار المهجورة في هضبة الجولان ، لان سكان المدينة العرب أدركوا مطامع تلك العائلات وما تصبو اليه من اهداف لخلق وقائع جديدة بينهم لتمهيد الطريق أمام تهويد المدينة ، وامتنع الكثيرون منهم عن تأجير المنازل ، او التصرف بالمنازل التي هجرها اصحابها ، الامر الذي جعل اليهود الذين يرغبون في استيطان المدينـة يتذمرون من موقف السكان العرب ويحتجون ضد الموقف « المتساهل » للسلطات الاسرائيلية تجاه هؤلاء العرب ! وبالرغم من ذلك فقد استطاع الاستيطان اليهودي العفوي غير المبرمج العثور على منازل مهجورة في أماكن متفرقة من مدينة القدس العربية ، واستئجارها . وقد بلغ مجموع هذه العائلات حتى شهر يوليو عام ١٩٧٠ ، ٣٨ عائلة(١٥٣). وتعاني هذه العائلات من العزلة ، كما وانها تواجه مشكلة نقل اطفالها الى المدارس اليهودية في القدس اليهودية . ولكن السلطات الاسرائيلية لم تدع الاستيطان العفوي يعمل لوحده علـى خلق وقائع جـديدة في القدس العربية ، بل اخذت هذه السلطات تعد وتخطط وتبرمج وتعمل جاهدة من اجل تهويد المدينة .

ومن اجل تحقيق عملية التهويد واخراجها الى حيز التنفيذ ، كان لا بد للسلطات الاسرائيلية من التفكير في توجيه سيل الهجرة اليهودية الى مدينة القدس، والاقدام على مصادرة اراض عربية ، تمهيدا لاقامة وحدات سكنية لهؤلاء المهاجريـن . ولذلك طالب الوزير شمعون بيرس المسؤول عن وزارة الاستيعاب العمل على تركيز معظم المهاجرين الجدد في القدس العربية حين قال في مطلع عام ١٩٧٠ « انه سيأتي الى اسرائيل خلال الاعوام الاربعة القادمة ما يقارب ربع مليون يهودي . وينبغي اسكان هؤلاء المهاجرين في القدس لكي يتحقق بذلك هدف ديموغرافي سياسي واجتماعي من الدرجة الاولى »(١٥٤). بيد ان تحويل سيل الهجرة الى القدس لن يعطي الثمار المرجوة منه اذا لم يقترن بمصادرة اراض عربية بغرض بناء وحدات سكنية لهؤلاء اليهـود ، ولذلك أقدمت الحكومة الاسرائيلية في اواخر عـام ١٩٦٧ على مصادرة حوالي ثلاثة آلاف دونم في مناطق رمات اشكول وجبعات همفتار والتل الفرنسي والمنطقة المتاخمة لجبل الزيتون(١٥٥). وبعد ذلك وفي شهر اوغسطس من عـام ١٩٧٠ استكملت السلطات الاسرائيلية سلسلة اخرى من المصادرات شملت حوالي ١٢ الف دونم في مناطـق شرفات جنوبي القدس بجانب الطريق المؤدية الى بيت لحم وبالقرب من بيت صفافا ، وفي منطقة قصر المندوب السامي، وفي منطقة النبي صموئيل شمال غرب القدس(١٥٦). وقد بدأت السلطات الاسرائيلية في اعمال التمهيد والبناء في المناطق التي تمت مصادرتها بعيد حرب الايام الستة ، حيث اقامت في عام ١٩٦٩ ضاحية « رامات اشكول » الواقعة بين حي الشيخ جراح وشعفاط وتحتوي على ٢١٠٠ وحدة سكنية ، بيعت معظمها الى العائلات اليهودية ، وقد بدأ البعض من هذه العائلات باستلام المباني المخصصة لها . وكذلك تم بناء اكثر من ١٥٠ فيلا من اصل ٣٠٠ فيلا في « هضبة المفتار » . اما بالنسبة للحي اليهودي فقد اعدت فيه خمس مدارس دينية بالاضافة الى منازل اخرى للطلاب الجامعيين، كما واعدت مساكن لسبع عائلات واقيمت بعض الحوانيت(١٥٧). ثم اخذت السلطات الاسرائيلية تخطط وتعد لاقامة مبان سكنية في مناطق اخرى من القدس العربية بغرض تهويدها . ففي التل الفرنسي يجري العمل على قدم وساق لبناء ١٥٠٠ وحدة سكنية من اصل ٢٥٠٠ وحدة سكنية حسب المخطط الرئيسي وتقدر تكاليف هذه الاعمال بـ ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية ، ثمن كل وحدة ٧٠ الف ليرة اسرائيلية . كما وتجري اعمال التمهيد لبناء ٣٠٠٠ وحدة سكنية في النبي يعقوب ثمن كل وحدة سكنية ٥٠ الف ليرة اسرائيلية، وتقدر تكاليف البناء في النبي يعقوب بـ ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية(١٥٨) هذا علاوة علـى ٧٠٠ وحدة سكنية (فيلا) ستبنى في النبي صموئيل شمال غرب القدس ، تسع لخمسة آلاف نسمة .

وستبنى ايضا حسب المخطط الرئيسي ٧٠٠ وحدة سكنية في منطقة قصر المندوب السامي و٧٠٠ وحدة

سكنية اخرى في منطقة شرمات في الجنوب من القدس(١٥٩).

اي ان المخطط الاسرائيلي الاساسي يستهدف احاطة القدس العربية بقوس من الضواحي اليهودية يكون مركز ثقل البناء لهذا القوس في الشمال والجنوب وليس داخل المدينة . ذلك لان القائمين على المخطط الاساسي للبناء لا يوصون بوضع المئتي الف مهاجر يهودي داخل القدس بل يدعون الى توطينهم في ضواح تقام بين القدس ورام‌الله وبين القدس وبيت لحم . ويتوقع هؤلاء انه بعد مرور ٤٠ ــ ٥٠ عاما ستصبح المناطق الواقعة بين رام‌الله والقدس ، وبين بيت لحم والقدس ، مغطاة بالمباني اليهودية ، كما هو الحال اليوم بالنسبة للمناطق الواقعة شمال تل ابيب حتى هرتسليا ، والواقعة جنوبها حتى بات يام وحولون(١٦٠). وقد وصل عدد اليهود الذين اصبحوا يقطنون في القدس العربية حتى الشهر الاخير من عام ١٩٦٩ ثلاثة الاف نسمة ، كما جاء على لسان يجال الون في الكنيست . ومن المقرر ان يصل عددهم في نهاية عام ١٩٧٣ في القدس العربية ٤٢،٠٠٠ نسمة(١٦١).

استيطان سيناء

لم تنج شبه جزيرة سيناء الصحراوية من الاستيطان الاسرائيلي . فبعد حرب الايام الستة بأسابيع معدودة قام جيولوجيون ومنقبون عن الكنوز الارضية بجولات في شبه الجزيرة للوقوف على اوضاع الاقليم والحياة فيها . ثم تبعتهم سبع بعثات علمية تابعة للجامعة العبرية بغرض « اجراء دراسات حول امكانية الاستيطان في شبه جزيرة سيناء » ، اتخذت من شرم الشيخ ومنطقة رودس ، مكانين دائمين لها(١٦٢). ولكن هذه المنطقة لم تشهد ــ بسبب ندرة الارض الزراعية ، وعدم توفر المياه ، ولكونها منطقة صحراوية ــ حملات استيطانية شعبية كتلك التي جرت في هضبة الجولان والضفة الغربية . ولذا وقع عبء الاستيطان على كاهل السلطات الاسرائيلية ، حيث اخذت تعد وتخطط بعيد الحرب لاقامة مستوطنات « ناحال » في شبه الجزيرة بغرض اثبات التواجد الاسرائيلي هناك . كما رأت هذه السلطات ان الواجب يتطلب فتح أبواب سيناء امام الشركات المختلفة لبناء فنادق ومؤسسات سياحية خلال الاعوام القادمة تتسع لحوالي ٣٠٠٠ سرير ، تصل تكاليفها الى ١٢ مليون ليرة اسرائيلية(١٦٣) على امل ان تساعد هذه الفنادق والمؤسسات السياحية على اثبات التواجد الاسرائيلي في المنطقة ، فضلا عن الارباح المادية التي ستجنيها اسرائيل من وراء ذلك . كما واقدمت السلطات الاسرائيلية على اقامة مستشفى حديث(١٦٤).

لم تكتف السلطات الاسرائيلية بالخطوة التي اقدمت عليها في بناء مستوطنات الناحال في سيناء ، بل اعقبت هذا النمط من الاستيطان باستيطان مدني عند مدخل رفح في شمال سيناء كما وانها تعد العدة لتكوين استيطان مدني في شرم الشيخ . ويمكن تقسيم الاستيطان الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء الى ثلاثة انماط من الاستيطان : ١ ــ استيطان الناحال ، على امتداد المحور الشمالي من سيناء . ٢ ــ استيطان مدني زراعي ، عند مدخل رفح . ٣ ــ استيطان مدني سياحي (في طور الاعداد) في شرم الشيخ .

مستوطنات الناحال

اقام سلاح الناحال الاسرائيلي حتى الان ثلاث مستوطنات في سيناء تقع كلها على امتداد المحور الشمالي من شبه الجزيرة حيث تتركز اكثرية السكان العرب على هذا المحور . ومن الجدير بالذكر ان اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قد وافقت في مطلع شهر حزيران عام ١٩٧٠ على اقامة مستوطنة رابعة تدعى « حروبه » على بعد ١٥ كم من العريش(١٦٥). كما وانه من المقرر اقامة مستوطنة ناحال تحمل اسم « نوبا » على ساحل خليج العقبة بين ايلات وشرم الشيخ (كما ذكرت الاذاعة العبرية في ٧١/٤/١٩) .

هنالك عاملان بارزان وراء اقامة هذه المستوطنات، العامل الامني والعامل النفسي . فبالنسبة للعامل الاول تشكل مستوطنات الناحال نقاط حراسة ثابتة في اماكن معينة على المحور الشمالي وتحول بقدر الامكان دون القيام باعمال فدائية من قبل عرب المنطقة . وفيما يتعلق بالعامل النفسي فالمقصود هو جعل عرب سيناء لا يحسون فقط بالتواجد العسكري الاسرائيلي ، الذي ينظرون اليه بأنه تواجد مؤقت ، خاصة وان الجيش الاسرائيلي كان قد انسحب من سيناء عام ١٩٥٧ ، بعد العدوان الثلاثي ، بل ايضا بالتواجد الاسرائيلي المدني الذي يوحي بأن اسرائيل لن تنسحب هذه المرة من سيناء، وبالتالي جعل هؤلاء السكان « يتعايشون » مع الوضع الجديد .

ناحال يام : برزت المستوطنة على الارض بتاريخ

٦٧/١٠/٤ . وقد اختـار المستوطنون في البداية الطريق الاسهل اسوة بطلائع مستوطني هضبـة الجولان ، فاتخذوا من منازل محطة سكة الحديد في بير مصفق مساكن لهم(١٦٦) ثم انتقلوا بعد ذلك الى بيوت ثابتة بالقرب من بحيرة البردويل على الطريق الرئيسية العريش ــ القنطرة. ويمكنها موقعها التي اشيدت فيه ، من الاشراف على جزء من المحور الشمالي الذي يعتبر اهم محور من ثلاثة محاور يستخدمها الجيش الاسرائيلي في سيناء . هذا فضلا عن ميزة قرب المستوطنة من بحيرة البردويل الغنية بالاسماك ، حيث يقوم المستوطنون هنـاك بصيد الاسماك بكميات لا بأس بها، وشحنها الى اسرائيل بسيارات شحـن مبردة ، لتقـوم المؤسسـات الاسرائيلية بدورها بتصدير قسم من هذه الاسماك الى اوروبا . وقد اهتم المسؤولون عن اقامة هذه المستوطنة ، بأن تكون نواتها من بين الذين تخرجوا من مدرسة صيد الاسماك ، من بين صفوف سلاح الناحال . ومن الجدير بالذكر ان صيادي الاسماك العرب من مدينة بورسعيد، كانوا قبل العدوان يقومون بأعمال صيد الاسماك في البحيرة .

ناحال سيناء : تقع مستوطنة ناحال سيناء بالقرب من العريش على الطريق المؤدية من العريش الى مفترق بير لحفان(١٦٧). اقيمت في اواخر عام ١٩٦٧. داخل مزرعة نموذجية ، اعدتها سلطات الجمهورية العربية المتحدة قبل حرب حزيران بغرض استصلاح الاراضي في مناطق معينة من شبه جزيرة سيناء . اما غرض اسرائيل من وراء اقامة هذه المستوطنة فهو « فحص امكانية توطين اللاجئين في قرى في سيناء حول مدينـة العريش »(١٦٨). ويقـوم المستوطنون بالاعمال الزراعية ويصدرون انتاجهم الى مدينة العريش .

ناحال دكله : برزت المستوطنة علـى الارض في ١٩٦٩/٧/١٣ في مكان يقع بالقرب من الشيخ زويد وعلى بعد ١٠ كم جنوبي مفترق رفح في الطريق الى العريش(١٦٩). نواتها مـن اعضاء منظمة « بني عكيفا » الموالية للحزب الوطني المتدين . وكان من المقرر عند تأسيسها ان تحـل محل نواة « بني عكيفا » بعد مدة من الزمن نواة من حركة «بيطار» التابعة لحزب « حيروت » ، وبالفعل قدمت مجموعة من اعضاء هذه الحركة واستوطنت ناحال دكله . وتعتبر مستوطنة ناحال دكله المستوطنة الوحيدة حتى الان التي استطاعت حركة « بيطار » ارسال نواة اليها من بين اعضائها بغرض الاستيطان . وقد وضعت السلطات الاسرائيلية تحت تصرف هذه المستوطنة ٢٠٠ دونم لزراعة الخضار الشتوية . بيد ان هذه الاعمال لا تسد حاجة المستوطنين ، ولذلك انيطت بهم مهام الاعتناء بمبارة كبيرة تصل مساحتها الى ٤٠٠ دونم في منطقة «بيسور»(١٧٠) داخل فلسطين المحتلة .

استيطان مدخل رفح

في عام ١٩٧٠ اخذت الجهات الاسرائيلية المسؤولة عن الاستيطان تبدي مزيدا من الاهتمام في المنطقة الشمالية من سيناء ، فقد شرعت في ذلك العـام بالتخطيط والعمل بهدوء لاقامة ثلاث مستوطنات مدنية هناك. ويعتبر ذلك تحولا حاسما في الاستيطان الاسرائيلي في سيناء الذي يعتمـد اساسا على المستوطنات الامنية (مستوطنات الناحال) . ولعل الدافع الاساسي من وراء قيام الحكومة الاسرائيلية بالاقدام على بناء مستوطنة مدنية من اصل ثلاث مستوطنات مدنية في القطاع الشمالي من سيناء بالقرب من رفح يعود الى عامـل سياسي ، فقد اخذت الحكومة الاسرائيلية في الوقت الذي طرحت فيه في المنطقة مشاريع سلام ، وخاصـة مشروع روجرز ، تعد العدة لاقامة هذه المستوطنات لخلق وقائع جديدة في شمال سيناء بواسطة سكان مدنيين وليس بواسطة سلاح الناحال ، بغرض استخدام هذه المستوطنات المدنية اذا ما تم التفاوض على تسوية سلام مع الجمهورية العربيـة المتحدة ، كورقة لها وزنها . هذا فضلا لما لهذه المستوطنات من ميزة أمنية ، ذلك لان وجود استيطان يهودي بالقرب من رفح من شأنه ان يغلق المنفذ الاساسي الذي يستخدمه الفدائيون العرب اثنـاء ذهابهم وايابهم من قطاع غزه الى الاردن ، الامر الذي دفع السلطات الاسرائيلية الى التفكير باقامة حزام أمن عند مدخل رفح للحد من نشاط الفدائيين(١٧١). وبدافع من هذين العاملـين ، العامل السياسي والعامل الامني ، اخذت السلطـات الاسرائيلية تخطط وتعد لاقامة ثلاث مستوطنات مدنية في شمال سيناء وقد شادت حتـى الان مستوطنة مدنية واحدة .

مستوطنة مدخل رفح : تقع هذه المستوطنة التي اطلق عليها مؤقتا اسم « بتعات رفيح » (مدخل رفح) في القطاع الشمالي من سيناء بالقرب من

مدينة رفح . وقد احتفل رسميا يوم ٧١/١/٤ بتشييدها . وسبق هذا الاحتفال ، اعمال كثيرة منها ربط المنطقة بشبكة المواصلات وبشبكة الكهرباء ، وكذلك مد انبوب للمياه يربط المستوطنة بمشروع المياه القطري ، بوسعه ايصال اكثر من مليون متر مكعب من الماء خلال العام الواحد للمستوطنة(١٧٢).

وتشبه منازل المستوطنة (من المنازل المصنوعة مقدما) المنازل التي يجري بناؤها في منطقتي غوش عتسيون والخليل ، وتبلغ مساحة كل وحدة سكنية ٦٨ مترا مربعا ، تشتمل على « غسالة كهربائية ، وفرن غاز ، وثلاجة كهربائية »(١٧٣). تقدم سكان المستوطنة اليها بعد انتهاء بنائها ، ولم يواجهوا اية مشاكل سكنية كبقية سكان المستوطنات المدنية في المناطق المحتلة ، ووجدوها جاهزة دون ان يكلفهم ذلك شيئا ، اللهم الا عناء الانتقال من مكان الى آخر ! ومعظم هؤلاء من سكان الكيبوتسات. وهنالك ظاهرة تختص بهـا هذه المستوطنة ، دون كافة المستوطنات الاخـرى التي شيدت حتى الان في المناطق العربية المحتلة ، وهي ظاهرة اقتصـار الاستيطان فيها على العائلات المدنية فقط . ومن المقرر ان يعمل سكان المستوطنة في الحقل الزراعي، حيث اعدت الارض ، بعـد حل مشكلة المياه ، لزراعة فستق العبيد والمنجا والبرتقال والليمون خلال المرحلة الاولى من الاستيطان . وقد خصص لكل عائلة ٢٠ دونما ، ومن المقرر ان تتوسع قطعة الارض بعد مدة لتصبح ٤٨ دونما ، كما خصص لكل عائلة مدجنة لتربية الدجاج الهندي(١٧٤).

وقد واجه المستوطنون في اليوم الاول من قدومهم الى مدخل رفح عداء سياسيا من قبل المستوطنتين الاسرائيليتين القريبتين من مستوطنتهم العتيدة ، وهما مستوطنتا « كيرم شالوم » و«نير يتسحاق » التابعتان لحركة « هشومير هتسعير » الموالية لحزب « مبام » . فقد استقبلتهـم هاتان المستوطنتان بلافتات عدائية « حل للاجئين ، في مدخل رفح ! » و« الخزي والعار للاستيطان ! » بسبب معارضة حزب مبام لاستيطان سيناء . ومن الجدير بالذكر ان حزب «مبام» يؤيد الاستيطان في هضبة الجولان، وفي غور الاردن والقدس ، ويعارض الاستيطـان الاسرائيلي في المناطق الاخرى من المناطق العربية المحتلة . غير ان الامر الذي يثـير السخرية هو وجود عدد من المنتمين لحركة « هشومير هتسعير » بين مستوطني مدخل رفح !

استيطان شرم الشيخ

تحتل منطقة شرم الشيخ المكانة الثالثة بين المناطق المحتلة التي يؤكـد الاسرائيليون على انهم لن ينسحبوا منها ، حتى ولو مقابل سلام حقيقي مع العرب ، فهي تأتي حسب سلم الافضليات لدى الاسرائيليين ، بعد القدس وهضبة الجولان . ويعود تمسك اسرائيل بمنطقة شرم الشيخ الى عاملين رئيسيين : العامل الامني والعامل السياحي . فالعامل الاول والاهم يمكن اسرائيل من السيطرة على خليج العقبة ومضائق تيران ، فضلا عن انه يمكنها من نصب رأس جسـر يطل على البحـر الاحمر . ويقف وراء هـذا العامل المؤسسـة العسكرية الاسرائيلية والاحزاب اليمينية المتطرفة ودعاة الضم في اسرائيل . اما العامل السياحي الذي من شأنه ان يزيد من دخل اسرائيل السياحي فانه يستهوي وزير السياحة موشيه كول وقطاعات كبيرة من المجتمع الاسرائيلي . ولم تقم السلطات الاسرائيلية حتى الان ببناء مستوطنة او مدينة في شرم الشيخ ، الا انها تصر على ابقاء المنطقة تحت سيطرتها ، وتفكر في استيطانهـا . ويقول وزير السياحة موشيه كول : « ان شرم الشيخ لن تعاد الـى مصـر ، وستصبـح مدينـة استجمـام وسياحة »(١٧٥). اما وزير الاسكان زئيف شريف فقد صرح : « انني اؤمن باقامة مدينة في شرم الشيخ في المستقبل القريب ... وستبادر وزارة الاسكان الى البحث عن المكان الملائم لاقامة المدينة، مع الاخذ بعين الاعتبار النواحي المتعلقة بطبيعة واحتياجات المنطقة » . واضاف : « هنالك ٥٠ عائلة من المهاجرين الجدد تريد الاستيطان هناك لتطوير المنطقة طبيعيا وسياحيا »(١٧٦).

هنالك عدد من المشاريع لاستيطان المنطقة ، ابرزها مشروعان الاول تقدمت بـه الى الحكومة لجنـة اسرائيلية تدعو الى الاستيطان في شرم الشيخ ، ويتحدث هذا المشروع عن « الخطة التفصيلية من اجل اقامة مدينة في شرم الشيخ ، يعتمد سكانها على السياحة ». وسيتم بموجبه في المرحلة الاولى: « بناء ضاحية سكنية ومساكن فسيحـة ومدرسة وروضة اطفال وسوبر ماركت وعيادة طبية »(١٧٧). اما المشروع الثاني والاخطر ، فقد جاء من قبل الادارة المدنية لخليج العقبة ، التي تشكلت في شهر آذار عام ١٩٧٠ برئاسة « ابراهام يوفي » قائد احدى الفرق الاسرائيلية الثلاث التي هاجمت سيناء

في حرب الايام الستة ، والذي يشغل حاليا منصب مدير دائرة الحفاظ على الطبيعة . فقد اعدت هذه الادارة واصدرت في شهر اغسطس ١٩٧٠ كتيبا يحمل اسم « مشروع اولي للتنمية المدنية في منطقة خليج العقبة » يتطرق الى المشاريع التي يمكن ان تقوم بها اسرائيل في منطقة خليج العقبة . وفيما يتعلق بشرم الشيخ جاء في هذا الكتيب : « ان شرم الشيخ تشكل مركزا استيطانيا مركزيا واساسيا في جنوب سيناء لعدة اسباب من بينها : المعاني السياسية والعسكرية لمضائق تيران ، والامال المعلقة على تنمية جهاز سياحي ... » وبمقتضى هذا المشروع ستبنى مدينة في شرم الشيخ تضم ٣٥٠٠ وحدة سكنية ، وحوالي ١٥٠٠ غرفة لاستقبال السياح وعدد من الفنادق . ويتوقع القائمون على هذا المشروع ان يصل عدد السكان الاسرائيليين في هذه المدينة الى ١٤ الف نسمة في عام ١٩٨٥(١٧٨).

قطاع غزه والاستيطان الاسرائيلي

بقي قطاع غزه منذ حرب الايام الستة ولغاية مطلع ديسمبر ١٩٧٠ ، منطقة خالية من الاستيطان الاسرائيلي . ويعود ذلك الى عاملين اساسيين : اولا ، بروز المقاومة العربية في القطاع ، وتصاعد تواها يوما بعد يوم ، حتى اصبحت قوة بارزة لا يمكن القضاء عليها او الاستهانة بها . وثانيا ، كثافة السكان العرب في القطاع ، الذي يبلغ تعداد سكانه حوالي ٣٧٠ الف نسمة ، وتصل نسبة الكثافة السكانية فيه للكيلومتر المربع الواحد حوالي ١٠٠٠ نسمة . غير ان هذا الوضع لم يرض المصابين بحمى الدعوة للاستيطان . ففي الآونة الاخيرة اخذت الصحافة الاسرائيلية توجه نقدا للحكومة وتتهمها بالتقصير في استيطان القطاع ، وتدعوها الى اقامة مستوطنات اسرائيلية هناك اسوة بالمناطق العربية المحتلة الاخرى . فقد دعت صحيفة معاريف في خريف عام ١٩٧٠ الحكومة الاسرائيلية الى بناء شبكة من المستوطنات في القطاع تحت عنوان : « منطقة محررة ... من اية مستوطنة اسرائيلية ! »(١٧٩) تلتها استجابة من الحكومة على لسان الوزير جليلي بصفته رئيس اللجنة الوزارية للاستيطان عندما قال : « في كل جولة اقوم بها في قطاع غزة اقتنع من جديد بصدق وجهة نظر الحكومة القائلة بعدم عودة القطاع الى الحكم الاجنبي وضرورة عدم فصله عن بقية اجزاء دولة اسرائيل » واضاف : « ان الامر يتطلب منا اتخاذ عدة اجراءات وينبغي ان لا نتوانى في تنفيذها . كما وينبغي علينا ان لا نتوانى في تنفيذ المشروعات الاستيطانية التي اقرتها الحكومة»(١٨٠).

مستوطنة « كفار داروم » : تقع هذه المستوطنة على انقاض كيبوتس « كفار داروم » الذي اسس عام ١٩٤٦ بالقرب من الطريق الرئيسية وخط سكة حديد غزه رفح شرقي دير البلح ، والذي كان الجيش المصري قد اجتاحه في معارك عام ١٩٤٨ . وتد سميت المستوطنة الجديدة على اسم الكيبوتس السابق . ونواتها من شباب وشابات سلاح الناحال ، الذين ينتمون الى حركتين دينيتين : « بني عكيفا » و« عزرا » . واحتفل بتدشين المستوطنة رسميا يوم ١٩٧٠/١٢/٢ بحضور حوالي الف شخص من بينهم قائد المنطقة الجنوبية الزعيم اريك شارون ، وقائد قطاع غزه وشمال سيناء الزعيم الثاني «مناحيم اميرام» وقائد الناحال العقيد تسفي ليفانون ، والحاكم العسكري لقطاع غزة العقيد بنيامين مئيتيف وممثلون عن الصندوق القومي(١٨١).

---

١ ــ معاريف ١٩٧٠/٢/١٣ .
٢ ــ دافار ١٩٦٨/١/٢٦ .
٣ ــ دافار ١٩٦٩/٦/٢٧ .
٤ ــ معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٥ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
٦ ــ ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
٧ ــ دافار ١٩٦٩/٤/١٨ .
٨ ــ دافار ١٩٦٨/١/٢٦ .
٩ ــ دافار ١٩٦٩/٧/٢٣ .
١٠ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
١١ ــ ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
١٢ ــ معاريف ١٩٧٠/٣/١٣ .
١٣ ــ ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
١٤ ــ ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
١٥ ــ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١/١٣
١٦ ــ معاريف ١٩٧٠/٦/١٨ .
١٧ ــ معاريف ١٩٧٠/٦/١٨ .
١٨ ــ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١/٣ .
١٩ ــ دافار ١٩٦٩/١/١٩ .
٢٠ ــ معاريف ١٩٧٠/٧/٥ .

٢١ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٦/١٢ .
٢٢ — معاريف ١٩٧٠/٧/٩ .
٢٣ — معاريف ١٩٧٠/٧/٩ .
٢٤ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٢٥ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٢٦ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٢٧ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٢٨ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٢٩ — دافار ١٩٧٠/٧/٣٠ .
٣٠ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٣١ — ملحق دافار عدد ٢٢ عام ١٩٦٨ .
٣٢ — معاريف ١٩٧٠/٧/٥ .
٣٣ — معاريف ١٩٧٠/٧/٩ .
٣٤ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٣٥ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٣٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٣٧ — ملحق دافار عدد ٢٢ عام ١٩٦٨ .
٣٨ — دافار ١٩٧٠/٦/٣٠ .
٣٩ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٠ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤١ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٢ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٣ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٤ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٥ — دافار ١٩٦٩/٤/٢٤ .
٤٦ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٧ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٨ — دافار ١٩٦٩/٦/٢٧ .
٤٩ — دافار ١٩٧٠/٥/١ .
٥٠ — دافار ١٩٧٠/٥/١ .
٥١ — دافار ١٩٧٠/٥/١ .
٥٢ — معاريف ١٩٧٠/٣/١١ .
٥٣ — معاريف ١٩٧٠/٣/١١ .
٥٤ — دافار ١٩٧٠/٧/٢٣ .
٥٥ — دافار ١٩٦٩/٨/٢٨ .
٥٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٥٧ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٥٨ — هايوم ١٩٦٧/١٠/٤ .
٥٩ — دافار ١٩٧٠/١٠/١٩ .
٦٠ — دافار ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٦١ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٦٢ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٣ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٤ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٥ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ ودافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٦٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٧ — عل همشمار ١٩٧١/١/١١ .
٦٨ — عل همشمار ١٩٧١/١/١١ .
٦٩ — جروزلم بوست ١٩٦٨/٢/١٤ .
٧٠ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧١ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٦/١٢ .
٧٢ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٣ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٧٤ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٥ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٦ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٧ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٨ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٩ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٨٠ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٨١ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٨٢ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٨٣ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٠ .
٨٤ — معاريف ١٩٧٠/١٢/٣٠ .
٨٥ — عل همشمار ١٩٧١/١/١٦ .
٨٦ — عل همشمار ١٩٧١/١/١٦ .
٨٧ — دافار ١٩٧٠/٤/٣ .
٨٨ — هآرتس ١٩٧٠/٦/١ .
٨٩ — دافار ١٩٦٩/٧/٢٣ .
٩٠ — هتسوفيه ١٩٧٠/١٢/٢٧ .
٩١ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٣ .
٩٢ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٣ .
٩٣ — معاريف ١٩٧٠/٦/١ .
٩٤ — معاريف ١٩٧٠/٤/١٢ .
٩٥ — دافار ١٩٧٠/٣/٢٥ .
٩٦ — معاريف ١٩٧٠/٦/١٩ .
٩٧ — معاريف ١٩٧٠/١٠/٢٠ .
٩٨ — معاريف ١٩٧٠/٥/٢٨ .
٩٩ — معاريف ١٩٧٠/٥/٢٨ .
١٠٠ — معاريف ١٩٧٠/٥/٢٨ .
١٠١ — دافار ١٩٧٠/٦/٢٤ .
١٠٢ — معاريف ١٩٧٠/٦/٢٤ .
١٠٣ — معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .

١٠٤ ــ هآرتس ١٩/١١/١٩٧٠ .
١٠٥ ــ دافار ٢٩/٨/١٩٧٠ .
١٠٦ ــ معاريف ١٨/٩/١٩٧٠ .
١٠٧ ــ ملحق معاريف ١٠/٤/١٩٧٠ .
١٠٨ ــ معاريف ١٠/٣/١٩٧٠ .
١٠٩ ــ معاريف ٢٦/٣/١٩٧٠ .
١١٠ ــ دافار ٣٠/٣/١٩٧٠ .
١١١ ــ معاريف ١٨/٩/١٩٧٠ .
١١٢ ــ معاريف ٢٠/١٠/١٩٧٠ .
١١٣ ــ معاريف ٢٠/١٠/١٩٧٠ .
١١٤ ــ ملحق هآرتس ٢٩/٥/١٩٧٠ .
١١٥ ــ دافار ٣٠/٧/١٩٦٩ .
١١٦ ــ ملحق معاريف ٢٥/٢/١٩٧٠ .
١١٧ ــ ملحق معاريف ٢٠/٢/١٩٧٠ .
١١٨ ــ دافار ٣٠/٧/١٩٦٩ .
١١٩ ــ جروزالم بوست ٣١/٧/١٩٦٩ .
١٢٠ ــ معاريف ٢٧/٣/١٩٧٠ .
١٢١ ــ ملحق دافار عدد ١٧ عام ١٩٦٨ .
١٢٢ ــ جروزالم بوست ٣١/٧/١٩٧٠ .
١٢٣ ــ ملحق معاريف ٢٥/٢/١٩٧٠ .
١٢٤ ــ ملحق معاريف ٢٥/١٢/١٩٧٠ .
١٢٥ ــ ملحق معاريف ٢٥/١٢/١٩٧٠ .
١٢٦ ــ ملحق معاريف ٢٥/١٢/١٩٧٠ .
١٢٧ ــ ملحق معاريف ٢٥/١٢/١٩٧٠ .
١٢٨ ــ ملحق معاريف ٢٠/٢/١٩٧٠ .
١٢٩ ــ معاريف ٢٠/٦/١٩٦٩ .
١٣٠ ــ معاريف ٢٦/٢/١٩٧٠ .
١٣١ ــ معاريف ١٦/١٠/١٩٧٠ .
١٣٢ ــ معاريف ١٦/١٠/١٩٧٠ .
١٣٣ ــ معاريف ١٨/٩/١٩٧٠ .
١٣٤ ــ معاريف ١٨/٩/١٩٧٠ .
١٣٥ ــ معاريف ١٨/٩/١٩٧٠ .
١٣٦ ــ معاريف ١٨/٩/١٩٧٠ .
١٣٧ ــ ملحق معاريف ١٠/٧/١٩٧٠ .
١٣٨ ــ ملحق معاريف ١٠/٤/١٩٧٠ .
١٣٩ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٤٠ ــ هتسوفيه ٢٠/١٢/١٩٧٠ .
١٤١ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٤٢ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٤٣ ــ ملحق معاريف ١٠/٤/١٩٧٠ .
١٤٤ ــ ملحق معاريف ١٠/٤/١٩٧٠ .
١٤٥ ــ ملحق معاريف ١٠/٤/١٩٧٠ .
١٤٦ ــ ملحق معاريف ٢٣/٢/١٩٧٠ .
١٤٧ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ وملحق معاريف ٢٣/٢/١٩٧٠ .
١٤٨ ــ ملحق معاريف ٢٤/٤/١٩٧٠ .
١٤٩ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٥٠ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٥١ ــ ملحق معاريف ٢٩/١/١٩٧٠ .
١٥٢ ــ ملحق معاريف ١٧/٧/١٩٧٠ .
١٥٣ ــ ملحق معاريف ١٧/٧/١٩٧٠ .
١٥٤ ــ دافار ٢٣/١/١٩٧٠ .
١٥٥ ــ معاريف ٢٩/١/١٩٧٠ .
١٥٦ ــ معاريف ٢٩/١/١٩٧٠ .
١٥٧ ــ دافار ١١/١٢/١٩٦٩ .
١٥٨ ــ ملحق هآرتس ٢٦/٢/١٩٧٠ .
١٥٩ ــ معاريف ٢٩/١/١٩٧١ .
١٦٠ ــ ملحق معاريف ٢٠/٣/١٩٧٠ .
١٦١ ــ دافار ١١/١٢/١٩٦٩ .
١٦٢ ــ هآرتس ٣٠/٤/١٩٦٩ .
١٦٣ ــ يديعوت احرونوت ٤/١١/١٩٧٠
١٦٤ ــ دافار ٤/١١/١٩٧٠ .
١٦٥ ــ هآرتس ٥/٦/١٩٧٠ .
١٦٦ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٦٧ ــ دافار ٩/١٠/١٩٧٠ .
١٦٨ ــ معاريف ٨/٩/١٩٧٠ .
١٦٩ ــ دافار ١٤/٧/١٩٦٩ .
١٧٠ ــ دافار ١٤/٧/١٩٦٩ .
١٧١ ــ معاريف ٨/٩/١٩٧٠ .
١٧٢ ــ معاريف ٨/١/١٩٧١ .
١٧٣ ــ ملحق معاريف ١٥/١/١٩٧١ .
١٧٤ ــ معاريف ٨/١/١٩٧١ .
١٧٥ ــ دافار ٢٩/١٠/١٩٧٠ .
١٧٦ ــ عال همشمار ٢٥/٩/١٩٧٠ .
١٧٧ ــ يديعوت احرونوت ١٤/١١/١٩٧٠
١٧٨ ــ معاريف ٣٠/١٠/١٩٧٠ .
١٧٩ ــ معاريف ٨/٩/١٩٧٠ .
١٨٠ ــ هآرتس ٨/١٠/١٩٧٠ .
١٨١ ــ جروزلم بوست ٣/١٢/١٩٧٠ .

تحرير فلسطين والتحرر العالمي

الدكتور هشام شرابي

في اللحظة التي بدأت فيها الثورة الفلسطينية تلعب دورا هاما في حركة التحرر العالمية أخذ مركزها في العالم العربي يضعف . اذا نظرنا الى الوراء يتأكد لنا ان حركة المقاومة دخلت ، بعد القتال الضاري في أيلول ١٩٧٠ ، اكثر مراحل نموها خطورة . كما ان تناقضاتها الداخلية والخارجية قد نضجت في الوقت نفسه ، مما يفسر النكسات المتلاحقة التي منيت بها .

بدأت المقاومة رغم هزائمها ، او ربما بسبب هذه الهزائم ، تعكس صورة مميزة لنفسها . وأصبح الفلسطينيون مرتبطين اكثر واكثر بأسلوب ثوري خاص بهم واحتلوا مكانة ابرز على خارطة النضال التحرري العالمي . ومع ازدياد الروابط بين الثورة واليسار العالمي نتيجة اهتمام الحركات الثورية المتزايد بحركة التحرير الفلسطينية حدث تغير كبير في الوعي الفلسطيني نفسه ، واصبح الفلسطينيون ينظرون الى كفاحهم في اطاره العالمي وهو بالطبع أعرض من الاطار القومي . وقد أصبحت كوبا وفيتنام والصين تدريجيا عناصر جوهرية في الاطار السياسي والعقائدي للثورة . وقد تغير تصور النضال الفلسطيني : لم يعد ينظر الى أهداف التحرير من خلال النضال اليومي ، بل من خلال حركة التحرير العالمية ــ التاريخية . وهكذا تم ربط التحرر الفلسطيني بالنضال العالمي في سبيل التحرر ربطا محكما . في ضوء الوعي الجديد اكتسب شعار « اذا قاتلنا في اي مكان فاننا نقاتل في كل مكان » (وهو الشعار الذي طرحه الاشتراكيون البريطانيون عام ١٩٦٨) معنى محدودا وملموسا عند الفلسطينيين .

اذا كانت حركة المقاومة الفلسطينية طليعة حركة التحرر العربية فان سقوطها سوف يؤثرتأثيرا عكسيا على تطور الحركة العربية الاشمل ويشكل نكسة خطيرة لحركة التحرر العالمية . بالتالي فان السؤال الذي يجب أن نطرحه عام ١٩٧١ هو : اذا هزم الفلسطينيون في الاردن هل تشكل هزيمتهم بداية النهاية للثورة الفلسطينية او هل يكون ذلك ، كما يعتقد بعض المراقبين ، بداية مرحلة جديدة من النمو الثوري في العالم العربي ؟ ان الاجابة على هذا السؤال أساسية لفهم دور ومكان الثورة الفلسطينية في العالم العربي وفي حركة التحرر العالمية .

الهزيمة جزء من النضال الاجتماعي . قيمة الهزيمة الايجابية تكمن في اسهامها في عملية نضوج التجربة الثورية . وقد حلل الفيلسوف الاشتراكي البولوني لسزك كولاكوسكي هذا الجانب من النشاط الاجتماعي ووجد أن الهزيمة شرط مسبق ضروري للنصر : « لن تحرز الحركة الثورية اية انتصارات اذا لم تصب في مراحل تطورها السابقة بهزائم حتمية ــ واذا لم تكن قد بدأت التحرك الثوري في وضع تاريخي لا تتوفر فيه اية امكانية للنجاح »(١). ان موقف كولاكوسكي يختلف عن الموقف الكلاسيكي التقليدي . يؤكد التحليل التقليدي ان اية حركة قد تنجح فقط « عندما تكون اهدافها ممكنة التحقيق ، اي

عندما يكون التطور السابق قد أوجد المفترضات الموضوعيـــة الضرورية كحجم الطبقة الاجتماعية ووحدتها التنظيمية الخ»(٣). لكن الحالة التي تتواجد فيها ظروف ملائمة للتغير الاجتماعي غالبا ما يخلقها العمل الجذري الراديكالي . اي بكلام آخر ، لا يمكن خلق الرغبة في تغيير الاوضاع القائمة فقط عندما تتوفر « المفترضات الموضوعية » او عندما « تنضج » الاوضاع . في الواقع ، كما يقول كولاكوسكي ، ان بعض الشروط الرئيسية لهذا النضوج هي « المتطلبات الثورية من وضع غير ثوري »(٣). التشديد هنا على الوعي الاجتماعي كعامل تغيير رئيسي . الافتراض الاساسي هو ان « التأثير المستمر للوعي الاجتماعي هو أحد الشروط الضرورية لانضاج التاريخ ليصل لدرجة التغيير الجذري»(٤). وهكذا فان الانتكاسات والهزائم التي تأتي نتيجة محاولة تحقيـــق ما يبدو غير ممكـــن التحقيق في تلك اللحظة ، هي على المدى الطويل الشروط الوحيدة للنجاح : « الاهداف التي لا يمكن تحقيقها الان لن تتحقق ابدا الا اذا جرى توضيحها عندما تبدو غـــير قابلة للتحقيق »(٥). او بكلام آخر « المستحيل في وقت معين قد يصبح ممكنا فقط اذا جرى طرحه عندما يكون مستحيلا »(٦). فان « الجهود غير الواقعية تصبح الشروط المسبقة للجهود الواقعية »(٧) في مجال العمل الاجتماعي . ويجد الفلسطينيون في هذا الكلام أبلغ تعبير عن مشروعهم الثوري . انهم مقتنعون أن قوة ثورية صغيرة نسبيا قادرة احيانا على احداث تغيير جذري في الوضع القائم . وقـــد عبر دانيال كوهن بنديت ، الشاب الالماني الراديكالي ، عن ذلك بقوله : « لقد ثبت ان مجموعات ثورية صغيرة قادرة ، في الزمان والمكان المناسبين ، على تمزيق النظام القائم بشكل حاسم ونهائي »(٨).
يمكننا فهم المستقبل بامكانياته الملموسة فقط عندما نفهم الحاضر بظواهره الملموسة . وكما قال ريجي دوبريه : « البصيرة رؤيا صحيحة للواقع الملموس »(٩). لكن التحليل الصحيح لا يمكنه ان يقتصر على ما يجري الان ، وعليه التوجه الى « ما لم يخطط له او يتوقع »(١٠).
يمكن القول بشكل عام ان هناك طريقتين للنظر الى الاحداث ولتفسير التاريخ ولفهم الحقيقة . هناك الطريقة الوضعية empirical (التجريبية العملية) والطريقة الجدلية (الثورية). من وجهة نظر اليقيني تتألف الحقيقة مما تكشفه الحواس والعقل. فالسببية تربط الاشياء والاحداث ، بحيث تكون ظاهرة معينة السبب في ظاهـــرة اخرى . هذه الطريقة خارجية ووصفية ومقدارية quantitative. ان ما يدركه الانسان حسيا على انه يمثل الواقع والترابط يصلح فقط ، من وجهة النظر اليقينية ، لان يكون المجال الحقيقي للتحليل . تصبح الهزيمة ، على أساس هذا الموقف ، انهيارا ، ويكون القول بأن الهزيمة تؤدي الى النصر بلا معنى ، ويساوي عندئذ القول بأن الموت يؤدي الى الحياة . ويؤدي التناقض ، ضمن هذا الاطار النظري ، الى طريق مسدود لانه لا يمثل شيئا سوى النقيض في مواجهات منغلقة متبادلة . باختصار ، كل العلاقات الجدلية (الديلكتاكية) مفقودة في هذه الطريقة من التفكير .
الطريقة الوضعية ، مـــن الوجهة السياسية والعقائديـــة ، تدعم النظام القائم . من الطبيعي ان يتلاءم اسلوب هذه الطريقة مع الموقف التدريجي غير الثوري للوضع القائم. هذا/هو اسلوب اليمين كله ، من المعتدل الى الرجعي . ان التصور اليقيني للتاريخ هو تصور حاضر لا نهاية له . ويميل اليقيني الى الرضوخ والاستسلام للوضع القائم حاليا. وهدف جهود اليقينية العملية هو المحافظـــة على استقرار النظـــام وتوازنه . وتهدف اليقينية ، من الناحية السياسية ، الى المحافظة على ميزان القوى في الوضع القائم من خلال السيطرة بواسطة القوة او بالتسوية والتفاهم . وهكذا يهدف الاستعمار الليبرالي، بواسطة « تحديث » مجتمع ما او باستعمال القوة العسكرية ، الى توسيع وترسيخ الاستغلال والتحكم وذلك من خلال المحافظة على بنيان القوى الحالي .
اما الطريقة الجدلية او الثورية فتعتمد في النظر الى الامور عـــلى أسلوب لا يقف عند

الحالة الحاضرة بل يتجاوزها ، فالحواس والعقل تكشف بعض جوانب الحقيقة فقط . ورغم ان الاسلوب العملي التجريبي سيد في حقله ، فانه يفشل في فهم العلاقة الديناميكية بين الاشياء . وهو يفتقد الامر الاساسي الذي تركز عليه الطريقة الجدلية : العلاقات المتداخلة بين الظواهر ووحدة الحقيقة وتعدد وجوهها . ويتخذ التفكير الجدلي منطلقه من الافتراض التالي : « الحقيقة هي الكل » . ويصبح ممكنا ، من وجهة النظر هذه ، أن نفهم كيف ينتج النصر عن الهزيمة . وتكون التناقضات هنا الارضية التي ينطلق منها التغيير النوعي . وتصبح جملة فويرباخ « نقيض النقيض فقط هو التأكيد الصحيح » واضحة . وبناء على هذه الاعتبارات المحددة يصبح التفكير الجدلي تفكيرا ثوريا له مرجعه الملائم وطريقته او اسلوبه الخاص وادوات تحليله الخاصة .

وفي النظرة الجدلية يجري تفضيل مصلحة الانسان والمجتمع « التاريخية » اي الحقيقية على المصلحة « الفورية » اي الآنية . ويفهم الحاضر ، في هذه النظرة ، ليس فقط من خلال الحقائق او المعلومات الزمانية والمكانية المتوفرة حاليا ، بل من خلال المحتوى الواسع للتاريخ العالمي . وهكذا فان الطريقة الجدلية في التحليل بالضرورة تفترض ، كما قال هربرت ماركوس(١١)، طابع الشمولية وتتخذ من حركة التحرير العالمية مرجعا اساسيا لها .

بهذا المعنى، الطريقة الجدلية هي طريقة اليسار ، من المتحررين الى اقصى الراديكاليين. وتوجه الطريقة الجدلية هو نحو التغيير الجذري ، وبذلك تصبح مهمتها الرئيسية انتقاد الوضع القائم وتخطيه (وتحويله تحويلا تاما) . ويعتبر التحديث ، من وجهة نظر التحليل الجدلي ، كتكتيك للاستعمار يهدف الى احتواء التغيير الجذري وتدعيم الوضع القائم محليا وعالميا . وهكذا فان التحليل الجدلي يركز على ضرورة مجابهة الاستعمار وجها لوجه ،.وعلى حتمية الكفاح المسلح . ويبدو واضحا انه في الصراع العقائدي الدائر حاليا ليس لدى اليقينية التجريبية ما تقدمه سوى تكتيكات للمحافظة على المصالح القائمة بينما تقدم الطريقة الجدلية نظرية سياسية تنير الرؤيا والعمل .

تعارض القوى الاستعمارية ، على المستوى العقائدي ، المطلب الثوري في تجاوز الوضع القائم، وتصف المشروع الثوري بأنه خيالي وغير عملي ومثالي.وترفض هذه المؤسسة، على المستوى العملي ، شرعية التغيير الثوري وتحارب العمل الثوري . ومن وجهة نظر النظام القائم ليس هناك اي شيء يتصف بالشرعية اكثر من الشيء الموجود،**الامر الواقع**. فاسرائيل مثلا غير مهتمة في **كيفية** قيام المجتمع الاسرائيلي أو السيادة الاسرائيلية (بالاغتصاب) ، وهما أمران لم يكن لهما وجود منذ خمسة وعشرين عاما ، بل هي تهتم بالقوة الموجودة التي تضفي على هذه الحقائق صفة الشرعية . ومن وجهة نظر الولايات المتحدة المسألة الهامة ، اي العملية ، هي ليس كيف دخلت الولايات المتحدة فيتنام ، بل « الحقوق » التي تكتسبها الولايات المتحدة بوجودها في فيتنام . في كلا الحالتين الحقيقة القائمة تبدأ وتنتهي بالوضع القائم ، للحق شرعية فقط الى المدى الذي يدعم فيه ميزان القوى السائد والى المدى الذي يدعمه ذلك الميزان .

ان الانظمة ، البنى القائمة ، مغروسة في نظام من المصالح الراسخة التي تتعارض بطبيعتها مع كل دعوة ثورية . وبما ان النظام القائم يرفض المنطق الثوري فهو قادر على الرد على الدفع الثوري بطريقتين : اما ان يقمعه او يتعايش معه . والعامل الرئيسي الذي يحدد الطريقة التي سيتبعها النظام هو التيار الذي سيسير فيه التطور الثوري . وطالما بقيت الحركات الثورية ضمن الحدود التي يرسمها او يسمح بها النظام القائم ، يظل التعايش ممكنا . في تلك الظروف تبقى التناقضات الاساسية مخفية ومكبوتة. وينتج عن ذلك سياسات تسوية . لكن حال ما تأخذ الحركات الثورية اشكالا اكبر واحدث ، يقوم النظام بوضع سياسة جديدة هدفها القمع والتدمير . وعلى قوى النظام القائم في النهاية ان تعيد بناء سيطرة النظام وهيمنته على الاوضاع . وكذلك على الدفع الثوري

عاجلا او آجلا ان يقف في وجه النظام القائم .
ان الثورة المضادة في الشرق الاوسط ، سواء في شكلها الصهيوني او الاستعماري او الانظمة الرجعية ؛ تجد نفسها مقيدة في تحركها بمدى محدود من التكتيكات التي تقع تحت بابين رئيسيين : باب القوة وباب الخداع . وهذا مدى تفرضه فكرة الجزرة والعصاة . واحدى الافكار الرئيسية التي تستحوذ على الموقف المضاد للثورة ، والتي تؤثر كثيرا على سياسات اسرائيل والولايات المتحـدة والانظمة الرجعية العربيـة ، هي فكرة الاستقرار : اذا أمكن المحافظة على الاستقرار يمكن المحافظة على الوضع القائم الى ما لا نهاية . ويبقى الارباك والعنف هما الوسيلتان الرئيسيتان لتحقيق هذا الهدف .
ان لسياسة الاحتواء نظرة ضيقة . فقد تكون هذه السياسة ناجحة في المدى القصير . لكنها تستعمل اساليب واستراتيجيات تزيد ، في المدى الطويل ، من خطورة المشاكل التي وضعت اساسا لحلها . ان النقطة الاساسية التي دائما ما تنساها هذه الطريقة هي ان القوى الاجتماعية ، داخل أية عملية تاريخية ، قد تصل الى درجة من النضوج لا تؤدي محاولات احتوائها سوى الى اشكال جديدة من الانتفاضات.وهذا أحد الاسباب الرئيسية التي تجعل العالم الثالث فريسة للازمات المستمرة بدلا من ان ينعم « بالاستقرار » الذي تريده لها القوى الرجعية والاستعمار .
تجري المواجهة بين حركة التحرر العالمي والاستعمار في جو من التأزم المتزايد.فالازمات هي محرك التاريخ . الازمات تتجسد في الحوادث والحـركات والاوضاع التي تحدث التطورات من يوم الى آخر . وفي أوقات الازمات تتلاحق التحولات بسرعة وتقود الى تطورات جديدة وغير مرئية . وقد لاحظ لينين ان الازمات تحطم البنى التقليدية ، وتدمر الواجهات الزائفة وتجعل قيام اشكال جديدة امرا ممكنا . اما على مستوى الوعي فان الازمات تعمق الوعي وتسرع في عملية التحول الجذري . وكما كتب دوبريه : « في اوقات الازمة ، يطير الوقت السياسي بسرعة . ونحن نفهم في اسبوع واحد من الثورة أكثر مما نفهم في عشر سنوات من الروتين اليومي »(١٢).
ما هي التطورات التي علينا توقعها خلال العقد القادم في عالم متأزم سيتابع الاستعمار تأزيمه ؟ أين ستكون نقاط الاحتكاك الرئيسية بين الاستعمار العالمي والتحرر العالمي ؟ ما هو الدور المحتمل ان تلعبه الثورة الفلسطينية في هـذه المواجهة ؟ ليس المقصود بالمقترحات التي سنعرضها الان اعطاء اجوبة على تلك الاسئلة . انما المقصود بها توفير اطار يمكن من خلاله تحليل تلك الاسئلة .
١ ــ تجري المواجهة حاليا بين الاستعمـار العالمي والتحرر العـالمي في خمس مناطق مختلفة من العالم ، وتأخذ هذه المواجهة اشكالا مختلفة . فالمواجهة في احد الاشكال هي داخل البلدان الاستعمارية نفسها ، وفي شكل آخر في اميركا اللاتينية وافريقيا ، وفي شكل آخر مختلف في الهند الصينية والشرق الاوسط .
٢ ــ رغم ان النظام الاستعماري العالمي في مرحلة حرجة ويتهدده الخطر مـن الداخل والخارج ، فما زالت له القوة الكافية داخل منطقته وفي اميركا اللاتينيـة وافريقيا لمنع انهياره في وقت مبكر . ومن ناحية موضوعية ، تعتمد السرعة التي يجري فيها انهيار الاستعمار على عاملين : نمو حركات المقاومة في هـذه المناطق والاتجاه الذي تتخذه المجابهة العالمية في المناطق الامامية : في الهند الصينية والشرق الاوسط .
٣ ــ تشكل المجابهة في الهند الصينية والشرق الاوسط مجابهة واحدة. فالنزاع في الشرق الاوسط هو امتداد واستمرار للنزاع في الهند الصينية . في كلا المنطقتين تتجابه القوى نفسها حول نفس المشاكل. والعامل المشترك بين النزاعين هو الطابع الدولي لعواقبهما: كلاهما يشكل نقاط تركيز قد تنتشر منها الثورة الى مناطق كبيرة . تشكل جنوب فيتنام وفلسطين اليوم قلب اعصار عالمي . يرتبط الفيتكونغ ، كنواة ثورية ، ببيئة او منطقة جنوب شرق آسيا بنفس الطريقة التي يرتبط فيها الفدائيون الفلسطينيون ببيئة او منطقة

الشرق الاوسط . كلاهما يشكل الطليعة لانتفاضة ثورية واسعة ومحتملة تفجر حركات التحرير في المنطقة الممتدة من بحر الصين الى المحيط الاطلسي .

٤ ــ وللمجابهة في الهند الصينية والشرق الاوسط وجهان آخران . فهي مجابهة **شاملة** وهي مجابهة **ناشطة** . انها شاملة من حيث اشتراك كل قوى المنطقة فيها بالاضافة الى القوتين الرئيسيتين في العالم . وهي شاملة لان التناقضات المخفية تظهر على السطح وتؤدي الى استمرار النزاع . لكن يوجد في هذه المرحلة خلاف اساسي واحد بين الشرق الاوسط والهند الصينية . ففي الهند الصينيـــة تم الوصول الى توازن بين المدى الذي يذهب اليه كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، فبينما لا يمكن اخماد الثورة لا يمكن توقع انتهاء الاشتباكات في وقت قريب . اما في الشرق الاوسط فان ميزان القوى بعيد جدا عن درجة الاستقرار . فلا توجد للآن نقطة توازن واضحـــة تخشى القوتان الرئيسيتان بعدها ان تجابه كل منهما الاخرى . ان الازمة المتعاظمة في الشرق الاوسط تنعكس على الهند الصينية وعلى اماكن اخرى من العالم . فالوضع اذن في حالة تصعيد بستمرة ومتزايدة ، مع نمو احتمال صدام مباشر او غير مباشر ــ تم تجنبه للآن في جنوب شرق آسيا ــ بسرعة كبيرة .

٥ ــ ان انتقال مركز الازمة من فيتنام الى فلسطين قد بدأ فعلا . ومن المحتمل في ميزان السبعينات ان يكون الشرق الاوسط مركز الازمة العالمية . وفي هذه الحالة يحتمل ان تلعب الثورة الفلسطينية دورا يفوق بكثير دورها المحدود في تحرير فلسطين . لان الصراع على فلسطين قد يشكل نقطة تحول في الصراع العالمـــي بين الاستعمار والتحرير في السبعينات .

٦ ــ يبدو ان كل التناقضات التي بقيت بدون حل في جنوب شرق آسيا تظهر في الشرق الاوسط . في هذه المرحلة ما زال العرض والضرورة متشابكين . ان تحول اسرائيل الى دولة كبرى في المنطقة يتنافى مع تنفيس الازمة من خلال اقامة صلح متفاوض عليه . كما ان الطريق المسدود الذي سوف يستمر حتما في المجالين العسكري والسياسي سوف يزيد التناقضات في كل المجالات الاخرى : بين المقاومة الفلسطينية واسرائيل ، بـــين اسرائيل والدول العربية ، بين الجماهير العربية والحكومات العربية ، وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وسط هذا الجو من الازمة غير المنفرجة والمتسعة يحتمل ان ينمو الوعي الثوري بسرعة هائلة في العالم العربي . وقد تتمكن المقاومة الفلسطينية في المرحلة القادمة ، واعتمادا على الاتجاه الذي تسير فيه الازمة ، من تحويل نفسها الى ثورة شعبية كالتي حققها الفيتناميون منذ وقت طويل . عندئذ من المحتمل ان يخلق هذا التحول ، أكثر من أي عامل آخر ، فيتنام اخرى في الشرق الاوسط .

---

١ ــ "The Content of the Left," *New Left Reader*, ed. C. Oglesby (New York, 1969), p. 148.

٢ ــ Jerzy J. Waiter, "Sociology — — Marxism — Reality," *Social Research* (Autumn 1967), p. 334.

٣ ــ نفس المصدر ، ص ١٤٨ .

٤ ــ نفس المصدر .

٥ ــ نفس المصدر .

٦ ــ نفس المصدر .

٧ ــ نفس المصدر .

٨ ــ "Battle of the Streets," *New Left Reader*, p. 263.

٩ ــ Regis Debray, "Notes de Prison," *Les Temps Modernes* (Juin, 1970), p. 1966.

١٠ ــ كولاكوسكي ، ص ١٤٨ .

١١ ــ *Five Lectures* (Boston, 1970), p. 83.

١٢ ــ Regis Debray, *op. cit.*, p. 1940.

اوراق بيل الاميركية والصراع حول فلسطين

الدكتور محمد حسن صالح منسى

يحتاج الباحث الموضوعي في دراسة المسالة الفلسطينية الى مصادر اساسية يعتمد عليها في بحوثه ، على ان تتوفر فيها الضمانات التي تجعل الكاتب يطمئن الى ما ورد فيها من آراء . وفي الدراسات الفلسطينية بالذات نجد الكتابات كثيرا ما تخرج عن الموضوعية لتتأثر بوجهة نظر معينة لطرف من الاطراف المعنية بالمسالة الفلسطينية ولها ازاءهـا سياسة خاصة ،ولذلك فان الباحث الموضوعي الذي يسعى وراء الحقيقة ، ولا شيء سواها ، لا بد وان يتثبت بأي مصـدر يهتدي اليه ويجد فيه ضالته . ومـن المصادر الاساسية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة موضوع المسالة الفلسطينية ابان الحرب العالمية الاولى تقارير وليام بيل المحفوظة بمكتبة جامعة بيل الامريكية وفي دار الوثائق القومية الامريكية بواشنطن .

ووليام بيل امريكي كان يعمل بشركة ستاندارد الامريكية للنفط في الشرق منذ مايو (أيار) ١٩١٥ ، وكانت القدس مقرا له ، وعندما دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب في ابريل (نيسان) ١٩١٧ الى جانب الحلفاء صارت تعتقد انه يجب ان تكون لديها صورة واضحة لما يجري في الشرق من أحداث ، غير مكتفية بما كان يرسله ممثلوها السياسيون الرسميون من معلومات وذلك بالاعتماد على مندوب خاص يستطيع التحرك في مختلـف انحاء المنطقة بسهولة، والاتصال بمختلف القوى المعنية، متحررا من القيود التي يفرضها المنصب الدبلوماسي ، فوقع اختيارها على وليام بيل للقيام بهذه المهمة اعتبارا من عـام ١٩١٧ . وبعد أن سافر من القدس الى الولايات المتحدة لتلقي تعليمات حكومتها بشأن مهمته الجديدة عاد الى مصر مارا ببريطانيا وفرنسا حيث قابل عددا مـن المسئولين البريطانيين والفرنسيين والصهيونيين ، وعندما وصل الى القاهرة في اكتوبر (تشرين الاول ١٩١٧ قدمه نائب القنصل الامريكي في القاهرة الى سير ريجنـالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر باعتباره مبعوثا خاصا من لدن وزارة الخارجية الامريكية الى مصر لموافاتها بالاحداث الهامة التي تجري شرق السويس : في سوريا وفي فلسطين وشبه الجزيرة العربية ، وذلك حتى لا تفرض السلطات البريطانية في مصر قيودا على انتقالات وليام بيل ومحادثاته مع مختلف الشخصيات . ومنذ اكتوبر (تشرين الاول) أخذ يوافي حكومته بتقارير اسبوعية تقريبا(١) يصف فيها ما يجري أمام ناظريه من أحداث،

١ ــ حصل كاتب هذه الدراسة على مجموعة تقارير بيل ، اثناء دراسته لاعداد رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعة الازهر عن (الشرق العربي ابان الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ــ ١٩٢٠) تحت اشراف الاستاذ الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوي استاذ كرسي التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الازهر .

وما يخرج به من محادثاته مع مختلف الشخصيات ، ولقد كانت هذه التقارير موضع تقدير المسئولين في وزارة الخارجية الامريكية لما كانت تحويه من معلومات هامة . وليس ادل على اهمية وليام ييل وخبرته بأمور الشرق من قرار حكومته بتعيينه مستشارا فنيا للقسم الامريكي من اللجنة الدولية للانتدابات في الامبراطورية العثمانية (كنج ــ كرين) . ولم تضع هذه اللجنة توصياتها الا على ضوء المقترحات التي قدمها لها ييل في تقرير له بتاريخ ٢٦ يوليو ، ولتقارير ييل أهمية خاصة تميزها عن كتابات غيره من المعاصرين ، فهي رواية شاهد عيان ، ومما يضفي على كتاباته مزيدا من الاهمية تلك المكانة الخاصة التي كان يتمتع بها بصفته مبعوثا من لدن وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الامريكية ، تلك الدولة التي كانت في ذلك الوقت موضع تقدير كافة الاطراف المعنية بالمنطقة ومشاكلها ، فقد كانت الحليفتان الغربيتان (بريطانيا وفرنسا) في أمس الحاجة للمعونة الامريكية من اجل احراز النصر في اوروبا ، وعندما احتدم الصراع بين الحليفتين نتيجة تنافسهما في الشرق كانت كل منهما تتطلع الى الولايات المتحدة لتؤيدها في مواجهة الاخرى كما كان للولايات المتحدة تقدير في نظر العرب بسبب المبادىء التي نادى بها الرئيس وودرو ولسن عن حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، ومعارضة الاتفاقيات السرية . كما كان الصهيونيون يعلقون الآمال على كسب تأييد حكومة الولايات المتحدة لبريطانيا في سياستها الصهيونية وذلك من أجل التغلب على العقبات التي كانت تقف في طريقهم والتي كانت تتمثل في موقف الحكومة الفرنسية ، ثم في موقف الشعب العربي في فلسطين على وجه الخصوص . ولقد كان نتيجة التقدير الذي كانت الاطراف المختلفة المعنية بالشرق العربي عامة وفلسطين خاصة تكنه لوليام ييل نتيجة لمكانة دولته ان صار في استطاعته الاتصال بمختلف الجهات ومباحثة مختلف الزعماء والقادة الذين لم يتحرجوا في الافصاح عما في دخيلة نفوسهم له ، الامر الذي لم يتيسر لغيره ، وقد ساعد هذا الامر وليام ييل على أن يتعرف على حقيقة موقف كل طرف من الاطراف ، من مسألة فلسطين ، وهي المواقف التي نحاول في هذه الدراسة ان نعرضها من خلال تقارير ييل ذاتها .

الموقف البريطاني :

لقد كانت بريطانيا هي الدولة التي لعبت الدور الاكبر في سير الاحداث المتعلقة بالشرق العربي عامة وفلسطين خاصة ابان الحرب العالمية الاولى ، ولذلك نبدأ هذا العرض بتوضيح موقفها من القضية الفلسطينية . وكان في مقدمة المسائل التي استطاع وليام ييل ان يستشفها فيما يختص بموقف بريطانيا الدوافع التي كانت تكمن وراء تأييدها للصهيونية ومخططاتها في فلسطين ، وكان ييل يؤكد ان الدافع الرئيسي للبريطانيين هو رغبتهم في السيطرة على فلسطين لاهميتها الاستراتيجية « لانها بذلك سوف توفر الحماية لقناة السويس ومصر ضد اي هجوم ، كما يمكن لبريطانيا من السيطرة على خليجي السويس والعقبة والبحر الاحمر مما يجعل لبريطانيا النفوذ الاعلى في غرب شبه الجزيرة العربية والحجاز » (تقرير رقم ٣٣) . ويروي ييل ان شخصيات بريطانية كانت تعتقد انه بتأييد الصهيونية يأمل البريطانيون ــ عن طريق النفوذ في الولايات المتحدة ــ الحصول على تأييد الحكومة الامريكية للمخططات البريطانية في الشرق ، وخاصة ازاء العرب وامانيهم القومية في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وازاء محاولات فرنسا السيطرة على مناطق معينة من الشرق العربي (الشام) . وينقل ييل عن الميجور اورمزبي جور الضابط البريطاني الذي رافق اللجنة الصهيونية الى فلسطين بأن الفكرة الاساسية التي تدفع بريطانيا لاقامة دولة يهودية في الشرق هي ان تقف هذه الدولة في وجه قوة الاسلام المتزايدة (تقرير رقم ٣٣) . ولا شك ان القومية العربية هي المقصودة ، لانه منذ بداية العصور الحديثة اسدلت على فكرة العروبة استار النسيان في أذهان الاوروبيين ولم تعد سوى ذكريات ، وذلك بعد أن انزوى العرب واختفوا من مجالات النشاط المختلفة وظهرت الدولة العثمانية كدولة اسلامية فصار

الاوروبيون يطلقون لفظ الاسلام علي كل ما هو عربي. اما عن الموقف من اطماع فرنسا فان وليام بيل — بعد أن أمضى فترة من الوقت في الشرق — فطن الى أن « البريطانيين يعملون بطريقة من شأنها الاضرار بمصالح فرنسا في فلسطين وسوريا»(تقرير رقم ٣١). وكانت بريطانيا تعتقد انها قد تصبح مضطرة الى التسليم لفرنسا باحتلال سوريا وعندئذ فلا معدى من اقامة دولة حاجزة بين المصالح الفرنسية في سوريا والمصالح البريطانية في مصر ، باستخدام الاهمية الدينية للاماكن المقدسة في فلسطين كذريعة لابعاد السيطرة الفرنسية عنها كخطوة أولى ، ثم العمل على انشاء دولة في فلسطين تنمو لتصبح فيما بعد دولة يهودية صرفة ، مما يؤدي الى ادخال عنصر جديد في الشرق ودولة اخرى تواجه قوة الاسلام (يقصد ولا شك القومية العربية) ، دولة تحمي قناة السويس ، ويسكنها « شعب مدين لبريطانيا بدين ابدي » (تقرير رقم ٣) .

واوضح بيل كيف افاد الصهيونيون من هذه السياسة التي أملتها المصالح البريطانية فتوثقت العلاقات على المستوى الرسمي وغير الرسمي بين البريطانيين والصهيونيين الذين « يؤيدون سيطرة بريطانيا على فلسطين » ، واخذت السلطات البريطانية من ناحيتها تشجع الصهيونيين في آمالهم . ويبدو ان وليام بيل لم يكن مقتنعا بالدوافع الانسانية التي كانت بعض الدوائر البريطانية تحاول التستر وراءها في تبني وجهة النظر الصهيونية ، ولذلك اورد بيل في احد تقاريره (رقم ٣) عبارة كان قد ذكرها اليهودي غير الصهيوني منتفيوري ، ورمى فيها لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بالاغراق في الوهم والخيال في سياسته الصهيونية ، لانه على الرغم من عدم ذهابه الى الشرق فانه كان يسلم بوجهة نظر الصهيونيين المتطرفين « اعتقادا منه بأن اعطاء فلسطين لليهود انما هو توفير للعدالة لجنس طال استعباده » .

وحفلت تقارير بيل المتتالية بالكثير من المظاهر التي تدل على اهتمام بريطانيا بالصهيونية ورغبتها في اتاحة الفرصة لها لتحقيق مخططاتها في فلسطين ، ومن ذلك انه بينما كانت القوات البريطانية بقيادة اللنبي تتقدم في فلسطين كلفت السلطات البريطانية في القاهرة جمعيات ومنظمات الاغاثة اليهودية بالاستعداد للسفر الى فلسطين في أي وقت بدعوى القيام باعمال الاغاثة وتعمير فلسطين (تقرير رقم ٥) . وعندما جاءت اللجنة الصهيونية الى مصر برئاسة حاييم وايزمان في مارس (آذار) ١٩١٨ استقبلتها السلطات العسكرية والمدنية البريطانية في مصر استقبالا حارا (تقرير رقم ٢٠) .

ولما كانت اقامة الوطن الصهيوني في فلسطين تحقق هدفا حيويا لبريطانيا فانها لم تدخر وسعا في سبيل تحقيقه ولجأت الى شتى الوسائل الدبلوماسية التي يمكن ان تحويها جعبتها كدولة عريقة في المجال الدبلوماسي، الى جانب الوسائل العسكرية التي تتمثل في احتلال فلسطين ووضعها تحت ادارة عسكرية بريطانية . وكان في مقدمة الوسائل التي لجأت اليها بريطانيا جعل عبارات تصريح بالفور غامضة بدرجة صار فهمها يستعصي على المسئولين البريطانيين في الشرق ، فقد صرح الكولونيل فيلدنج (من ادارة المخابرات البريطانية في القاهرة) انه لا هو ولا الجنرال كلايتون يفهمان ما تعنيه وزارة الخارجية البريطانية بعبارة « وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » ، وان المكتب العربي بالقاهرة يجهل ما اذا كان تصريح بالفور يقصد انشاء دولة يهودية او انه يقصد فقط ان يعيد لليهود حق الهجرة الى فلسطين واستيطانها « وبذلك يقيمون وطنا للشعب اليهودي تحت اية حكومة يتقرر اقامتها » (تقرير رقم ٩) . وقد كان هذا الغموض مقصودا ، فقد ارادت بريطانيا اخفاء حقيقة نواياها ، فاخذت تنكر ان دولة يهودية سوف تقام في فلسطين ، وقد فطن وليام بيل الى ان ذلك لا يعبر عن حقيقة النوايا البريطانية ، وانما « تحاول السلطات البريطانية ان تزيل بهذا القول مخاوف العرب ، ولمنع حدوث انفجار عام ضد الصهيونيين وضد السياسة البريطانية نحو اليهود » (تقرير رقم ١٩) . وهذا ما دعا وليام بيل الى الكتابة الى حكومته داعيا الى الاعلان صراحة عن حقيقة نوايا

الحكومة البريطانية ازاء الصهيونية « لان عدم الاستقرار الحالي بخصوص هذه المسألة — مسألة هل ستقام دولة يهودية ام لا — سيكون له اثر سيء على العرب الذين يشعرون باضطراب ، ولا يدرون ماذا يصدقون ، وعدم الاستقرار من شأنه ان يبذر في نفوس العرب الشك في اخلاص الحلفاء ، وتعطي التصريحات الغامضة التي يصدرها ممثلو الحليفتين (بريطانيا وفرنسا) سلاحا للالمان والترك يستطيعون استخدامه في دعاياتهم ضد الحلفاء لاستعادة عطف العرب على الامبراطورية العثمانية (تقرير رقم ١٩) .

والى جانب ذلك فقد حاولت السلطات البريطانية ان تلوح للعرب بمختلف وسائل الترغيب والترهيب حتى تقضي على موقفهم العدائي من الصهيونية والسياسة البريطانية المؤيدة لها ، ويتجلى هذا في الخطاب الذي بعث به مارك سايكس بتاريخ ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ردا على برقية احتجاج عربية ، وارفق بيل صورة لهذا الخطاب بتقريره رقم ١٩ . وكانت اهم الحجج التي ساقها سايكس لترويض الزعماء السوريين المحتجين على تصريح بالفور ان الحركة العربية لن يقدر لها النجاح الا اذا اتخذت وضعها الصحيح والملائم في السياسة العالمية وحركات العصر ، وتواءمت مع وجهات نظر مختلف حكومات واجناس العالم ، وانه بدون ذلك لن تلقى الحركة العربية التأييد السياسي اللازم للمحافظة على استمرار بقائها ، ويقصد سايكس بحركات العصر الحركة الصهيونية ، ويقصد بمختلف أجناس العالم اليهود ، وهكذا ادخل سايكس في روع الزعماء العرب ان تحرير ما تبقى من الارض العربية من السيطرة التركية لن يتم الا بالتعاون مع الصهيونيين ، وبالتالي فان معارضة الصهيونية ستؤدي الى تعريض القضية العربية ذاتها وبرمتها للخطر . أما النقطة الثانية التي لوح بها سايكس في وجه الزعماء فهي ان « الحكومة البريطانية قد اعترفت بالصهيونية باعتبارها أعظم القوى المحركة بين اليهود ، واليهود موزعون في شتى انحاء العالم ولن يتم تحرير العرب الا اذا تضافرت الصهيونية والقومية العربية » ، فكان على العرب ان يفهموا من ذلك ان معارضة الصهيونية معناها معارضة بريطانيا ذاتها . ثم انتقل سايكس الى الدعوة الى وفاق عربي صهيوني ارمني ، وقد أدخل سايكس الارمن كعنصر ثالث حتى يخفف هذا من المخاوف والشكوك من اي تضامن يقتصر على العرب والصهيونيين ، وانه لا غضاضة في الانضمام الى هذا الوفاق ، متناسيا انه ليس بين الارمن والصهيونيين من مشاكل كتلك التي بين العرب والصهيونيين . ولم ينتظر سايكس موافقة العرب على فكرة الوفاق العربي الصهيوني الارمني بل قام هو بنفسه بتعيين ثلاثة من العرب (هم نجيب هاني واسماعيل عبده عكاوي وعابدين هاشمي) كأعضاء في اللجنة العربية الارمنية الصهيونية التي قرر تشكيلها في لندن برئاسته « للمحافظة على الوفاق بين الحركات الثلاث وربط العرب بالموقف الغربي » . وقد علق بيل على تكوين هذه اللجنة بأنها « لا تمثل العرب أو السوريين بأي حال ، فان ملك الحجاز لم يعين أحدا من الاعضاء العرب الذين لا يمثلون الفلسطينيين ولا المجموعات السورية في مصر ، وهؤلاء الاعضاء لم يخترهم الا سير مارك سايكس نفسه » (تقرير رقم ١٩) .

الموقف الصهيوني :

عقب الحديث عن الموقف البريطاني يجدر بنا ان نثني بالحديث عن الموقف الصهيوني وذلك بسبب الصلة الوثيقة بين الموقفين ، والتخطيط المنسق بينهما . وقد تابع بيل النشاط الصهيوني عقب تصريح بالفور سواء في مصر او في فلسطين ، ومن هذا النشاط ، وكذلك من لقاءاته المتكررة مع عدد من الزعماء الصهيونيين ، استطاع بيل ان يتعرف على حقيقة نوايا واهداف الصهيونية ازاء فلسطين والشرق العربي ، فيصف لنا بيل في احد تقاريره (رقم ٥) المظاهرتين اللتين نظمهما في الاسكندرية الصهيونيون في مصر احتفالا بصدور تصريح بالفور ، وحضرهما زيور باشا محافظ الاسكندرية

والاف من اليهود ، وقد بلغ الحماس اشده اثناء هذه الاحتفالات ، وتقرر في الاحتفال الثاني الذي عقد في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ارسال برقية الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية تعبيرا عن عميق امتنان الصهيونيين للحكومة البريطانية لاصدارها التصريح ، وبرقية أخرى الى حاييم وايزمان تعبيرا عن امتنانهم لجهوده في هذا السبيل .

ومما يلفت النظر في تقرير بيل هذا ، ذلك التصريح الذي ادلى به جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر وذكر فيه انه لا يتوقع اية متاعب مع عرب فلسطين ، معتقدا انه عندما يتحقق العرب من القوة التي تساند الصهيونية فانه لن يكون امامهم الا الرضوخ والمهادنة ، واعرب موصيري عن توقعه أن تصير فلسطين دولة يهودية صرفة تصبح اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للحكومة والبلاد، واللغة الاساسية للتعليم في المدارس ،ولكنه أقر بأنه في البداية قد يكون من الضروري اعطاء العرب بعض التسهيلات التي لا تؤثر على نمو القومية والامة اليهودية . أما بالنسبة للهجرة اليهودية فقد ذكر موصيري — في نفس التصريح الذي نقله بيل الى حكومته — انه في ظل ظروف ملائمة يمكن توطين نصف مليون يهودي في فلسطين خلال خمسين سنة ، اما بالنسبة للشعب العربي فقد أعلن موصيري ان الصهيونيين يأملون ليس فقط في عدم زيادة الشعب العربي ، ولكن وفي انخفاض عدده (تقرير رقم ٥) . وهذا التصريح يكشف الستار عن حقيقة نوايا الصهيونيين ازاء فلسطين ، وان التصريحات التي كانت تتردد أحيانا عن عدم وجود نية اقامة دولة يهودية كان القصد منها التمويه وتخفيف حدة المعارضة العربية . وحتى هذه التصريحات التي تنكر أن في النية اقامة دولة يهودية في فلسطين كانت في معظم الاحيان تتضمن عبارة (في الوقت الحاضر) . ويتضح هذا من الحديث الذي ادلى به مستر ماير الامريكي الذي كان ضمن اللجنة الصهيونية التي زارت مصر وفلسطين في ربيع ١٩١٨ وذكر فيه أن العرب يجب الا ينتابهم القلق خوفا من أن تفرض عليهم حكومة يهودية في الوقت الحاضر ، ولكنه — كما يقول بيل — استطرد مستدركا فذكر ان اللجنة الصهيونية في أية تصريحات تصدرها للعرب حول حكومة فلسطين في المستقبل يجب أن تحرص على عدم اصدار اية تصريحات تتضمن ما قد يكون من شأنه تقييد اية حقوق قد يستطيع الصهيونيون كسبها استنادا الى تفسير تصريح بالفور ، وأوضح ماير لوليام بيل أن اللجنة الصهيونية مضطرة للتطلع الى المستقبل وانها لا ترغب في التضحية بأية حقوق منحت او قد تمنح لليهود بل أنها اكثر من ذلك لا تستطيع ان تثني اليهود في البلاد الاخرى عن الهجرة الى فلسطين باقرارها بأنه لن تقام دولة يهودية فيها ، وقد عقب بيل على هذا التصريح بأنه فهم منه أن الصهيونيين يخشون ضعف الدعوة الموجهة الى اليهود في الاقطار الاخرى للهجرة الى فلسطين اذا ما ظهر لهم انه ليس ثمة اتجاه الى خلق دولة يهودية او حكومة يهودية في فلسطين .

ولما كانت اللجنة الصهيونية تهدف ضمن اهدافها من الحضور الى فلسطين محاولة تهدئة العرب وازالة ما يساورهم من شكوك حول حقيقة نوايا الصهيونية ومخططاتها في فلسطين وذلك بعد التحذيرات التي تلقاها وايزمان من الجنرال سمطس وريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر ، فقد صار ماير يعتقد انه ما دامت هناك ضرورة لتهدئة العرب فانه من الممكن ان تؤكد اللجنة الصهيونية للعرب بأن الصهيونيين ليست لديهم الرغبة في الوقت الحاضر لخلق دولة او اقامة حكومة يهودية وذلك دون بذل اية وعود بخصوص المستقبل (تقرير رقم ٢٠) . وعندما سأل بيل مستر ماير عن الرسالة التي سيحملها الى الصهيونيين الامريكيين الذين ينادون باقامة جمهورية يهودية انكر ماير ذلك ، ولكن عندما ذكره بيل بالقرارات التي اتخذت في الاجتماع الصهيوني في بلتيمور في يوليو (تموز) ١٩١٧ رد ماير بأن الموقف قد تغير وان « الصهيونيين صاروا لا يرغبون في اقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين في الوقت الحاضر » ولكنه أضاف ان الاقلية

اليهودية في فلسطين لا يمكن أن تخضع لسيطرة الاغلبية العربية ، تماما مثلما يرفض الاهالي البيض الخضوع لسيطرة الزنوج في الولايات المتحدة الجنوبية (تقرير رقم ٣١) .

وقد اتضح هذا التفكير اكثر من مرة ، لعل ابرزها اثناء زيارة اللجنة الصهيونية لمصر وفلسطين اذ عقدت في مصر عدة اجتماعات مع الزعماء السوريين المقيمين في القاهرة، ونفى وايزمان ان في نية الصهيونيين اقامة حكومة يهودية في فلسطين ، وعلى الرغم مما لاحظه بيل من أن الزعماء السوريين سروا لهذا التصريح وصدقوه واعتقدوا ان اليهود يأتون الى فلسطين « بأفكار معقولة » (تقرير رقم ٢٢) الا ان بيل — مع ذلك — كان يعتقد انه ليس من الممكن التوفيق بين هاتين القوتين « فالقومية اليهودية والقومية العربية لا يمكن ان تلتقيا على أرض واحدة تتنازعان عليها وهي فلسطين ، فان المثل الاعلى للصهيونية اقامة دولة يهودية وابتلاع فلسطين وهو أمر لا ترتضيه القومية العربية الوليدة التي ايقظتها واثارتها احداث الحرب » (تقرير رقم ٢٠) . ولعل هذا ما دعا وليام بيل — في تقريره رقم ٣٤ — الى ان يعبر عن اعجابه بحاييم وايزمان ويعتبره شخصية بارزة لانه استطاع أن يفطن الى الاخطار المحدقة به ، « وعلى الرغم من أنه صهيوني قلبا وقالبا الا انه رأى بسياسته ان اظهار الحماس الزائد في الوقت الحاضر سيضر بالقضية الصهيونية اكثر مما يفيدها لانه سيؤدي الى زيادة المعارضة التي يبديها الفلسطينيون » . وبهدي هذه الفكرة واجه وايزمان الزعماء العرب في فلسطين في الخطبة التي القاها عقب حفل الغذاء الرسمي الذي اقامه رونالد ستورز حاكم القدس العسكري في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩١٨ ليعلن لهم أن اليهود « يعودون » الى فلسطين ليقيموا «مرة اخرى» مركزا روحيا وثقافيا ، وهذا في رأيه يتضمن الجانب الاكبر مما تعنيه عبارة الوطن القومي ، وان اقامة هذا المركز لن ينطوي على ضرر لاي من الجماعات الكبرى المقيمة في فلسطين وان المخاوف التي يبديها العرب لا مبرر لها، وانها اما نتيجة سوء فهم العرب لحقيقة اهداف الصهيونية ونواياها واما نتيجة لدعاية اعداء العرب واليهود على السواء (الترك والالمان) ، ونفى وايزمان ان اليهود سوف يستحوذون على السلطة السياسية في فلسطين في نهاية الحرب (تقرير رقم ٢٨) .

وعلى الرغم من كل هذه التصريحات فان الانطباع الذي خرج به بيل من محادثاته مع كثير من الشخصيات الصهيونية ، ونتيجة لما لمسه من نشاط الصهيونيين هو أن كل هؤلاء على اختلاف القوميات التي ينتمون اليها ورغم ما بينهم من اختلاف في الرأي « فانهم جميعا يتطلعون الى الوقت الذي تصبح فيه فلسطين — بجهودهم — قطرا يهوديا خالصا ، ويتحقق حلمهم في اقامة دولة يهودية مستقلة » . « وكلما ازداد المرء اتصالا بالصهيونيين ازداد اعتقاده بوحدة هدفهم ورغبتهم في رؤية الشعب اليهودي يعود للاقامة في فلسطين كدولة مستقلة » ، حتى لقد فطن بيل الى ان الصهيونيين في تصميمهم على الحصول على فلسطين « قد ابدوا استعدادهم للتفاوض مع اية حكومة يكون في مقدورها تحقيق آمالهم اي صار الصهيونيون لا يعملون من أجل البلاد التي ينتمون اليها اصلا » (تقرير رقم ٣٣) .

ونقل بيل الى حكومته تصريحا كان قد ادلى به وايزمان وذكر فيه « ان المرء يسمع ما يتردد من أن الهدف الذي تسعى اليه الحركة الصهيونية هو اقامة دولة يهودية فورا في فلسطين ، واصدقاؤنا في امريكا يزداد تعلقهم بهذه الفكرة حتى لقد رسموا شكل هذه الدولة فطالبوا بجمهورية يهودية ، وعلى الرغم من اننا نحيي من أعماق قلوبنا كل هذه المظاهر المخلصة للارادة اليهودية الا اننا لا نستطيع ان نعتبر انها نابعة من سياسة سليمة حكيمة ، فانه مهما كانت القوة الحقيقية للصهيونية فانه يجب ان يكون واضحا امام كل اولئك الذين يسهمون في أعمال المنظمة ان الاحوال ليست ملائمة بعد من أجل انشاء دولة يهودية . ان الدول يجب ان تبنى ببطء وبالتدريج وبترتيب وصبر ، وعلى ذلك

فاننا نعلن اننا اذ نحدد ـــ بدون تحفظ ـــ ان هدف جهودنا هو اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وهو الهدف الاسمى الذي تسعى من اجل تحقيقه المنظمة الصهيونية كلها، الا اننا يجب ان نمر بسلسلة من المراحل الانتقالية ، وارجو ان تكون احدى هذه المراحل وقوع البلاد الفلسطينية الجميلة تحت حماية دولة في قوة بريطانيا وعظمتها ، فانه في ظل هذه الدولة سيتمكن اليهود من تطوير انفسهم والحصول على تلك الدرجة من الحكم الذاتي التي يستحقونها » (تقرير رقم ٣٣) .

وهنا ايضا تتضح محاولة الصهيونيين اخفاء حقيقة نواياهم ، فانه على الرغم من أن وايزمان عبر في هذا التصريح عن رغبة الصهيونيين في تولي بريطانيا حكم فلسطين نجد انه في الخطبة التي القاها في القدس في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩١٨ يذكر ان « السلطة السياسية العليا في فلسطين يجب ان تكون في يد احدى الدول المتحضرة الديمقراطية تختارها عصبة الامم لتتولى الوصاية على فلسطين الى ان يصير الشعب قادرا على حكم نفسه » ، واعلن وايزمان انه في ذلك الوقت لا يستطيع ان يعلن اسم الدولة التي وقع عليها الاختيار ، ولكن اليهود سيختارونها بعد فترة غير طويلة (تقرير رقم ٢٨) .

كما عبر ماير العضو الامريكي في اللجنة الصهيونية لوليام بيل انـــه حريص على عدم التصريح بتفضيل دولة معينة تتولى السيطرة على فلسطين ، ولا يريد ان يظن احد انه يتمسك ببريطانيا ، ومع ذلك فانه في نفس اللقاء عبر لوليام بيل عـــن اعتقاده بأن اعلان الولايات المتحدة الامريكية الحرب على تركيا ستجد فيـــه اماني البريطانيين في فلسطين وسوريا سندا قويا ضد العرب (تقرير رقم ٣١) ولا شك ان هذا السند كان ايضا من شأنه أن يدعم من موقف البريطانيين ازاء حلفائهم الالداء الفرنسيين .

ولم يقتصر اهتمام الصهيونيين على فلسطين التي عزموا على اقامة وجود لهم فيها ، بل كذلك صاروا يهتمون اهتماما كبيرا بمستقبل سوريا (شمال الشام) التي ستكون مجاورة للوجود الصهيوني المزمع اقامته في فلسطين ، كما كان للصهيونيين اطماع في شمال الشام ، بالاضافة الى انهم كانوا يعتقدون ان الوضع في شمال الشام من شأنه ان يؤثر على الوضع في فلسطين . ويتساءل وليام بيل عن موقف الصهيونيين من احتلال فرنسا لشمال الشام ، ويجيب هو نفسه على هذا التساؤل على ضوء ملاحظاته ، بأنه يعتقد ان الصهيونيين لن ينظروا بارتياح لوجود دولة اوروبية قوية تحتل القطر الذي يقع الى الشمال من فلسطين لان مثل هذه الدولة الاوروبية سوف تقف في وجه الانفساح الصهيوني نحو الشمال في المستقبل ، كما كان الصهيونيون يعتقدون ايضا انـــه اذا استطاعت سوريا ان تصبح دولة عربية مستقلة قوية تحكم نفسها بنفسها فانها لن تقف في وجه توسع الدولة اليهودية المنتظر اقامتها في جنوب الشام فحسب بل ان هذه الدولة العربية السورية قد تنمو لتشكل خطرا وتهديدا فعليا للدولة اليهودية (الصغيرة) التي تضم داخل حدودها آلافا من السكان العرب الذين يعارضون بشدة الحكم اليهودي ويتعاطفون مع اخوانهم في الشمال خصوصا اذا استمر الوعي القومي في الازدياد بين السوريين الذين يعتبرون فلسطين جزءا لا يتجزأ من الشام ، « ولا شك ان هذه الحركة القومية سوف تجذب عرب فلسطين اليها » . ولكن اذا كان بيل يعتقد ان الصهيونيين يعارضون الوجود الفرنسي في سوريا وكذلك قيام دولة سورية مستقلة وذات شخصية قائمة بذاتها فقد كان يعتقد من ناحية اخرى ان الصهيونيين يرحبون بأن تكون سوريا ضمن اتحاد من اقطار المشرق العربي تحت حكم ملك الحجاز لان مثل هذا الاتحاد ـــ في رأي الصهيونيين ـــ سيكون بناء مفككا ، وتديره حكومة ضعيفة بسبب التنافر بين اجزائه ، وبذلك لا يكون هناك ما تخشاه الدولة اليهودية في فلسطين من جانب جاراتها العربيات ، بل على العكس ستجد هذه الدولة المجال للتوسع على حساب دولة ضعيفة متخلفة . ويخلص بيل من ذلك الى ان مصالح الصهيونيين ـــ من نواح متعددة ـــ تبدو متفقة مع مصالح بريطانيا في الشرق ، « ولن تكون مفاجأة لنا اذا أيد الصهيونيون من

كل قلوبهم أية سياسة قد تقدم عليها بريطانيا ، بل أن اليهود في كل قطر من اقطار العالم سيحاولون الضغط على حكومتهم من أجل تأييد سياسة بريطانيا ، وهذه ستكون حقا (ضربة معلم) دبلوماسية من جانب بريطانيا » .

الموقف العربي :

ويشمل ثلاث دوائر ، الاولى تختص بالشعب العربي في فلسطين اولا وبقية الشام ثانيا ، وتضم الدائرة الثانية الشخصيات السورية التي كانت مقيمة في القاهرة ابان الحرب العالمية الاولى وتعطي لنفسها حق التحدث بأسم اهالي الشام بما فيهم اهالي فلسطين ، اما الدائرة الثالثة فتضم الملك حسين ملك الحجاز وابنه الامير فيصل اللذين تصديا لقيادة الحركة العربية في هذه الفترة . ويهمنا بادىء ذي بدء ان نتعرف من خلال تقارير بيل على موقف الشعب العربي في فلسطين وبقية الشام ، وقد اكد بيل في كل تقاريره تقريبا ان اهالي فلسطين الذين شاهدوا عن كثب نمو المستعمرات اليهودية كانوا اكثر فئات الشعب العربي شعورا بالمرارة والقلق حول المصير الذي احسوا انه يدبر لبلادهم فلسطين . ولم يكن السخط والشعور بالمرارة بين عرب فلسطين وليد فترة الحرب ونتيجة صدور تصريح بالفور ، ولكنه وجد قبل الحرب بسنوات عديدة « فاجداد عرب فلسطين كانوا يعيشون فيها لعدة مئات من السنوات ، ويعرف الرجل بأسم البلدة التي ينتمي اليها ، ولذلك من الطبيعي ان يتمسكوا بأرضهم كل التمسك ، واي فكرة تهدف الى مجيء عنصر غريب ينتزع منهم بلادهم لا بد وان تثير فيهم غريزة حب البقاء بكل قوتها وضراوتها بحيث يمكن ان تترتب على ذلك حركة غير مرضية في فلسطين » خصوصا وان المثقفين العرب قادرون على قيادة المقاومة العربية « وهم اكثر فهما للحركة الصهيونية وأكثر ادراكا للخطر الذي يتهدد بلادهم وقد فطنوا الى ان الزعماء الصهيونيين يرغبون وينوون خلق مجتمع يهودي مستقل وبذلك فان بلادهم سوف تضيع منهم حتى ولو حفظت لهم حقوقهم الدينية والسياسية » (تقرير رقم ٤) . ويشير بيل الى انه على الرغم من أن الفلسطينيين قد يكتمون الى حد ما مشاعرهم الحقيقية (خصوصا اثناء زيارة اللجنة الصهيونية لفلسطين) خوفا من بطش الحكومة العسكرية البريطانية بهم فقد أدرك بيل ان موقف الفلسطينيين وشعورهم الحقيقي ازاء الصهيونية سوف يتضح اكثر عندما تزول شدة وطأة هذه الحكومة العسكرية (تقرير رقم ٢٢) .

وقد نبه بيل الحلفاء الى انهم بتأييدهم ومساندتهم للصهيونية انما يعادون شعور العرب وأمانيهم «ولا يصدق العرب ان الحلفاء يساندون الصهيونية تطبيقا لمبدأ مناصرة الشعوب المظلومة ، لان العرب لا يتصورون عدالة تنتزع منهم بلادهم بالقوة لتعطيها لليهود ، وكراهية العرب وسخطهم لا ينبثقان من الدين ولكن من الوعي القومي ومن غريزة المحافظة على الذات ، واذا ذهب الحلفاء الى ابعد من ذلك في سياستهم نحو الصهيونية فانهم سوف يخاطرون بفقدان تأييد العرب ، واذا كانت النية متجهة الى انشاء دولة يهودية في فلسطين فلا بد وان تتم اقامتها واستمرار بقائها بقوة السلاح وسط محيط من البشر لا يضمر لها الا العداء الشديد » (تقرير رقم ١٨) . واراد بيل أن يؤكد لحكومته اقواله هذه عن حقيقة مشاعر اهالي فلسطين ، فاقتبس في تقاريره بعض الفقرات من النشرة العربية السرية(٢)، فأشار الى ما جاء في احد اعدادها من ان جميع اهالي فلسطين « يخشون ما تخبئه حكومتنا والمستقبل ، وما من شيء يعوق علاقاتنا مع السكان غير اليهود في فلسطين اكثر من غموض تصريحنا المؤيد للصهيونية (تصريح بالفور) وعلى الرغم من انه في الفترة السابقة على الحرب كان السخط عاما على الحكم التركي الا انه في ربيع ١٩١٨ وعقب الاحتلال الانجليزي لفلسطين مباشرة ،

---

٢ — وهي اشبه بتقرير اسبوعي ، وكان يصدرها المكتب العربي (المخابرات البريطانية في القاهرة) ، لاستعمال الضباط البريطانيين المتصلين بالمسألة العربية ووزارة الخارجية البريطانية .

وطبقا لما يبعث به الموظفون السياسيون البريطانيون، ازداد عدد من يرغبون في الحياة في المستقبل تحت حكم الترك ، ولا يمكن تفسير هذا الشعور الا باعتقاد الفلسطينيين بأنه في ظل الحكم التركي لن يحصل الصهيونيون على موطىء لقدم اكثر مما لهم حاليا في فلسطين » (تقرير رقم ٢١) .

وعلى ضوء هذه الملاحظات حاول وليـــام ييل ان يرسم صورة لما يتوقع ان يحدث في المستقبل في فلسطين، واول استنتاج خرج به ييل وضمنه تقريره (رقم ٤) انه « لا يمكن تنفيذ المخطط الصهيوني دون الاعتداء على حقوق اهالي فلسطين » ، ولذلك توقع ان تصبح فلسطين ميدانا للصراع بين العرب الى ان يتمكن احد الفريقين من احـــراز السيطرة لنفسه ، والحل الذي كان يراه ييل هو اقامة حكومة قوية غير متحيزة تعمل على اتاحة الفرصة لكي ينمو الشعب العربي في فلسطين بحيث يستطيع مواجهة منافسة الهجرة اليهودية ، وان كان ييل يعتقد انه حتى لو اقيمت مثل هذه الحكومة فان ذلك لن يقلل من السخط نتيجة استعمار اليهود لفلسطين . ونتيجة اخرى استخلصها ييل وهي انه ازاء عجز ملاك الاراضي والتجار العرب عن منافسة الصهيونية المنظمة فان العرب سيتركون مكانهم (نشاطهم) لليهود « بل وسيتركون فلسطين ذاتها » . أما عن الفلاحين العرب في فلسطين فانه «بعد أن تصير الاراضي فيحوزة اليهود فانهم سيضطرون اما للهجرة الى بلد آخر واما ان يصيروا رقيقا لارستقراطية يهودية تمتلك البلاد » .

ورد ييل في استنتاجاته هذه على ما كان يدعيه الصهيونيون عن مقدرتهم على تشرب العرب وامتصاصهم بحيث يندمجون في اليهود القادمين الى فلسطين ، فأعلن ييل ان ذلك ليس ممكنا ، بل ان العكس هو الذي قد يحدث « لان المستوطنين اليهود يأتون من جهات متفرقة من العالم ويتحدثون لغات منوعة ولهم عادات وتقاليد متباينة ، ومن أجل صهر هذه العناصر (اليهودية) وادماجها في بعضها اولا لا بد وان يعيشوا في عزلة عن العرب ، يتكلمون لغة واحدة هي العبرية ، ويعترف الصهيونيون انه بدون هذه العزلة لن يكون من الممكن خلق الشخصية القومية التي يهدفون اليها ، والا سيصير اليهود في فلسطين كالعرب ، ويحدث لهم في فلسطين ما حدث لهم في بلـــدان العالـــم الاخرى حيث أصبح اليهود يشبهون سكان البلاد التي يعيشون فيها » (تقرير رقم ٤).

ثم ينتقل ييل وهو يعرض للموقف الشعبي من مسألة فلسطين والخطر الصهيوني ليتناول موقف العرب في شمال الشام ، ويؤكد ييل انهم ايضا يعارضون الصهيونية وفكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لانهم يعتقدون ان مجيء اليهود سيؤدي الـــى ابتلاع البلاد تدريجيا ، وييل يقصد هنا بلاد الشام كلها وليس فلسطين وحدهـــا ، خصوصا وانه بعد الخراب الذي حل ببلاد الشام نتيجة الحرب وخلوها من اي حكومة قادرة او تنظيم قوي فانه سيكون من المستحيل على اهالي الشام مقاومة ومنافسة الصهيونيين الذين تساندهم موارد اليهودية العالمية « ووراءهم سبعة ملايين يهودي في شرق اوروبا يستمدون منها المهاجرين » . واضاف ييل ان السوريين يتوقعون ان تصبح فلسطين ـــ التي يعتبرونها جزءا لا يتجزأ من الشام ـــ دولة يهودية « بل وسيطبق الصهيونيون ايضا ووراءهم الموارد الهائلة من الرجال والاموال على لبنان وسوريا » . ويخلص ييل من ذلك الى انه « حتى السوريون الذين ليسوا من سكان فلسطين يخشون ان يفقدوا في النهاية بلادهم ولغتهم وتضيع قوميتهم » (تقرير رقم ٤) .

ولم يكتف ييل بوصف مشاعر اهل الشام بل انه ايضا اورد بعض الحقائق التي يستندون اليها في معارضة الصهيونية ويردون بها على بعض الذرائع التـــي كان الصهيونيـــون يرددونها لتبرير سياستهم ، وفي مقدمة هـــذه الحقائق ما ذكره السوريون عـــن الحق التاريخي للعرب لا لليهود في فلسطين . ولما كان الصهيونيون يعلنون انه في ظل حكومة صالحة يمكن ان تستوعب فلسطين شعبا يتراوح عدده بين ثلاثة واربعة ملايين بحيث يصير فيها متسع للعرب واليهود على السواء ، فقد رد السوريون على ذلك بأن اليهود

سيحضرون الى فلسطين وقد تملكتهم فكرة انشاء دولة قومية يهودية وبذلك يصبح من المستحيل ان يعيش العرب واليهود في ود وسلام ، كما أن ثروة العرب سوف تضيع ويتحولون الى حالة من العبودية بعجزهم عن مجاراة الصهيونيين . كما أشار السوريون الى أنه اذا كان اهل فلسطين لم يستطيعوا النهوض بالبلاد طوال القرون السابقة (وهو ما كان يردده الصهيونيون) فذلك لان العرب كانوا يرزحون تحت الحكم التركي القاسي، وتسائل السوريون عما اذا كان جزاؤهم — وهم يحاربون في صفوف الحلفاء ضد الترك — ان ينتزع جزء هام من بلادهم بعد ان صار يوم الخلاص من الحكم التركي قريبا (تقرير رقم ٤) .

أما موقف الزعماء السوريين المقيمين في القاهرة(٣) فانهم على الرغم من ارسالهم برقية الى وزير الخارجية البريطانية احتجاجا على اصدار تصريح بالفور ، كما اوفدوا مبعوثين الى ملك الحجاز وابنه فيصل يدعونهما الى الاحتجاج الا ان موقف هؤلاء الزعماء السوريين كانت تحكمه عدة عوامل جعلتهم يتصرفون بحذر ، فقد كان لديهم انطباع — كما يقول بيل — بأنه لا فائدة ترجى من محاولة مقاومة قرار الحكومة البريطانية حيث كانوا يعتقدون انها لا بد قد حصلت على تأييد الحلفاء وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، كما كانوا يعتقدون انهم — كسوريين — لن يكون لصوتهم الا وزن ضئيل لدى الحكومة البريطانية التي قد تستجيب اكثر لو صدر الاحتجاج عن مسلمي العالم وشريف مكة ، يضاف الى هذا ان هؤلاء الزعماء كانوا يعيشون في مصر في كنف السلطات البريطانية ولذلك فقد كانوا أشبه بالاسرى لا يتحركون الا طبقا لارادة آسرهم ومشيئته ، ولذلك اكتفوا بارسال برقية الاحتجاج ، ولكنهم لم يقدموا على عمل معين بقصد الدعاية في سوريا وفلسطين لتعبئة الشعور لمقاومة المخطط الصهيوني البريطاني .

ويتجلى انصياع هؤلاء الزعماء لمشيئة السلطات البريطانية انهم لم يلبثوا ان اقتنعوا بما سمعوه من الجنرال كلايتون رئيس المكتب العربي ، وهو حديث حفل بمختلف وسائل الترغيب والوعيد ، مرددا ما جاء في الخطاب الذي بعث به سير مارك سايكس من مجلس الحرب الوزاري في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ . ويذكر بيل ان كلايتون ابلغ الزعماء السوريين بمضمون خطاب سايكس بل واعطاهم صورة منه ، واضاف ان الحكومة البريطانية تؤكد ان تصريح بالفور لا يعني اقامة دولة يهودية في فلسطين ، ولوح كلايتون للزعماء بأن الصهيونيين على جانب كبير من القوة ، وان اليهود يسيطرون على رأس المال في كل انحاء العالم ، وانهم اذا لم يحصلوا على ما يريدون في فلسطين من الدول المتحالفة فانهم سوف يحصلون عليه من الترك وفي هذه الحالة — كما يقول كلايتون — سوف تصاب القضية العربية بالخسران المبين . وعقب هذا الحوار مع كلايتون صار الزعماء السوريون — كما يقول بيل — يشعرون بشيء من الاطمئنان بعد ما علموا انه ليس في نية الحكومة البريطانية اقامة دولة يهودية في فلسطين وان شعب فلسطين العربي لن يرغم على قبول حكومة يهودية وسيمنع اليهود من الاستحواذ على الاراضي الخصبة بل وسيستفاد من أموال اليهود الضخمة في استغلال موارد الثروة الطبيعية في فلسطين . وقد فهم بيل ان اطمئنان الزعماء السوريين يرجع — الى جانب تصريحات الساسة البريطانيين — الى اعتقاد هؤلاء الزعماء بأن مركز العرب في فلسطين افضل من مركز اليهود بسبب تفوق العرب عدديا وبحكم اقامتهم الطويلة في البلاد ، وبذلك فانه اذا لم تعط فلسطين للصهيونيين في الحال سيكون لدى العرب فرصة للاستعداد لمجابهة الصهيونيين مجابهة الند للند في الصراع الاقتصادي . ويذكر بيل انه

---

٣ — انظر المقال الذي كتبه كاتب هذه الدراسة في مجلة (الطليعة) التي تصدر في القاهرة عن دار الاهرام في عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ بعنوان : تصريح بالفور والتناقض بين موقف الشعب وموقف الزعامة.

استنادا الى حجج كلايتون (القوية) والتأكيدات التي تلقوها بأنه لـــن تفرض عليهم حكومة يهودية في فلسطين ان شعر هؤلاء الزعماء بالرضا وصاروا يعتقدون بحكمـــة التخلي ــ في ذلك الوقت ــ عن معارضة الصهيونية ، بل وأخذوا يتحدثون عن التعاون مع الصهيونيين (تقرير رقم ٩) .

وتنفيذا لهذا الاتجاه عقدت عدة اجتماعات بين بعض هـــؤلاء الزعمـــاء وبعض قـــادة الصهيونيين في مصر مثل جاك موصيري ، وتبودلت في هذه الاجتماعات وجهات النظر ، وكما يقول بيل طلب الصهيونيون من الزعماء العرب محاولة اثارة الحماس من اجل عقد اتفاق عربي يهودي ومن أجل التعاون في المستقبل بين العرب والصهيونيين ، ولكـــن الزعماء السوريين نصحوا بعدم الاقدام على مثل هذه الخطوة في ذلك الوقت « الى ان يصل العرب الى تلك الدرجة من الاستنارة التي تجعلهم يقبلون ــ عن طيب خاطر ــ الهجرة اليهودية الى فلسطين ، واقترحوا بدلا من ذلك استقدام بعض اعيان القدس الى القاهرة لمباحثتهم واعدادهم لقبول فكرة التضامن العربي الارمني الصهيوني الـــذي اعلنه سير مارك سايكس ، كما اقترحوا ان يسجل الصهيونيون ــ كتابة ــ خطة عملهم المقبل في فلسطين » (تقرير رقم ١٩) . واستمرارا في تنفيذ هذه السياسة التي جنح اليها الزعماء السوريون في مصر وضع هؤلاء الزعماء برنامجا يتضمن بعض الاسس التي رأوا انه من الممكن ان تقوم على اساسها العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، وقدموا هذا البرنامج الى الميجور اورمزبي جور الضـــابط البريطاني المرافق للجنـــة وايزمان الصهيونية ، وكانت هذه الاسس تشمل صيانة الاماكن المقدسة وبقاءها في ايدي القائمين عليها ، والمساواة بين مختلف العناصر بصرف النظر عن نسبتهم العددية ، وان تكون العربية هي اللغة الرسمية وان يخضع الوافدون لقوانين البلاد ، ووقف عمليات بيع وشراء ممتلكات الاهالي واقامة بنك زراعي للتسليف واصدار قانون مماثل لقانون الخمسة افدنة في مصر ،وأتاحة الفرصة للمستوطنين اليهود لشراء اراضي الحكومـــة وتكوين لجنة مشتركة مستقلة عن الحكومة لحل ما قد ينشأ من مشكلات (تقرير رقم ٢٣) . وعلى الرغم من ان كلايتون ذكر انه لا يستطيع الموافقة علـــى هذه المطـــالب والاقتراحات في ذلك الوقت على اعتبار ان الوقت غير مناسب لاتخـــاذ خطوات بشأن مستقبل فلسطين الا انه اعرب عن اعتقاده بأن هذه المقترحات تبدو معقولة ، وخرج السوريون بانطباع مؤداه ان كلايتون لا يريد ان يلزم نفســـه او حكومته بخطة معينة (تقرير رقم ٢٩) .

وعقب الاجتماعات التي عقدها الزعماء السوريون مع اللجنة الصهيونية التي جاءت الى الشرق برئاسة حاييم وايزمان ، وشعور الزعماء السوريين بالاطمئنان بعد التفسيرات التي ساقها الزعماء الصهيونيون طلب بعض الزعماء السوريين السماح لهم بالسفر الى فلسطين لشرح موقفهم من الصهيونية وليوضحوا للفلسطينيين ان مصالحهم تستدعي عدم معارضة الصهيونية ، ويذكر بيل ان المسئولين البريطانيين كانوا يشكون في صدق نوايا الزعماء السوريين ، ولذلك رفض كلايتون هذا العرض « ما دامت الحالة فـــي فلسطين لم تخرج من أيدي البريطانيين » (تقرير رقم ٢٢) الا ان السلطات البريطانية لم تلبث ان اقتنعت بفائدة سفر مثل هذه اللجنة السورية لتهدئـــة الفلسطينيين الذين ازداد قلقهم وسخطهم وخاصة عقب زيارة لجنـــة وايزمان الصهيونية لفلسطين . وقد خصص بيل التقرير رقم ٢٩ للحديث عن اللجنة السورية ورحلتها في شهر مايو (أيار) ١٩١٨ الى فلسطين حيث امضت اسبوعين معظمهما في القدس ويافا ، وذكر بيل ان اللجنة كانت تتكون من ثلاثة اعضاء اولهم سوري مسلم من دمشق ، وثانيهم لبنـــاني بروتستانتي ، والثالث سوري رشحته السلطات البريطانيـــة ليكون بمثابة رقيب على العضوين الاخرين لعدم اطمئنانها اليهما ، الا ان بيل لم يذكر اسم اي مـــن الاعضاء الثلاثة وان كان قد ارفق بتقريره رقم ٣٤ ملخصا لخطاب ذكر بيل أن سليمان بك نصيف

عضو اللجنة السورية الى فلسطين القاه في اهالي يافا ، مما يقطع بأن سليمان نصيف كان احد اعضائها الثلاثة . وقد لاحظ بيل ان هذه اللجنة السورية لم تعقد اجتماعات عامة مع الفلسطينيين وانما اقتصر نشاطها على الاجتماع بالزعماء المسلمين والمسيحيين في كل من القدس ويافا . ويذكر بيل ان اللجنة العربية اسدت النصح لاعيان القدس لكي يعدلوا عن موقف الريبة والشك في سياسة بريطانيا وان عليهم ان يطمئنوا الى ان البريطانيين لن يسمحوا لليهود بحكم المسلمين والمسيحيين « واكدت اللجنة السورية لاعيان القدس ان مخاوفهم لا أساس لها وان الصهيونيين ليست لديهم فكرة انشاء دولة يهودية ... وان القوانين سوف تحمي الفلسطينيين من بيع اراضيهم لليهود » . ويضيف بيل ان الزعماء العرب قبلوا تصريحات المسئولين البريطانيين وعلى أساسها — رغم انه لا يمكن اعتبارها وعودا رسمية — نصح الزعماء السوريون مواطنيهم بالتعاون مع الصهيونيين وقبول برنامج لجنة وايزمان الصهيونية (تقرير رقم ٢٩). وقد علق بيل على نتيجة مساعي اللجنة السورية فذكر ان الهدوء الظاهري يخفي تحته شعورا بالمرارة والسخط وانه « لا يمكن القول بأن أهالي فلسطين ستصل بهم الحال الى درجة الترحيب بهجرة اليهود الى الارض المقدسة » .

ولذلك تقدم بيل باقتراح مؤداه ان تصدر الدول تصريحا واضحا محددا عن وضع اليهود في فلسطين في المستقبل على اساس أن مثل هذا التصريح الواضح سيساعد في تخفيف حدة التوتر لانه سيجعل الصهيونيين يفهمون الحدود التي سيسمح لهم بالعمل داخلها، ويضع حدا لما يقال عن تحول فلسطين الى بلاد يهودية وبذلك تزول مخاوف العرب ، خصوصا وان بيل كان يعلم انه على الرغم من تصريحات وايزمان بأن الصهيونيين لا يريدون حكومة يهودية في فلسطين الا ان كل من تتبع الحركة الصهيونية ودرس اهدافها لا بد وان يوقن بأن الهدف النهائي للصهيونية هو انشاء دولة يهودية تضم كل فلسطين ، اما تصريحات البريطانيين ووايزمان فانها لا تحمل اي التزام . وكان بيل يقدر ان الصهيونيين سوف يعارضون اصدار مثل هذا التصريح لانهم يفضلون الا تفرض قيود على نشاطهم المقبل في فلسطين .

فاذا انتقلنا الى الدائرة العربية الثالثة التي تضم الملك حسين ملك الحجاز وابنه الامير فيصل فنجد ان أول اشارة لموقفهما من الصهيونية اوردها بيل وهو يتحدث عن موقف الزعماء السوريين في مصر لان هؤلاء — ضمن رد الفعل الذي احدثه صدور تصريح بالفور — قرروا ايفاد مندوبين الى ملك الحجاز وابنه فيصل « خاصة وان الاخير يبدي اهتماما بسوريا ، وذلك لشرح الموضوع لهما وحثهما على تقديم احتجاج شديد للبريطانيين على اعطاء فلسطين لليهود كوطن قومي » (تقرير رقم ٤) ثم اشار بيل في التقرير التالي (رقم ٥) الى ان الزعماء السوريين لا يثقون في ملك الحجاز لانهم يعتقدون انه خاضع تمام الخضوع لسيطرة البريطانيين ، ومع ذلك فانهم ينوون ان يطلبوا منه — بصفته رئيس دولة عربية — ان يتولى القضية وان يقدم احتجاجا للحلفاء على اعطاء فلسطين لليهود .

وفي بداية الامر لم يتمكن حقي بك العظم وهو — كما يقول بيل — من انشط السوريين في المناقشات المتصلة بمستقبل الشام — من السفر الى العقبة لمقابلة الامير فيصل واقناعه بالاحتجاج على اصدار تصريح بالفور ، ولم يذكر لنا بيل سبب عدم تمكن حقي العظم من السفر في ذلك الوقت والمرجح ان السلطات البريطانية لم تكن تحبذ سفره منعا لاثارة الامير فيصل مما قد يؤثر على سير العمليات العسكرية في الشام. ولكن يعود بيل في تقرير لاحق (رقم ١٠ بتاريخ ١٩١٧/١٢/٣١) فيذكر ان حقي بك سافر الى العقبة بناء على دعوة الامير فيصل ، وقد يكون الامر كذلك لرغبة الامير فيصل في ازالة ما علق بالاذهان نتيجة موقفه ، وقد يكون السماح لحقي بك بالسفر الى العقبة بعد ان نجح البريطانيون بسلسلة التصريحات المتعددة وفي مقدمتها خطاب سايكس في ١٦ نوفمبر في

ان يخضدوا شوكة الزعماء السوريين بحيث لم يكن يخشى جانبهم لدرجة السماح لهم بزيارة فلسطين وعقد اجتماعات فيها كما سنرى . وعلى كل حال فانه بعد زيارة حقي بك العظم للامير فيصل في العقبة أدلى بحديث عن هذه الزيارة فذكر — كما يقول بيل — ان الامير عبر عن عدم ارتياحه لتصريح بالفور ، الا انه لا ينوي الاحتجاج على حصول اليهود على حق اقامة وطن قومي في فلسطين ، ولم يذكر سبب ذلك ، ويضيف بأن حقي بك حاول اقناع الامير بصفته احد كبار القادة العرب بالاحتجاج على الخطأ الذي يرتكب في حق العرب باعطاء فلسطين للصهيونية وانه يجب ان يؤثر على والده بصفته شريف مكة و(ملك الامة العربية) للاحتجاج على البريطانيين ، ولكن الامير لم يستجب لالحاح حقي بك الذي اصبح يعتقد ان ملك الحجاز مرتبط باتفاق مع البريطانيين بالا يتدخل في سياستهم في فلسطين . (تقرير رقم ١٠) .

ويلاحظ ان وليام بيل — رغم اتصاله بالمكتب العربي — لم يشر في تقاريره الى الزيارة المعروفة التي قام بها هوجارث وهو من رجال المكتب العربي للملك حسين في جدة في ١٩١٨/١/٤ وحمل اليه رسالة الحكومة البريطانية لتوضيح موقفها من الصهيونية(٤) .

وفي معرض الحديث عن الموقف العربي من الصهيونية تناول بيل حدثا هاما وهو اجتماع وايزمان والامير فيصل (في جويرة على طريق العقبة في ١٩١٨/٦/٤) بتدبير السلطات البريطانية في القاهرة على أمل الوصول الى نوع من التفاهم قد يساعد على التخفيف من معارضة العرب للصهيونية وتهدئة الموقف المتوتر في فلسطين بعد أن لمست اللجنة الصهيونية تدهور الموقف فيها . وقد أفرد بيل لاجتماع فيصل — وايزمان تقريرا خاصا (رقم ٣٤) واستقى الكثير من معلوماته من النشرة العربية ، اي ان معلومات بيل تعكس وجهة النظر البريطانية عن الاجتماع الذي اعتبرته مرضيا للطرفين . واذا كان الامير في هذا الاجتماع قد أعلن ان والده هو المختص باتخاذ قرارات في الموضوع فقد اعلن وايزمان — من ناحية أخرى — ان الصهيونيين لم يفكروا في اقامة دولة يهودية في فلسطين وان كل ما يرغبون فيه هو العمل — تحت حماية بريطانيا — من اجل استيطان فلسطين ، وان الامير فيصل أجاب على ذلك بأنه ازاء احتمال استخدام العدو لاي اعلان يصدر عنه تأييدا لوضع بلد عربي تحت سيطرة غير عربية وانه يكتفي بالاعراب عن رايه الشخصي وهو أن أمنية وايزمان ليست بعيدة عن التحقيق ، وانه يرحب قلبيا بما عرضه وايزمان لتمثيل الاهداف العربية الى جانب الاهداف الصهيونية في امريكا .

ويذكر بيل ان النشرة العربية اختتمت روايتها عن الاجتماع بأنه كان فرصة للتعارف وايجاد تقدير متبادل حتى يكون لدى كل زعيم فكرة عما يريده الاخر وذلك عندما يحين وقت المساومة .

وقد سجل بيل ملاحظاته على هذا الاجتماع ولخصها فيما يلي : ١ — تنصل الامير من الافصاح عما في دخيلة نفسه واحال الموضوع الى والده ارضاء له (وقد يكون لرغبة الامير في عدم الارتباط بشيء محدد) . ٢ — ان وايزمان تجنب الاشارة الى ان الهدف النهائي من الاستيطان اليهودي هو « اعادة توطين الشعب اليهودي في فلسطين كدولة

---

٤ — وفي هذه الرسالة التي تعتبر بمثابة تبليغ بريطاني لجات بريطانيا — كعادتها — الى الخديعة واخفاء الحقائق عن الملك حسين ومزجت بين الترغيب والوعيد ، فاعلنت في هذا التبليغ ان العرب لن يخضعوا لليهود ، وانها عازمة على الا توضع عقبة في وجه تحقيق امنية الصهيونيين ، وان الصهيونية ضرورية لتحقيق اماني العرب ، وقد ابلغ الملك هوجارث انه طالما ان تصريح بالفور يوفر لليهود ملجأ من الاضطهاد فانه سوف يستخدم كل نفوذه لتأييده ، الا أنه اوضح انه لا يمكن قبول فكرة تنازل العرب عن حقهم في السيادة ، ولذلك ابلغ هوجارث المندوب السامي البريطاني في مصر بأن الملك حسين لا يقبل دولة يهودية مستقلة في فلسطين « ولم تصدر لي التعليمات بأن انبهه الى ان مثل هذه الدولة موضع تفكير بريطانيا » . وهذه العبارة توضح كيف أن بريطانيا كان في نيتها اقامة دولة رغم انكارها ذلك في التصريحات الملتبة .

يهودية » . ٣ ــ اقر فيصل ــ لاغراض شتى ــ بأن مجموعة الحجاز ــ اي الاشراف ــ قد توافق بشروط معينة على استيطان اليهود في فلسطين تحت الحماية البريطانية وتدل على ذلك العبارة التي ذكر فيها انه في رأيه الشخصي ليست امنية وايزمان بعيدة عن التحقيق .

ويبدي بيل تعجبه من أن تتم تسوية مسألة فلسطين في مساومة بين الامير البدوي والزعيم الصهيوني ،ويقود هذا التعجب وليام بيل لكي يبحث في ختام تقريره لمسألة على جانب كبير من الاهمية ، وهي الى اي حد يمثل فيصل ووالده وجهة النظر العربية، وهل للامير فيصل حق اعطاء وايزمان حق تمثيل الاماني العربية ؟ ويخلص الى راي مؤداه ان فيصل لا يعتبر المتحدث باسم العرب ، لان الحركة العربية ترجع اساسا الى سخط العرب على الحكم التركي ، وقد بدأ هذا الشعور قبل الحرب بسنوات عدة وتزعمه قادة من الشام الى أن اتصل بهم فيصل عام ١٩١٥ ، وعلى الرغم من أن بعض الزعماء السوريين يرتبطون بفيصل ويحاربون في صفوف الاشراف الا ان هدفهم هو تخليص بلادهم من الترك وليس من أجل وضع بلادهم تحت سيطرة ملك الحجاز « ولا يمكن القول بأن أهل فلسطين وسوريا قد اعترفوا بحق الامير او والده في تمثيل أمانيهم ... وليس من العدل ربط مصالح اهل الشام بمصالح واطماع مجموعة الحجاز التي تريد الارتباط بالصهيونية » (تقرير رقم ٣٤) .

واحب أن اضيف الى تعليق بيل تفسيرا يضع الحق في نصابه ، وهو انه اذا كان زعماء الشام قد سلموا بتولي الشريف حسين زعامة الحركة فانما كان ذلك على اساس التزامه (ببروتوكول دمشق) عام ١٩١٥ الذي ينص على حصول الشرق العربي داخل حدود معينة على الاستقلال، وكانت فلسطين ضمن هذه الحدود التي اوردها (بروتوكول دمشق) ، فاذا لم يلتزم الشريف حسين بهذا البروتوكول فان زعماء الحركة العربية يصبحون في حل من الاستمرار على التسليم بزعامته . ويجرنا هذا الى التساؤل عن اسباب اتجاه الصهيونيين الى الاتفاق مع الاشراف الذين كان بيل يطلق عليهم اسم (مجموعة الحجاز) وهنا يذكر بيل ان وايزمان وقد أيقن ــ بعد زيارته لفلسطين في أبريل (نيسان) ١٩١٨ ــ ان الصهيونيين لن يتمكنوا من كسب ثقة الفلسطينيين ، فقد صار معتقد انه يستطيع ان يحرز نصرا دبلوماسيا له بعض الاهمية اذا كسب تأييد (مجموعة الحجاز) لما لتأييدها من وزن في العالمين العربي والاسلامي ، كما سيكون لهذا التأييد

صدر عن مركز الابحاث

عمران فلسطين

بقلم

خالد قشطيني

دراسة مفصلة للحضارة والثقافة العربية في فلسطين منذ أقدم العصور حتى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني . تصحيح علمي للمزاعم الصهيونية عن تاريخ فلسطين الحضاري واثبات ازدهارها وتقدمها عبر القرون .

بالانجليزية ٨ ل. ل.

اهميته وقيمته في مؤتمر السلام ، ولما كان للاشراف مطالب معينة فان وايزمان سيدخل معهم في مساومة من أجل حصوله على تأييدهم ، وفي هذه الحالة من الممكن أن يعرض وايزمان على مجموعة الحجاز ضمانا بالمساعدة في الحصول على موافقة الدول وخاصة الولايات المتحدة على مخطط الاشراف « ويبدو ان ما عرضه وايزمان من تمثيل الاهداف العربية في امريكا ما هو الا بداية المساومة » .

الموقف الفرنسي :

واذا كان الموقف الفرنسي لم يحظ — في تقارير بيل — بالحجم الذي حظيت به مواقف جوانب اخرى كبريطانيا والصهيونية والعرب فذلك لان بريطانيا حاولت أن تستأثر بنصيب الاسد في معالجة مشاكل الشرق بما يتفق ومصالحها ، كما حاولت عن عمد أن تبعد فرنسا وتحول بينها وبين التدخل في هذه المشاكل لما عرف عن الاطماع الفرنسية في الشام والتي كانت تتعارض مع المصالح البريطانية ، خصوصا وان فرنسا لم يكن لها وجود مادي في المنطقة اثناء هذه الفترة. وعلى الرغم من أن بيل أفرد معظم تقريره رقم ٣١ للموقف الفرنسي الا انه ضمن تقاريره السابقة على هذا التقرير بعض ملاحظاته على موقف الفرنسيين من المسألة الفلسطينية ، منها ما جاء في تقريره رقم ١٠ عن المقال الذي نشرته صحيفة الاجيبشيان جازيت — كبرى الصحف الانجليزية التي تصدر في مصر — عن الاستقبال الحار الذي لقيه من جانب اهالي بيت لحم مسيو بيكو ممثل فرنسا السياسي في الشرق « باعتباره ممثل الدولة الحامية للكاثوليكية مما دفع احدى اليهوديات الانجليزيات الى التعليق على ذلك بقولها : ان المرء ليلمح اضطرابا مقبلا » ويعقب بيل على ذلك بأنه من الواضح ان فرنسا لن تقنع بسوريا (بدون فلسطين) ولن تكون سعيدة بالوطن القومي اليهودي « ولذلك فليس بمستغرب الا يرد في جريدة الطان الباريسية اي ذكر لتصريح بالفور » .

وقد ذكر وايزمان رئيس اللجنة الصهيونية الى فلسطين ان الاطماع الفرنسية تمثل عقبة من العقبات التي تعترض طريق الصهيونية بسبب رغبة الفرنسيين في السيطرة على فلسطين (تقرير رقم ٢٠) . ونستشف شعور الفرنسيين من عدم حضور جورج بيكو اثناء الخطبة التي القاها وايزمان في الحفل الذي اقيم له في القدس (تقرير رقم ٢٨) . ولم يلبث بيكو — كما يقول بيل في تقريره رقم ٣١ — ان غادر فلسطين عائدا الى فرنسا، ويعزو بيل هذا الرحيل المفاجيء الى ان بيكو لم يكن سعيدا في علاقته مع السلطات البريطانية في مصر وفلسطين ، وانه لم يكن راضيا عن مركزه في فلسطين ، ولذلك سافر لمباحثة حكومته في هذا الشأن ، ويضيف بيل بأن اجتماعا واحدا مع الضباط المسئولين البريطانيين « يكفي لكي يشعر الانسان بأن البريطانيين يعملون بطريقة من شأنها الاضرار بمصالح فرنسا في فلسطين وسوريا » .

وقد اجتمع بيل بالليفتنانت ماسينيون مساعد بيكو في البعثة الفرنسية الى سوريا وروى ماسينيون لبيل كيف ان البريطانيين لا يعاملون الفرنسيين باخلاص نتيجة انفراد البريطانيين بغزو فلسطين وتقدمهم لغزو سوريا، وليس لفرنسا قوات تذكر في الجيوش الزاحفة . ويروي بيل في نفس التقرير كيف أن بيكو كان ينظر الى زيارة وايزمان للامير فيصل باعتبارها خطوة أخرى في تشجيع العرب في آمالهم لحكم سوريا « لانه اذا كان الامير فيصل ووالده ملك الحجاز قد وافقا على خطة البريطانيين بالسماح للصهيونية باقامة وطن في فلسطين فلا بد ان بعض الامتيازات المباشرة او غير المباشرة قد اعطيت للزعيمين العربيين في سوريا على حساب فرنسا » كما كان بيكو — كما يقول بيل — ينظر بعين الريبة والشك الى زيارة اللجنة السورية الى فلسطين في مايو (ايار) ١٩١٨ ويعتبرها ضمن مخطط لتدعيم مركز العرب وتأييد سيطرتهم على سوريا « فهي موجهة ضد اماني الفرنسيين في سوريا ، خصوصا وان اعضاء اللجنة السورية الثلاثة معروفون بمعارضتهم للسيطرة الفرنسية على سوريا » .

وفي حديث جرى بين بيل وجورج بيكو في ١٧ ابريل (نيسان) ١٩١٩ عن الشام ندد بيكو بالتصريحات المتهورة التي كان يصدرها الصهيونيون متوعدين العرب الذين كانوا — مسلمين ومسيحيين — يعارضون الصهيونية معارضة شديدة « مما يهدد باراقة الدماء في المستقبل القريب » .

الموقف الامريكي :

ان الموقف الذي طالب وليام بيل حكومته بأن تتخذه من المسألة الفلسطينية — كما جاء في تقريره رقم ٣٤ — هو موقف الحياد الدقيق الصارم ازاء المصالح المتصارعة في هذه البقعة من العالم ، مع دراسة وجهات النظر المختلفة دون تحيز حيث أن « للولايات المتحدة شهرة في كل انحاء الشرق لدورها النظيف وعدالتها ، ولن يكون من الممكن المحافظة على هذه الشهرة الا اذا استخدمت الولايات المتحدة نفوذها من أجل الوصول الى حل عادل لهذه المسألة دون أن يشوب موقفها اية شائبة من الشك توحي بأنها قد رضخت لاية مصلحة محلية او اجنبية » . ومع ذلك فاننا نلمح من كتابات بيل محاولات لكي تفيد الولايات المتحدة من اقامة وجود يهودي في فلسطين تكون دعامته من اليهود الامريكيين ، ولعل بيل في هذا كان متأثرا بما كتبه الصهيوني الامريكي القاضي براندیز في مقال له بعنوان : الصهيونية واليهود الامريكيون نشر في كتاب : الصهيونية — مشاكل واراء ، واقتبس منه بيل فقرات في احد تقاريره (رقم ٣٣) ، فان براندیز رغبة منه في ابراز الدور الذي يجب ان يتحمله الصهيونيون الامريكيون في بناء الدولة اليهودية في فلسطين اشار في مقاله الى ان موقف الولايات المتحدة الحيادي وعدم تورطها في مشاكل العالم القديم سوف لا يجعل الشكوك تحيط باليهود الامريكيين مثلما تحيط باليهود الذين ينتمون الى الاقطار الاوروبية المتنافسة والتي لها أطماع « كما انه لا يوجد تعارض ملموس بين المصالح الامريكية والاهداف الصهيونية واخلاصنا لامريكا ليس موضع جدال » . ويتجلى تأثر بيل بهذه الفكرة في التوصيات التي اعدها عن مستقبل فلسطين وسوريا ولبنان وقدمها الى القسم الامريكي من اللجنة الدولية للانتدابات في تركيا (لجنة كنج — كرين) بصفته مستشارا فنيا لهذا القسم ، فقد طالب بيل في هذه التوصيات بفصل فلسطين عن سوريا ، ووضعها تحت الانتداب البريطاني، واقامة وطن قومي لليهود فيها ، وعلى الرغم من اقرار بيل بأن هذا الاقتراح يتعارض تماما مع رغبات أهالي فلسطين وسوريا الا ان السند الوحيد الذي دعاه الى ذلك هو انه يجب ان تؤخذ في الاعتبار — كما يقول — رغبات اربعة عشر مليون يهودي ، كما أن الولايات المتحدة والحكومات المتحالفة اصدرت وعودا رسمية لليهود ، وفي رأيه ان عدم الوفاء بها سيكون ظلما وحمقا . ولا يلبث بيل في نفس التوصيات ان يفصح عما بدا يجول في نفسه ، فهو يعرب عن اعتقاده ، بأن « الدولة اليهودية سوف تقع حتما تحت سيطرة اليهود الامريكيين الذين سوف يعملون على انتشار الافكار الامريكية والمدنية الامريكية في الاتجاهات والميول اليهودية ، ولذلك فان كومنولثا يهوديا في فلسطين سوف يتطور ليصبح مركزا اماميا للامركة في الشرق » .

ومن الغريب أن بيل الذي كان يطالب حكومته بالعدالة في موقفها من المسألة الفلسطينية لا يكتفي بالتوصية بحل يعترف هو نفسه بأنه يتعارض مع رغبات الاهالي بل انه في نفس التوصيات يعرض الوسيلة التي يجب ان تتبع للقضاء على معارضة أهل فلسطين « فانه عندما يعلم الفلسطينيون ان الدول الغربية عازمة على أن تتيح لليهود فرصة انشاء وطن قومي يهودي ، وعندما تضرب الدولة المنتدبة بيد قوية على اية قلاقل ومظاهرات معادية لليهود فانه سوف يقضى على خطر قيام ثورة واسعة النطاق وبذلك يتقبل العرب الهجرة اليهودية كأمر حتمي لا مفر منه » . وعلى كل حال فان الحل الذي ارتآه بيل في النهاية لا ينتقص من قيمة ما جاء في تقاريره السابقة من آراء وهي آراء تهدم توصية بيل من اساسها .

عامل السرعة والمرونة في الحرب الحديثة ومدى تطبيق جيش العدو لها

العقيد مروان التميمي

تتصف الحرب الحديثة قبل كل شيء بالحركة والانتشار الواسع لمختلف الوحدات مهما كانت اشكال المعارك وظروفها ومكان وقوعها ولم تعد للمبادىء القديمة كالجبهات المستقرة اية ضرورة الا فيما ندر. وبنظرة خاطفة على تطورات الحروب تاريخيا وتسلسل وقائعها بمرور الزمن واضطراد التقدم نلحظ ان قيمة الزمن تبرز بازدياد ومعها تتبلور أكثر فأكثر السرعة في الانجاز لتصبح ركنا اساسيا في تحقيق هدف النصر. وضمن النطاق العملي التطبيقي في الحروب الحديثة لجأت معظم الدول المتطورة الى حسن تقييم عامل الزمن فتبنت مختلف سبل التطور . فسرعة العمل ومرونته مترابطة مع الزمان والمكان وتعتبر عوامل اساسية للقائد الناجح الذي يقدرها حق قدرها فيحسن ترابطها ببعضها. فما هي صفات القائد الناجح في هذا المضمار ؟ في نظر اصحاب المبادىء العسكرية التقليدية تتلخص القيادة في السيطرة المستمرة على الوحدات وتنظيم أعمالها القتالية وتوجيه جهودها لتنفيذ المهمات المحدودة والقيادة الماهرة هي التي تتوصل الى تدمير العدو بأقل الخسائر وبلوغ النصر في أقصر وقت . والقيادة لها ميزات تتصف بها منها الحزم والاستمرار والسرعة والكتمان وعلى راسها المرونة . وتتجلى مهارة القائد في مجال مقالنا هذا في ان الاعمال القتالية لا تجري دوما وفق ما خطط لها بل كثيرا ما تظهر خلال المعركة مواقف تبدو صعبة او غير متوقعة الامر الذي قد يخلق لدى القائد الذي خطط للمعركة روحا من الشك في عمله قد يؤدي الى الدمار ، ولذلك فان مرونة القيادة احسن ما تظهر كميزة في سرعة التلاؤم مع الوضع الجديد والمواقف المتغيرة وفي سرعة اتخاذ قرار جديد ملائم للوضع الحاصل ، وتسمح مرونة القيادة بتوحيد جهود القوات بشكل ناجح لبلوغ الهدف المحدد بسرعة .

على ضوء سرعة وتيرة الهجوم في حروب عصرنا هذا التي قد تبلغ ٤ — ٥ كم ساعة ، يجب أن يتصف عمل القائد كذلك بسرعة ملائمة لسرعة تقدم القوات وهذا يوضح انه في حالة رد الفعل البطيء لدى القائد لاتخاذ القرار المناسب عند تطور الاحداث فانه قد ينجم عنه تأخر في وصول تعليمات القتال الجديدة وقد لا تطابق مع الموقف الراهن على أرض المعركة . وبنظرة فاحصة على كيفية انتقاء الضباط في الجيش الاسرائيلي نرى ان قيادتهم قد ركزت على صفات معينة أهمها نزعة المغامرة وحتى روح المقامرة . وعلى سبيل الاطلاع فقد أورد الجنرال مارشال في كتابه عن « حرب سيناء » ١٩٥٦ بعضا من الخصائص التي اعتبرها كتعليمات تسيطر على عقلية الضباط الاسرائيليين في مسرح

العمليات : * ان تقود يعني ان تنتقل الى اخطر موقع . * لا تبق في المؤخرة فليس هناك سبب يدعو الى ذلك . * اذا لم تتلق اي أمر فتصور انت ما يجب ان يكون عليه هذا الامر . * اذا تولد الشك لديك فاضرب . ان اقرب سبيل الى السلامة هو طريق الهضبة العدوة . * لا تهاجم من الامام . هناك عادة طريقة أحسن . * اذا هاجمت من الامام فاحرص الا تكون هدفا عريض الجبهة . * حينما تصبح القطعات منهكة توقف و امنحها فرصة للراحة . * حينما تقع تحت وابل النيران العدوة فتحرك لان ذلك أفضل من أن تدفن نفسك بالتراب . ان هذه التعليمات التي أوردها الجنرال مارشال تكاد تلخص مبدأ قتال القادة الاسرائيليين : الهجوم دوما ــ القدوة ــ البداهة ــ الابتكار .

كيف يمكن ان نقدر عامل السرعة والمرونة في الحروب ؟ ما هو مقياسه ؟ الجواب لن يكون بسهولة طرح السؤال لانه لا يمكن تقدير اهمية السرعة في هذا المجال بسهولة . فالسرعة تعتبر عاملا هاما في احراز النصر لانها كفيلة بتأمين عنصر المفاجأة . وعدو العالم العربي الحالي ، المتمثل في اسرائيل تمكن بحكم ما زود به من امكانيات آلية وفنية ومادية ان يحسن ترابط هذه العوامل ببعضها. ووقائعحرب حزيران ١٩٦٧ تعتبر الدليل القاطع لما لعنصر المفاجأة من اهمية وقيمة ولولا حسن تطبيق العدو لعنصر المفاجأة لما كتب له مثل هذا النصر السريع . والتحدث عن سرعة الانجاز يجب ان نفهمه في أوسع معانيه . لن نعني به فقط سرعة انتقال وحدة عسكرية ما الى مكان آخر بل ويجب ان نعني كذلك سرعة اتخاذ القرار وسرعة اتخاذ الاجراء المعاكس وزيادة فعالية مثل هذه الاجراءات بتبني ما استحدث من سلاح وتطوير استخدامه بما يتناسب مع ما يمتلكه العدو . فسلاح حرب ١٩٤٨ لم يعد صالحا بالمعنى التكتيكي العام لحرب عام ١٩٥٦ وسلاح هذه الحرب لم يكن كذلك كافيا لخوض غمار حرب ١٩٦٧ ففي كل من هذه الحروب استخدمت اسلحة احدث مما قبلها ان لم نقل ان بعضا منها لم يكن حتى معروفا في الحرب التي سبقتها .

تزايد القوات المحمولة : اول ما عرف الانسان القتال عرفه وهو ماش على قدميه ثم استخدم الحصان ليحارب وهو راكب . مر الزمن وتطور معه أسلوب القتال فاستعاض عن الحصان بالآلية المدرعة ثم الدبابة فالطائرة يقينا منه بأن الاسرع في التدخل هو المنتصر حتما . وفي مجال القوات البرية فانها تطورت لتصبح نسبة المحمول منها بتزايد مستمر . ووسائل النقل بدورها في تطور تقني مضطرد فمع مر الزمن وتوالي الحروب تزداد هذه الوسائط سرعة وتصفيحا فتتمكن في بعض الحالات ــ وقد أصبحت شائعة ــ ان توجه ضربة قاضية في عمق تجمعات العدو وفي الامكنة غير المتوقعة بفعل بعدها الجغرافي . فالقوات المتحاربة في عصرنا الحالي لم تعد تمشي الاميال الطوال على اقدامها في مسيرات طويلة لتصل الى حيث تشتبك مع عدوها ، بل أصبحت تتقدم راكبة او محمولة لتترجل فقط عند الاشتباك وتكون عندها في أتم الراحة الجسمية لخوض غمار الاشتباك دون ان تكون قد استهلكت ولو البعض من مجهودها الجسمي في سبيل الوصول الى الهدف . فقد غدت جيوش العالم في عصرنا الحالي تعتمد اعتمادا كليا على الآليات العادية والمصفحة سواء للتحركات وحتى في القتال . فالالية او المصفحة او الدبابة بفعل ما تمتاز به من ليونة في الحركة تتيح لها امكانيات مناورة تسهل عليها القضاء على عدو متمركز في دفاع مستكن وراء مستر ما سواء من صنعه او صنع الطبيعة . وبالنسبة للجيش الاسرائيلي بعد أن ضمن توفر الآلية صار يسعى دوما الى نقل المعركة الى خارج اراضيه .

حتمية قيام المعركة خارج فلسطين المحتلة : بحكم صغر مساحة الاراضي المحتلة ومجاورتها لدول عربية معادية لوجودها فان الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية قامت على اساس عدم التنازل عن اي شبر من الاراضي التي احتلتها في مراحل مختلفة وعلى اساس نقل المعركة الى أرض العدو فكل مكسب تناله من جراء الاحتلال والتوسع تعتبره

« حقا تاريخيا » تدافع عنه بقوة السلاح . ان تاريخ الاستعمار الاسرائيلي في فلسطين منذ أواخر القرن الماضي حتى اليوم يؤكد هـذا الرأي ويجعله اساسا للاستراتيجية الاسرائيلية والسبب في ذلك هو المطامع والاهداف التوسعية المحددة في الخطة الصهيونية والوضع الجغرافي الخاص باسرائيل في الوقت الحاضر .

ولكي تواجه اسرائيل هذا الواقع الجغرافي العسكري نجد انها تسلحت بالاسلحة التي تساعدها على الحركة والمفاجأة ونقل القتال الى خارج اراضيها . فسلاح الطيران قادر على التدخل السريع والتسلل العميق وتخريب الطرق العربية . وسلاح المدرعات قوة قادرة على الحركة السريعة، ونقل القتال الى خارج الحدود والاختراق السريع والعميق وسلاح المظليين قادر على احتلال المراكز الهامة الخلفية وضرب عقد المواصلات وشل القيادات ونشر الذعر . وقد ركزت اسرائيل جهودها على هذه الاسلحة الثلاثة ، فاعتنت بها تدريبا وتسليحا وانتقاء عناصر ، ولكي تواجه اسرائيل ايضا هذا الواقع كان لا بد لها من ابعاد المعركة عن اراضيها ودفعها الى أرض العدو قدر استطاعتها .

ففي الميدان البري ركزت اسرائيل على سلاح المدرعات وكما قال قائد سلاح المدرعات : « بالمدرعات نستطيع تأمين الحركة والقوة النارية الكبيرة وبذلك يمكننا الاندفاع بسرعة لكي ننقل القتال الى الاراضي العربية، فالمدرعات ما زالت عصب المعركة البرية ومرتكزها وهي القوة الحاسمة فيها ، وان النصر يمكن ان يتحقق بواسطة سلاح الطيران وسلاح المدرعات ، لهذا فان هذين السلاحين هما مدار اهتمام جيش الدفـاع الاسرائيلي وان الاهتمام بسلاح المدرعات في الجيش الاسرائيلي بدأ يتعاظم بسرعة منذ عام ١٩٦١ » .

وتعتبر القيادة الاسرائيلية سلاح المدرعات حـد السيف الحاد الذي يجب استعمـاله للاجهاز على الخصم بصورة حاسمة واحراز النصر النهائي . ولا تخطط اسرائيل لاي عملية هجومية ناجحة بالمدرعات الا على اساس وجود تفوق جوي وتعاون وثيق بين القوات المدرعة والقوى الجوية . وكانت تجارب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ العامل الرئيسي في تطوير سلاح المدرعات الاسرائيلـي وتزويده بالدبابات والمعدات الحديثة فأعيد تنظيم هذا السلاح وتشكيله حسب المفهوم التالي : « نقل المعركة القادمة الى الارض العربية بسرعة فائقة » . وقد كانت معظم المناورات والتدريبات التي كان يقوم بها سلاح المدرعات منذ عام ١٩٦٤ حتى صيف ١٩٦٦ تجري وفق هذا المفهوم ، ففي مرحلة اعادة التنظيم التي تمت قبل آذار ١٩٦٧ اعدت هيئة الاركان العامة قوات ضاربة قوامها المدرعات والمشاة المحمولة والمظليين ومهمتها العمل بسرعة للسيطرة على الموقف سواء كانت المعركة هجومية او دفاعية . وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ صرح الجنرال تل قائد سلاح المدرعات الاسرائيلي في صحيفة جروسالم بوست بتاريخ ١٩٦٨/٧/١٨ ما يلي : « ان الحرب اعطت السلاح خبرة وكشفت نقاط الضعف فيه وتم لنا تلافيها كما ادت الى تبني نظريات جديدة والتخلي عن النظريات القديمة » .

واما سلاح المشاة فان الستراتيجية الاسرائيلية تعتبره قوة مهاجمـة ويلقن رجاله بأن السلامة تكمن في التحرك السريع نحو الامام وحول جناحي العدو وليس في التثبت بالارض تحت نيران العدو . ومن الناحية التدريبية تجهز الوحدات للقتال في كافة أنواع الاراضي الجبلية والصحراوية وبغية تحقيق المزيد من سرعة التدخل والمناورة والمباغتة . وبعد انتهاء عمليات العدوان الثلاثي قامت القيادة الاسرائيلية بادخال تعديلات جوهرية على استخدام المشاة فجعلت وحداتها جميعها آلية اي محمولة ولا تزال تطور اعادة التنظيم حسب النتائج المستخلصة من حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن جملة أوجه التطور الطارىء في تدريب جندي المشاة الاسرائيلي تدريب الجندي على الرمي من السيارات المتحركة بسرعة ٤٠ كم ومن الدبابات اثناء سيرها بسرعة ٢٠ كم . كما يجري التدريب على الصعود والنزول من هذه السيارات اثناء سيرها بسرعات متزايدة ، وفي سبيل تنفيذ هذا الاسلوب القتالي العنيف فقد اعيد تصميم الخوذات والملابس وجعـاب الطلقات

والمعدات الاخرى لتسهيل الحركة على الجندي والقتال ضمن هذه الظروف .
وفي حرب حزيران ١٩٦٧ لم تستخدم المشاة بشكل بارز وكثيف في عمليات سيناء واقتصر استخدامها على مرافقة الدبابات في هجماتها وضرب المقاومة التي تعترض سير المدرعات او التي تخلفها المدرعات وراءها بعد اندفاعها . اما على الجبهة السورية فقد أمضى اللواء « الجولاني » بكافة كتائب مشاته اكثر من ست ساعات لاحتلال المخفرين الاماميين السوريين (تل العزيزات وتل الفخار)وقد خسر اللواء مقابل احتلال المخفرين ما لا يقل عن مئة قتيل . وقد توجت القيادة الاسرائيلية هذا التطور بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بأن دمجت كلا من سلاح المشاة وسلاح المظليين تحت قيادة واحدة وبذلك ترمي القيادة الاسرائيلية الى تدريب اكبر عدد ممكن من المشاة على الهبوط بالمظلات بهدف انشاء تشكيلات مشاة/مظليين تتصف بالمرونة والسرعة وبحيث يصبح من السهل استخدام قسم كبير من الوحدات لالقائها بالمظلات او حملها بالطائرات او نقلها بالسيارات والعربات نصف المجنزرة او حتى سيرها على الاقدام . ان توفر هذه الامكانات في قسم كبير من وحدات المشاة/المظليين يساعد القيادة على مجابهة المواقف في ميدان المعركة البرية وتطورها ومعالجة الظروف حسب العوامل الجديدة التي تطرأ أثناء القتال، اذ ان القيادة تستطيع بهذه الوحدات ان تؤثر في شكل المعركة وتغير اتجاهها لانها قادرة على أن تزج بقوات كبيرة في ما وراء خطوط العدو وجبهات القتال وخاصة اذا ما توفر لديها العدد الكافي من الطائرات العادية والهيليكوبتر .
ومن أساليب اسرائيل الستراتيجية في سرعة تحقيق النصر وبالتالي بلوغ الهدف استخدام القوات المنقولة جوا. فقد شكلت اسرائيل منذ عام ١٩٥٢ اول نواة للقوات المظلية والتي بلغ تعدادها فوجين عام ١٩٥٦ واستخدمت قوات المظليين الاسرائيلية في العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ فقد أنزلت سريتين في ممر متلا في سيناء قبل ٢٤ ساعة من هجوم القوات البرية . وكذلك انزلت سرية مظليين في شرم الشيخ وكانت تنقلها طائرات من نوع نورد اطلس وقد استمرت اسرائيل في الاحتفاظ بقوات مظلية حتى عام ١٩٦٣ حيث بدأت تلك القوات تنقلب الى قوات محمولة بالهيليكوبتر . وقد استخدمت القوات المنقولة جوا بالهيليكوبتر في حرب حزيران حيث أنزل ما يقرب من أربعمائة جندي وراء منطقة المدفعية في ابي عجيلة على الجبهة المصرية وعلى بعد ١٠ كم تقريبا خوفا من رمي المصريين عليها واقتضى تجميعها اكثر من ثلاث ساعات لتوجيهها والوصول الى مهاجمة المدفعية المصرية من الخلف. وعلى الجبهة السورية استخدمت الهيليكوبترات الاسرائيلية في انزال القوات المحمولة لاحتلال مرتفعات فيق والرفيد قبل وصول القوات الارضية اليها . وبعد حرب حزيران تصاعد العمل الفدائي العربي وانطلق من الاغوار ومن داخل الارض المحتلة واستخدم الاسرائيليون الطائرات الهيليكوبتر للنقل والاخلاء والاستطلاع ورصد رمايات المدفعية . وكانت اول عملية تكتيكية واسعة لاستخدام الهيليكوبتر في التصدي للفدائيين اثناء معركة الكرامة حيث نقل الاسرائيليون فوجا محمولا كاملا وهبط خلف معسكر الكرامة في غور الاردن بقصد عزل المعسكر والسيطرة على المرتفعات المجاورة وقد تكبدت هذه القوات المنقولة جوا خسائر جسيمة في مواجهتها للفدائيين . وآخر عمليات الانزال الجوي المفاجئة كانت عملية مطار بيروت وصرفند . وتستخدم اسرائيل الهيليكوبترات مقلدة اساليب فرق هجوم « فرسان الجو » الاميركية وتستوحي منها تكتيكها الاساسي وتحاول اسرائيل في الظرف الراهن تطوير استخدام ومعرفة حدود وقيود استخدام الهيليكوبترات كواسطة نقل قتالية تؤمن المفاجأة اولا بالنسبة لتعاملها مع أماكن تواجد الفدائيين ومن ثم امكانية الاعتماد والتركيز على استخدامها في معارك القتال المقبلة مع الجيوش العربية. ومن المؤكد ان الرمي ليلا على اهداف ارضية محصنة من الهيليكوبتر ليس مجديا لصعوبة تمييز الاهداف ولقلة دقة الاصابة مع ما في ذلك من خطر محقق في حالة وجود اسلحة مضادة لها ولو خفيفة .

الدفاع ضد القوات الاسرائيلية المنقولة بالهيليكوبتر : تستخدم اسرائيل الهيليكوبتر لنقل بعض قواتها سواء في معركة ارضية للاستيلاء على اهداف في البلاد العربية والتمركز فيها بصورة نهائية او للنزول فيها مؤقتا بغية تدميرها والعودة الى قواعدها فيما بعد او لمهاجمة وقصف هذه الاهداف دون النزول فيها كالاهداف الاقتصادية والمواضع العسكرية المنعزلة وذلك نهارا ام ليلا ، ولذا ينبغي على كل وحدة نظامية او فدائية ان تهتم بالدفاع الذاتي عن نفسها من كل الاتجاهات الى جانب الدفاع عن المكان او المحور المكلفة بالدفاع عنه . وعليه فان وجود مخطط مهيأ سلفا ضد القوات المعادية الهابطة جوا من الامور البديهية في خطة الدفاع . عند احتمال قيام العدو بانزال جوي توجه نيران مختلف الاسلحة المضادة للطائرات بما في ذلك حتى البنادق الى كل الطائرات المعادية من مختلف الانواع والتي تحوم فوق القطعات الارضية العربية اذا كانت على مسافة الرمي الجوي حتى ولو كانت تلك الطائرات مصفحة من الاسفل ومن جوانب الطيار لان اصابتها واسقاطها محتمل جدا رغم ذلك . وينبغي ان يخصص عدد من الوحدات النارية لمختلف الاسلحة المضادة للطائرات لاجراء مثل هذه الرمايات وان هذه النسبة في الظروف الراهنة مع العدو الاسرائيلي هي ربع الوحدات النارية فتضاف هذه الى الوحدات النارية الاساسية .

ان تمركز القطعات الفدائية ينبغي أن يكون على شكل معسكر واسع الانتشار تتخلله الخنادق المغطاة واماكن الرمي المتعددة ضد الطائرات بحيث يتحكم هذا المعسكر طبوغرافيا في الاراضي المجاورة بالنظر وبالنار الى مسافات بعيدة تمكن من التصدي الفعال لكل الاخطار الجوية سواء القاذفة او الهابطة وحتى لاخطار الهجوم الارضي المدرع المعادي . ويحسن ان يجهز المكان ليكون قابلا للتصدي لاي عدوان جوي محتمل من كافة الاتجاهات .

ومن القضايا الاساسية في الدفاع عن قواعد الفدائيين ضرورة وجود شبكة رصد وانذار سريعة ضد هذه الاخطار في القواعد وتربيض الاسلحة باستمرار في اماكن رميها بحيث يستطيع الفدائيون الوصول اليها بأقصر مدة ممكنة واخذ مواضعهم القتالية . ويحسن كذلك تواجد ملاجىء للاسعاف واخلاء الجرحى اليها .

عامل السرعة في مراقبة القوات العدوة : ان مبدأ التمويه والخداع من اهم مستلزمات القتال ، والبراعة في الخداع — في المجال العسكري المفهوم هو من ميزات المقاتل الجيد المدرب، وهذه الحقيقة يمكن أن تتصف بها الوحدة المقاتلة بحالها فاذا أحسن الخداع توه العدو لا بل وقع في الفخ، وتحاشيا من الوقوع في مثل هذه الافخاخ التي طالما تكون مميتة يكون الحل في ايجاد جهاز مراقبة ورصد نشيط وفعال ، نشيط في مراقبة وتسجيل كل صغيرة وكبيرة يؤتيها العدو المقابل ، وفعال بحيث يبلغ عنها فورا للسلطات الاعلى المسؤولة مهما بدا للمراقب ضآلة قيمة ما شاهده . ففي معركة صرفند الاخيرة التي وقعت على الساحل اللبناني الجنوبي تمت قبلها المراقبة ورفعت نتائجها الى المسؤولين الا ان اتخاذ القرار بالاجراء المعاكس المناسب لم يتم بالسرعة المطلوبة فلو اتخذت الاجراءات الكفيلة بصد هذا العدوان بنتيجة المراقبة والرصد لما عاد جندي عدو واحد الى داره .

كثير من الاوضاع العسكرية سرعان ما تتغير خاصة اذا ما اتقن العدو مبدأ التمويه والخداع واذا ما زود بالحديث من المعدات مما يسهل له حرية المناورة وليونة الحركة، فعلى عناصر الرصد والمراقبة سرعة تزويد المسؤولين بمشاهداتهم كي يتمكن هؤلاء القادة من سرعة اتخاذ القرار، فهناك قرارات او خطط قد يضطر الى تغييرها وحتى الى الغائها في غضون دقائق معدودة من الزمن . فالنصر لن يتم الا لمن يحسن الاستفادة من الدقائق المتوفرة لديه في اتخاذ قرار مجبر عليه لمقابلة وضع جديد لم يكن قد سبق له وقام بحسبانه .

المفهوم العام لقابلية الحركة في الميدان : لما كان مفهوم الحرب الحديثة هو السرعة في

الانجاز فقد لجأت الدول المتحاربة الحديثة الى تطبيق واستخدام كل ما من شأنه احراز النصر في اقصر مدة ممكنة . الامر الذي يتطلب تامين عنصر المفاجأة . فالحرب القصيرة الاخيرة ، حرب حزيران ، كانت حرب حركة مهد لها بعدوان جوي مفاجيء . والعمليات الحربية محدودة النطاق التي قام بها العدو على مـــا اعتبره قواعد للفدائيين في كل من الكرامة وصرفند وغيرها فقد نفذها العدو بتكتيك واشراك شتى صنوف الاسلحة وخاصة سلاح الهليكوبترات الذي شرع العدو باستخدامه على نطاق واسع يحسن ان يحسب له حساب في الاحداث المقبلة .

ان اي حرب اخرى ستكون حتما الحرب المتحـــركة ويحتم تنسيقها مع طـــرق القتال الكلاسيكية العادية بشكل منطقي وعلمي ففي ذلك اقتصاد للقوى وليس بتبذير لها وبهذه الطريقة فقط يمكن بلوغ النصر بشرط ان يحسن تكثيف القوى والوسائط في المكان والزمان المناسبين . هل يمكن لحرب مقبلة ان تكون تقليدية ؟ لقد عودنا العدو في مناسبات عدة انه قلما يتبع القتال التقليدي فهو بفعل ما تزوده القوى الامبريالية باستمرار من مختلف الاسلحة ذوات الخصائص المختلفة ، تتيح له ان يطور باستمرار اساليب وخطط قتاله .

ان الحروب المقبلة قد تكتنفها صفة الشمول بحيث تعم نظرية دفاع الخط الاول لتشمل مساحات اكبر من الرقعة الارضية كأن تشمل كافة المنطقة الدفاعية بأبعادها الطولانية والعرضانية . وعليه فان كافة المواقع القتالية سيتحتم علينا اعتبارها في الخط الاول بمعنى انه مهما بدا لناظرها انها بعيدة فان قوى الطيران الحديث والاستخدام الموسع للصواريخ جعلها بمتناول الرمايات المختلفة .

وبالنسبة للجيش الاسرائيلـــي فانه أولى العمليات الهجومية اهتمامـــه الاول ولا يعتبر الدفاع الا مرحلة انتقالية الى هجوم مقبل . فاسرائيل لا تنسحب من شبر مـــن أرض احتلتها الا من قبيل الاضطرار والهزيمة . ان ضيق رقعة الارض لديها لا تسمح لها أن تناور في العمليات الدفاعية . ففي البلدان الواسعة الارجاء تستطيع جيوشها ان تتراجع الى الخلف بهدف اطالة طرق المواصلات على عدوها او بغية استدراجه الى مكان ما تنوي الايقاع به لكن بالنسبة لجيش اسرائيل فان هذه الامكانيـــة مفقودة بفعل صغر ساحة العمليات فما هو اذن اسلوب هجومها ؟

لتنفيذ الاعمال الهجومية يعمـــد الجيش الاسرائيلي الى خلق السيطرة المستمرة على الخصم بالقوة القتالية وخاصة بالطيران والدبابات في الزمـــان والمكان الحاسمين وقد اختار أسلوب الهجوم من الحركة في جميع عملياته اذ أن الانتقال من الحركة الى الهجوم يتم مباشرة بعد المسير بدءا من مناطق التحشد المحتلة مسبقا من قبل القوات . وفي تطبيق الجيش الاسرائيلي لاحد اشكال الهجوم فانه يلجأ الى مناورة الاختراق عندما يكون دفاع الخصم متكاملا غير مكشوف الجوانب . في هذه الحالة يتحتم على القوى المهاجمة ان تخترق الحد الامامي الدفاعي ويتطلب هذا الشكل من الهجوم التفوق بالقوى والوسائط فتوجه الضربة الرئيسية الى قطاع من الجبهة ضيق نسبيا وبالاتجاه الاقرب الى الهدف المقصود . وفي حالة عدم توفر التفوق بالقوى والوسائط يستعاض عنها بتأمين عنصر المفاجأة وقد طبق الجيش الاسرائيلي هذا الشكل من المناورة اي الاختراق — في صحراء سيناء في حرب حزيران ١٩٦٧ .

اما الشكل التالي من المناورة الهجومية فهو التجاوز ويستخدم عندمـــا تكون جوانب الخصم مكشوفة وذلك بالالتفاف عليه بغية احتلال الاهداف التي تعيق انسحابه وهذا ما جرى في الجبهة الاردنية في عدوان حزيران ١٩٦٧ حينما القت القوات الاسرائيلية حول الترتيب الدفاعي الاردني وهاجمت جنين في الشمال والقدس في الجنوب وأحاطت بالجيب الدفاعي الممتد بين المدينتين حتى الحدود مما اضطر القوات الاردنية الى الانسحاب من هذا الجيب ثم اخلاء الضفة الغربيـــة . وعلى الجبهة السوريـــة استخدمت القوات الاسرائيلية شكلي المناورة : فقد ركزت قوات كثيفة لخرق الجبهة وتمكنت من فتح ثغرة

فيها ثم وسعتها وانطلقت منها بمناورات التفاف متعددة .

طبيعة مناورة الدفاع على ضوء التكتيك الاسرائيلي : اما وقد تطور التسليح فان اساليب القتال قد واكبت هذا التطور فوجب تكييفها لمجاراة هذا التغير وتركيز الاهتمام على ميزات الدفاع المتحرك والذي يستجيب اكثر الى تنفيذ متطلبات الدفاع المثمر . خاصة بعد نمو وازدياد استخدام أسلحة التدمير الشامل . فتمركز المجموعات الكبيرة في منطقة واحدة اصبح صيدا ثمينا لعدو يمتلك مثل هذه النوعية من الاسلحة الامر الذي يحتم بعثرة القوى الصديقة الى العديد من المجموعات الصغرى والتي تتطلب تواجد شبكة اتصال سلكي ولاسلكي يعوض عن هذا التباعد بسرعة الاتصال للقيام بواجب ردود الفعل من هجمات معاكسة او اي اجراء آخر في المكان والزمان المناسبين .

وقد عمد العدو الاسرائيلي الى تزويد نفسه بعدد كبير من الهيليكوبترات . ولملاقاة العمليات المحمولة جوا والتي على ما يبدو انها ستكون الصفة البارزة في أي عمليات حربية مقبلة يجدر التركيز على دراسة اختيار الكيفية والكمية من الوسائط الحديثة لمقابلة مثل هذه العمليات الحديثة التطبيق في معاركنا الاخيرة والتي قد تصبح اكثر مشاعا واحتمالا مع مرور الزمن .

وبهذا الخصوص ماذا عساها تكون الخصائص العامة لتكتيك القوات الاسرائيلية ؟

١ ــ ان العمليات الليلية هي الطابع المميز للقوات الاسرائيلية حيث تستفيد من مزايا الليل الكثيرة وأهمها الظلام الذي يستفيد منه العدو كستار ناجح لتأمين المفاجأة في هجومه وتجنب نيران المدفعية والنيران المباشرة وقد اولى الجيش الاسرائيلي تدريب القتال الليلي اهمية كبرى مكنته من النجاح في معظم العمليات التي قام بها ضد العرب .

٢ ــ يتبع العدو أسلوب تطويق المواقع بحيث يفاجيء القوات المدافعة بالهجوم على مؤخرتها وجوانبها مما يسهل عليه اقتحام الموقع وخاصة اذا لم يراع المدافع تنظيم خططه الدفاعية على اساس استعمال النيران من جميع الجهات . ٣ ــ في المرحلة الاولى للمعركة يعمد العدو الى عزل المدافعين بقطع مواصلاتهم البرية والسلكية وباتباعه هذه الطريقة يعزل المدافعين عن مراكز القيادات وقوى الاحتياط ويمنعها او يؤخرها من التدخل في الوقت المناسب . ٤ ــ كثيرا ما يسلك العدو اساليب الخداع بطرق متنوعة منها : القيام بعمليات قتال خادعة موهما الخصم بالهجوم على مواقع مختلفة عن الموقع المقصود فيشغل بذلك قوات خصمه في هذا الموقع الثانوي ثم ينقل قواته بفعل مرونة حركته بآلياته الى الهدف المقصود . ٥ ــ استخدام الطيران ــ وخاصة الهيليكوبترات في عمليات مفاجئة ليلية . ٦ ــ واخيرا ينظم العدو خطة الهجوم بدقة وعناية فائقتين معطيا الاوامر بصورة مفصلة ومبينا على مخططات دقيقة اماكن الاسلحة وطرق المواصلات ومحاور وصول النجدات ، كل ذلك يؤدي الى انهاء العملية العسكرية بأسرع ما يمكن وبأقل خسائر ممكنة وضمن مفهوم السرعة والمرونة في الحروب الحديثة .

فما هي المبادىء التي تتبعها القوات الاسرائيلية في حروبها :

آ ــ الهجوم وخاصة غير المباشر : في تصريح للجنرال ييجال يادين أحد رؤساء أركان الجيش الاسرائيلي السابقين (١٩٤٩/١١/٩ الى ١٩٥٢/١٢/٧) اكد على مبدأ الهجوم غير المباشر في المذهب العسكري الاسرائيلي وقال : « لا شيء أخطر من وجود الروح الهجومية لدى العدو . لذلك يتوجب علينا ان نواجه هذه الروح الهجومية بعزيمة هجومية أقوى . ولا يرد الهجوم العدو الا بسبقه اليه . وان سبقنا هو الى ذلك فالرد الهجومي أيضا يجب ان يبقى الجواب الوحيد المضمون النتائج » . ان أيام الهجوم الجبهي قد ولت . وان فن التعبئة اليوم يتلخص بأن الواجب الرئيسي للهجوم يجب أن يتحقق بواسطة الهجمات الجانبية وفي المؤخرة». ويتحقق النصر باتباع هذه الستراتيجية فقد قال يادين بوجوب تحقيق الشروط التالية: ١ ــ القيام بضرب وقطع خطوط مواصلات العدو الامر الذي يحطم وسائل الامداد لقوات العدو . ٢ ــ قطع طرق الانسحاب

لقوات العدو باحتلال عقد مواصلات معينة وهذا يكفل تحطيم معنويات العدو . ٣ ــ قصف مراكز العدو الادارية والقيادية وقطع طرق الاتصال السلكية واللاسلكية له وهذا ما يؤمن قطع الاتصال بين القيادة (العقل المدبر والموجه) والوحدات (الاطراف المنفذة).
وحينما بدأ عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ فقد بدأ بهجوم جوي جد كثيف ومركز حشدت فيه اسرائيل جميع قواتها الجوية في السماء دفعة واحدة ووجهتها نحو جبهة واحدة (الجمهورية العربية المتحدة) وبهدف واحد : المطارات . وما ان اطمأنت القوات الاسرائيلية ان القوات العربية المحشدة في سيناء قد جردت مما يسمى بالغطاء الجوي العربي وكشفه أمام الطيران الاسرائيلي بدأت عمليات القوات البرية الاسرائيلية تسير بسرعة كبيرة وهي مطمئنة الى خلو السماء من الطيران العربي . ضمن هذا الظرف المواتي شرعت القوات الاسرائيلية تتقدم وتناور في منتهى السرعة والليونة فنفذت هجماتها غير المباشرة بالالتفاف والتطويق والخرق .
ب ــ المفاجأة : اظهرت التجارب عبر التاريخ العام ان الجانب الذي يفاجيء خصمه في القتال يحصل على احد عوامل التفوق والنجاح وخير مثال هو مفاجأة التدخل الجوي الاسرائيلي في تصفية القوات الجوية العربية وهي جاثمة على أرض قواعدها في صبيحة ٥ حزيران وقد أثبتت هذه الواقعة مجددا انه من أهم شروط النجاح في الهجوم هو مفاجأة العدو . ولتحقيق المفاجأة ــ كما يشير المذهب السوفييتي ــ هناك عدة وسائل أهمها: كتمان النوايا ، اخفاء الحشود وتحركات العدو ، خداع العدو (بالقيام بعمليات التضليل) ، تمويه الرجال والعتاد ، استخدام أسلحة أو تكتيكات جديدة لا يتوقعها العدو ، المناورة بمهارة وسرعة . وهناك أشكال عديدة للمفاجأة تختلف عن بعضها بعضا ، سوى ان القيادة الاسرائيلية تسعى دائما الى ان تجد شكلا جديدا للمفاجأة لم تألفه الحروب السابقة ونتيجة سعي القيادة الى ايجاد تلك الاشكال الجديدة فقد تولدت في أذهان القادة نزعة الى التجديد في أساليب الغارات الخاطفة والضربات غير المتوقعة . ويتوقف تحقيق المفاجأة بالزمان والمكان او باستخدام اساليب وطرق قتال لا يتوقعها العدو . كما يتوقف على صحة وسرعة تقدير الموقف واستغلال اخطاء وثغرات العدو واظهار الابداع والبحث عن الطرق المؤدية الى الاعمال المفاجئة في مختلف شروط الموقف . ولتحقيق المفاجأة يجب اتخاذ كافة التدابير لمنع العدو من تحقيقها بدوره . ويمكن ادراك ذلك بالاستطلاع المستمر والقدرة العالية على مجابهة العدو . وقد أوردت مجلة المدرعات الاميركية (تموز وآب ١٩٦٧) عن لسان الجنرال اسحق رابين رئيس هيئة الاركان العامة الاسرائيلية السابق:
« ان أفضل اشكال المفاجأة هو ذلك النوع الذي يربك القيادة العليا ويشل طاقتها عن العمل طيلة مدة تنفيذ خطة العمليات . ويتضمن هذا النوع من المفاجأة انزال الضربات الحاسمة في ترتيبات العدو شريطة ان يكون اسلوب الضربات الحاسمة جديدا ويختلف عن الاساليب السابقة بحيث لا يستطيع العدو الرد على الضربة بسبب جدة اسلوبها بعد ان يكون قد تدرب على الرد على أسلوب الضربة السابقة » . وانطلاقا من هذه الفكرة فان القادة العسكريين الاسرائيليين يوصون دوما بألا يستعملوا في المستقبل طرائق العمليات الناجحة في الماضي حتى ولو توفرت الظروف والشروط ذاتها التي توفرت في السابق ، والسبب في ذلك هو توجيه المخططين لكي يحاولوا دوما ايجاد افكار ومفاهيم جديدة في تخطيطهم واساليب جديدة في تنفيذ الخطط .
ان هذه النزعة ، نزعة التجديد المستمر بغية ايجاد اساليب وطرائق جديدة تتصف بالمفاجأة ، هي التي تفسر لنا التغيير الدائم الذي يطرأ على منصب رئيس هيئة الاركان العامة للجيش بحيث لا يطول بقاء الضابط والقائد في هذا المنصب مدة طويلة والقصد في ذلك هو افساح المجال أمام الافكار الجديدة لكي تتوالد وتنمو وتؤتي ثمارها في التخطيط والتطبيق . وبالملاحظة نجد ان اطول مدة شغل فيها ضابط قائد منصب رئيس الاركان هو الجنرال موشيه ديان (من ٥٣/١٢/٦ الى ٥٨/١/٢٩) أي حوالي اربع سنين .

ونلاحظ كذلك ان تبديل شخص رئيس الاركان أمر محتم بعد انتهـاء كل حرب تشنها اسرائيل : ـ فبعد حرب ١٩٤٨ احيل الجنرال يعقوب دوري على التقاعد وبعد حرب ١٩٥٦ بعام وشهرين احيل الجنرال ديان على التقاعد . وبعد حرب ١٩٦٧ احيل الجنرال اسحق رابين على التقاعد وعين سفيرا لاسرائيل في واشنطن . وان دل هذا الامر الواقع على شيء فانما يدل على النزعة في البحث عن العقول الجديدة والافكار الحديثة بحيث تبقى أساليب الجيش في تطور مستمر . ونزعة البحث عن الجديد لا تنحصر فقط بمنصب رئيس الاركان بل وكذلك تشمل مناصب قادة القوات الجوية والبحرية ورؤساء شعب العمليات والمخابرات في هيئة الاركان العامة وغيرها من بقية المناصب العليا في الجيش.
ان مجموعة هذه المفاهيم التي تبناها الجيش الاسرائيلي ولدت نظرية « الحركة الدائمة » التي يمكن تلخيص خصائصها بما يلي : ١ ـ المفاجأة ذات الاسلوب المتجدد. ٢ ـ التفكير المتطور وغير التقليدي في التخطيط وتنفيذ العمليات . ٣ ـ تحطيم قوات العدو وتشتيتها بخلق الارتباك في قياداته . ٤ ـ الاعتماد على طرق الالتفاف وضرب العدو من الاجنحة والخلف . ٥ ـ خرق صفوف العدو بأقصى سرعة ممكنة في العمق وعدم التوقف اثناء التقدم . ٦ ـ سرعة التفكير واتخاذ القرار السريع في كافة انساق القيادات . ٧ ـ تنظيم الجيش تنظيما يحقق مبدأ المفاجأة . ٨ ـ التخلي عن حرب المواضع والخنادق والدفاع الثابت . ٩ ـ السرعة في كل شيء والاعتماد على « القوة الضاربة والمفاجأة السريعة ».
جـ ـ الحركة : تتمثل الحركة بالمناورة . وقد قال عنها المارشال الروسي فرونزي « ان المناورة ليست غاية في حد ذاتها بل هي احدى الوسائل لبلوغ النصر » . وذلك بتدمير قوات العدو واحتلال أراضيه . فالمناورة تمثل حركة الوحدات المتجهة الى المكان الاكثر ملاءمة لتدمير العدو واكد علـى ان المناورة الجريئة الفعالة هي التـي تسمح بانزال الضربات الحاسمة بالعدو وتطويقه وابادته .
ويعتبر العسكريون السوفييت ان السرعة في العمل والمهارة في المناورة وقابلية الحركة هي بعض الشروط الرئيسية للنجاح . وان القوات التي تنفذ الاوامر بسرعة وتقفز الى الامام وتتخذ تشكيلة القتال وتندفع في هجومها بسرعة وتستخدم نيرانها وتطارد عدوها بسرعة يمكنها ان تكون واثقة من النصر دائما لان السرعة وقابليـة الحركة والايقاع السريع في القتال تسمح بكسب الوقت وتخلق أوضاعا لم يكن للعدو ان يتوقعها .
هناك اربعة عوامل يجب توافرها في تأمين عنصر الحركة ليكون فعالا في مضمار العمليات وهي : ١ ـ القدرة النارية المتفوقة : كي تتمكن بواسطتها من المحافظة على تفوقها من ناحية قابليتها للحركة في ظروف متشابهة . ٢ ـ التصفيح القوي : فالآليات غير المصفحة تفقد قابليتها للحركة بينما تبقى الآليات المحمية بالدروع محافظة على حركتها دون ان تعاني كثيرا من نيران العدو . ٣ ـ الكشف السريع والدقيق للاهداف في ارض المعركة . ٤ ـ تأمين الليونة والحركة في المؤخـرات الامر الذي يسهل تنظيـم الامداد والتموين للقوات في ميدان المعركة . ٥ ـ جهاز اتصال محكم ودقيق من شتى وسائل الاشارة فبدونها لا يمكن تأمين قيادة فعالة وحاسمة للقوات واتخاذ القرارات في الوقت المناسب.
٦ ـ المرونة في القيادة . وتأمين زيادة حركة القوات الصديقة يجب أن يواكبه انقاص في قابلية الحركة لدى العدو بمختلف الوسائل .
ويرى الجنرال حاييم بارليف رئيس هيئة الاركان العامة الحالي ان اية حرب مع اسرائيل هي حرب حركة وليست حرب جامدة او حرب مواقع ، وان القوات الموجودة على خطوط وقف اطلاق النار بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ليست متمركزة في مواقع ثابتة وخطوط دفاعية جامدة ولكنها مؤهلة بقدرة فائقة على الحركة والمناورة . وقد جاء هذا في حديث لبارليف في مطلع عام ١٩٦٩ بمناسبة مرور عام على تسلمه منصب رئيس الاركان العامة وقد ركز في حديثه على أمر هام وهو اعتماده الكبـير على المناورة والحركة وحسن القيادة والمرونة المتوفرة لدى الجيش الاسرائيلي الذي اثبت فيحرب حزيران ١٩٦٧ عدم اعتماده

على اسلوب خطوط الدفاع الثابتة الذي تعتمده جيوش عربية مجاورة .
كتب الجنرال حاييم هرتزوغ ، رئيس شعبة المخابرات الاسرائيلية السابق في صحيفة الجويش كرونكل البريطانية الصهيونية والتي أصدرت عددا خاصا عن حرب حزيران في ذكرى مرور عام واحد على تلك الحرب ، قال انه من ضمن الاسباب التي مكنت اسرائيل من تحقيق ذلك النصر هو : ١ ــ مرونة تفكير وتخطيط القادة وهي الميزة التي جعلتهم يسيطرون على المبادرة . ٢ ــ وجود شبكة مواصلات ارضية راقية مما مكن القوات الاسرائيلية من سرعة الانتقال من جبهة وميدان الى آخر . ٣ ــ ما زودت به اسرائيل نفسها بوسائط آلية لفتح الثغرات في المواقع وحقول الالغام .
تسعى القوات الاسرائيلية عند المعارك الى تركيز كثافة كبيرة من نيرانها على الاهداف المعادية المقصودة هادفة الى عدم افساح المجال امام العدو للعمل بحرية ومنعه من الحركة فتتمكن القوات الاسرائيلية من التحرك بحرية وبسرعة وهو ما حصل في عمليات سيناء في حرب حزيران عند اختراق قطاع رفح ــ العريش .

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

يهود البلاد العربية

بقلم

الدكتور علي ابراهيم عبده

و

خيرية قاسمية

بحث مفصل عن حياة الطائفة اليهودية في كل قطر عربي . تاريخهم ، احصاءات عنهم ، وضعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتعليمي والديني والثقافي . تغلغل الصهيونية بينهم وهجرة بعضهم الى فلسطين . دحض المزاعم الصهيونية في معاملتهم من قبل العرب .

بالعربية ٤ ل.ل.

بالانجليزية او بالفرنسية ٢ ل.ل.

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

لقد شكلت معركة ايلول ١٩٧٠ في الاردن علامة فارقة في تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية . ويمكن اعتبارها بداية لمرحلةجديدة من مراحل العمل الوطني الفلسطيني ، فرضت نهما جديدا لظروف العلاقة الجدلية بين العمل الفلسطيني والعمل العربي ، يستتبع بالتالي اساليب تنظيمية جديدة ، يعبر عنها حاليا بالقول بضرورة الانتقال من العمل العلني الى العمل السري . الا ان الانتقال من العلنية الى السرية لا يتم بقرار ، ولا بشكل فجائي ، بل هو بحاجة الى مرحلة انتقالية ، يمكن تسميتها بمرحلة التراجع (الذي أملته ظروف موضوعية) ، والتي كانت الاحداث المتتالية في الاردن ، منذ أيلول ١٩٧٠ حتى الان تعبيرا عنها . وقد عرضنا في العددين الاول والثاني من شؤون فلسطينية مظاهر التوتر العنيف التي رافقت هذه المرحلة الانتقالية . ولكن احداث الشهرين الماضيين التي كانت استمرارا لما سبقها من أحداث ، تميزت بأنها **حملت اشارات عديدة الى أن مرحلة الانتقال هذه قد قاربت نهايتها.** وسنحاول القيام بعملية رصد لهذه الاشارات على امتداد الفترة الواقعة بين ٢٠ اذار و٣١ ايار ١٩٧١ .

١ ــ العلاقات بين المقاومة والنظام الاردني : كان تكتيك النظام الدائم بعد أيلول لضرب الوجود العلني لحركة المقاومة يتركز حول القيام بحملات صغيرة وسريعة متباعدة زمنيا تجنبا لردود الفعل السياسية الجماهيرية والرسمية . وفي الفترة المعنية ، وفي ٢٦ اذار بالذات ، نفذ النظام الاردني احدى هذه الحملات ضد الوجود الفدائي في مدينة اربد ، متخذا لذلك ذريعتين الاولى اشتباك كان قد وقع بين الفدائيين والجيش قرب اربد يوم ٢١ اذار قتل فيه حسب رواية ناطق رسمي اردني ، ثلاثة فدائيين وجندي ، ومدني ، وجرح مدني آخر . والثانية الاعلان يوم ٢٦ آذار وبطريقة دراماتيكية عن اكتشاف وجود صواريخ والغام في مقبرة قرب مخيم اللاجئين في المدينة . وبالاعتماد على هاتين الذريعتين تحركت قوات الجيش لاحتلال المدينة ، التي فرض عليها نظام منع التجول في اليوم التالي . وبدأت بها عملية تفتيش داخل المنازل عن الاسلحة والفدائيين . وقد تعمدت السلطات الاردنية أن تدخل اربد بقوة عسكرية كبيرة ، وان تقوم بكثير من حوادث الاستفزاز لتوسع من نطاق الاشتباكات ، وذلك لفرض جو من الارهاب والادلال النفسي بسبب الموقف الصلب الذي اتخذته المدينة أثناء حوادث أيلول ، والذي ساعد قيادة المقاومة على اعلان المدينة منطقة محررة ، ولذلك فقد قصف مخيم اللاجئين في المدينة بصورة متعمدة وبطريقة وحشية ، رغم ان الوضع العسكري لم يكن يتطلب ذلك ، فالمقاومة كانت منذ اتفاق القاهرة قد سحبت المقاتلين من المدينة وسمحت لرجال الامن ان يدخلوا اليها لممارسة مهماتهم . وامام حملة الاجتياح هذه لم يقم سوى رجال المليشيا بعمليات دفاعية ضد الاستفزازات العنيفة التي أصابت المدنيين بالدرجة الاولى . وقد انتقلت أصداء اشتباك اربد فورا الى عمان فسادها جو من التوتر الشديد رافقته عمليات تبادل في اطلاق النار ، حاولت السلطة جهدها اخفاءها اعلاميا حتى تظهر سيطرتها على الوضع . وازاء هذا الموقف من السلطة لتزوير حقيقة ما يجري ، لجأت حركة المقاومة الى سياسة جديدة صعدت بها التوتر القائم ردا على استمرار حملات التصفية. وتعتمد هذه السياسة الجديدة على ضرب المرافق الحيوية ، الاقتصادية والعسكرية ، وقد بدأ تنفيذ هذه السياسة يوم ٢٩ آذار بينما كانت حملة اجتياح اربد لا زالت مستمرة . ففي صباح ذلك اليوم نسف الفدائيون عبارتين ، ثم توالت عمليات مشابهة كان أبرزها ١ ــ نسف خط سكة الحديد ثلاث مرات الاولى في ٣٠ اذار والثانية في ٣ نيسان والثالثة في ٢٤ نيسان . ٢ ــ نسف خط الانابيب الذي يزود مصفاة الزرقاء بالنفط يوم ٢ نيسان . ٣ ــ قصف مطار المفرق واصابة طائرتين فيه يوم ٦ نيسان . وبلغ مجموع العمليات التي نفذت بين ٢٩ اذار و٦ نيسان ١٨ عملية عسكرية.

ومن الواضح ان مثل هذه العمليات تزعج النظام الاردني وتقلقه لان لها نتائج مباشرة على مجمل الوضع الاقتصادي . وقد كان يمكن الاستفادة من نتائجها في تخفيف الضغط عن المقاومة ، لولا حادث مفاجيء تم اثناء تنفيذ هذه السياسة . ففي يوم ٤ نيسان نقلت وكالات الانباء من عمان اخبارا تقول بأن اتفاقا اوليا قد تم الوصول اليه يدور حول نقطتين : ١ ــ تتعهد المقاومة باخراج الاسلحة الثقيلة والفدائيين من عمان كاجراء ذاتي في غضون ٥ أيام . ٢ ــ يصدر كاجراء مقابل قانون عفو عام عن المعتقلين بتهم امتلاك السلاح واطلاق النار . وفورا صدر عن ناطق باسم اللجنة المركزية نفي رسمي لهذا النبأ . وأكد النفي « ان موقفنا هو التوقف عن التراجع ، وقد بدأنا فعلا العمليات في معظم المناطق ، وخاصة على الحدود السورية ــ الاردنية ، دون اعلان منا عن العمليات ، ثم ابتدأت السلطة تعلن ، مما اضطرنا للاعلان . ان موقفنا واضح : لا تراجع ، ولا اتفاقات جديدة » . الا ان يوما واحدا مضى على هذا التصريح فقط ، وزع بعده في بيروت بيان باسم اللجنة المركزية اعلن أن اللجنة قررت سحب الفدائيين من عمان . وفي نفس اليوم عقد أبو أياد مؤتمرا صحفيا في عمان اعلن فيه ان ما جرى « ليس اتفاقا جديدا مع السلطة ، وان اللجنة المركزية رأت سحب السلاح من عمان باجراءات ذاتية حتى لا تعطي للاردن حجة بضرب عمان ، ونحن لم نربط هذا الاجراء باجراء العفو الذي ستصدره الحكومة » . وقد بدأ الانسحاب فعلا من عمان بصورة يومية وانتهى يوم ١٣ نيسان ، وقد رافقت عملية الانسحاب مواقف ذات دلالة خاصة : ١ ــ كانت اللجنة العربية ، واللجنة العسكرية التابعة لها مجمدة تماما منذ أن رفض وصفي التل ان يسمح لوفد عسكري منها بالتوجه الى اربد للتحقيق بما يجري. (٢٨ اذار) . ٢ ــ صرح وصفي التل لصحيفة « لوموند » الفرنسية قائلا انه يستطيع تصفية المقاومة خلال ساعات وطالب الفلسطينيين «بتكييف أنفسهم بالوضع الجديد بالنسبة لاسرائيل.ومواجهة الحلول السياسية بشجاعة ، وليس بالتمسك بالمواقف المبدأية » . (٦ نيسان) . ٣ ــ اعلن انه بعد انهاء الانسحاب ستقوم السلطة بعملية تفتيش عن الاسلحة والمقاتلين تحت اشراف مكتب الارتباط الذي يضم ممثلين عن السلطة والمقاومة واللجنة العربية . (٨ نيسان) . وقد كان هذا الانتقال المفاجيء ، من قرار ضرب المرافق الحيوية، الى قرار الانسحاب من عمان والموافقة على التفتيش في ظل استمرار الاشتباكات وخاصة في شمالي الاردن ، مثار تكهنات واسعة في اوساط المراقبين . ويبدو ان استنتاجاتهم تلخصت في النهاية بموقفين . يرى الموقف الاول ان قرار ضرب المصالح الحيوية يعكس موقفا سائدا في قيادة حركة المقاومة يرفض امكانية التعايش مع النظام الاردني ويعتبر خوض المعركة معه ضرورة لا بد منها لضمان حرية المقاومة في العمل ضد اسرائيل من الاراضي الاردنية . بينما يرى الموقف الثاني انه اذا انتقل الفدائيون الى الاغوار ، فمن الممكن ايقاف الصدام بين المقاومة والنظام . ويظهر ان كل موقف من هذين الموقفين وجد طريقه للتنفيذ في وقت واحد . ولعل التصريح الذي ذكرناه قبل قليل والقائل « لا تراجع ، ولا اتفاقات جديدة » يعبر عن الموقف الاول ، بينما يعبر عن الموقف الثاني تصريح آخر قال فيه ابو أياد « أن القوات المنسحبة اعيد توزيعها على القواعد في الاغوار، مكانهم الطبيعي» (١٦ نيسان) .

بينما كانت عملية الانسحاب تتم من عمان ، بدأت السلطة الاردنية عمليات التفتيش عن الاسلحة في الاحياء التي أعلنت المقاومة أنها قد اخليت من السلاح والفدائيين ففتشت في اليوم الاول لبدء العملية ثلاثة احياء، وواصلت عمليات التفتيش حتى يوم ٣ ايار ، وبذلك تكون هذه العملية قد استغرقت حوالي ٢٢ يوما ، تعمدت السلطة أثناءها ان تعلن بين وقت وآخر انها عثرت على كميات كبيرة من الاسلحة في مخابيء سرية ، كما تعمدت ان تعلن بين حين وآخر انباء تتعلق بقانون العفو لتؤثر على معنويات الجماهير وتدفعها لتسليم ما لديها من سلاح فردي . ففي ١٠ نيسان أعلن ان الحكومة « انتهت من اعداد قانون عفو عام وان هذا القانون سيصدر فور اخلاء مدينة عمان من السلاح والمسلحين تماما » . وفي ٣٠ نيسان اعلن « ان اللجنة القانونية في مجلس النواب قد اقرت قانون العفو » . ثم اختفت أخبار هذا القانون لان جولة جديدة من التوتر قد بدأت ، فبعد أن غطت المواقف الهادئة على حملة اربد ، وعلى عمليات الانسحاب والتفتيش ، اصبح الوقت مناسبا للضغط على المقاومة من جديد حسب التكتيك المتبع باستمرار . وفيما يتعلق بعمان ، كانت الحجة الاردنية دائما اثناء المفاوضات مع اللجنة العربية

والمقاومة ، تركز على موضوع الامن ، وعلى مسؤولية النظام الاردني في تولي هذا الموضوع. وان بقاء السلاح في عمان يعرقل هذه المهمة ، وعندما سحب السلاح من عمان ، وبدأ النظام يفكر بشن حملة جديدة ابتدع حجة واهية لذلك . ففي ٣٠ نيسان اعلن ابو اياد في عمان ان الاردن طلب خروج الفدائيين من دبين (جبال عجلون) لانها منطقة سياحية ووجودهم هناك يؤثر على مورد اقتصادي هام . وذكر ابو اياد ان حركة المقاومة رفضت هذا الطلب ، وبقي الموقف معلقا مدة اسبوعين ، حتى انفجر فجأة في ١٦ ايار حين قام وزير الخارجية باستدعاء السفراء العرب وابلغهم رسالة طلب منهم نقلها الى حكوماتهم . تقول الرسالة ان الفدائيين وفتح بالذات يهيئون من حدود سوريا مخططا لاسقاط النظام يشمل ضرب المؤسسات الاقتصادية واغتيال المسؤولين . ومن المؤكد ان هذا الموقف الاردني وثيق الصلة بمواقف الادانة العربية ، التي صدرت في اكثر من مناسبة، فكان بمثابة رمي للكرة الى الجانب الاخر . وبهذا الموقف ايضا انتهت اسطورة التعاون مع العمل الفدائي « الشريف » ، واصبحت فتح مثل غيرها مستهدفة ليس عسكريا فقط بل واعلاميا ايضا . وقد استمرت تفاعلات هذا الموقف فترة من الزمن حتى صباح ٣٠ ايار حيث تجددت الاشتباكات في منطقة جرش وعجلون اي في منطقة التواجد العلني الرئيسي للفدائيين . وتشمل هذه المنطقة قرية دبين التي تعتبرها السلطة منطقة سياحية يجب اخلاؤها لاسباب اقتصادية . وتعليقا على تجدد الاشتباكات قال كمال ناصر الناطق الرسمي للجنة المركزية (بعد ان عاد عن استقالته في ٤ ايار) « ان هذه بداية مجزرة جديدة ، والثورة مصممة على الدفاع عن نفسها » . وفي ٣١ ايار حدثت خمسة انفجارات في يوم واحد ولكنها كانت متباينة الغايات : ١ ــ انفجاران في مصنع الفوسفات في الرصيفة . ٢ ــ قنبلة في منزل موظف من موظفي الاستخبارات ، يقابلها : ١ ــ نسف نصب الفدائي المجهول في الوحدات . ٢ ــ نسف نصب الفدائي المجهول في سوق الخضر ، اعلنت السلطة على اثرهما انها هي التي قامت بنسف النصبين لانهما كما تقول رمز للفرقة الوطنية. وقد كان رد الفعل الجماهيري على ذلك حادا وسريعا . ففي الوحدات اشتبكت الجماهير العزلاء مع رجال الجيش بالحجارة وسقط من سكان المخيم ١٢ جريحا .

وبعد اجتماع بين رئيس الوزراء ووفد من المقاومة، أعلن احد المسؤولين « ان الحوار بين المقاومة والنظام قد انقطع » . وردت الحكومة باتهام الفدائيين بالعمل لاسقاط النظام واقامة دولة فلسطينية تمهد لها حكومة تعلن في المنفى . واعتبر الفدائيون هذه التهم تبريرا للمجزرة ، ومهما كانت التوقعات بعد ذلك عما سيجري ، فان هذا النوع من التهم المتبادلة يشكل موضوعيا اقتراب مرحلة الانتقال من حدودها النهائية .

٢ ــ الموقف العربي من احداث الاردن : رافق حالة التوتر في الاردن ردود فعل عربية متعددة شكلت بمجموعها ادانة للنظام الاردني ، ومن ابرزها : اولا ، تحرك ليبي سريع فور بدء حملة اربد حيث دعا العقيد معمر القذافي الجيش الاردني للعمل على اسقاط النظام ، معلنا تأييده لكل حركة تحرير في الاردن تباشر العمل ضد النظام . (٢٨ اذار) . وقد ردت الحكومة الاردنية على هذا الموقف بحملة اعلامية عنيفة . ثانيا ، وفي نفس اليوم أعلن الرئيس انور السادات من الخرطوم دهشته لما يجري في الاردن قائلا « ان حساب الشعب سوف يكون عسيرا » وفي اليوم التالي (٢٩ اذار) أمر السادات باعادة فتح اذاعة العاصفة التي كانت تبث من القاهرة واغلقت بعد الاعلان عن مبادرة روجرز . ثم وجهت المتحدة دعوة لعقد اجتماع يحضره ممثلو الملوك والرؤساء لبحث « ازمة العمل الفدائي في الاردن » . (٣١ اذار) . ورد الاردن على ذلك بطلب عقد مؤتمر للقمة « لتحقيق اجماع عربي على مستقبل القضية الفلسطينية ، في ضوء معلومات عن تبني بعض الدول الكبرى لمشروع دولة فلسطينية » . واعلن الاردن ان دولا عربية وافقت على هذا المشروع واقترحت على ياريغ اجراء اتصالات مع الفلسطينيين . وازاء هاتين الدعوتين بدأت المواقف تتشابك ، اذ برزت اربعة مواقف عربية تعمل في وقت واحد ، دون ان يظهر على السطح انها تتناقض مع بعضها بعضا .

فمن جهة اولى بدأت بعض الحكومات العربية تعلن استجابتها لدعوة القاهرة بعقد مؤتمر لمظلي الملوك والرؤساء . فحتى ٣ نيسان كانت تسع دول قد وافقت على هذه الدعوة هي (مصر ــ السودان ــ ليبيا ــ تونس ــ المغرب ــ سوريا ــ لبنان ــ الكويت ــ اليمن الديمقراطية) . ومن جهة ثانية بدأت حكومات عربية اخرى تعلن موافقتها على

عقد مؤتمر للقمة حسب دعوة الملك حسين ، مع أنها كانت قد وافقت على دعوة مصر بعقد مؤتمر للممثلين . وهذه الدول هي (لبنان — الكويت — المغرب — ليبيا) والجزائر التي كان لها موقف خاص وهو الاشتراك بمؤتمر الممثلين واعتباره تمهيدا لمؤتمر القمة . وكانت المغرب قد اقترحت يوم ٤ نيسان عقد مؤتمر قمة في الجزائر « لان الاحداث تتطلب معالجة من قبل الملوك والرؤساء انفسهم ».

ومن جهة ثالثة قامت الحكومة السورية فجأة بوساطة على مستوى عال ، حيث اوفدت اللواء مصطفى طلاس رئيس الاركان الى عمان (٨ نيسان) . وقد اسفرت وساطة طلاس عن تأليف لجنة سداسية (٢ من السلطة ٢ من اللجنة العربية ٢ من الفدائيين) تضع الاجراءات اللازمة لوضع اتفاقي القاهرة وعمان موضع التنفيذ .

ومن جهة رابعة قررت بعض الدول (الكويت والسعودية) ارسال بعثات الى عمان وبعض الدول العربية لتنقية الاجواء في عمان .

ازاء هذه المواقف الاربعة ماذا جرى عمليا ؟ عقد فقط مؤتمر الممثلين في القاهرة من ١٠ — ١٥ نيسان بحضور وفود من تسع دول ، وارسل المؤتمر منذ جلسته الاولى برقية الى كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات ، طالبا منهما وقف الاشتباكات فورا . وقدم العميد حلمي رئيس اللجنة العسكرية (الذي كانت القاهرة قد سحبته وانهت مهمته منذ ٢٤ اذار) تقريرا الى المؤتمر ، ثم تلاه تقرير للباهي الادغم الذي اعلن بعد ذلك في مؤتمر صحفي تجميد مهمته « لان هناك مخططا جديدا تتبعه السلطة للقضاء على حركة المقاومة على مراحل ، ولكنه سيفشل كما فشل مخطط ايلول » . وكان الباهي الادغم قد قال في تقريره الى مؤتمر الممثلين ان الاردن غير راغب بوجود اللجنة العربية. وبهذا تكون اللجنة العربية قد انتهت رسميا ، بعد أن انتهت عمليا منذ فترة اطول .

في مواجهة مؤتمر الممثلين واجه الموقف الفلسطيني احراجا خاصا . وسبب هذا الاحراج ان حركة المقاومة كانت قد وافقت على الوساطة السورية ، ووافقت ايضا على اللجنة السداسية التي انبثقت عنها . وكان هذا يعني ضمنيا استبدال اللجنة العربية باللجنة السداسية التي كانت حتى ذلك الوقت قائمة من الناحية الرسمية . وقد انتهى الاحراج ، بعد اجتماع عقد في دمشق بين رئيس الاركان السوري اللواء طلاس ووفد من المقاومة ، أعلن فيه الجانب السوري أنه يعتبر وساطته تكميلا للموقف العربي وليس شيئا منفصلا عنه ، ولذلك فهو يضع نتائج هذه الوساطة في خدمة مؤتمر القاهرة . وبناء على ذلك قررت المقاومة ارسال وفد خاص بها الى المؤتمر . وقال مصدر من اللجنة المركزية عقب ذلك ، ان المقاومة لن تسمي مندوبيها في اللجنة السياسية الا اذا وافق عليها مؤتمر الممثلين في القاهرة (١٢ نيسان) . وقد انتهى المؤتمر دون اتخاذ قرار خاص بشأن اللجنة السداسية ، واصدر بيانا عاما طالب فيه الاردن بوقف جميع العمليات العسكرية ضد المقاومة الفلسطينية، مؤكدا ضرورة الالتزام باتفاق القاهرة.

وردت الحكومة الاردنية باذاعة انتقادات شديدة اللهجة ضد بيان مؤتمر الممثلين ، وبشن حملة عنيفة ضد الباهي الادغم اتهمته فيها بالتواطؤ واستغلال مهمته .

وقد حاول الاردن ان يرد على هذه المواقف العربية التي تدينه بنشاط سياسي مضاد . كان له هدف اساسي هو استعادة الدعم المالي من الكويت وليبيا الذي توقف منذ معركة ايلول ١٩٧٠ . وتنفيذا لذلك أعلن الاردن منذ ٢٠ اذار ان وفودا اردنية ستقوم بجولة في الدول العربية لشرح الموقف الاردني من بعض القضايا الراهنة. وفي ٢٢ نيسان حذر وصفي التل مما أسماه « التآمر المالي » على الاردن ، قائلا ان ذلك يؤثر على صمود الاردن العسكري . وفي الخامس والعشرين من ايار طلب الاردن من الكويت رسميا اعادة النظر في قرار تجميد المعونة، التي توقفت اثناء معركة ايلول ، ثم استمرت فترة شهر واحد بعد توقيع اتفاق القاهرة ، ولكنها عادت وتوقفت مرة اخرى بتوصية من مجلس الامة الكويتي ، ولا زالت متوقفة حتى الان . ومن المتوقع ان يبذل الاردن محاولات دؤوبة لاستعادة هذه المعونة من الكويت . أما بالنسبة لليبيا فان العلاقات بينهما سيئة الى حد لا يسمح بالعودة لطلبها .

٣ — **المجلس الوطني الفلسطيني** : مع انتهاء المجلس الوطني الفلسطيني الثامن في القاهرة ، كانت أمام اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قضيتان اساسيتان : الاولى تنفيذ قرارات توحيد القيادات العسكرية والاعلامية ، والثانية اعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني . وحددت لذلك فترة زمنية محددة لا تزيد عن ثلاثة اشهر أي حتى نهاية شهر حزيران ١٩٧١ . وقد كلفت اللجنة التنفيذية

باداء هاتين المهمتين في ظل جو نقدي لكونها لم تمارس صلاحياتها كاملة خلال المرحلة السابقة ، تاركة هذه الصلاحيات للجنة المركزية وامانة السر المنبثقة عنها . ومع ذلك فان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لم تعقد طوال هذه الفترة غير اجتماعين اثنين . اقرت في الاجتماع الاول تشكيل قيادة عسكرية واحدة . وتشكيل لجنة عسكرية لبحث شؤون التوحيد العسكري ، وتشكيل مكتب اعلامي موحد لم يمارس صلاحياته ابدا . وفي الاجتماع الثاني شكلت اللجنة التنفيذية لجنة من خمسة اشخاص مهمتها الاتصال بكافة المنظمات والقوى الفلسطينية ، والاطلاع على آرائها ومواقفها والخروج من كل ذلك باقتراحات حول الاسس التي سيشكل المجلس الوطني الجديد على اساسها . ويمكن القول بأن ثلاثة تيارات تقليدية تتجاذب هذا الحوار . يقول التيار الاول بتشكيل المجلس بأغلبية من المنظمات الفدائية التي لا زالت قائمة وتمارس دورا نضاليا ، ويقول التيار الثاني بتشكيل المجلس بأغلبية مستقلة على ان تتمثل المنظمات بشكل رمزي . اما التيار الثالث فيدعو الى اعتماد المنظمات الجماهيرية الفلسطينية (النقابات والاتحادات) بصفتها اقرب المؤسسات للتمثيل الديمقراطي ، كأساس . ومن الواضح ان استمرار النقاش ضمن هذه المواقف الثلاثة ليس الا دورانا في حلقة مفرغة . فالمسالة الاساسية ليست الشكل التنظيمي للمجلس ، بل القضايا السياسية الراهنة التي بالاتفاق عليها ، تعود المسالة التنظيمية لتأخذ حجمها الطبيعي متقهقرة نحو المرتبة الثانية من الاهمية . وفي الاجتماع الاخير للجنة المركزية بدمشق (٨ حزيران) اتفق على تشكيل المجلس حسب النسب التالية : ٨٥ من المنظمات ، ٤١ من اصحاب الكفاءات ، ٢٥ من الاتحادات والنقابات . وسيتركز العمل الان على نقطتين ١ ــ تحديد نسب ممثلي المنظمات ــ ٢ ــ تسمية الاعضاء ، ليتوفر انعقاد المجلس في نهاية شهر حزيران حسب القرار المتخذ سابقا .

وفي الوقت الذي تمكف فيه دوائر منظمة التحرير على البحث في قضايا تشكيل المجلس الوطني ، فان مسالة اخرى استقطبت الاهتمام في الاسابيع الماضية هي مسالة الجبهة الوطنية الاردنية (التي لا تسمح الظروف الان بالحديث عنها) . وما يمكن قوله الان ينحصر في نقطتين : اقدام جريدة فتح وللمرة الاولى على الحديث علنا عن ضرورة هذا الموضوع . وصدور بيان في مناسبة ١٥ ايار نشرته جريدة فتح ايضا وكان موقعا باسم « اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الاردنية » ، وتشير هاتان النقطتان الى ان خطوة اساسية قد قطعت نحو الامام ، لان نشر تعليقات تؤيد هذه الفكرة في جريدة فتح ، يعني زوال عقبة اساسية في الحوار الدائر . ان اهمية هذا الموضوع انه يشكل نقطة مركزية في الحوار الفلسطيني الداخلي حول طبيعة العلاقة مع النظام الاردني ، وحول اسلوب المواجهة لتحديات النظام ، من شأنه اذا تم ان يدخل تغييرا نوعيا على طبيعة العمل الوطني الفلسطيني في الاردن .

٤ ــ **العلاقات الداخلية** : نشبت في الفترة السابقة خلافات بين بعض المنظمات الفدائية ، عكست جوا غير صحي ، لا بسبب وجود الخلافات نفسها ، فالخلافات احيانا تكون ظاهرة صحية تماما ، ولكن بسبب نوع القضايا المطروحة للتداول في هذا الحوار ، والتي يمكن ان تحل بسرعة لو وضعت في حجمها الطبيعي ولم تضخم بشكل مقصود ، خاصة وان هناك قضايا أساسية مطروحة حاليا في أوساط المقاومة وتستحق ان يدور حولها جدل علني طويل .

موضوع الخلاف الاول كان موضوع الوفد الفلسطيني الذي زار الصين الشعبية للاشتراك في اسبوع فلسطين الذي بدأ يوم ٣ ايار فقد تشكل هذا الوفد من منظمات اللجنة التنفيذية الثلاث (فتح ــ الصاعقة ــ الديمقراطية). وكتبت الهدف الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بصدد ذلك تقول « سلكت بعض العناصر القيادية في منظمة التحرير سلوكا غريبا يثير الدهشة والتساؤل حين استثنت الجبهة الشعبية من الوفد الذي لبى دعوة الصين الشعبية ... بالرغم من أن الدعوة موجهة اصلا بواسطة منظمة التحرير الى اربع تنظيمات بينها على وجه التحديد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » . واذا اخذنا اعتراض الجبهة الشعبية من زاوية النتائج فان الوفد الفلسطيني عاد بموقف يستفيد منه الجميع بما فيه الجبهة الشعبية نفسها ، اذ أن مساعدات الصين الشعبية ستكون من الان وصاعدا باسم منظمة التحرير ولصالح كافة المنظمات المتحالفة بداخلها . لان الوفد كان حريصا في محادثاته على الوصول الى مثل هذه النتيجة .

موضوع الخلاف الثاني كان موضوع اسر الشهداء

وكتبت حوله الهدف مقالا في العدد ١٠٠ ــ ١٥ أيار ١٩٧١ ــ بعنوان « من الذي يخرب الوحدة الوطنية ... محاولات لمحاصرة الجبهة الشعبية وخنقها بمنع مساعدتها وتجويع اسر الشهداء والاسرى » وشاركت في هذه الحملة ايضا الجبهة الشعبية ــ القيادة العامة ــ فنشرت على عددين متواليين (٣٥٠ــ٣٥١) قائمتين بأسماء ٢٦ شهيدا قالت ان المساعدات لم تصل الى عائلاتهم . وقد ردت جريدة فتح على ما كتبته الجبهة الشعبية في عددها الصادر بتاريخ ٧١/٥/١٨ مؤكدة ان جمعية رعاية اسر الشهداء مستمرة بالدفع لكافة عائلات الشهداء وانها تملك ارقام الايصالات وتواريخ الدفع .

موضوع الخلاف الثالث برز حين كتبت الهدف مقالا يناقش افكار احد الاتجاهات في الاممية الرابعة (اتجاه بوسادس) وقالت اثناء المناقشة ما يفيد بأن الجبهة الديمقراطية قد اعلنت اثناء معركة ايلول بأنها « حررت اربد واقامت فيها مجالس شعبية سوفياتية » ــ العدد ٩٩ ــ وقد ردت الجبهة الديمقراطية موضحة ان قصة سوفيات اربد المزعومة لم تطلقها الجبهة الديمقراطية ولم تستعملها في اي بيان او منشور او كراس ، ولا حتى في اي خبر وزعته . وان المسؤول عن اطلاقها واستعمالها بالحصر والتحديد هو السيد (لورن جنكينز) مراسل مجلة نيوزويك الامريكية الذي نسب التسمية الى تعليق عرضي ادلى به « احد قادة المقاتلين » دون تحديد هويته الحزبية (الحرية ــ العدد ٥٦٠) .

٥ ــ **العمل العسكري** : لم يتضمن الشهران الماضيان على صعيد العمل العسكري ، (بالاعتماد على ما تنقله وكالات الانباء فقط) احداثا بارزة بشكل خاص . فقد ساد خلال هذه الفترة نفس الوضع الذي كان سائدا في الاشهر السابقة ، اي استمرار الوضع المتوتر في غزة . وانجاز عدد لا بأس به من العمليات في الجليل الاعلى والجولان . واستمر توقف هذا النشاط تقريبا في منطقة الاغوار والضفة الغربية بسبب الوضع العصيب القائم في الاردن . ويمكن تلخيص ما نشر حول العمليات العسكرية بما يلي : ١ ــ **غزة** : قام الفدائيون بعشر عمليات عسكرية ضد القوات الاسرائيلية ، وسقط نتيجة لارهاب القوات الاسرائيلية ٨ قتلى و٢١ جريحا . وجرح من الجنود الاسرائيليين ٥ جنود . وقامت اسرائيل بنسف ٣ منازل وحكمت على فدائيين بالسجن الاول ٢٠ سنة والثاني ١٠ سنوات . وعثر على ٥ من العرب قتلى بظروف غامضة واصيب اثنان اخران من العرب بجراح ، ويعتقد ان هذه الحوادث هي من تدبير الفدائيين ضد الذين يتعاملون مع العدو . ٢ ــ **لبنان** : قام الفدائيون بتسع عمليات عسكرية، قتل فيها ١٠ من الفدائيين ، وجرح من الاسرائيليين ١٧ جنديا . وردت اسرائيل على هذه العمليات بثلاثة اعتداءات على الاراضي اللبنانية نسفت اثناءها ١٣ منزلا . ٣ ــ **الجولان** : قام الفدائيون بالجولان بـ ٥ عمليات عسكرية قتل فيها ٤ من الفدائيين واسر اثنان . ٤ ــ **الضفة الغربية** : قام الفدائيون بأربع عمليات عسكرية . ونسفت السلطات الاسرائيلية منزلين. وقتل نتيجة العمليات ٤ ضباط اسرائيليين بينهم ضابط برتبة كولونيل ، وجرح ٤ جنود . ٥ ــ **الاغوار** : لا شيء . ٦ ــ **داخل اسرائيل** : قام الفدائيون بأربع عمليات نسف في مدينة تل ابيب وفي المناطق القريبة منها . وعلى صعيد مقاومة نشاط الفدائيين قامت اسرائيل باعتقال ١٩ شخصا بينهم خمسة اجانب قيل انهم ينتمون للجبهة الشعبية . ومن الخمسة فتاتان مغربيتان تحملان الجنسية الفرنسية . ومن المعتقلين ايضا رئيس رابطة الطلبة العرب في الجامعة العبرية الذي وجهت اليه تهمة ترؤس خلية فدائية . و١٣ طالبا عربيا يشكلون منظمة باسم « العصابة البيضاء » وجهت لهم تهمة توزيع منشورات معادية وارسال رسائل تهديد . وفي نفس الفترة قامت اسرائيل باصدار احكام على ١٩ شخصا (١١ مؤبد و٨ من ١٠ ــ ٣٠ سنة).

ب. ح.

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ــ الاردن وحركة المقاومة : بدأت السلطة في الاردن ، اواخر شهر اذار ، المرحلة الجديدة من عملياتها لتصفية حركة المقاومة . ولقد اختارت السلطة هدفين عسكريين وهدفا سياسيا . أما الهدف العسكري الاول فقد كان السيطرة على مدينة اربد ، عاصمة الشمال ، وعنق الزجاجة في عملية الاتصال بين قواعد المقاومة في الداخل وقواعدها في الخارج . وكان وضع اربد ، بعد سقوط جرش والسماح لقوات الجيش بالتمركز في اربد ، قد اصبح صعبا وحرجا ، اما الهدف الثاني فكان السيطرة على عمان سيطرة كاملة بتجريدها من السلاح . وكان وضع عمان صعبا وحرجا ، لسقوط طرق المواصلات بيد الجيش ، بعد سقوط جرش والرصيفة ، ونتيجة وجود مراكز متعددة للجيش داخل المدينة . وكانت السلطة تعلم أن السيطرة على اربد وعمان تعني السيطرة الكاملة على المدن وطرق المواصلات . أما الهدف الثالث فكان انهاء مهمة اللجنة العربية وبعثة الرقابة العربية التي جاءت الى الاردن بموجب اتفاق القاهرة ، والتي حاولت ان تكون حكما رياضيا في جو صراع محموم ، فلم تستطع ان تلعب اي دور يستحق الذكر ، غير الدعوة للصبر والتريث ، وغير جمع الطرفين بعد كل صدام لمحاولة منع صدامات مقبلة . مع ان السلطة كانت تكسب في كل صدام موقعا ، وعلى الرغم من فعالية اللجنة واخلاص معظم ضباط البعثة واتضاح آفاق المؤامرة أمام اعينها ، فانها لم تستطع ان تحول دون أن تكون واجهة لعبت السلطة من ورائها دورا تآمريا خبيثا . وكانت المرحلة الجديدة في المخطط التآمري تقتضي ان تنتهي اللجنة والبعثة ، لان لحظة التصفية النهائية قد حانت . وكان ضرب اربد وعمان سينهي مهمة هذه اللجنة، وسينهي بالتالي اية شهادة عربية واية رقابة عربية على ما يجري في الاردن .

ولقد استطاع الجيش ان يحتل اربد بعد معركة دامية مع المليشيا . ولكن سقوط اربد دفع السلطة الى توسيع نطاق الهجوم ضد عمان وضد قواعد المقاومة في الاغوار وجرش وعجلون . ولما عجزت اللجنة العربية عن عمل شيء ، لان السلطة منعتها من التحرك الى اربد ، أعلن رئيس البعثة العميد احمد حلمي احتجاجه وكشف اساليب السلطة في الاردن . فبادرت القاهرة بعد ذلك الى سحب جميع ضباطها من البعثة (جريدة فتح ٣/٣٠/ ١٩٧١) . وفي هذا اليوم دعا الملك حسين الى مؤتمر قمة عربي ، في محاولة لكسب الوقت ، ولتركيز اهتمام الدول العربية والجماهير العربية على المؤتمر ، بدلا من ان يركز على مؤامرة التصفية . ولكن الرئيس السادات لم يوافق على الدعوة الى مؤتمر قمة ، فدعا في اليوم التالي الى اجتماع لممثلي الملوك والرؤساء العرب الذين وقعوا على اتفاق القاهرة (جريدة فتح ١٩٧١/٤/١) . وبدأت في هذا الوقت عملية احتجاج واستنكار واسعة ، اشترك فيها بعض الرؤساء العرب ، وساهمت فيها الاحزاب والمنظمات الشعبية والجماهير ، ضد مؤامرة التصفية والاستسلام في الاردن . ولكن النظام استمر في مؤامرته ، فاستمر تطويق عمان وقصفها ، كما استمرت محاصرة القواعد وعمليات المناوشة والاستفزاز ضدها . وحاولت السلطة في الاردن ان تعطل اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء حتى تنهي موضوع السيطرة على عمان ، وكانت السلطة تفضل ان تجرد حركة المقاومة في عمان من السلاح ، لانها بذلك تتجنب مجزرة جديدة ، وتتجنب بالتالي ، عدا الخسائر الكبيرة في الجيش وآلياته ، نقمة الجماهير وسخط الرأي العام العربي والعالمي . وبينما كان مقررا ان يجتمع ممثلو الملوك والرؤساء يوم ٤/٤ فان مؤتمرهم لم يبدأ . وفي هذا الوقت قام الملك حسين بعقد اجتماع في قصره للوزراء والاعيان والنواب مهد له بحديث عن القدس بقوله : لا سلام دون القدس . ولكن موضوعه الاساسي كان موضوع الصدام مع حركة المقاومة . وهنا قال الملك بلهجة المتشدد : « اننا لا يمكن ان نساوم على أمن هذا البلد واستقلاله وأمن المواطنين وحياتهم » ، واضاف الملك : « واذا كان هنالك أمل في تسوية الازمة دون اللجوء الى الشدة فلن نتخلى عنه » (النهار ٤/٤/٧١) .

وكانت الاشتباكات في هذا الوقت ما زالت مستمرة، بينما كانت الحملات الاعلامية العربية مستمرة على النظام في الاردن ، وكان بعض الرؤساء العرب وبعض المنظمات الشعبية يطالبون بوقف المجزرة .

واتهم الباهي الادغم ، مع استمرار المؤامرة ؛ الحكومة الاردنية بأنها « كانت دائما تعمل على عرقلة اعمال اللجنة ، وعلى اشعاره بعدم رغبتها في استمرار وجودها في الاردن » . واضاف « انه من المستحيل في ظل الظروف الحالية ايجاد تفاهم بين الفدائيين والحكومة الاردنية ، ما دامت هذه الاخيرة تصر على عرقلة اي جهد مخلص يبذل لهذه الغاية » . وكان رياض المفلح ، ممثل السلطة الاردنية في اللجنة العربية قد احتج على تقديم الباهي الادغم تقريره لمؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء، على اساس ان التقرير يجب ان تقدمه اللجنة ، وليس الباهي الادغم ، مع العلم بأن ممثل السلطة صرح يوم ٣/٣١ بأن مهمة اللجنة قد انتهت .

وقامت السلطة في هذا الوقت ، وخلال استمرار هجماتها وتهديداتها ، بما يلي : اولا : رفضت الاشتراك في اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء ، بحجة ان الدعوة وصلتها متأخرة . ثانيا : قامت بهجوم على الدول العربية عموما واعتبرتها مشتركة في مخطط تآمري لتدمير الاردن، كما اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بشن « حملة مغرضة على الاردن » (فتح ١٩٧١/٤/٨) .

وتوجه اللواء طلاس رئيس الاركان السوري يوم ٤/٨ الى عمان للتوسط . وقد جرى الاتفاق في عمان على تشكيل لجنة سداسية ، تتألف من اثنين من ج. ع. س ، واثنين من السلطة الاردنية واثنين من المقاومة ، على أن تحدد هذه اللجنة العلاقات بين السلطة والمقاومة ، وتشرف على تنفيذ الاتفاقيات . تمت هذه الاتفاقية ، ومؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء لم ينعقد بعد . فحاول النظام في الاردن ان يستفيد منها ليحبط مؤتمر القاهرة ، ولينهي اتفاقية القاهرة ، وليحقق اهدافه في السيطرة على عمان ، قبل ان يستطيع ممثلو الملوك والرؤساء عمل شيء . ولقد رفض رئيس ل. م. م. ت. ف. هذه الاتفاقية وطلب ان تقدم لمؤتمر القاهرة ، لتدرس فيه : فيقرها او يرفضها . ثم عقد مؤتمر القاهرة يوم ٤/١٠ . وبعد أن كانت الاصوات تردد بأن المؤتمر سيدين الذين خرجوا عن اتفاقية القاهرة ، اخذت بعض الاصوات تقول بأن المؤتمر لا يستهدف احدا ، وحين انتهى المؤتمر اكتفى بمناشدة الطرفين وقف نزيف الدم .

استطاعت السلطة ، باحباط مؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء واحباط مهمة اللواء طلاس، وبجو الترويع والتهويل الذي خلقته في عمان ، ان تحصل على تجريد عمان من السلاح بلا معركة . وحين خرجت ارتال الميليشيا والاعداد القليلة من الفدائيين دخل الجيش محتلا ومروعا ، وتنفست السلطة الصعداء ، ولم يستطع رؤوس النظام الا ان يعبروا عن فرحتهم . فالسلطة تعرف اهمية عمان واهمية السيطرة على عمان . وهي تعرف ان الذي يسيطر على عمان يستطيع السيطرة على الاردن . ثم ان عمان هي مركز الدولة ومركز النشاط الاقتصادي والتجاري ، والذي يشلها يشل الدولة كلها . وها هي عمان نفسها ، القادرة على ايقاع افدح الخسائر في النظام تفتح له ابوابها سلما . فلماذا لا يصرح وصفي التل قائلا : « لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن وكان اختلال الامن والطمأنينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها » (الحياة ٧١/٤/١٤) . وبينما كان وصفي التل يؤكد بأنه « ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح...» كان الملك حسين يعلن ان السلطة قد اخضعت الفدائيين وانها تسيطر عليهم سيطرة تامة (الاهرام ٧١/٤/١٨) . ومع هذا كله فان « الارضية الممتازة للتعاون » التي تحدث عنها التل لم تتحقق بتجريد عمان من السلاح ، واستمرت استفزازات السلطة واعتداءاتها ، واستمرت الاشتباكات. ولم يلبث الحسين ان صرح « ان اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقات المنبثقة عنها كانت عبارة عن مراحل ونقاط على الطريق » (الجريدة ٤/٣٠/ ٧١) .

وما ان جردت عمان من السلاح ، وجرى اول اجتماع بين ممثلي ل.م وممثلي السلطة حتى بادرت السلطة الى المطالبة باخلاء جرش وعجلون لانهما من المناطق السياحية . ثم قامت السلطة بتوزيع مذكرة على الدول العربية تتهم فيها حركة المقاومة بوضع خطة للتخريب والنسف والتدمير في الاردن. ومن الواضح ان هذه المذكرة كانت تستهدف بدء مرحلة جديدة من الهجمات على باقي مراكز المقاومة . ولقد بدأت هذه الهجمات بالفعل وما زالت الاشتباكات مستمرة .

ان النظام في الاردن ما زال مستمرا في هجومه . وهو يستهدف القضاء الشامل والنهائي على حركة المقاومة لا لانه يريد ان يصفي القضية الفلسطينية باستسلام فحسب ، بل لانه حكم يعادي الجماهير

ومطامحها وحريتها ولا يستطيع ان يقبل بوجود جماهير مسلحة . كما انه لا يقبل بوجود مقاومة مسلحة تعمل من أجل التحرير ، لانه يعلم ان وجود مثل هذه القوة كاف لاسقاطه ماديا ومعنويا .وعلى المقاومة ان تعلم أن اسطورة التعايش ، حتى من اجل فلسطين ، غير ممكنة ، وان تتعلم كيف تقاتل على جبهتين ، جبهة العدو الصهيوني ، وجبهة القوى المضادة للثورة .

٢ ــ زيارة روجرز : تاتي اهمية زيارة روجرز بما يلي : اولا : لقد جاءت هذه الزيارة ، بعد ان ضربت قوات المقاومة في مدن الاردن ، او انسحبت منها ، وبعد أن أمنت السلطة سيطرة نسبية في طول الاردن وعرضه . ولولا هذه السيطرة (اخراج السلاح من المدن ، فرض الهدوء بقوة السلاح ، الخ) ، لما استطاع روجرز ان يجيء الى عمان ولكان فشله اشنع من فشل مساعده سيسكو قبل سنة خلت . ثانيا : جاءت هذه الزيارة ، بعد محاولة اوساط عربية معينة ، ان توهمنا بأن تحييد الولايات المتحدة ممكن ، وانه حدث سنة ١٩٥٦ ويمكن ان يحدث مرة اخرى . ثالثا : جاءت هذه الزيارة وهنالك استعداد للبحث في التسويات والتصفيات . ولكن روجرز عندما جاء لم يكن يحمل في جعبته أية مشاريع تتعلق بحل شامل للمشاكل في المنطقة . وعلى الرغم من تاكيده « ان الموقف غير المستقر في الشرق الاوسط قد يؤثر تاثيرا مباشرا على أمن المنطقة وسلامتها»، فانه كان يعلم بأن زيارته لمصر واسرائيل لن تسفر « عن أية نتائج مثيرة » حسب تصريحه (الاهرام ٧١/٥/١) .

ان الولايات المتحدة لا تطرح في هذه المرحلة حلولا شاملة ، ولا تضغط من أجل تنفيذ قرارات مجلس الامن . وما تريده الولايات المتحدة من الدول العربية هو أن تسير هذه الدول على طريق الخضوع . ولقد كان مخططها منذ البدء الا تفصل موضوع النزاع العربي مع دولة الاحتلال الصهيوني عن موضوع السيطرة الامريكية على الوطن العربي. فالولايات المتحدة تريد سلاما في المنطقة ، ولكن السلام الذي تريد هو السلام الذي يضمن لها مواقعها ومصالحها . وما يهدد الولايات المتحدة ، وبالتالي دولة الاحتلال الصهيوني في المنطقة ، هو انتشار القتال وتوسع رقعته ، لان القتال يحرك الجماهير ويكشف العملاء والخونة ، ويضع الجماهير العربية امام اعدائها الحقيقيين . ولهذا فقد اصرت الولايات المتحدة منذ البدء على عدم الضغط على دولة الاحتلال . ثم شرطت الضغط فيما بعد بامرين : اولهما ايقاف القتال وكل الاعمال العدائية وثانيهما: الاستعداد لقبول حل استسلامي. ولقد بدأ روجرز عمله باقتراح وقف القتال ، كل اشكال القتال ، في العام الماضي . وكان ان توقف القتال النظامي على قناة السويس ، والتزمت الحكومة الاردنية التي كان جيشها حول عمان والمدن بموقف مماثل على طول نهر الاردن . ولكن المقاومة تحدت القرار ، فكان قرار ان تسحق المقاومة . وضربت المقاومة ضربة ايلول وما تلاها . الجزء الاساسي من مشروع روجرز هو اذن في سبيله الى التحقق التام ، ماذا بقي اذن ؟ ان تصفى المقاومة في الاردن ولبنان وكل مكان . وحتى يتم ذلك ويتم تحويل المنطقة الى منطقة تابعة خاضعة ، تظل الولايات المتحدة تركز ، لا على قرار مجلس الامن وانسحاب قوات الاحتلال من الاراضي المحتلة ، بل على تحويل المنطقة لصالح الدولار . ومن هنا جاءت فكرة فتح قناة السويس. ان فتح القناة هو ليس الانسحاب ولا الحل ، ولكنه خطوة صغيرة يفتح بموجبها هذا الشريان الحيوي للملاحة الدولية ، ويصبح حاجزا بين القوتين المتحاربتين . وهكذا تبقى دولة الاحتلال حيث هي ، ويعزل جيش مصر عن الجيش المحتل بقناة السويس ، الممر المائي المسالم ، المفتوح لكل اعلام العالم حتى علم اسرائيل ، وبسبعماية مليون دولار دخلا سنويا تحققه القناة بعد توسيعها (النهار ٧١/٥/١٢) . ثم تواصل الولايات المتحدة لعبتها ، فتسقط من تسقط وترفع من ترفع ، وتبقى الامور كذلك حتى تجد الحل المناسب لمصالحها ومصالح الاحتلال الصهيوني .

وكان النظام في الاردن يعرف ماذا يريد روجرز ، ولذلك حرص على أن يدخله عمان اولا ، وعلى أن يجعله يلمس أن عمان آمنة مطمئنة ، ثم على أن يدخله حتى الى مخيم الوحدات . لماذا فعل النظام في الاردن هذا كله ؟ لانه أراد ان يثبت لوزير الخارجية الامريكي ان النظام هو السيد الاوحد في البلاد ، وانه حقق ما طلب منه ، وانه قادر على التفاوض ، وهو المفاوض الوحيد . أما القاهرة فقد حرصت ان تقابل روجرز بقلب مفتوح ، كما يقول الرئيس السادات ، لانها كانت تريد ان تعرف ماذا يريد روجرز . وروجرز لم يكن يموزه الذكاء ولذلك فقد عرض « عدة حلول

بديلة تدور كلها حول التسوية المؤقتة وصلتها بالحل الشامل للازمة ... » (الاهرام ٧١/٥/٦). انه اذن يتحدث عن حل جزئي وحلول بديلة. وامام هذا كله كان لا بد من ان تصر القاهرة على اعتبار فتح قناة السويس والانسحاب الجزئي المقترح ليس « حلا منفصلا ، ولا هو حل جزئي ، انما هو تحريك اجرائي يرتبط ارتباطا عضويا بالحل الكامل على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن بكل بنوده ، واولها الانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلت بعد الخامس من حزيران » (كما جاء في خطاب الرئيس السادات) . كما ان القاهرة أصرت على رفض « أي حل انتقالي مؤقت » (الاهرام ٧١/٥/٧) .

ولعل هآرتس اصابت كبد الحقيقة عندما قالت (٧١/٥/٥) بأن الامريكيين لم يكونوا يريدون فتح القناة « ولكن ما دام نيكسون لا يعطي الضوء الاخضر لممارسة وسائل الضغط على اسرائيل ، فان الادارة الامريكية تتمسك بفكرة التسوية الجزئية ... » . والولايات المتحدة لن تضغط الا اذا حدث التطور المطلوب في السياسة العربية عموما وسياسة مصر خصوصا . وعليه فان « العودة الى معجزة ٥٧ دون تغيير اساسي ..» غير ممكنة . وهذا التطور المطلوب يتعلق بوضع المصالح الامريكية في المنطقة ، والمصالح الامريكية « معروفة ، وهي العودة الى تجديد النفوذ الامريكي في العالم العربي ، وخصوصا مصر » (كما قالت دافار ، ٧١/٥/٥) . وستبقى السياسة الامريكية في انتظار مثل هذه التحولات تنتظر وتناور وتطرح المشاريع والمشاريع البديلة مؤكدة انها سيدة الموقف بلا منازع . فاذا ما حصلت التحولات المطلوبة لم تكن الولايات المتحدة بحاجة الى ان تضغط ، لان التسوية ستتم ، وستكون استسلاما كاملا .

٣ ــ **اتحاد الجمهوريات العربية** : حين اعلن اتحاد الجمهوريات العربية في منتصف نيسان لم يحدث الهزة المتوقعة ، على الرغم من المظاهرات التي جرت في بعض الاقطار العربية ، وعلى الرغم من برقيات التأييد والتبريك . والسبب في راينا ناتج عن أن الاتحاد لم يكن وحدة كاملة وفورية ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ناتج عن أن البيان الذي صدر يعلن عن الاتحاد فقط ، على ان ينجز خلال خطوات معينة ، أهمها الاستفتاء . وربما كان فشل ميثاق نيسان سنة ١٩٦٣بين ج.ع.م. وسورية والعراق سببا من اسباب الانتظار والتوقع . الا ان هذا كله لا يغير من اهمية الخطوة على الصعيد العربي عموما ، وعلى صعيد القضية الفلسطينية خصوصا .فالاتحاد الجديد يشكل ثقلا بشريا وماديا كبيرا . انه من الناحية البشرية يضم اربعين مليون انسان ، ومن الناحية المادية يضم امكانيات مصر وسوريا وليبيا . فاذا ما تحقق هذا الاتحاد ، حتى على المستوى الذي تم به ، فانه سيكون مركز ثقل حاسم في السياسة العربية ، وفي مواجهة العدوان الصهيوني ، والتحديات الامبريالية . ولكن هل يتحقق هذا الاتحاد ؟ ان ذلك مرتبط بعدد من العوامل الداخلية والخارجية ، وبقدرة الانظمة الثلاثة على مواجهة التحديات المختلفة المعرقلة لتحقيق اي اتحاد. ان معركة الاتحاد ليست مفصولة عن معركة فلسطين ، ولذلك فان الصراع فيها لا ينفصل عن هذا الصراع ، ومن يريد ان يجعل من الوحدة اداة للصراع في فلسطين ، فان عليه أن يواجه التآمر الصهيوني ــ الامبريالي كله ، ولن تنظر الامبريالية والصهيونية لاي نوع من الاتحاد الا من خلال هذا المنظور ، حتى لو كانت لها أهداف اخرى . ولهذا فلن تستطيع اية وحدة او اتحاد أن تقف على رجليها دون نضال جماهيري .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

يمكننا تلخيص أهم التطورات الدولية التي طرأت على النزاع العربي الاسرائيلي في الشهرين الاخيرين بالنقاط التالية : ١) وصول مهمة يارينغ الى مأزق مغلق لم يعد الخروج منه ممكنا ضمن المواقف السياسية المعلنة والمحددة لكافة الاطراف المعنية بالنزاع اما بصورة مباشرة او غير مباشرة ، مما جعل الوسيط الدولي يعود الى مقر عمله في الاتحاد السوفياتي . ٢) التدخل المباشر والنشيط للولايات المتحدة في مسألة النزاع وقيامها بدور الوسيط بين ج ع م واسرائيل بحيث حل وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز محل الوسيط الدولي ، هذا بالاضافة الى ما رافق هذه الخطوات من انحسار في الاهمية المعلقة على اجتماعات الدول الاربع الكبرى حول الصراع في الشرق الاوسط. ٣) تحول اقتراح اعادة فتح قناة السويس، على اساس انسحاب اسرائيلي جزئي من ضفة القناة ، الى قضية رئيسية احتلت مكان الصدارة وطغت على المشاورات الثنائية والمناقشات الدولية الجارية حول النزاع وذلك تحت اسم « التسوية المؤقتة للنزاع » . ٤) الزيارة التي قام بها وليم روجرز في القسم الاول من شهر ايار لبعض العواصم العربية واسرائيل . ٥) زيارة الرئيس السوفياتي بودغورني للقاهرة في اواخر شهر ايار وعقد معاهدة صداقة وتعاون بين ج ع م والاتحاد السوفياتي .

وصلت مهمة يارينغ الى مأزقها الحالي على اثر المذكرات التي بعثتها كل من ج ع م واسرائيل في شهر شباط الماضي ردا على التعهدات التي طلبها الوسيط الدولي من الحكومتين بغية الوصول الى تسوية سلمية سريعة للنزاع . وكما هو معروف كان جواب مصر « ايجابيا » بمعنى انها وافقت على التعهدات التي طلبها يارينغ بما في ذلك قبولها عقد معاهدة سلام مع اسرائيل مقابل انسحابها الى الحدود الدولية التي كانت قائمة بين مصر وفلسطين قبل عام ١٩٤٨ . اما الرد الاسرائيلي فقد كان « سلبيا » بمعنى ان الحكومة الاسرائيلية سجلت على نفسها لاول مرة وفي وثيقة دولية الرفض الصريح للانسحاب الى خطوط الهدنة كما كانت قائمة بينها وبين الدول العربية قبل حرب ١٩٦٧ . على اثر ذلك وجد الوسيط الدولي ان مهمته قد دخلت في طريق مسدود . وفي اواخر شهر آذار قرر يارينغ العودة الى مقر عمله في موسكو بانتظار تطورات جديدة تخرج مهمته من مأزقها الحالي . ويتضح السبب الرئيسي لوصول مشاورات يارينغ الى هذا الوضع البائس في تصريح ادلى به ابا ايبان حيث قال : « لدي انطباع بأن يارينغ ملتزم أمام الجمهورية العربية المتحدة بأن يحاول الحصول على التزام مسبق من اسرائيل (اي الانسحاب) ولكن عليه ان يعلم انه لن يحصل عليه. » . وفي ٢٣ نيسان أعلن يارينغ تعليق مهمته الى أجل غير مسمى مع التأكيد بأنه مستعد للعودة الى مقر المحادثات في نيويورك عند اول بادرة توحي بأن انفراجا سيطرأ على مسار مساعي التسوية السلمية نتيجة لتحرك الدول الكبرى والولايات المتحدة بصورة خاصة .

من ناحية اخرى وجدت المذكرة الجوابية المصرية « الايجابية » الموجهة الى يارينغ وما تضمنته من موافقة على عقد معاهدة سلام مع اسرائيل استجابة حسنة في اوساط الحكومة الامريكية بالاضافة الى ارتياحها الظاهر للمبادرة التي اطلقها الرئيس السادات في اقتراحه اعادة فتح قناة السويس أمام الملاحة الدولية على اساس انسحاب اسرائيلي جزئي من ضفتها الشرقية. ابدت الاوساط الامريكية النافذة اهتماما بهذه المقترحات العربية كاساس للتسوية واخذت الدبلوماسية الامريكية تبدي نشاطا اكبر عن طريق التدخل المباشر في موضوع التسوية السلمية والقيام بدور الوسيط المستقل عن بقية الدول الكبرى بين ج ع م واسرائيل. وعلى هذا الاساس بدا للجانب العربي الرسمي وكأن تحولا بطيئا اخذ يطرأ على الموقف الامريكي لصالح العمل الاكثر جدية على تطبيق قرار مجلس الامن ووضع مشروع روجرز المعروف موضع التنفيذ الفعلي . ومن اهم العلائم التي اشارت الى هذا التحول ما يلي : أ) التقرير الشامل الذي قدمه الرئيس نيكسون في اواخر شهر شباط الى الكونغرس الامريكي حيث قال بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، ان التسوية السلمية لا يمكن ان تعني الا ادخال تعديلات طفيفة على الحدود العربية الاسرائيلية. بعبارة اخرى تخلى نيكسون عن الموقف الاسرائيلي القائل بضرورة حصول اسرائيل على حدود «يمكن الدفاع عنها» لصالح مشروع روجرز

الداعي لفكرة ادخال « تعديلات طفيفة » فقط على الحدود . كذلك اشار نيكسون في تقريره اشارة سريعة « الى التطلعات المشروعة للشعب الفلسطيني »، وهذه اول اشارة من نوعها بالنسبة للمسؤول الامريكي الاول . غير ان نيكسون اكد ايضا لاسرائيل ، في مؤتمر صحافي عقده في اوائل آذار ، بأن امريكا لن تفرض اية تسوية في الشرق الاوسط على الدول المعنية بالنزاع مباشرة ، كما شدد على عزم بلاده المحافظة على ميزان التسلح في المنطقة . ب) في مؤتمر صحفي عقده وزير الخارجية وليم روجرز في ١٦ آذار ١٩٧١ توسع نوعا ما في شرح الموقف الامريكي المستجد وفي ايضاح الاشارات المقتضبة التي وردت في تقرير نيكسون . شدد روجرز على قضية الضمانات الدولية للحدود العربية الاسرائيلية كأساس للتسوية السلمية (وهذا اكثر انسجاما مع الموقف العربي الرسمي) وقال بالتحديد ان وجود قوة دولية في النقاط الرئيسية في الشرق الاوسط يمكن ان يكون اكثر أمانا من المكاسب الجغرافية التي تسعى اليها اسرائيل . وبين في كلامه انه اذا توصل الطرفان المتنازعان الى اتفاق سلام شامل فلن الكونغرس الامريكي سيوافق حتما على اشتراك امريكا في قوة السلام الدولية التي ستتمركز على الحدود . كما عاد روجرز الى التشديد على نظريته المعروفة حول التعديلات الطفيفة على الحدود . ج) نجد تعبيرا اكثر تطرفا في شرح هذا الاتجاه في التخطيط السياسي الامريكي على لسان تشارلز يوست المندوب الامريكي السابق في الامم المتحدة الذي قال في مقالة له في مجلة « لايف » : « ان موقف اسرائيل الحالي من اتصالات يارينغ بعيد كل البعد عن الواقعية وهو موقف غير مقبول . ان اصرار اسرائيل على الحصول على مكاسب اقليمية، يعني بكل بساطة رفض التسوية السلمية ... ومن العدل والحق والانصاف رفض أية تسوية لا تتفق الا مع مصالح اسرائيل . على حكومة تل ابيب ان تستفيد من الفرصة المدهشة التي تسنح لايجاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، فهذه الفرصة هي بدون شك مؤقتة » . واشار يوست الى المحادثات الرباعية حول الشرق الاوسط التي اشترك فيها عندما كان رئيسا للوفد الاميركي في الامم المتحدة فقال : « ان الجمهورية العربية المتحدة والاردن أكدا استعدادهما للاعتراف بحق جميع دول المنطقة في العيش ، ولتوقيع معاهدة سلام ، كما اكدا ان اراضيهما لن تستخدم لشن هجوم على اسرائيل ، وانهما سيفتحان قناة السويس ومضائق تيران امام الملاحة الدولية بما في ذلك مرور سفن اسرائيل ... فما تريد اسرائيل اكثر من ذلك ؟ اوليس ما يعرض عليها اليوم ، هو ما كانت تطالب به منذ ١٨ سنة ؟ وما بالها ترفض ما كانت تطالب بـه ؟ ان اصرار اسرائيل على الحصول على مكاسب اقليمية كبيرة ، يعني بكل بساطة رفض تسوية سلمية تقوم على الاساس الوحيد الممكن ، كما انه يعني خداع الشعب الاسرائيلي بشأن ما هو ممكن وما هو غير ممكن ».

وعاد يوست الى تأكيد الاشارات التي وردت في كلام الرئيس نيكسون ووزير خارجيته روجرز حول كون الاتفاقية بين الاسرائيليين والعرب ، التي تضمنها الامم المتحدة والدول الاربع الكبرى ، اكثر امنا مما يمكن أن يوفره اي ضم لاراض عربية ، مهما كانت هذه العملية مغرية لاسرائيل . هنا يجب ان نفهم بوضوح حدود الموقف الامريكي المستجد والذي يبدو حاليا والى حد ما اكثر ميلا الى التغير العربي لمعنى تصفية آثار العدوان مما كان عليه في السابق . من خصائص السياسة الامريكية الاستعمارية طبيعتها البراجماتية على مستوى التطبيق . وهذا يعني الاعتماد على القوة المتفوقة في ضبط مجرى الاحداث وفقا للحاجات الآنية والمباشرة ، مع محاولة الخروج من المآزق بأفضل السبل المتوفرة آنيا وأقربها منالا بما يتناسب مع المصالح الامريكية العالمية الراهنة . لذلك تعمل السياسة الامريكية على اساس ابقاء النزاع العربي الاسرائيلي في حالة مائعة ورجراجة وبدون أي حسم الى ان تتحقق تدريجيا المطالب الاستعمارية الاسرائيلية شريطة بقاء ميزان القوى العام كما هو، اي لصالح الامبريالية، وبقاء مجرى الاحداث العام تحت سيطرتها بحيث لا يتطور باتجاه يهدد المصالح الامبريالية الحيوية في الوطن العربي . ان النشاط الامريكي الجديد الذي اشرنا اليه وضربنا بعض الامثلة عن تجلياته هو جزء من براجماتية السياسة الامريكية الاستعمارية التي تميل الى معالجة الازمات المحدودة مع نشوئها وعلى علاتها وعن طريق التدخل المباشر في المجرى العفوي للاحداث بغية السيطرة عليه والتأثير على نتائجه بما يضمن المصالح الامريكية على أفضل وجه ممكن ، لكن بدون تبديل هذا المجرى بصورة جذرية طالما انه لا يسير باتجاه مضاد تماما للمصالح الامريكية . يأخذ

هذا الاسلوب في معالجة النزاع العربي الاسرائيلي صورة الهيمنة الامريكية البعيدة والعامة على الازمة لضمان نتائجها النهائية ومنعها من التفاقم والانفجار مع رفض التدخل في تفصيلاتها وترك احدانها تتفاعل على سجيتها باعتبارها تعمل ، على كل حال ، لصالح الطرف الاقوى الذي يفرض الاحتلال براحة نسبية .

ويعكس هذا الاسلوبنفسه على صعيد الدبلوماسية العلنية على صورة موقف أمريكي متوازن شكلا بين الطرفين المتنازعين ومترفع صوريا عن الانغماس في جزئيات الصراع . وينبغي ان يكون واضحا ان التوازن الذي نجده في نصوص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو من هذا النوع الشكلي تماما . وقد تبين اخيرا من تصريحات جديدة لغولدبرغ (ممثل الولايات المتحدة في هيئة الامم عام ١٩٦٧) ان الوفد الامريكي كان في الحقيقة وبصورة رئيسية خلف صياغة قرار مجلس الامن على النحو المعروف وليس الدبلوماسية البريطانية . وفي أواخر شهر آذار لخص وليم روجرز هذا الموقف الامريكي «المتوازن» و« المترفع » من النزاع العربي الاسرائيلي بالكلمات التالية : « اننا مرتبطون بعلاقات ودية مع العرب والاسرائيليين . فدعوتنا الى انسحاب اسرائيلي كما جرى تصور ذلك في قرار مجلس الامن دون تحقيق اتفاق حول سلام سيكون تحيزا للعرب . ودعوتنا العرب لقبول سلام دون انسحاب اسرائيلي سيكون تحيزا لاسرائيل . لذلك فسياستنا هي تشجيع العرب على قبول سلام دائم يرتكز على اتفاقية ملزمة ، وحث الاسرائيليين على الانسحاب من اراض محتلة عندما تضمن سيادتهم الاقليمية حسبما جرى تصور ذلك بقرار مجلس الامن » . (تقرير روجرز الى الكونغرس حول السياسة الخارجية الامريكية) .

وانسجاما مع هذا الاسلوب « المتوازن » وفي مقابل المبادرات الامريكية « الايجابية » التي لاحظناها (تجاوبا مع التنازلات العربية الرسمية) اكد روجرز لاسرائيل ، في تقريره المذكور ، تمسك بلاده بمبدأ عدم فرض اية تسوية في الشرق الاوسط « لان التسوية المتفق عليها بين الاطراف المعنية وليس التسوية المفروضة هي السبيل لاحلال السلام » ، على حد قوله. كذلك عبر التقرير عن اعجاب حكومة الولايات المتحدة بمقدرة نظام الملك حسين على البقاء في وجه « تحديات الفدائيين وغيرها من المصاعب » . وفي اجتماع مغلق (لا سابقة له) عقده روجرز مع مجلس الشيوخ الامريكي بغية تطمينهم حول اتجاهات السياسة الامريكية في منطقتنا ، بيّن لهم ان حكومته لا تسعى الى فرض اية تسوية على اسرائيل او اجبارها على الانسحاب من الاراضي المحتلة قبل اجراء مفاوضات مع العرب . وصرح الشيخ جاكوب جافيتس ، المشهور بولائه التام للصهيونية واسرائيل، انه اصبح يشعر بارتياح اكبر بالنسبة لموقف حكومته بعد هذا الاجتماع . ويبدو واضحا ان من الاهداف الحالية للتحرك الامريكي من جهة والتصلب الاسرائيلي من جهة اخرى جر مصر الى مائدة المفاوضات المباشرة وانتزاع تنازل مهم آخر منها باستخدام اساليب الترغيب والترهيب المعروفة باسم سياسة «التوازن» الامريكية . وبهذا الصدد كان الرئيس نيكسون قد أبلغ زالمان شازار (رئيس اسرائيل) اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ان واشنطن لن تمارس اي ضغط على الحكومة الاسرائيلية لارغامها على تغيير سياستها ، كما انها لن تفرض على تل ابيب ايا من افكارها وستترك لاسرائيل حرية اتباع السياسة التي تريدها وفقا لمصالحها وبدون التدخل في طبيعة المحادثات التي تنوي اجراءها مع العرب . (أي سياسة التصلب والتعنت الى ان تقبل مصر بالجلوس الى مائدة المفاوضات) .

ومن الاسباب الاخرى التي جعلت الدبلوماسية الامريكية تتحرك على هذا النحو وتعلن مثل هذه المواقف « المتوازنة » شكليا الضغط الذي تمارسه الدول الاوروبية الرئيسية على امريكا من أجل تحريك قضية التسوية السلمية واخراجها من مأزقها الراهن ، بسبب المصاعب البترولية المتراكمة من جراء استمرار اغلاق قناة السويس . وقد وجدت هذه الدول فرصة جديدة للتكتل حول مشروع « التسوية الجزئية المؤقتة » القائمة على اعادة فتح قناة السويس . هذا بالاضافة الى ضغط الاتحاد السوفياتي والدول البترولية العربية التي تستسيغ تذكير امريكا بأهمية مصالحها الحيوية في البلاد العربية . يضاف الى ذلك ان الجمهورية العربية المتحدة قد استفادت من استمرار فترة وقف اطلاق النار في تدعيم جبهتها الدفاعية والتقدم على طريق المزيد من تسليح قواتها وتدريبها ، كما ان الاتحاد السوفياتي مستمر في توطيد مواقعه في مصر في ظل استمرار الوضع المتوتر على حاله ، وهذه أمور تدركها امريكا جيدا وخاصة فيما يتعلق

بتوازن القوى في منطقة البحر الابيض المتوسط حيث تتعرض السيطرة العسكرية الغربية الكاملة في السابق الى تدهور مستمر ومنافسة شديدة من قبل الاتحاد السوفياتي . وقد عبر المسؤولون عن شؤون الحلف الاطلسي اكثر من مرة عن قلقهم الشديد ازاء هذا الوضع . بطبيعة الحال جاء هذا التحرك الامريكي بصورة مستقلة عن بقية الدول الاربع الكبرى وخارج نطاق هيئة الامم وأجهزتها وكان الهدف من ذلك تأكيد كون امريكا وحدها القادرة على ايجاد الحل المناسب للنزاع واخراج مهمة يارينغ من مأزقها الحالي .

بدأت الولايات المتحدة تلعب دور الوسيط النشيط بين ج ع م واسرائيل عندما طلبت الحكومة الامريكية من اسرائيل ان تدرس بجدية قضية الانسحاب الجزئي لقواتها من ضفة قناة السويس في مقابل تعهد مصر بالاستمرار في وقف اطلاق النار لاشهر عدة وذلك تمهيدا لفتح الممر المائي للملاحة الدولية بما فيها السفن الاسرائيلية . منذ ذلك الحين تركز النشاط الامريكي على موضوع اعادة فتح قناة السويس . وفي النصف الثاني من شهر نيسان قام نيكسون بابلاغ الرئيس السادات ان اسرائيل تدرس حاليا مقترحات معينة حول اعادة فتح القناة . بعد أن أبلغت اسرائيل وجهة نظرها في الموضوع الى الحكومة الامريكية اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية ان المقترحات المطروحة تشكل قاعدة لمفاوضات جديدة حول ترتيبات مؤقتة بشأن اعادة فتح قناة السويس ، شرط الا تقوم القوات المصرية بالعبور لتحل محل قوات الاحتلال المنسحبة. بعد ذلك أعلن ان روجرز سيقوم بزيارة لاسرائيل وعدد من العواصم العربية وعلى راسها القاهرة حيث سيحمل معه الاقتراحات والشروط الاسرائيلية ليطلع عليها الرئيس السادات . أي أصبح واضحا ان مسألة المفاوضات حول اعادة فتح قناة السويس، كتمهيد للتسوية العامة للنزاع ، قد أصبحت مبادرة امريكية محض ، لذلك أعلن رسميا في هيئة الامم المتحدة ان يو ثانت ويارينغ غير مطلعين على مجرى المفاوضات . من ناحية اخرى انتقد الاتحاد السوفياتي الحكومة الامريكية بسبب قيامها بهذا النشاط السياسي السري والثنائي مع مصر واسرائيل واهمال محادثات الدول الاربع الكبرى . يظهر ان التحرك الامريكي قد تجاوز حدود التفاهم الضمني بين العملاقين حول قضية الشرق الاوسط. أوضح روجرز منذ البداية انه لا ينبغي لاحد أن يتوقع نتائج مذهلة او نجاحا فوريا من رحلته الى الشرق الاوسط ، كما اكد ان هدفه ليس مجرد نقل الاقتراحات والاقتراحات المضادة بين القاهرة وتل أبيب بل اجراء مناقشات عميقة مع الطرفين على امل ان يؤدي ذلك الى تقارب كاف في وجهات النظر تمهيدا للوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس خلال الصيف ان امكن وعلى ان يكون الاتفاق خطوة في اتجاه تسوية شاملة للنزاع . ويبدو ان روجرز كان قد اجرى اتصالات مكثفة مع المسؤولين المصريين والاسرائيليين قبل ان يقرر زيارة المنطقة مما جعله يقتنع بأن الساحة ممهدة لتقبل مبادرة امريكية من هذا النوع . هذا ما يفسر اعلان روجرز في لندن بأن الجو لم يكن في يوم من الايام اكثر ملاءمة مما هو عليه الان لتحقيق تسوية في الشرق الاوسط . كما صرح يو ثانت في نفس الوقت انه يتوقع تطورات مهمة في المستقبل القريب بعد زيارة روجرز للمنطقة .

اما النقاط المتنازع عليها في مسألة اعادة فتح القناة ، والتي ركز روجرز محادثاته عليها في كل من القاهرة وتل ابيب، فتتلخص بالتساؤلات التالية: أ) الى أي حد يفترض في القوات الاسرائيلية ان تبتعد في انسحابها عن ضفة القناة ؟ ب) كيف ستتم مراقبة وقف اطلاق النار وعملية الانفكاك العسكري عن طرفي القناة ؟ ج) كيف سترتبط هذه التسوية المؤقتة بالتسوية الشاملة والنهائية للنزاع ؟ مع الاخذ بعين الاعتبار انه اذا تمت عملية اعادة فتح القناة فان الاهتمام الدولي في ايجاد حل نهائي للنزاع سوف يتراجع ، كما سيتراجع الاهتمام الدولي بالقضايا الجوهرية الاخرى مثل مصير القدس والجولان والضفة الغربية . وواضح ان كلا من الجانبين العربي والاسرائيلي يقدم اجوبة مباعدة واحيانا متناقضة على الاسئلة المطروحة اعلاه . ومهمة روجرز هي العمل على اقناع الطرفين بتقديم بعض التنازلات وتقريب وجهات النظر بحيث يصبح من الممكن الاتفاق على موضوع الحل . ويبدو ان روجرز يميل الى حث الاسرائيليين على الانسحاب الى مدى معين من ضفة القناة والقبول بالتسوية المؤقتة بمقابل مرور سفنهم في القناة . وبمقابل ذلك يتفق الموقف الامريكي مع الاسرائيليين حول رفض فكرة عبور القوات المصرية الى الضفة المحتلة للحلول محل الجيش الاسرائيلي المنسحب . غير ان امريكا مستعدة لتبني فكرة السماح لقوة بوليس مصرية رمزية العبور لحماية

علم البلاد . اشاد روجرز بأهمية الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح القناة لانه ، حسب قوله ، سيؤدي الى المزيد من الاستقرار في المنطقة لفترة من الزمن ، اولا ، وسيثبت للعرب والاسرائيليين ان في امكانهم ان يعيشوا معا ، ثانيا ، وسيجعل مهمة يارينغ تستمر في مناخ افضل وسيخفف من اخطار تجدد القتال في المنطقة ، ثالثا .

ان اهم النقاط التي برزت في زيارة روجرز لعواصم الشرق الاوسط تتلخص بما يلي : ١) في عمان امتدح روجرز الملك حسين على عزمه وبأسه في ضرب العمل الفدائي ، وسلمه رسالة من نيكسون اعرب فيها الرئيس الامريكي عن تقديره للأسلوب الذي عالج به الملك حسين « الوضع الصعب وغير الطبيعي في بلاده » . كما أكد روجرز للملك عدم رغبة الولايات المتحدة في قبول اي تغيير في الاردن لاجل تحقيق التسوية السلمية ، وهذه اشارة واضحة الى التنازل الامريكي عن فكرة حل قضية شعب فلسطين عن طريق اقامة دولة فلسطينية مكان المملكة الاردنية الهاشمية (بالاضافة الى قطاع غزة) وكانت هذه الفكرة متداولة كثيرا في اوساط الخارجية الامريكية قبل مجزرة ايلول ١٩٧٠ في الاردن . كما وعد روجرز بالتجاوب مع حاجات الاردن ووافق ، من حيث المبدأ ، على تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لتغطية العجز في موازنة المملكة وتغطية حاجاتها الاقتصادية المستجدة . ٢) في القاهرة قام روجرز بتسليم الرئيس السادات رسالة من نيكسون . ويبدو أن المحادثات تركزت هناك ، بصورة رئيسية ، على اتفاقية اعادة فتح قناة السويس (او التسوية المؤقتة) وصلتها بالحل الشامل للنزاع . وتضمنت المحادثات كذلك عرضا لوجهات النظر حول مراحل الانسحاب ، والمناطق المجردة من السلاح ، وامكان احلال قوات دولية محل القوات الاسرائيلية المنسحبة . وجدير بالذكر ان الوفد الامريكي اعلن استعداد بلاده للمشاركة بقوات امريكية مع قوات من بلاد أخرى للفصل بين الجيش المصري والجيش الاسرائيلي في سيناء . وبالاضافة الى ذلك برزت النقاط التالية : أ) ترددت أنباء عن ان الولايات المتحدة ستقدم مساعدة اقتصادية كبيرة الى مصر لاعادة بناء منطقة السويس واسكان اللاجئين . ب) التفاهم على ان حل الازمة القائمة يحتاج الى وقت طويل وان التسوية المؤقتة لا يمكن أن تكون الا جزءا من التسوية الشاملة التي ستليها . ج) اتفاق الطرفين على زيادة البعثة الدبلوماسية لدى الطرف الثاني . د) الاتفاق على تعديل مواعيد ايفاء ديون مصر لامريكا بغية انهاء كل المسائل العالقة بين البلدين . هـ) تصريح روجرز بأنه يتطلع الى الاجتماع ثانية الى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة في الخريف المقبل عند انعقاد دورة هيئة الامم المتحدة ، مما يعني ان الوضع في المنطقة مرشح لان يستمر على حاله وجموده (لا اطلاق للنار) حتى انعقاد الجمعية العمومية لهيئة الامم في نيويورك . و) تأكيد روجرز امام الرئيس السادات ان حكومته ليست على استعداد للضغط على اسرائيل لاسباب داخلية ولكن روجرز وعده ببذل محاولاته لاقناع حكام تل ابيب بما يجب ان يقتنعوا به . ٣) في اسرائيل تمم روجرز ممارسته لسياسة « التوازن » الشكلي المذكورة سالفا حيث اكد استمرار الدعم الامريكي لاسرائيل على كافة المستويات من ناحية ، ووجه نقدا ناعما لضيفيه من ناحية اخرى وذلك في الكلمة التي القاها امام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست حيث قال ان اسرائيل ليس لديها الى الان موقف واضح في حين « ان الرئيس السادات قد كشف اوراقه وعرض موقفه بوضوح » .وتناولت محادثات روجرز موضوع اعادة فتح القناة والتسوية السلمية للنزاع بالاضافة الى مناقشة لنظريته في التعديلات الطفيفة على الحدود التي ترفضها اسرائيل باصرار . وترددت انباء عن أن روجرز قال أنه اذا أظهرت اسرائيل مرونة اكثر في موقفها فسيحاول الحصول على تنازلات مماثلة من القاهرة. وربما نجد في هذا النبأ تفسيرا لعودة مساعد روجرز جوزيف سيسكو الى القاهرة لمقابلة الرئيس السادات مرة اخرى ، مع العلم أن روجرز صرح عند انتهاء زيارته بأن احتمالات الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس قد زادت وأعرب عن أمله في أن تؤدي عودة سيسكو الى القاهرة الى تضييق جديد للفجوة التي تفصل الطرفين حول موضوع فتح القناة . من الواضح ان الهدف من عودة سيسكو هي ابلاغ القاهرة مباشرة بنتائج محادثات روجرز مع المسؤولين الاسرائيليين ، ومن المرجح ان تكون قضية عبور القوات المصرية للقناة قد شكلت محور محادثاته مع الرئيس السادات . يصعب التكهن منذ الان بالنتائج البعيدة نسبيا لزيارة روجرز لان الزيارة لم « تنته » بعد باعتبارها جزءا من التحرك الامريكي الحالي والمستمر . وقد صرح

روجرز أنه سيواصل اتصالاته بالحكومات المعنية وبيوثانت ويارينغ فيما يتعلق بموضوع اعادة فتح القناة . وقام روجرز باطلاع الوسيط الدولي ويوثانت على نتائج رحلته وعلق قائلا أنه بالامكان الوصول الى تسوية مؤقتة حول اعادة فتح قناة السويس ولكن ليس في الحال . ويبدو ان يارينغ لن يشترك في تحقيق هذه التسوية باعتبار انها أصبحت معتبرة مسألة امريكية بحت .

يتضح في هذه المراجعة ان التطورات الدولية لم تعد تأخذ القضية الفلسطينية الام بعين الجد أو الاعتبار كما ان ذكر الشعب الفلسطيني وحقوقه في تحرير وطنه تحولت الى نوع من الشعائر التي تردد عربيا في المناسبات حيث يقدم لها الولاء اللفظي والمعنوي لا اكثر . أما التطورات الحقيقية التي تؤثر على الواقع وتبدله فتتركز كلها حول السلام والتسوية السلمية ليس الا . لقد برز هذا الاتجاه على الصعيد الدولي بقوة بعد الضربة التي تلقتها حركة المقاومة في أيلول ١٩٧٠ .

أما بالنسبة لنشاط الاتحاد السوفياتي الدولي فيما يتعلق بالنزاع في الشرق الاوسط فيمكن تقسيم أهم مافيه الى ثلاث مراحل :

١) حددت الحكومة السوفياتية موقفها من رد كل من ج ع م واسرائيل على مذكرة يارينغ في بيان صدر عنها في اوائل اذار ١٩٧١ حيث ايدت موافقة مصر على الالتزامات التي طلبها يارينغ واشادت بموافقتها على التوقيع على معاهدة سلام مع اسرائيل واعتبرت هذا الموقف بناء وجريئا وواقعيا . كذلك أشار البيان السوفياتي الى رفض اسرائيل الرسمي الانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ وندد به ، وذكر انه امام هذه التطورات الايجابية عربيا والسلبية اسرائيليا تجد الحكومة السوفياتية انه لم يعد يوجد الا خيار اساسي واحد في الشرق الاوسط وهو بين التسوية السياسية أو التصادم الحربي. لذلك ناشد البيان كل الدول المهتمة بالسلام عدم اعطاء اسرائيل وحماتها فرصة عرقلة التسوية السلمية واحباطها . وتبع البيان نشاط دبلوماسي سوفياتي تركز على محاولة عقد اجتماع فوري للدول الاربع الكبرى للنظر في رفض اسرائيل الموافقة على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وافقت كل من فرنسا وبريطانيا على هذه الدعوة الا ان أمريكا رفضتها بسبب معارضتها لفكرة فرض اية تسوية في الشرق الاوسط من قبل الدول الكبرى . لذلك لم يتم عقد الاجتماع .

٢) في اواخر شهر آذار عقد المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي حيث القى زعيم الحزب ليونيد بريجنيف خطابا سياسيا شاملا أمام وفود من ٩٠ بلدا وممثلين عن ٧٥ حزبا شيوعيا من كافة انحاء العالم . تطرق بريجنيف الى النزاع العربي الاسرائيلي حيث أكد من جديد الموقف السوفياتي المعروف من التسوية السلمية وتطبيق قرار مجلس الامن . بالاضافة الى ذلك امتدح قبول مصر مقترحات يارينغ وموافقتها على توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل واستعدادها لاعادة فتح قناة السويس . وندد الزعيم السوفياتي بالتصلب الاسرائيلي الذي ما زال يعترض طريق التسوية السلمية . واعلن أن بلاده مستعدة للاشتراك مع الدول الكبرى الاخرى في ضمان أية تسوية في الشرق الاوسط وتحويل المتوسط الى « بحر سلام » . ويعني هذا استعداد الاتحاد السوفياتي للمشاركة بقوات من عنده مع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الكبرى لتشكيل قوة الطوارىء الدولية التي يفترض ان تتمركز في المناطق المجردة من السلاح بين اسرائيل والدول العربية لاحلال التسوية السلمية . كذلك اصدر المؤتمر قرارا حول « العدوان الاسرائيلي على البلدان العربية » استنكر فيه العدوان واكد على انتصار الحقوق المشروعة لجميع الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني . وشدد القرار على التأييد السوفياتي للدول العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي ودعا الى تضامن دولي اكبر لارغام القوات الاسرائيلية على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . لم يخرج القرار عن حدود التأييد للعرب ضد الاحتلال الاسرائيلي والتنديد «بالرفض العنيد الذي يبديه حكام اسرائيل» حول سحب قواتهم من الاراضي المحتلة واعتبار ذلك تحديا صريحا للرأي العام الدولي ولقرارات هيئة الامم، مع التشديد على ان الهدف النهائي هو الوصول الى التسوية السلمية وفقا لبنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . اما قضية الشعب الفلسطيني الام والكفاح الفلسطيني المسلح فلم يرد لهما اي ذكر.

٣) بعد حركة التغيير التي بدأها الرئيس السادات في الجهاز الحاكم في مصر (١٥ أيار ١٩٧١) أعربت الاوساط السوفياتية عن قلقها وتضايقها من زيارة روجرز للشرق الاوسط ومن التحرك الامريكي المنفرد والمتفرد حول اعادة فتح قناة السويس . على سبيل المثال ذكرت الصحف السوفياتية ، في

معرض تعليقها على جولة روجرز ، ان زيارته لم تسفر عن اي تغيير اساسي بالنسبة الى تسوية الازمة وان الدعوة الى جعل الدبلوماسية الامريكية اكثر توازنا ليست الا نفاقا ورياء . وبعد ذلك بفترة قصيرة قام الرئيس السوفياتي بودغورني بزيارة ، وصفت بأنها غير رسمية ، الى القاهرة على راس وفد ضخم يضم مسؤولين كبارا عن الشؤون العسكرية والاقتصادية وغيرها من المجالات الحيوية . لا شك ان زيارة بودغورني قد ضربت عصفورين بحجر من حيث كونها ردا مباشرا وسريعا على جولة وليم روجرز في المنطقة من جهة ، ومن حيث تأكيدها اهمية الوجود السوفياتي في مصر من جهة اخرى خاصة بعد أن شملت التطهيرات التي قام بها الرئيس السادات عددا من القادة القدامى المعتبرين من أصدقاء موسكو في الجهاز المصري الحاكم . ومع انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك لم يتعد في محتوياته حدود الكلام عن تصفية آثار العدوان والعمل على تحقيق التسوية السلمية . هذا بالاضافة الى ادانة اسرائيل بسبب رفضها لكل المقترحات المعروضة من أجل انجاز التسوية السلمية وتطبيق قرار مجلس الامن ، والاشادة بسياسة ج ع م البناءة « من اجل الوصول الى التسوية السلمية بالوسائل السياسية » . ولم يرد في البيان المشترك الا اشارة واحدة مقتضبة تتعلق بالشعب الفلسطيني . تفيد الاشارة « ان اعادة السلام العادل في الشرق الاوسط يعتمد على احترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » أما دور كفاح الشعب الفلسطيني في فرض هذا النوع من الاحترام على الاطراف المعنية فلم يرد له اي ذكر الا على سبيل الغائه كعامل نضالي مستقل والحاقه بالجهود الرسمية العربية ليس الا . وقد قال الرئيس بودغورني ذلك صراحة في خطاب القاه في القاهرة حيث اشار الى جهود ج ع م « لحل الازمة آخذة بعين الاعتبار الحقوق والمصالح المشروعة لكل الدول والشعوب في هذه المنطقة بما في ذلك شعب فلسطين العربي » . ولم يرد اي ذكر آخر لقضية الشعب الفلسطيني وحقوقه في أي من تصريحات بودغورني وخطاباته اثناء الزيارة .

وكانت المفاجأة التي تمخضت عنها زيارة بودغورني هي توقيع معاهدة صداقة وتعاون بين ج ع م والاتحاد السوفياتي علما أنها اول معاهدة من نوعها يعقدها السوفيات خارج دول الكتلة الشيوعية ، وهي اقرب الى التحالف منها الى « التعاون والصداقة » بين دولتين . وشددت المعاهدة بصورة ملحوظة على موضوع السلام في الشرق الاوسط وعلى ضرورة تحقيقه . كما اكدت ان الدولتين المتحالفتين ستواصلان بكل حزم بذل الجهود الضرورية « لتحقيق السلام الوطيد والعادل في الشرق الاوسط وصيانته طبقا لاهداف هيئة الامم المتحدة ومبادئها . » (المادة الثالثة) .

ولم تترك المعاهدة مجالا من المجالات (باستثناء الدين) الا ونصت على التعاون فيه بين الدولتين بما في ذلك المجالات العسكرية والاقتصادية والتجارية والفنية والعلمية والزراعية والثقافية والحزبية والاعلامية . وتكون بذلك العلاقات المصرية السوفياتية قد تكرست بصورة رسمية ودولية وقانونية ملزمة تبعدها عن تأثيرات الاحداث الطارئة مثل تبدل الحكومات او سقوط بعض القيادات او موت زعيم من الزعماء . ولا شك في أن هذه المعاهدة تكرس نهائيا في الاستراتيجية المصرية السياسية الخط السوفياتي القائل بحق دولة اسرائيل في الوجود والاستمرار وضرورة اعتراف العرب بذلك وتركيز الجهود العربية على تصفية آثار العدوان بالوسائل السياسية لاحلال السلام العربي الاسرائيلي بصورة نهائية في المنطقة .

اما بالنسبة للموقف الاوروبي الغربي العام من النزاع في منطقتنا فلم يطرأ عليه تبدلات هامة في الفترة الاخيرة . اي انه ظل معبأ لصالح مشروع اعادة فتح قناة السويس بسبب تراكم المشاكل البترولية الناتجة عن اغلاق الممر المائي . وما زالت هذه الدول تمارس ضغطا على الولايات المتحدة لحملها على الاسراع في تحركها الرامي الى تحقيق « التسوية المؤقتة » حول القناة . ويمكننا تلخيص أهم التطورات التفصيلية في الموقف الاوروبي بما يلي : ١) في اوائل شهر نيسان عقدت اجتماعات رسمية في لندن بين الحكومة البريطانية والحكومة السوفياتية لمناقشة موضوع الضمانات الدولية التي يمكن أن تقدمها الدول الكبرى لانجاح التسوية السلمية ، ومناقشة مسألة تشكيل قوات السلام الدولية التي يفترض ارسالها الى المنطقة. وكانت هذه الاجتماعات جزءا من سلسلة لقاءات رسمية ثنائية قررت الدول الاربع الكبرى اجراءها حول الموضوعات المذكورة . ٢) القى وزير الخارجية البريطاني خطابا في اواسط شهر نيسان

المنصرم أشار فيه الى اهمية الدور الذي كان يمكن ان تلعبه قوة الطوارىء الدولية في حفظ السلام بين العرب واسرائيل واكد من جديد موافقة بريطانيا على مشاركة قواتها في تشكيل قوة السلام الدولية المزمع انشاؤها في حينه . يضاف الى ذلك انه اعلن عن عزم وزير الخارجية البريطاني القيام بزيارة للقاهرة في الخريف المقبل . ٣) في منتصف شهر ايار عقد وزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة اجتماعا في باريس تناولوا فيه أزمة الشرق الاوسط وعلاقتها بمشاكل أمن اوروبا ، وقد شارك في الاجتماع وزراء خارجية اربع دول اوروبية اخرى تطلب الانضمام الى السوق (بريطانيا ، ايرلندا ، النروج ، الدانمارك) . وقد اتفق الوزراء بالاجماع على تأييد الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لاعادة فتح قناة السويس كجزء من تسوية شاملة للنزاع ، وهذا هو أول موقف سياسي موحد تتخذه دول السوق الاوروبية المشتركة بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي .وقد جاء الموقف نتيجة لتبني الوزراء لتقرير سري أعده خبراء اليسوق عن أزمة الشرق الاوسط وكيفية حلها . وقد لعبت فرنسا دورا رئيسيا في دفع دول السوق المشتركة الى اتخاذ مثل هذا القرار ، ومعروف ان السياسة الفرنسية تميل الى دعم مطلب الانسحاب الاسرائيلي باستثناء بعض التعديلات الطفيفة على الحدود ، وتقول بضرورة فرض حل للازمة على الدول المتنازعة من قبل الدول الاربع الكبرى وهذا ما تعارضه الولايات المتحدة حتى الان .

بهذا الصدد ذكر وزير خارجية فرنسا ، موريس شومان ، في مؤتمر صحافي عقده بمناسبة اجتماع وزراء الخارجية ان الاتفاق قد تم حول النقاط التالية : أ) ان الوضع الراهن في الشرق الاوسط يوفر « فرصة فريدة للسلام » ويجب اغتنامها . ب) ان قرار مجلس الامن الدولي المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ يشكل أساسا واطارا لتسوية عامة تنص على حدود آمنة ومعترف بها لاسرائيل . ج) يجب درس اي حل جزئي او مؤقت شريطة ان يؤدي هذا الحل الى تسوية عامة لا ان يعتبر غاية في حد ذاته . كما أضاف انه ينتظر ان ترتبط بريطانيا والدول الثلاث الاخرى التي تطلب الانضمام الى السوق المشتركة بالتقرير الذي يجري اعداده الان عن الشرق الاوسط .

ويبدو ان دول السوق بقيت حريصة ، في هذه الفترة ، على عدم الافضاء بالمزيد من التفاصيل عن محادثاتها وعن الخطوات التي تنوي القيام بها حول قضية الشرق الاوسط خوفا من نشوء مهاترات ستعكر « جو المفاوضات الدقيقة التي تجري الان لايجاد تسوية سلمية .. » . وذكرت مصادر فرنسية ان دول السوق تدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ما قبل حرب ١٩٦٧ والى انشاء مناطق مجردة من السلاح . كذلك ذكرت مصادر بريطانية ان وزير الخارجية ، اليك دوغلاس هيوم ، يشعر بأن راي بلاده لا يختلف كثيرا عن رأي بلدان السوق حول البادرة السياسية التي يقوم بها وزراء الخارجية المذكورين بصدد ازمة الشرق الاوسط . وفي وقت لاحق تم تسليم مشروع دول السوق الاوروبية المشتركة الى يوثانت . من ناحية اخرى يبدو ان دول السوق قد وافقت على ان يعقد كل من مصر ولبنان اتفاقا مع السوق يعطي كلا منهما حق الدولة الاكثر رعاية مع استمرار كل من البلدين في مقاطعة الشركات المتعاملة مع اسرائيل باعتبار ان مسألة المقاطعة تتعلق بأمن الدولتين وبقوانينهما الداخلية . وقد اعتبرت هذه الموافقة في اسرائيل على انها نوع من الاعتراف من قبل دول السوق المشتركة بشرعية المقاطعة العربية لاسرائيل . بعبارة اخرى هناك جهود كثيرة تتجمع وتتكتل للضغط باتجاه انجاح الجهود الامريكية الرامية الى تحقيق ما يسمى « بالتسوية المؤقتة » عن طريق اعادة فتح قناة السويس ، وقد أبلغ روجرز مؤخرا (اوائل شهر حزيران)، اجتماع المجلس الوزاري للحلف الاطلسي أنه يأمل في الوصول الى اتفاق بين مصر واسرائيل حول اعادة فتح قناة السويس في وقت لا يتجاوز نهاية العام الحالي .

الدكتور صادق جلال العظم

(٤) السياسة الاسرائيلية

لاول مرة منذ حرب الايام الستة يشعر المتتبع لاحداث السياسة الاسرائيلية ان موضوعات اخرى بجانب موضوع الامن والخارجية (بشكل أدق الصراع العربي ــ الاسرائيلي) قد بدأت تطفو على السطح وتشغل اهتمام الساسة والمجتمع . وقد تجلى بروز مثل هذه الموضوعات في الاهتمام الكبير الذي اولاه المؤتمر المنتخب الاول لحزب العمل المنعقد في اوائل نيسان الماضي لمسألتي الفقر والهوة الاجتماعية والاقتصادية القائمة بين الطوائف والطبقات في اسرائيل . كما تجلى ايضا في الاهتمام الذي اولاه المسؤولون الاسرائيليون والرأي العام لظاهرة الفهود السود ، وفي الجدل العاصف حول قضية « البناديق » وتهويدات فيينا التي أثارت من جديد مسألة علاقة الدين بالدولةوكادت ان تدخل الحكومة في ازمة ائتلافية . ولكن مع ذلك تظل معضلة الصراع العربي ــ الاسرائيلي هي المعضلة الاساسية ويظل الاهتمام الاكبر موجها اليها ، وقد كانت المباحثات الاميركية ــ الاسرائيلية لفتح قناة السويس هي الحدث المركزي في الحياة السياسية الاسرائيلية ، وفيما يتعلق بأخبار الاحزاب كان أهم حدث الازمة التي ثارت في بلدية القدس حول وثيقة تتعلق بمصير القدس كان اعدها المسؤول عن القدس العربية عام ١٩٦٨ . واشتد الصراع في قيادة هعولام هزه ، واستقال الياب سكرتير حزب العمل ، وبدأ الحزب الليبرالي يستعد لمؤتمره القادم ، وتوفي احد قادة المفدال تاركا وراءه صراعات حادة على الزعامة داخل صفوف الحزب.

مؤتمر حزب العمل : كان المؤتمر المنتخب الاول لحزب العمل (هعفودا) ، المنعقد بين ٤ ــ ٧ نيسان ١٩٧١ ، أهم حدث على صعيد الحياة الحزبية الاسرائيلية في الفترة المستعرضة . وتنبع اهمية اي مؤتمر لحزب العمل من كونه الحزب الاكبر في اسرائيل من حيث العدد والنفوذ ونسبة التمثيل في المؤسسات التشريعية والحاكمة ، ومن حيث كونه الحزب الذي يقرر سياسات الحكومة الاساسية في كافة المجالات بحكم سيطرته على المراكز الحساسة في الحكومة بما فيها رئاسة الوزارة ووزارات الدفاع والخارجية والمالية . ومن المعروف ان هذا الحزب تأسس في اوائل عام ١٩٦٨ من اتحاد الاحزاب الثلاثة المباي واحدوت هعفودا ورافي سابقا ، وعقد مؤتمره الاول غير المنتخب عشية انتخابات الكنيست السابعة في عام ١٩٦٩ ــ ذلك المؤتمر الذي توصل فيه الفرقاء المكونون للحزب الجديد ، بعد نقاش صاخب وتهديد البعض بالانسحاب ، الى ما يسمى بـ « الاتفاقات الشفهية» التي قررت فيما قررته سياسة الاستيطان و« الحدود الامنة » ، واصبحت تمثل المبادىء الموجهة لسياسة الحكومة فيما يتعلق بالمناطق المحتلة ومصيرها ومفاوضات التسوية . وقد سبق المؤتمر الحالي اعداد كبير تمثل في اجراء انتخابات الفروع ووضع قائمة مركزية لاختيار اعضاء المؤتمر البالغ عددهم ٣٠٠٠ مندوب ، وفي تشكيل لجان تحضيرية وضعت احداها برئاسة يسرائيل يشعياهو مسودة دستور الحزب الجديد ، وبحثت الاخريات عدة موضوعات هامة من بينها الكيان الفلسطيني وعلاقة الدين بالدولة ومشكلة الفقر والهوة الاجتماعية وعلاقة الحزب بالهستدروت . وتميز المؤتمر الحالي بوجود ٣٧ مندوبا من « العرب والدروز » فيه ، وذلك تجسيدا للقرار الذي اتخذه الحزب في الصيف الماضي بالسماح لاول مرة لابناء « الاقليات القومية » ــ على حد قول التعبير الاسرائيلي لوصف « عرب ودروز » فلسطين ــ بالانتماء الى صفوفه . كما سجل المراقبون كحدث له دلالته حضور بن غوريون المؤتمر ، ورأوا في ذلك علامة على رضائه عن القيادة الحالية للحزب، وهي القيادة التي اختلف مع معظم عناصرها عام ١٩٦٥ خلافا ادى به الى الانشقاق عن المباي وتأسيسه لحزب جديد (رافي) ضم فيمن ضم وقتها من الاقوياء موشه دايان وشمعون بيرس .

ان ايا من المراقبين السياسيين الجديين في اسرائيل لم يتوقع حدوث مفاجآت في المؤتمر ، رغم وجود تيارات عدة داخل الحزب ، تحمل آراء مختلفة كثيرا او قليلا ، حول عدد من المسائل الجوهرية . والسبب في عدم توقع المراقبين حدوث مفاجآت داخل المؤتمر هو ادراكهم لمدى سيطرة القيادة الاساسية للحزب على اعضائه ، وهذه متفقة بشكل عام كما يبدو على الخطوط الاساسية لسياسات الحزب في مختلف المجالات ، وادراكهم لاستحالة حدوث نقاش جدي في مؤتمر تعداد اعضائه ٣٠٠٠ عضو ومدة انعقاده ثلاثة ايام . وقد تنبأ التعليق

السياسي لصحيفة معريف قبيل انعقاد المؤتمر بساعات (عدد ٧١/٤/٤) ان المؤتمر لن يكون اكثر من مجرد « مظاهرة قوة تجاه الداخل وتجاه الخارج . ويمكن أن يكون لطرح سياسات الحزب الحاكم بشكل مركز من قبل واضعي هذه السياسة ذاتهم من على منبر واحد اهمية تجاه الخارج اكثر بكثير من اهميتها تجاه الداخل — داخل الحزب وداخل الدولة ». وفعلا تظهر دراسة التغطية الصادرة في الصحف الاسرائيلية لانباء المؤتمر ومناقشاته ، ودراسة القرارات الصادرة عنه ، ان هذه النبوءة لم تكن بعيدة عن الصواب ، وان كان المؤتمر لم يخل كليا من الاثارة والمفاجآت الصغيرة . وقد حدثت الاثارة في مناقشة موضوع الفقر والهوة الاجتماعية والاقتصادية بين الطبقات ، والمفاجآت الصغيرة في حذف موضوع علاقة الدين بالدولة من جدول اعمال المؤتمر . وتأجيل بحث التوصيات الخاصة بالمستدروت لمؤتمر قادم، وفي تركيب المركز الجديد. كان المتكلمون الرئيسيون في نقاشات سياسة الامن والخارجية غولدا مئير ودايان وايبن وسابير وغاليلي . وادلى بدلوه في الموضوع عدد آخر من المؤتمرين أهمهم يتسحاق تبنكين ، من آباء حركة العمل الاسرائيلية ومن زعماء حركة أرض اسرائيل الكاملة ، وابراهام عوفر ممثل الاتجاه الاكثر لينا بين «حمائم» حزب العمل . واذا استثنينا العضوين الاخيرين يمكننا القول ان الباقين المذكورين عكسوا في مناقشاتهم خطا متشددا ، يطابق واحيانا يتجاوز، الخط الرسمي المعلن للحكومة الاسرائيلية تجاه التسوية الجزئية والشاملة . ويمكن اعتبار الفقرات الاساسية من القرارات السياسية ، التي نورد نصها فيما يلي ، خلاصة لرايهم المشترك حول النقاط المركزية : « ان خطوط الرابع من حزيران والحدود الدولية لا تتلاءم مع شروط الامن الحيوية لاسرائيل وينبغي ان تجري فيها تعديلات جوهرية . ويصادق المؤتمر على قرار الحكومة القاضي بعدم العودة الى حدود متدنية استراتيجيا . لا مجال لقبول اية ضمانات او تسويات كبديل لحدود دفاعية . يدعم المؤتمر حكومة اسرائيل في معارضتها لاية طلبات بالتزامات مسبقة ، مهما كانت الجهة المطالبة ، حول موضوعات ينبغي ان تتوضح في المفاوضات . يدعو المؤتمر الى اقامة مستوطنات امنية ومستوطنات ثابتة ، زراعية ومدينية ، على ضوء اعتبارات الامن وتطوير الدولة. يناشد المؤتمر دول العالم الحر العمل على اخراج القوات السوفياتية من البلدان العربية من اجل ابعاد خطر الحرب وخلق ظروف مؤاتية لتقدم السلام في المنطقة » .

ويذكر دانيال دجن (معريف ٧١/٤/٧) ان اللجنة الفرعية التي صاغت القرارات السياسية امتنعت عمدا عن مس الموضوعات الشائكة كالمسألة الفلسطينية ، وان اعضاء حركة ارض اسرائيل الكاملة في حزب العمل طالبوا بأن يرفق بالقرارات نص بيان يعلن ان « حق الشعب اليهودي في ارض اسرائيل ينبغي ان يشكل نقطة الانطلاق في الصراع السياسي » وان « الفرضية القائلة بأن التنازل عن مناطق يقرب السلام هي فرضية خاطئة » . ولكن اعتراض ممثلي حركة الحرس الفتي (همشمرت هتسعيره) التابعة لحزب العمل على ارفاق مثل هذا البيان ، واصرارها في حالة ارفاقه على تقديم بيان يعكس آراء حركة « الحرس الفتي » الاكثر اعتدالا ، دفع لجنة الصياغة الى اسقاط مطلب ممثلي حركة ارض اسرائيل الكاملة ، واكتفى هؤلاء بقراءة بيانهم بشكل منفصل عن القرارات . ويذكر هنا ان حركة « الحرس الفتي » كانت قبل فترة وجيزة من انعقاد المؤتمر قد استثارت حنق رئيسة الحكومة ووزراء آخرين عندما اتخذ مركزها قرارا يعترف بوجود « هوية فلسطينية » ويدعو الحزب الى السعي من اجل السلام « ضمن نطاق تنازل عن جزء من الحقوق التاريخية للشعب اليهودي في ارض اسرائيل التاريخية واعتراف بحق العرب بالاستقلال السياسي في جزء من هذه الارض » . كما يذكر ان اللجنة التحضيرية المشكلة من قبل الحزب قد اتخذت توصيات تمهيدا للمؤتمر برئاسة اربيه الياب سكرتير الحزب شبيهة بقرار مركز « الحرس الفتي » ، وكان من المتوقع ان تثير هذه التوصيات عاصفة من النقاشات ، ولكن الذي يبدو هو ان قيادة الحزب الاساسية ، التي يحمل اعضاؤها آراء متباينة حول هذا الموضوع ، اتفقت على حذفه باعتباره موضوعا شائكا من المحتمل ان يسيء لصورة « تماسك الحزب » التي شددت القيادة على ابرازها في المؤتمر .

وكان الموضوع الشائك الآخر الذي حذف من جدول اعمال المؤتمر كليا هو موضوع الدين والدولة ، رغم ان لجنة تحضيرية كانت قد بحثته مليا واتخذت توصيات معينة بشأنه . وقد تم حذف الموضوع بقرار من اللجنة الدائمة للمؤتمر ، حرصا من قيادة حزب العمل على الائتلاف الحكومي الذي تشكل

الاحزاب الدينية ركنا هاما من اركانه . وقد اثار حذف الموضوع استياء عاما في المؤتمر ، نظرا لان الموضوع كان قد اثار اهتماما واسعا في اسرائيل مؤخرا بسبب قضية « البناديق » وتهويدات فيينا [انظر أدناه] ، واصبرت عضو المؤتمر ، شالوميت ألوني ، على الحديث فيه ، ولم تستطع رئاسة المؤتمر تجاهل طلبها ازاء الاحتجاجات الصاخبة التي صدرت من القاعة ، فسمحت لها بالكلام لمدة خمس دقائق فقط . ولكنها ما لبثت ان قوطعت في مستهل كلمتها ، وطوي الموضوع نهائيا. وطوي كذلك موضوع علاقة الحزب بالهستدروت ، بناء على اصرار سكرتير الهستدروت ، الذي رفض ان يناقش المؤتمر توصيات تتعلق بالهستدروت قبل بحثها في هيئات الهستدروت ذاتها . وكان الموضوع الوحيد الذي تركت قيادة الحزب للاعضاء مجالا اوسع لمناقشته هو موضوع الفقر والهوة الاجتماعية. ويبدو من دراسة التقارير المنشورة ان هناك اتجاهين داخل حزب العمل بالنسبة للموضوع ، يتبلور الخلاف بينهما حول اولا مدى خطورة الظاهرة وثانيا حول مدى ما بذلته الدولة (الحزب) من جهود لحلها . فبينما يرى الاتجاه الاول ، الذي يعتبر سابير وزير المالية ابرز ممثليه ، ان الحديث عن الفقر مبالغ فيه وان الدولة ضمن سلم اولوياتها لم يكن باستطاعتها ان تفعل اكثر مما فعلت ، يرى الاتجاه الثاني ، وأبرز ممثليه في المؤتمر بن اهرون ومردخاي بن فرات ، ان الفقر قائم فعلا بصورة مخيفة وان الدولة تهمل علاجه لحساب الامن وتأمين اوضاع المهاجرين الجدد ، واذا كانت حركة العمل لم تستطع ان تلتقط مدى حدته وخطورته فلأن « حركة مدهنة وشبعانة لا تستطيع ان تحس بجوع الجائع » ، على حد تعبير بن أهرون . وتظهر دراسة القرارات الاقتصادية والاجتماعية الصادرة عن المؤتمر ان وجهة النظر التي سادت حول سلم الافضليات بالنسبة للدولة كانت وجهة نظر سابير ، التي تعطي الاولوية للامن والهجرة وتطوير اقتصاديات الدولة ومن ثم تصفية مراكز الفقر .

اما بالنسبة لنتائج المؤتمر على الصعيد التنظيمي ، فقد اقر الحزب الدستور الجديد (راجع الاشارة اليه في شؤون فلسطينية العدد ٢) وانتخب المركز الجديد الذي يبلغ تعداد اعضائه لهذه المرة فقط ٦٠١ عضوا بدلا من ٥٠١ عضوا كما ينص الدستور. وقد كان السبب في هذه الزيادة الكبيرة الضغوطات التي مارستها مراكز القوة والضغط داخل الحزب وبشكل خاص رافي واحدوت همفودا سابقا والحرس الفني ومجموعة اعضاء الحزب القدامى والفروع. ويلاحظ في المركز الجديد ، مقارنة بالمركز السابق ، انخفاض قوة كتلة رافي واحدوت همفودا سابقا وازدياد قوة كتلة الماباي . اذ انخفضت نسبة تمثيل احدوت همفودا من ٢١،٥٪ الى ١٨٪ ، ورافي من ٢١،٥٪ الى ١٣٪ بينما ارتفعت نسبة الماباي من ٥٧٪ الى ٦٩٪ ، وهذا راجع بالطبع الى النجاحات التي حققتها الماباي في الانتخابات الداخلية للمؤتمر. وبالنسبة لوضع القيادة اظهر المؤتمر نجاح جولدا مئير في رص صفوف الحزب وتحقيق انسجام اكبر بين كتله المختلفة ، كما اظهر بوضوح رسوخ مركز القيادة الاساسية فيه ، المكونة من جولدا مئير وسابير ودايان وايبن وألون وجاليلي . وبالنسبة لمسألة الوراثة يجمع المراقبون على ان المؤتمر قد عزز الراي القائل بأن الرجل الاقوى في حزب العمل ، وبالتالي المرشح لخلافة جولدا عندما يحين الوقت لذلك ، هو بنحاس سابير . ولم تفت المراقبين دلالة ان الشخص الوحيد بين الوزراء [عدا رئيسة الحكومة طبعا] الذي عالج كافة الموضوعات ، وليس فقط شؤون وزارته ، كان هو بنحاس سابير .

فتح القناة : وفي الوقت الذي تراجعت فيه فرص الوصول الى تسوية شاملة لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط نتيجة لرفض اسرائيل التعهد بالانسحاب الى الحدود الدولية بينها وبين مصر، اشتد النشاط السياسي المتركز حول موضوع التسوية المرحلية المتمثلة بفتح قناة السويس للملاحة ، وهو الموضوع الذي طرحه السادات في خطابه المشهور في ٤ شباط (فبراير) من العام الحالي . وقد تبلور الموقف الاسرائيلي بشأن هذا الموضوع تدريجيا ، وبعد نقاشات واسعة دارت بشكل اساسي داخل مجلس الوزراء ، واحيانا من على صفحات الصحف . وقد ثارت الخلافات بين الوزراء في البداية ليس حول القبول بفتح القناة او الانسحاب الجزئي وانما حول نقطة معينة مرتبطة بالاطار الذي من ضمنه تستطيع اسرائيل ان توافق على الانسحاب ، باعتبار ان عناصر أمنية درست مدى تأثير الانسحاب على نظام الدفاع الاسرائيلي في منطقة القناة وتوصلت الى نتيجة بأن الانسحاب عدة كيلومترات ، اذا لم تحدث عملية عبور أساسية مصرية الى الشاطىء الشرقي ، لا يؤثر بشكل جدي على وضع اسرائيل من الناحية الاستراتيجية.

فبينما ارتأى بعض الوزراء ان اسرائيل يجب ألا تقبل بالانسحاب الا اذا تعهدت مصر **بانهاء حالة** الحرب ، رأى البعض الاخر ان هذا المطلب غير واقعي ، وطرح آخرون فكرة عقد هدنة رسمية . وقد كان ابرز المتحمسين لفكرة مطالبة مصر بانهاء حالة الحرب كشرط من شروط التسوية المرحلية ايغال الون ، الذي طرح الفكرة على المسؤولين الاميركيين في الزيارة التي قام بها لواشنطن في اواخر الاسبوع الثالث من شهر نيسان (ابريل) الماضي. ولكن في الوقت الذي كان الون يطرح فيه هذا المطلب كمطلب اساسي لاسرائيل كان الموقف داخل مجلس الوزراء الاسرائيلي يتغير لصالح الصيغة التي طرحها آبا ايبن وزير الخارجية ، والتي تكتفي بالمطالبة باستمرار وقف اطلاق النار بشكل مطلق. وقد عبر ايبن عن موقفه بشدة في المقابلة التي اجرتها معه اسرة تحرير عل همشمار ونشرتها الصحيفة بتاريخ ٧١/٤/٢٨ . قال ايبن : « انهاء حالة الحرب ليس مجرد وقف اطلاق نار . انه تنازل عن كل ادعاء نابع من الحرب . انه تقريبا سلام... عمليا طلبنا هذا معناه كمن يقول (للمصريين) اعقدوا السلام معنا مقابل انسحابنا عدة كيلومترات ... ان هذا المطلب مبالغ فيه » . وقد كان العامل الذي حسم النقاش حول الموضوع تقرير جولدا مئير ودايان ، بعد تردد من الاخير ، ان المهم ليس الشكل القانوني المتعلق بهذه النقطة ، وانما الجوهر وهو عدم تجدد القتال . وفيما عدا هذه النقطة يمكن القول بأن الموقف الاسرائيلي من موضوع التسوية المرحلية لم يكن مثار خلاف جدي داخل الحكومة .

ما هي نقاط هذا الموقف ؟ ان التقييم الاسرائيلي العام للموقف كان يقود الى ضرورة الوصول الى اتفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة حول النقاط الجوهرية اولا ، ومن ثم نقل الموقف المتفق عليه الى الطرف المصري لبحثه . أما التقييم الاسرائيلي الخاص للموقف الاميركي من فتح القناة فقد توصل الى النتيجة بأن الولايات المتحدة ترمي من وراء اسرارها على فتح القناة الى تنفيذ مشروع روجرز على مراحل بعد ان جزمت برفض اسرائيل له ، ولذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ان تصوغ شروطها لفتح القناة بشكل يقطع الطريق على الولايات المتحدة لتنفيذ ذلك . ونطرح فيما يلي نقاط الموقف الاسرائيلي ، ذاكرين انها لم تقدم دفعة واحدة وانما اثناء حوار استمر شهرين مع الولايات المتحدة ، لنشير بعد ذلك الى ما سقط منها او عدل او بقي على حاله : طالبت اسرائيل بأن تجرى المفاوضات لفتح القناة بمعزل عن قرار مجلس الامن والجهود المبذولة لتحقيق التسوية الشاملة ، وبواسطة الولايات المتحدة دون تدخل من يارنغ . وذلك في محاولة منها لقطع الطريق على اعتبار الانسحاب الجزئي مرحلة اولى [حسب المطلب المصري] يليها ضغط لتحقيق انسحاب شامل من سيناء تنفيذا لقرار مجلس الامن ومشروع روجرز . واشترطت اسرائيل عدم عبور قوات مصرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، وطالبت الولايات المتحدة بتقديم ضمان بدعم اسرائيل بشكل فعال في حالة عبور القوات المصرية بمساعدة الاتحاد السوفياتي . وتقول المعلومات المتسربة الى الصحف الاسرائيلية بأن التعهد الذي طلبته اسرائيل يتمثل باعتراف الولايات المتحدة بحق اسرائيل في حالة عبور أساسي لقوات مصرية بالرد باستئناف الحرب وتوجيه الولايات المتحدة انذارا للروس تضعه موضع التنفيذ عند الضرورة . واشترطت اسرائيل قبول مصر بوقف اطلاق النار لفترة غير محدودة . وحددت اسرائيل مدى انسحاب قواتها بعشرة كيلومترات شرق القناة وطالبت بالسماح للسفن الاسرائيلية بعبور القناة في حالة فتحها للملاحة .

ويقول المراقبون المطلعون في اسرائيل بأن الولايات المتحدة كانت على خلاف مع اسرائيل حول كافة النقاط الموردة اعلاه ، ولكن نتيجة للحوار، وبشكل خاص عقب زيارة روجرز لاسرائيل في اواخر الاسبوع الاول من أيار الماضي ، ضاقت شقة الخلاف قليلا. وتحدد الصحف الاسرائيلية التقارب والتباعد بين الموقفين الاسرائيلي والاميركي كما يلي : حول ربط التسوية المرحلية لفتح القناة بقرار مجلس الامن : اتفق الطرفان على انه من الممكن ايجاد صيغة تسوية بشأنها ، وان كان الاتفاق على الصيغة لم يتم بعد . حول مسألة العبور : ما زال الخلاف قائما . وتذكر الصحف الاسرائيلية ان الولايات المتحدة اقترحت عبور قوات مصرية رمزية ، ورفضت اسرائيل الاقتراح . كما تذكر الصحف انه بحث خلال زيارة روجرز فكرة عبور قوات شرطة مصرية ، وان اسرائيل اقترحت بالمقابل بقاء «مجموعات مدنية» اسرائيلية في الواقع العسكرية الاولى لخط القناة للحفاظ عليها. أما بالنسبة لضمان الولايات المتحدة عدم عبور قوات مصرية ضمانا بالشكل الذي تقترحه اسرائيل،

فتذكر الصحف ان الولايات المتحدة ابلغت اسرائيل انها تنضم بهذا الشكل تسوية نهائية فقط وليس التسوية المرحلية . حول موقف اطلاق النار : ما يزال الخلاف قائما . واقترحت الولايات المتحدة ان يكون وقف اطلاق النار لمدة سنة ، وربما سنتين على الاكثر . حول مدى الانسحاب : تذكر الصحف ان اسرائيل ابدت خلال زيارة روجرز استعدادا للانسحاب اكثر من (١٠) كم كما حددت سابقا ولكن ليس لـ (٤٠) كم كما اقترحت الولايات المتحدة او الى ما وراء خط العريش ـ رأس محمد كما اقترحت مصر . حول مرور السفن الاسرائيلية في القناة : تذكر الصحف ان الطرفين اتفقا على انه لا مجال لذلك ضمن تسوية مرحلية .

وهكذا يتضح من تقدير الصحف الاسرائيلية ، المطلعة عادة ، ان نقاط الخلاف الاساسية بين اسرائيل والولايات المتحدة ما تزال قائمة . فاذا اضفنا لذلك عدم استعداد الولايات المتحدة للضغط على اسرائيل كفاية لارغامها على قبول الموقف الامريكي ، والفوارق الكبيرة بين الموقف الامريكي ـ الاسرائيلي والموقف المصري ، نستطيع القول بأن التسوية المرحلية لفتح القناة تواجه صعوبات لا تقل جسامة عن الصعوبات التي تواجه تحقيق التسوية الشاملة .

قضية « البناديق » : ولفترة طويلة خلال شهري نيسان ـ ايار شغلت الراي العام الاسرائيلي مشكلة « البناديق » والخلافات الحادة التي ثارت حولها في الاوساط الدينية والمدنية وداخل الحكومة الاسرائيلية . ومما زاد المشكلة حدة والمشاعر توترا هو انها اتت في اعقاب قضية « تهويدات فيينا »(١)، التي اثار موقف الحاخامين المتطرفين منها غضب وزراء الاحزاب غير الدينية والراي العام غير المتدين في اسرائيل ، وفي اعقاب الخلافات بين الوزراء حول قانون انتخاب الحاخام الرئيسي لاسرائيل وتمديد فترة صلاحيات الحاخامين الحاليين(٢).

ان جذور « قضية البناديق » تعود الى عام ١٩٦٥ عندما تقدم الاخوان حنوخ ومريم لانغر الى المحكمة الحاخامية في تل ابيب بطلبي زواج ليكتشفا ان المحكمة تعتبرهما « بندوقين » لا ينتميان الى «شعب اسرائيل » وان اسميهما معممان على كافة المحاكم الحاخامية ومسجلي عقود الزواج في اسرائيل ، مما كان يعني انهما لن يستطيعا الزواج كل ممن اختاره قلبه، او العيش ضمن نطاق «المجتمع المحترم » في اسرائيل . ولدى البحث اتضح ان امهما حوا لانغر من بولندا كانت في صباها قد تزوجت من نصراني تهود ومن ثم هاجرت الى اسرائيل ، وتركت زوجها دون طلاق ، وتزوجت شخصا آخر ولدت منه الاخوين لانغر ، وبعد ذلك تم طلاقها من زوجها الاول حسب اصول الشرع اليهودي . وتوفي الزوج الثاني لانغر ، وتقدمت الام في عام ١٩٥٥ الى المحكمة الحاخامية في تل ابيب بطلب زواج ثالث ، ولدى استماع المحكمة لشهادتها وشهادة زوجها الاول ، قررت منحها اذن الزواج ، ولكنها اعتبرت الولدين بندوقين لا يجوز لهما الانتماء لـ « شعب اسرائيل » . وظلت المسألة نائمة الى ان كبر الولدان ، وتقدما بطلب الزواج كما ذكرنا اعلاه في عام ١٩٦٥ ، وانكرت المحكمة عليهما ذلك . واستأنف الولدان الحكم لدى المحكمة الحاخامية الكبرى في القدس ، وبعد اخذ ورد استمر ست سنوات ، وتحويل القضية من محكمة الى اخرى ، صادقت المحكمة الحاخامية الكبرى في القدس في عام ١٩٧٠ على القرار القاضي باعتبارهما بندوقين، واسقط في يد الاخوين . ولما كان الاخ في الجيش الاسرائيلي على خط القناة الاول ، والاخت مجندة سابقة ، لم يجد الاخوان امامهما الا موشيه دايان، وزير الدفاع ، ليطلبا منه حل المشكلة . وهنا بدات

---

١ ـ تشكل فيينا محطة عبور لليهود القادمين من دول اوروبا الشرقية . وفي هذه المدينة تم تهويد عشرات المهاجرين من غير اليهود ، الذين ينتمون الى عائلات يهودية مختلطة . وقد اعترض الحاخامون المتطرفون على هذه التهويدات بحجة انها تتم بسرعة وبشكل مخالف للاصول ورفضوا الاعتراف بقسم كبير منها . وقد أثار هذا الموقف غضب الوزراء غير المتدينين لان هذا الموقف يسيء لفرص الهجرة من الاتحاد السوفياتي ، وضغطوا على الوزراء المتدينين لاقناع الحاخامين باتخاذ موقف متساهل .

٢ ـ هناك حاخامان رئيسيان في اسرائيل ، واحد لليهود الغربيين وواحد للشرقيين ، وهناك اقتراح بانتخاب حاخام واحد لكل اسرائيل . وقد ثار خلاف عنيف بين الحاخامين انفسهم ، وبين الوزراء في الحكومة حول هذا الاقتراح . وكانت نتيجة الخلاف تأجيل اقرار القانون المتعلق بالحاخامية الرئيسية وتمديد مدة الحاخامين الحاليين لاربعة شهور اخرى .

القضية بالتحول الى قضية سياسية ، وازدادت تعقيداتها ، الى ان انفجر النقاش العلني حولها في الفترة المستعرضة في هذا الباب .

حول وزير الدفاع المشكلة الى الحاخام الرئيسي في اسرائيل ينسحق نسيم ، وعقد هذا اجتماعا في منزله بحضور وزيري العدل والاديان ومستشار الحكومة القانوني والحاخام الرئيسي للجيش الاسرائيلي شلومو غورن . وقرر المجتمعون ان يبحث الحاخام الرئيسي للجيش المسألة وان ينظر رأي الشرع اليهودي فيها . وكانت الاسئلة المفاتيح في القضية هي : هل تهود زوج الام الاول فعلا وفقا للشريعة الموسوية ؟ واذا كان تهود ، هل عاش حياته كيهودي ؟ وهل تم الزواج وفقا للطقوس اليهودية ؟ فاذا كان الجواب على هذه الاسئلة ، او اي منها ، سلبيا ، فان زواج الام الاول يعتبر باطلا ، وبالتالي يكف الولدان عن ان يكونا بندوقين . ويبدو ان الحاخام الرئيسي للجيش وجد بناء على الشهادات الجديدة التي جمعها ان هناك مجالا لاعادة البحث في القضية ، واستنادا الى رأي غورن قرر الحاخام الرئيسي لاسرائيل ، نسيم ، تشكيل محكمة خاصة لبحثها . ولكن يبدو ايضا ان حاخامي اسرائيل ، الواقعين تحت سيطرة المتطرفين بينهم ، والمعادين لغورن بسبب «تساهله» في حل الاشكالات الدينية من هذا النوع ، لم يعجبهم تدخل دايان وغورن في موضوع يعتبرونه من شؤونهم الداخلية . ولذلك عندما توجه نسيم الى الحاخامين والقضاة بطلب تشكيل محكمة خاصة رفض الجميع — عدا حاخام مفرد في اشدود — بحثها ، بحجة ان الجهة الوحيدة المؤهلة لبحث القضية هي المحكمة التي قضت فيها اصلا ، وهذه قد اتخذت قرارها ولا مجال لبحثها ثانية . وفشلت كل جهود نسيم في هذا الاتجاه . وثار دايان ، وهدد بتقديم قانون باسمه يدعو لاقرار الزواج المدني وبشن حملة ضد المتدينين المتطرفين في اسرائيل ، وانقسم الرأي العام الى مناصر ومعارض لرأي دايان ، وتأزم الوضع في الحكومة ، وهدد ممثلو الاحزاب الدينية في الحكومة بالانسحاب من الائتلاف . وتداخلت « قضية البناديق » مع قضايا تهويدات فيينا وقانون انتخاب الحاخام الرئيسي لاسرائيل، وتأزم الوضع. ولكن في النهاية ، كعادة حزب العمل ، توصل في الحكومة مع ممثلي الاحزاب المتدينة الى قرار بتأجيل الموضوع ، وشطبت قيادته موضوع الدين والدولة من جدول اعمال مؤتمر الحزب ، وبقي «البندوقان» بندوقين ، وظل حزب العمل الاسرائيلي يتفاخر ، على لسان سكرتيره الياب (معريف ٧١/٤/٥) بأنه واحد من الاحزاب الاشتراكية العشرة الكبرى في العالم .

الفهود السود : وفي الوقت الذي كانت فيه المشكلة الامنية والدينية تقلق بال المسؤولين والمجتمع الاسرائيلي ، برزت الى السطح بعنف المشكلة الاجتماعية — الطائفية ، التي دفعتها حدة المشكلة الامنية بعد حرب الايام الستة الى الاعماق . وقد كانت الزعامة التي ابرزت هذه المشكلة منظمة « الفهود السود » الاسرائيلية ، التي نظمت في القدس في ١٩٧١/٥/١٨ اعنف مظاهرات شهدتها المدينة لسنوات طويلة . وقد اشتبك المتظاهرون مع الشرطة ست ساعات ، من قبيل المساء الى منتصف الليل ، واسفر الاشتباك عن جرح عشرات الافراد من الشرطة والمدنيين ، والقاء القبض على اكثر من ٦٢ شخصا من اعضاء المنظمة وانصارها. وقد كانت هذه المظاهرة تتويجا لسلسلة من اعمال الاخلال بالنظام العام ، التي استهدف الفهود السود من ورائها ، لفت نظر السلطة الى حدة الاوضاع السيئة التي تعيش في ظلها الطوائف الشرقية (السفارديم) في اسرائيل .

ان منظمة الفهود السود منظمة حديثة ، مكونة في غالبيتها الساحقة من ابناء الطوائف اليهودية الشرقية الفقيرة . وقد بدأت الاخبار عن هذه المنظمة تظهر في الشهر الاول من العام الحالي . ففي ٧١/١/٢٢ ظهر الخبر التالي في صحيفة عل همشمار : « قال عدد من افراد الشباب المهمل قبل أيام للمسؤول عن عصابات الشوارع في القدس : اننا سننظم انفسنا ضد الحكومة الاشكنازية (حكومة اليهود الغربيين) والمؤسسات القائمة . اننا سنكون فهود دولة اسرائيل السود. لما شنقوا اليهود السود في بغداد ، صمت الاشكنازيون . والان عندما تلوح نية لشنق يهود بيض في روسيا — ينظمون اضرابات عن الطعام ومظاهرات » . ويستمر خبر عل همشمار : « من خلال المحادثة مع الشباب اتضح للمسؤول ان لهم اتصالا بأعضاء منظمة (ماتسبن) في القدس » . ان سياق الخبر يظهر منذ البداية الطابع الطائفي للمنظمة ، كما يظهر القلق الذي يحسه المسؤولون من جراء العلاقات القائمة بين هذه المنظمة والعناصر اليسارية ، لان المسؤولين يدركون ان اكبر خطر يمكن ان تواجهه المؤسسات القائمة في اسرائيل

هو حلف بين الفئات اليسارية غير الصهيونية القليلة العدد ، وجماهير الطوائف الشرقية الفقيرة الواسعة . وقد ظل الطابع الطائفي لمنظمة الفهود السود طوال الشهور السابقة يتعزز ويبرز اكثر فاكثر ، وظلت لافتاتهم وشعاراتهم تركز عليه بشكل واضح . ونقدم نموذجا على هذه الشعارات ما اوردته صحيفة معريف (٧١/٥/٤) من ان لافتات الفهود السود كانت تحمل في مظاهر قاموا بها بتاريخ ٧١/٥/٣ قرب بلدية تل ابيب الكتابات التالية : «غولدا علمينا ييدش» (لغة يهود اوروبا الشرقية)، « متى يصبح ابو الطبول بايجان » (اشارة للتكريم والدعاية الواسعة التي لقيها مهاجر ضابط سابقا من الاتحاد السوفياتي اسمه بايجان) ، وما اورده نفس العدد من ان رجل « الفهود السود » في دعوته للمظاهرة كان يذيع من سيارة متنقلة : « ايها الفهود السود ليس لنا ما نخسره بعد . انتم تستطيعون قول الحقيقة كلها ... كلكم تعرفون ما يجري في هذا البلد . هنا حفنة من المستغلين تتحكم بنا باسم دولة اليهود . الى الامام في حربكم ضد الفقر ... **يسقط الاشكنازيون** » . والى جانب الشعارات التي تبرز الطابع الطائفي ، كانت هناك دوما الشعارات التي تبرز الطابع الاجتماعي — الاقتصادي ، اذ انه من المعروف جيدا ان حدود الفقر في اسرائيل تتطابق بشكل عام مع حدود الطوائف اليهودية القادمة من الشرق . وتعكس هذه الشعارات شعورا عنيفا بالمرارة من العناية التي توليها الدولة للجيش والمهاجرين القادمين من اوروبا ، مقابل الاهمال الذي تواجه به الدولة مشكلة الفقر في الاحياء الفقيرة . ونقدم كنموذج عن هذه الشعارات ما اوردته معريف في عددي ٧١/٣/٢٥ و٧١/٤/١٢ من ان لافتات الفهود السود كانت تحمل في مناسبتي احتجاج الكتابات التالية : « الى متى (١٠) في غرفة واحدة ؟ » ، « نعم للهجرة ، ولكن ليس على حساب المساكين » ، « للجيش نعم — لمساكن لائقة ، لا ؟ » ، « تيدي [كوليك]، نريد حشيشا اخضر ايضا في احيائنا » .

وقد تصدنا في صدد وصف البواعث والتطلعات لمنظمة الفهود السود ايراد الشعارات والنداءات العلوية قبل المطالب المرفوعة للمسؤولين لانها تعكسها بحرارة اكثر. وقد قدم الفهود السود مطالبهم في مقابلة اجروها مع جولدا مئير بتاريخ ١٩٧١/٤/١٢ وتتركز كلها حول المطالبة بالغاء التمييز الطائفي وتصفية الفقر وتحسين اوضاع العائلات الفقيرة وفتح المجالات التعليمية امام ابنائها وقبول ذوي السوابق في الجيش واتخاذ موقف انساني اكثر منهم وكف يد الشرطة عن معاملة المسجونين والموقوفين بقسوة . وتفسير المطالب الاخيرة هو ان عددا كبيرا من زعماء واعضاء منظمة الفهود السود هم من ذوي السوابق . وتذكر الصحف ان ممثلي الفهود السود خرجوا غير راضين من المقابلة ، لانهم لم يحصلوا على شيء فيها ، سوى الوعد بالنظر في مطالبهم .

هذا حول السمات الطائفية والاجتماعية — الاقتصادية للفهود السود ، فماذا عن السمات السياسية وعلاقتهم بماتسبن واليسار ؟ ان الناطقين بلسان الفهود السود اعلنوا في مهرجان عقدوه في الجامعة العبرية بتاريخ ٧١/٣/٢٤ انه ليس لهم ارتباطات مع الماتسبن او اية حركة اخرى سياسية يمينية او يسارية . وفي هذا القول الكثير من الصحة . اذ ان خطاباتهم والمقابلات التي اجريت معهم تظهر انهم لا يزالون غير واضحين بعد فيما يتعلق بالاهداف والوسائل والبرامج — هناك مشاعر عنيفة ومطالب تفصيلية او عريضة وعامة جدا ، وهناك فكرة مسيطرة بأن العنف هو الوسيلة الاساسية لهز الدولة واشعارها بمظالمهم . ولكن ليس هناك ثمة ايديولوجيا او برامج واضحة ، او رغبة جذرية في تهديم اسس « المجتمع الابيض ». ولذلك لا تزال الدولة تنظر اليهم في تعاملها معهم كفئة من فئات « الشباب المهمل » او « الهامشي » التي يجب حل مشاكلهم عن طريق مساعدتهم وتأهيلهم . ولكن المراقبين السياسيين يلاحظون تواجد اعضاء ماتسبن ورجال اليسار الجديد في كل المظاهرات والاحتجاجات التي ينظمها الفهود السود ، ويخشون ان يستغل اليسار المعادي للصهيونية والمؤسسات القائمة الفهود السود ، والمنظمات الاخرى الشبيهة بهم كمنظمة « اسرائيل الاخرى » لخلق تيار جماهيري عريض معاد للصهيونية ، ومن هنا يدعون الحكومة الى وضع حلول اكثر جذرية .

ما مدى قوة تنظيم الفهود السود ؟ وما هي احتمالات تحوله الى قوة سياسية جدية ؟ تقول هآرتس (٧١/٤/٢٢) ان ممثلي الفهود السود ادعوا في اجتماعهم مع ممثلي المجلس الصهيوني في اسرائيل ان تنظيمهم يضم (٩٠٠٠) عضو منهم (٤٠٠٠) خارج القدس ، وان الاعضاء العاملين عددهم (٣٠٠) . وتقول معريف (٧١/٤/١٣)

ان ممثلي الفهود السود ذكروا انهم عينوا لجنة تنطق باسمهم ، وشكلوا لجانا اخرى بينها لجنة مالية ولجنة للعلاقات الخارجية ، كما تذكر نفس الصحيفة (عدد ٧١/٤/١٢) ان هناك محادثات بين ممثلي الفهود السود وممثلي « أسرائيل الاخرى » لتوحيد المنظمتين . ومهما كانت نسبة المبالغة في هذا الكلام ، فمما لا شك فيه ان المنظمة تتجه نحو المزيد من القوة والتنظيم واتساع العضوية ، ونحو التوحد مع المنظمات المشابهة . ولكن بين هذا وبين تحولها لقوة سياسية فعالة مسافة كبيرة جدا . فهي ما زال ينقصها التنظيم الفعال ، والايديولوجيا والبرامج ، والاهداف الواضحة ، ومشاركة جماهير الطوائف الشرقية لها بالافعال لا بالعواطف : ان مطالبها أقل جذرية من مطالب الفهود السود في الولايات المتحدة الذين تكنت باسمهم ، وعنفها ادنى بكثير من عنف اولئك . فعدا عن المظاهرة التي اشرنا اليها في مطلع الفقرة، والتي استخدمت فيها زجاجات المولوتوف، كانت اعمالهم عبارة عن مهرجانات وتظاهرات وتعطيل لحركة السير واقلاق لبعض الاحتفالات العامة ، والارجح ان تنجح المؤسسة الحاكمة في امتصاصهم .

وثيقة بنبنستي : وكان من اهم احداث الصراعات الداخلية بين الاحزاب نشر مذكرة تتعلق بمستقبل القدس ، كان ميرون بنبنستي المسؤول عن شؤون القدس العربية في البلدية اليهودية قد رفعها لوزارة الخارجية الاسرائيلية عام ١٩٦٨ ، وسربها مصدر مجهول الى صحيفة معريف التي نشرت مقاطع منها بتاريخ ٧١/٤/٢٧ . وقد اثارت هذه المذكرة ازمة حادة جدا في البلدية وطالب شركاء حزب العمل (الذي ينتمي اليه بنبنستي) في ائتلاف البلدية الحزب باقالة المذكور، واثار ممثلو كتلة جاحال والمتطرفون الموضوع في الكنيست ، مثيرين بذلك عاصفة من الجدل حول بنبنستي والقدس . وقد وقفت ادارة حزب العمل ولجنة سكرتاريته الى جانب بنبنستي، وحملت في بيان وزعته على الصحف على الجهات التي سربت الوثيقة ، واعتبرت مطلب شركاء حزب العمل في مجلس بلدية القدس باقالة بنبنستي تدخلا منهم في شؤون الحزب الداخلية . ويعود سبب الضجة التي اثارها نشر الوثيقة الى حساسية موضوع القدس بالنسبة للرأي العام اليهودي ، والى الاقتباسات غير الكاملة التي نشرها الصحفي الذي سربت اليه الوثيقة ، والاستنتاجات غير الصحيحة التي توصل اليها . فقد نشر الصحفي يهوشع بتسور ، من محرري معريف ، الوثيقة دون ان يذكر تاريخها ، او يحدد الهدف منها ، او يذكر الظروف التي قدمت فيها ، وقال بأن بنبنستي يدعو الى اعادة الجزء الاكبر من مدينة القدس العربية الى السيادة الاردنية في حالة تحقق السلام ، موردا فقرات تعزز استنتاجه هذا . وقد جاء توقيت نشر الوثيقة قبل ساعات من انعقاد ادارة حزب العمل لتبحث في اقتراح تيدي كوليك ، رئيس بلدية القدس ، بتعيين بنبنستي نائبا له لشؤون التخطيط البعيد المدى لبلدية القدس، مما حمل المراقبين السياسيين على الاجماع بأن تسريب الوثيقة في هذا الوقت كان متعمدا لنسف تعيين بنبنستي ، الذي اثار خصومه الكثيرين داخل حزب العمل وخارجه بسبب آرائه « المعتدلة » .

ان نص الوثيقة نشر كاملا في عدد معريف ٥/٤/ ١٩٧١ بعد أن اذن آبا ايبن ، وزير الخارجية ، لبنبنستي بارفاق النص السري بالدعوى التي اقامها المذكور على الصحيفة لنشرها الوثيقة مشوهة ، حسب رأيه . ويتضح من نص الوثيقة ، ومن البيانات التي ادلى بها كوليك وبنبنستي ووزارة الخارجية الاسرائيلية ، ان الوثيقة عبارة عن مذكرة تحمل آراء شخصية كان بنبنستي قد قدمها في ١٩٦٨/٧/٢ لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، من ضمن عمله في لجنة شكلت آنذاك لتقديم مشاريع بديلة لمدينة القدس في حالة حلول السلام ، ولم تجر مناقشتها في وزارة الخارجية او الحكومة او اي مكان آخر لابتعاد احتمالات تحقق حل سلمي . كما يتضح أيضا من نص الوثيقة انه ليس صحيحا ان بنبنستي اقترح اعادة الجزء الاكبر من القدس العربية للسيادة الاردنية بحلول السلام ، وانما اقترح اقامة بلدية موسعة تمثل فيها خمس بلديات فرعية يهودية وعربية تشمل صلاحياتها مدينة القدس والقرى المحيطة بها ، بما فيها بيت لحم وبيت جالا وعدد من القرى العربية التي لم يدخلها الاحتلال اصلا في نطاق ما يسمى بـ « القدس الموحدة » (!) . وفي اطار هذه البلدية الموسعة ، لما يمكن ان يسمى « بالقدس الكبرى » ، يقترح بنبنستي ترتيبات معقدة لا مجال للدخول في تفاصيلها هنا ، وانما يمكن القول انه بالنسبة لمسألة السيادة ، يعطي للاردن سيادة على جزء طفيف يقع داخل ما يسمى الان بـ « القدس

الموحدة » ، يصفه بنبنستي نفسه في الرسالة المرفقة بالمذكرة بانه « قطعة حلوى ليس لها اهمية عملية ، ويمكن ان ترضي اعتبارات الكرامة العربية » .

ان اتضاح هذه التفصيلات بعد نشر المذكرة ، والشروحات التي قيلت فيها ، خففت من حدة الهجوم على بنبنستي من قبل مجموعة المفدال في مجلس البلدية ، وان كانت جاحال ظلت تستغلها لمهاجمة حزب العمل في الكنيست والمنابر الاخرى. ولكن الذي يلفت النظر بشكل خاص في الضجة التي ثارت حول الوثيقة هو أمران : اولا الاسلوب الذي يلجأ اليه المتطرفون السياسيون في اسرائيل لتحطيم خصومهم ، وهو اسلوب شبهه معلق داڤار السياسي (عدد ٧١/٤/٣٠) باسلوب السناتور مكارثي السيء الصيت ، الذي كان يعمد الى نشر مقتطفات مشوهة من وثائق سرية دون ذكر تواريخها لتشويه سمعة خصومه السياسيين وتحطيمهم. وثانيا خضوع « المعتدلين » في اسرائيل لارهاب المتطرفين الفكري . وتمثل هذا هنا في تراجع بنبنستي عن موقفه الوارد في المذكرة، رغم هزالته منوجهة النظر العربية. اذ انه صرح في مجلس البلدية فيالجلسة التيعقدها المجلس بتاريخ ٧١/٥/١ بانه لو طلب منه ابداء الراي اليوم لما اقترح ما أورده في المذكرة التي كتبها عام ١٩٦٨ لانه « منذ ذلك التاريخ تغيرت امور كثيرة » .

اخبار الاحزاب : وعلى صعيد الحياة الداخلية للاحزاب كان أبرز ما حدث اعلان أرييه الياب سكرتير حزب العمل عن عدم رغبته في تجديد ترشيحه لمنصب السكرتارية دورة اخرى ، وطرح مناحيم بيجن زعيم كتلة جاحال موضوع توحيد الحزبين المكونين للكتلة ، ووفاة بن مئير أحد زعماء المفدال البارزين ، وتفاقم الخلاف في قيادة هعولام هزه ــ قوة جديدة ، وحل اشكال رئاسة بلدية الناصرة.وقد جاء قرار الياب بترك منصب السكرتير العام لحزب العمل مفاجئا لاعضاء الحزب ، اذ انه تسلمه قبل سنة ونصف فقط ، وبذل جهدا كبيرا للفوز به . وخلال عمله كسكرتير اكتسب احترام قطاعات واسعة من أعضاء الحزب ، رغم الخلافات التي سادت بينه وبين مئير والمتطرفين قبل فترة من الوقت بسبب رأيه من المسألة الفلسطينية . ولم يكن احد ليشك في فوزه بالمنصب مرة اخرى بدون منافسة فيما لو أعلن تجديد ترشيحه له . وقد حاول عدد كبير من زعماء الحزب ثنيه عن القرار الا انه أصر عليه . وفسر عدم رغبته في تجديد ترشيحه بعزمه على العودة لمتابعة الكتابة والبحث والتدريس ، ونفى كل الاقوال التي ذكرت انه استقال لعدم رضائه عن السياسات المتطرفة للحزب ، التي تجلت في انتقاد المتطرفين له لاعلانه عن اعترافه بوجود « هوية فلسطينية » ، وفي الخطابات المتشددة التي القاها المسؤولون عن رسم سياسات الحزب في مؤتمره الاخير ، والتي يقال بأنها جاءت مخالفة « لاتفاق جنتلمان » بين اعضاء الحزب ، بألا يطرح الصقور آراءهم بتطرف ، مقابل امتناع « الحمائم » عن طرح آرائهم بالمقابل . وهناك اوساط تفسر ترك الياب لمنصب السكرتير العام بطموحه لان يصبح وزيرا ، اذا ارتأى حزب العمل استخدام حقه في اضافة وزير جديد للوزارة .

وفيما أظهر حزب العمل في مؤتمره الاخير تماسكا واضحا بين الكتل المكونة له ، دعا مناحيم بيجن، زعيم حركة حيروت في كتلة جاحال ، يوسف سابير ، زعيم حزب الليبراليين شريك حيروت في الكتلة ، الى بدء محادثات معه لدمج الحزبين . وقد أعلن سابير عن استعداده للبحث في الموضوع ، رغم عدم اخفائه لاستيائه من هذه الدعوة ، واعلانه بأن اغلبية الليبراليين تفضل عدم الاندماج ، وبقاء التعاون بين الحزبين في شكله الحالي ، المتمثل بكتلة جاحال . ويعود سبب استياء سابير الى شعوره بأن بيجن طرح فكرة الدمج في هذا الوقت بالذات لدعم موقف الجناح المنافس لمجموعة سابير داخل الحزب الليبرالي بمناسبة اقتراب موعد عقد مؤتمر الحزب ، الذي تحدد موعدا له الاسبوع الاول من ايلول القادم . ويدعو الجناح المنافس لسابير ، بزعامة ي. سرلين وز. تسيمرمان ، الى دمج الحزبين قبل انتخابات الكنيست الثامنة القادمة .

وكانت وفاة ي. ش. بن مئير ، زعيم الجناح المدعو جناح (ب) في حزب المفدال ، وهو حزب المتدينين ، في اوائل ابريل ، صدمة عنيفة لاعضاء الحزب ، الذي يعاني من أزمة داخلية حادة بسبب الخلاف بين الاجنحة المختلفة المكونة له ، وهو خلاف استفحل بعد وفاة حاييم شابيرا ، الشخص الاقوى في حزب المفدال . ويجد زعماء الحزب الحاليون صعوبة في ضبط اعضاء الحزب في الكنيست ، ويسود شعور في اوساط المراقبين السياسيين بأن حزب المفدال يشبه سفينة فقدت

ربانها ، ويتوقعون حدوث تبدلات في موازين القوى داخله .

وفشلت اللجنة التي شكلها مركز حركة هعولام هزه — قوة جديدة في تحقيق مصالحة بين زعيمي الحركة المختلفين فيما بينهما ، اوري افنيري وشلوم كوهن . وقد نجم الخلاف بشكل رئيسي عن رفض شلوم كوهن التخلي عن منصبه في الكنيست ليحل محله امنون زخروني ، سكرتير الحركة ، بناء على قرار مركز الحركة ، وحسب وعد شلوم كوهن لدى شغله لمنصب الممثل الثاني لحركة هعولام هزه في الكنيست ، باعتبار اوري افنيري الممثل الاول . بل على العكس من ذلك اتسع الخلاف بينهما ودخل ممثل الحركة في اللجنة التنفيذية للهستدروت نعيم جلعادي طرفا في الخلاف ، ورفض هو بدوره الاستقالة من منصبه ، استجابة لقرار مركز الحركة ليحل محله نوعام بلوم . وقد شنت مجلة الحركة هعولام هزه في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٥/١٩ هجوما عنيفا على كوهن وجلعادي واتهمتهما بمحاولة نسف الحركة لخدمة مصالحهما الشخصية .

وتم في الاسبوع الثالث من شهر نيسان اتفاق مفاجيء بين حزب العمل والمفدال حل الاشكال الذي كان قائما بينهما بصدد شغل منصب رئيس بلدية الناصرة العربية . وكان سبب الاشكال هو اصرار حزب العمل على تعيين سيف الدين الزعبي ، نائب رئيس الكنيست ، رئيسا للبلدية ، واصرار المفدال على رفضه . ويبدو أن المفاوضات المضنية التي دارت بين الطرفين ودامت أربعة شهور ، قد اقنعت المفدال بسحب اعتراضه . وهكذا جاء الاتفاق ليقضي بتعيين سيف الدين الزعبي رئيسا للبلدية ، ويعقوب سالم ممثل المفدال نائبا له ، وموسى كتيله رئيس البلدية السابق نائبا له لشؤون التخطيط . ويقول المراقبون بأن قبول سيف الدين الزعبي بمنصب رئاسة البلدية ، بعد ان كان يطالب بمنصب نائب وزير ، فسح المجال للاتفاق بين حزب العمل والمابام على تعيين العضو المابامي عبد العزيز الزعبي ، منافس سيف الدين الزعبي العائلي ، نائبا لوزير الصحة .

احمد خليفة

الثروة الحيوانية

في فلسطين المحتلة

بقلم

خليل ابو رجيلي

تناول مركز الابحاث في دراساته النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية للعدو وأصدر حديثا اول دراسة منصلة ومدعمة بالارقام حول الثروة الحيوانية للعدو في ارضنا المحتلة ليسد بها الفراغ في نقص المعلومات لدى القارىء العربي .

بالعربية ٢ ل.ل.

(٥) المناطق المحتلة

حول موضوع اقامة جامعة في رام الله : كثر في الاونة الاخيرة الحديث في الصحافة العبرية حول موضوع اقامة جامعة في الضفة الغربية ، ولم يكن موضوع الجامعة بحد ذاته هو الذي يقف وراء هذا الاكثار الذي وصل الى درجة الاسفاف ، بل الاطراف المتناقضة ذات الصلة بالموضوع هي التي أججت هذا الحديث ، وجعلته يبتعد عن صلب الموضوع . وقبل التطرق الى موضوع اقامة الجامعة ، ولمعرفة أسباب الضجة التي أثيرت حول هذا الموضوع ، سنحاول تحليل مواقف الاطراف المختلفة ذات الصلة به .

١ ــ السلطة الاردنية : تعارض السلطة الاردنية بكل شدة فكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية لاسباب سياسية ، خشية ان يؤدي هذا العمل الى بلورة « الكيان الفلسطيني »، وبالتالي فصل الضفة الغربية عن الاردن ، ولهذا السبب ايضا تعارض السلطة الاردنية اقامة معامل صناعية في الضفة الغربية . وقد اوضحت السلطة الاردنية ذلك ، مع التهديد ، لمندوبين من الضفة الغربية قدموا الى عمان . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان معارضة النظام الاردني لفكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية ليست بالجديدة ، كما أن فكرة الجامعة ليست بالجديدة أيضا ، وليست وليدة الاحتلال الاسرائيلي ، بل تعود الى عام ١٩٥٢ عندما قدم اقتراح في ذلك الوقت بواسطة انور نسيبة الذي شغل عدة مناصب في النظام الاردني ، الى سلطات الاردن باقامة مؤسسة اكاديمية في الضفة الغربية لاستيعاب خريجي المدارس الثانوية ، الا ان الحكومة عارضت لاسباب سياسية هذا الاقتراح ، ورأت انه اذا كان الامر يتطلب اقامة جامعة ، فانه من الواجب اقامتها في عمان .

٢ ــ سلطات الاحتلال الاسرائيلية : يتسم موقف سلطات الاحتلال الاسرائيلية بالتأرجح والتذبذب بين قبول الفكرة ومعارضتها ، فالسلطات الاسرائيلية تسعى من وراء قبولها الى اظهار مدى تسامحها تجاه عرب المناطق المحتلة ، وبالتالي ابراز صورة حكمها في انظار العالم بالشكل الحسن ، في محاولة منها لتخفيف وطأة الاحتلال ، واستدامته . الا انها من الناحية الاخرى ، وهذا ما يفسر التذبذب في موقفها ، تخشى ان تتحول الجامعة الى « بؤرة تحريض ضد الوجود الصهيوني » . ولهذا السبب نرى موقف يجال الون نائب رئيسة الحكومة ووزير الثقافة والتعليم يتأرجح تجاه هذا الموضوع حين قال في اوائل شهر فبراير عند زيارته لمدينة نابلس: « ان حكومة اسرائيل لن تعارض اقامة جامعة في الضفة الغربية ... وستقام هذه الجامعة على أيدي العرب ومن أجل العرب ومن نقود العرب » (معاريف ٧١/٤/٢) الا أنه عاد ووضع شرطا يتناقض مع طبيعة الاشياء ، « بأن لا تكون هذه الجامعة بمثابة بؤرة تحريض ضد اسرائيل » . وكان وزير الدفاع موشيه ديان هو الاخر قد صرح قبل يجال الون ، أمام نفر من رجالات الضفة الغربية أنه على استعداد ان يدرس « بعطف وتقدير » الاقتراح الداعي لاقامة مؤسسة اكاديمية في الضفة الغربية دون أن يتعهد بالموافقة سلفا على الاقتراح . ولكن « عطف وتقدير » وزير الدفاع تجاه هذا المشروع يتناقض تماما مع موقفه القديم المعروف تجاه المثقفين العرب الموجودين في فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ عندما قال في احدى المناسبات انه « كان يتمنى لو أن هؤلاء العرب بقوا حطابين ونشالي مياه » .

٣ ــ الزعامة التقليدية في الضفة الغربية : يمكن تصنيف هذه الزعامة من زاوية الدعوة لاقامة الجامعة الى جناحين : اولا ، الداعون الى اقامة الجامعة . ثانيا ، المعارضون لاقامتها . ويعتبر الجناح الاول وهو صاحب الفكرة ، من أنصار الدعوة الى « الكيان الفلسطيني » ولهذا السبب تعثرت فكرة اقامة الجامعة ودخلت في متاهات سياسية ، واصبح ينظر اليها من خلال شخصيات انصارها الذين يعتبرون من أنصار « الكيان الفلسطيني » وليس من خلال الفكرة بحد ذاتها. ويقف على رأس هذا الجناح المحامي عزيز شحادة المعروف بدعوته الى الكيان الفلسطيني . وقد اكتسبت دعوة المحامي عزيز شحادة لاقامة جامعة في الضفة الغربية شخصيات اخرى من الضفة ، وان كانت هذه الشخصيات تختلف معه حول فكرة الكيان الفلسطيني ، مثل رئيس بلدية نابلس سابقا حمدي كنعان الذي يتذبذب موقفه تجاه السلطة الاردنية بين تأييدها والوقوف في وجهها ، ومثل

رئيس بلدية الخليل الشيخ محمد علي الجعبري المعروف بتملقه للسلطات الاردنية قبل حرب الايام الستة ، وبتحويله هذا التملق ذاته للسلطات الاسرائيلية بعد الحرب .

أما الجناح الثاني الذي يقف في وجه فكرة اقامة الجامعة فانه يتشكل من الزعامة التقليدية التي لا زالت على ولائها للسلطات الاردنية وان اختلفت نسبة الولاء بين هذا او ذاك « ومن بينهم حاكم القدس سابقا أنور الخطيب . ومفتي القدس سعد الدين العلمي ، والرئيس السابق للبرلمان الاردني حكمت المصري من نابلس ، وعبد الرحيم الشريف من الخليل ، وعبدالرؤوف الفارس من طولزه » . وتقول صحيفة معاريف (٧١/٣/١٥) : « ان العزف على وتر القومية العربية هو الذي يوجه اولئك الذين يعارضون اقامة الجامعة » . ولكن هذا الجناح المعارض ، لا يبدي نشاطا ملموسا لمعارضته ، بل يكتفي بالتزام موقف سلبي تجاه الدعوة لاقامة الجامعة. بينما الجناح الاول صاحب الدعوة ، يقوم بنشاط واسع وكبير من أجل استقطاب معظم رجالات الضفة الغربية الى جانبه، ويحاول في نفس الوقت ابعاد الامور السياسية ، والمواقف السياسية لاصحاب الدعوة ، عن فكرة اقامة الجامعة « لان الحاجة لاقامة جامعة في الضفة » — كما يقول المحامي عزيز شحادة — ليست نابعة من اعتبارات سياسية ، فهنالك صعوبات تقف امام قبول خريجي المدارس الثانوية في المعاهد العليا في الدول العربية » ويضرب مثلا على ذلك بقوله انه يوجد في رام الله لوحدها ٤٠٠ شاب يودون الالتحاق في المعاهد العليا في الدول العربية ، غير ان هذه المعاهد لم تقبل الا عشرة أشخاص ، ولا يزال ٣٩٠ شابا ينتظرون ... (معاريف ٧١/٤/٢) . ويشكو الداعون الى اقامة الجامعة في الضفة ، من « ان جامعات القاهرة تخصص عددا محدودا من الاماكن للطلبة الفلسطينيين » ، وكذلك من العراقيل التي تضعها الجامعة الاردنية في وجه ابناء الضفة الغربية بعد مجزرة ايلول .

والحقيقة ان اوضاع خريجي المدارس الثانوية ، القاسية، في المناطق العربية المحتلة تعزز من موقف انصار فكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية ، فقد أظهرت دراسة أعدها الدكتور سليم ناشف مدير مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم « ان عدد خريجي المدارس الثانوية في الضفة الغربية وصل في عام ١٩٧٠ الى ٦٢٦٦ طالبا بزيادة حوالي ١٥٠٠ طالب عن ١٩٦٩ ، وحوالي ٣٠٠٠ طالب عن ١٩٦٨ . اما خريجو المدارس الثانوية في قطاع غزة لعام ١٩٧٠ فقد بلغ ٦٨٥٧ » . واظهرت الدراسة أيضا ان حوالي ١٠٠٠ طالب من الضفة الغربية يتلقون دراستهم اليوم في جامعات الدول العربية. وفيما يتعلق بعدد طلبة القطاع فقد أعطت الدراسة ارقاما دقيقة « ١٠٣١ طالبا في جامعات مصر و٤٢٠ في جامعات بقية الدول العربية » .

من خلال هذا الواقع القاسي الذي يمر به خريجو المدارس الثانوية في المناطق العربية المحتلة ، انطلق دعاة فكرة اقامة جامعة في الضفة ، وقد اجتذبوا الى جانبهم عددا كبيرا من شخصيات الضفة الغربية ، الا ان هؤلاء واجهوا مشكلة المكان الذي ينبغي ان تقام فيه الجامعة ، فقد حبذ رجال نابلس ان تبنى الجامعة في مدينتهم بينما حبذ رجال القدس والمنطقة الجنوبية من الضفة ان تشاد في بلدة بير زيت بالقرب من رام الله الى ان استقر الرأي بالاجماع على ان تبنى في بير زيت . غير أن المشكلة الاساسية التي واجهت أصحاب الدعوة تتمثل في مدى جدية استعداد السلطات الاسرائيلية للموافقة على مبدأ الفكرة . فقد اتضح فيما بعد ان الضوء الاخضر الذي اعطاه كل من الون وديان لدعاة الفكرة ، بدأ يتحول رويدا رويدا الى ضوء احمر . ويعود ذلك الى تخوف الحكومة الاسرائيلية من ان تتحول الفكرة الى واقع بسبب النشاط الواسع الذي يقوم به انصار اقامة الجامعة ، والحاجة الماسة التي يفرضها الواقع المرير لخريجي المدارس الثانوية ، لانشاء مؤسسة دراسية عليا تستوعب هؤلاء الخريجين ، فسلطات الاحتلال الاسرائيلية كانت تتصور ان الفكرة حول اقامة جامعة في الضفة ستكون ميدان صراع بين السلطات الاردنية والزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، يخرج النظام الاردني منه في نهاية المطاف بقصبة السباق ، ومن الافضل لسلطات الاحتلال، من خلال هذا التصور ، ان ترسم لنفسها صورة أمام الرأي العام توحي بأنها مؤيدة للفكرة . الا ان هذا التصور لم يكن في محله ، فقد تمكن انصار فكرة اقامة الجامعة من تجنيد عدد كبير من ابناء الضفة الغربية وكذلك من قطاع غزة ، واداروا ظهرهم لمعارضة السلطة الاردنية حين اعدوا عريضة وجهوها الى سلطات الاحتلال الاسرائيلية لكي تسمح لهم باقامة الجامعة . ومن الجدير بالذكر

هنا ان القائمين على هذه الدعوة لا يريدون من سلطات الاحتلال اية معونات مادية او بشرية من اجل اخراج فكرتهم الى حيز التنفيذ ، بل يسعون للحصول على شيء واحد فقط : السماح بالتنفيذ. عندما اصر اصحاب الدعوة على مطلبهم بتوجيه عريضة الى سلطات الاحتلال الاسرائيلية للحصول على موافقة رسمية من قبلها، اخذت هذه السلطات تماطل الامر الذي دفع اصحاب الدعوة الى المطالبة بعقد مؤتمر عام يحضره ممثلون عن الضفة الغربية وقطاع غزة لدراسة موضوع اقامة الجامعة ، واتخاذ قرار حاسم تجاه هذا الموضوع . عند ذلك تحركت سلطات الاحتلال الاسرائيلية لافشال المؤتمر ، فوضعت شرطين لعقده . الاول : عدم اشتراك مندوبين عن قطاع غزة في المؤتمر . الثاني: اقتصار المؤتمر على رجال السلك التعليمي في الضفة الغربية . ولا يخفى على احد ان الشرط الثاني ، ينسف تعهدات الون وديان لشخصيات الضفة الغربية ، خاصة وان رجال السلك التعليمي في الضفة الغربية الذين اشترطت سلطات الاحتلال الاسرائيلية اقتصار المؤتمر عليهم ، لا يستطيعون بحكم مصالحهم الذاتية معارضة النظام الاردني ، فهؤلاء لا يزالون يتلقون معاشاتهم من الخزينة الاردنية ، ولو حدث ان خالف البعض رأي عمان لعرض لقمة عيشه للخطر . ولعل هذا الواقع هو الذي حدا بالسلطات الاسرائيلية الى اتخاذ هذا الشرط .

وقد عقد المؤتمر في ٧١/٤/٥ في دار المعلمات في رام‌الله بحضور ٢٥ شخصا من افراد السلك التعليمي « لبحث المكان الذي ستقام فيه الجامعة ومصادر التمويل » (معاريف ٧١/٤/٦) وبعد مداولات استغرقت اربع ساعات قرر المؤتمرون تشكيل لجنة مكونة من ١١ شخصا للعناية بشؤون التعليم في الضفة الغربية دون ان يتطرقوا الى موضوع الجامعة .

حادثة بيت جبرين و« قوات الرعب » : من ابرز الاعمال الفدائية التي وقعت مؤخرا في الضفة الغربية عملية بيت جبرين التي اعادت الى الاذهان فترة المد في النشاط الفدائي الذي بلغ ذروته في عام ١٩٦٩ ، تلك الفترة التي لقي فيها عدد من كبار الضباط الاسرائيليين مصرعهم . ففي حادثة بيت جبرين التي وقعت في ٧١/٤/٢٠ لقي اربعة ضباط اسرائيليين مصرعهم ، واصيب ثلاثة آخرون بجراح على اثر ارتطام سيارة عسكرية اسرائيلية بلغم غرسه الفدائيون العرب . وهؤلاء القتلى هم (١) العقيد « مردخاي نديبي » الذي كان يشغل في الاونة الاخيرة منصب قائد الدفاع المدني في منطقة دان ، وعمل قبل ذلك كمدرس في كلية القيادة والاركان ، كما اشترك في العدوان على الضفة الغربية كقائد كتيبة (٢) المقدم بيرتس عوري (٣) الرائد مردخاي لوستيج (٤) الملازم (احتياط) باروخ روزن . ومن ناحية اخرى اعلنت سلطات الاحتلال عن اكتشافها لعدد من الخلايا السرية في الضفة الغربية ، من ابرزها تنظيم سري في نابلس يدعى «قوات الرعب» الذي يتميز بأن معظم افراده من النساء والفتيات . وقد نشطت قوات الرعب التي تستهدف«التصدي للاحتلال الصهيوني والحفاظ على شرف المرأة العربية » في توزيع المناشير المناوئة للاحتلال الاسرائيلي ، وفي تلقي التدريبات على استخدام الاسلحة والمواد المتفجرة . ومن بين اللواتي ألقي القبض عليهن بتهمة الانتماء الى هذا التنظيم ابتسام عميرة وهيام محمد احمد وانصاف شبارو ونعمت احمد .

« السياسة الجديدة » في قطاع غزة : على اثر الاعمال المشينة و« الفظائع » التي ارتكبتها قوات الاحتلال الاسرائيلية في شهر يناير من هذا العام ، تتويجا لسياسة العقاب الجماعي التي ابتدعها وزير الدفاع موشيه ديان ، وعلى اثر ردود الفعل الغاضبة بين اوساط الراي العام العالمي وحتى بين اوساط مستنيرة في اسرائيل ، وصمود شعب القطاع ، هذا الصمود الذي ارغم احد الضباط الاسرائيليين من بين اولئك الذين اشتركوا في حملة يناير الى الاعتراف : « انني افضل الاشتراك في خمس حروب على ان اشترك مرة اخرى في نسف منزل عربي واحد في غزة » (معاريف ٧١/٤/٩) على اثر ذلك كله وجدت السلطات الاسرائيلية انها مضطرة لتغيير سياستها المعلنة تجاه قطاع غزة واتباع « سياسة جديدة » .

ففي مطلع شهر ابريل من هذا العام اقدمت السلطات الاسرائيلية على استبدال قائد قطاع غزة وشمال سيناء الزعيم الثاني مناحيم ابيرام « بالزعيم الثاني يتسحاق فونداق » كما والحقت هذا الاستبدال بسلسلة من التغييرات على جهاز الحكم العسكري بغية اعادة تنظيمه من جديد وملاءمته بالجهاز العسكري في الضفة الغربية . وبمقتضى هذه التغييرات تم الفصل بين الموضوع الامني والموضوع المدني الامر الذي ادى الى

خلق قيادتين في القطاع الاولى «قيادة قوات الجيش الاسرائيلي لقطاع غزة وشمال سيناء » يقودها «ضابط كبير» يخضع مباشرة لقيادة المنطقة الجنوبية التي يقف على رأسها الزعيم « اريك شارون » ومسؤوليتها الحفاظ على الامن ، والثانية « قيادة منطقة قطاع غزة وشمال سيناء » ، يرأسها الزعيم الثاني « يتسحاق مونداق » ، ومسؤوليتها الاعتناء بالشؤون المدنية .

وترمي السلطات الاسرائيلية من وراء ذلك الى ان ينشط كل جهاز في مجاله ، حيث يقتصر نشاط القيادة الاول على مطاردة رجال المقاومة بينما تنشط القيادة الثانية في تقديم الخدمات للمدنيين، على أمل ان تؤدي عملية الفصل هذه في الاجهزة الى عزل المقاومة عن الشعب ، وبالتالي تصفيتها ، غير أن القائد السابق للقطاع ، الذي اكتسب خبرة عشرين شهرا من العمل هناك يعارض عملية الفصل لانه يرى « ان المشاكل العسكرية والمدنية في القطاع متشابكة ، ولا يمكن الفصل بينها » واشار الى « ان المنظمات الارهابية في القطاع منظمة بشكل سري ، وتعتمد على الرغبة القومية الجامحة التي تختلج في صدور السكان المدنيين » (معاريف ٧١/٤/٢) . ومع ادراك المؤسسة العسكرية لوجهة نظر القائد السابق الا انه يبدو انها وصلت الى قناعة بأنه من غير الممكن الاستمرار في « سياسة اليد القوية » التي انتهجتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي تجاه القطاع قرابة اربعة اعوام ، والتي كانت نتائجها بعكس ما تتوخاه تلك السلطات. ولذلك قررت انتهاج سياسة اخرى شبيهة بالسياسة المتبعة في الضفة الغربية .

ما هي ملامح هذه السياسة الجديدة ؟ تقول صحيفة هآرتس (٧١/٤/٢٨) : « ان السياسة كما تبدو اليوم ، هي معالجة اوسع في منح خدمات للمواطنين وفي تنفيذ اعمال تطوير في مدن القطاع . وكذلك البدء باعمال اجتماعية تشمل عرض افلام في المدارس والمستشفيات ، وتنظيم رحلات من غزة الى اسرائيل ، واقامة مكتبة متنقلة في القطاع ، وانشاء عشرات من ميادين الملاهي في مدن القطاع . وكذلك ايجاد عمل لكل عاطل عن العمل خاصة لاولئك الذين يتسكعون طيلة اليوم دون اي عمل . ومن الطبيعي أن هؤلاء ينجذبون الى الاعمال التخريبية اكثر من الاخرين . كما ويبدو انه ستدرس امكانية اصدار صحيفة في قطاع غزة ، كما هو الحال في الضفة الغربية ، ذلك لان السكان في القطاع معزولون تماما عن الاحداث التي تقع هناك ويستقون الاخبار من خلال اجهزة الراديو والتلفزيون التي تكثر من الحديث حول اعمال التخريب .. » . ومن اجل تخفيف عبء هذه السياسة الجديدة عين القائد الجديد لمنطقة قطاع غزة وشمال سيناء مساعدين له ، الاول يتقن اللغة العربية ويلم جيدا بمشاكل القطاع ، سيكون مسؤولا عن الصحة والشؤون الاجتماعية ، بينما المساعد الثاني سيكون مسؤولا عن شؤون التطوير والاسكان والزراعة .

غير ان هذه السياسة الجديدة التي تحاول السلطات الاسرائيلية اضفاء روح التسامح عليها تحمل بين طياتها اخطارا جسيمة ونوايا مبيتة تفوق اخطار سياسة « اليد القوية » التي ورثتها. وقد كشفت صحيفة معاريف عن هذه الاخطار اثناء تطرقها لهذه السياسة الجديدة بقولها : « انه سيكون من الممكن ، مثلا ، نقل ما بين ١٠٠ — ١٥٠ الف لاجيء من القطاع الى مخيمات اللاجئين الخالية في الضفة وتوطينهم هناك ، وبذلك تقل الكثافة السكانية في القطاع ، مما من شأنه ان يؤدي الى تطوير نشط في المجال الصناعي ، لايجاد عمل دائم الى ٧٠ — ١٠٠ الف لاجيء الذين سيبقون في القطاع » واضافت : « ان هذا التوزيع للقوى البشرية في اماكن قريبة من المراكز الصناعية في البلاد بوسعه ان يحل المشكلة . ويمكن لهذه العملية ان تتم بسهولة عندما يكون هنالك تنسيق تام بين الضفة والقطاع ... » . ومع ذلك ، وبالرغم من كل الامال التي تعلقها اسرائيل على ما تسميه « بالسياسة الجديدة » في القطاع فان الالتحام المستهدف بين الشعب والمقاومة يبقى العنصر الاساسي لافشال مخططات سلطات الاحتلال الاسرائيلية . وقد برهن هذا الالتحام عن وجوده بعد اسبوع واحد من اعلان تلك السياسة ، حين خرجت جماهير مخيم جباليا للاشتراك في تشييع جنازة اربعة من الفدائيين استشهدوا في معركة مع قوات الجيش الاسرائيلي داخل المخيم . فقد تحولت المسيرة الجنازية الى مظاهرة ضد قوات الاحتلال ، وحاولت قوات الاحتلال التدخل في هذه المظاهرة الا « ان النساء اللواتي يتملكهن الغضب قمن برجم رجال الدورية الاسرائيلية بالحجارة ». وتقول صحيفة معاريف (٧١/٤/٨) « وفي غضون ذلك سمعت طلقات نارية من قبل الفدائيين » !

مراجعات

Mona Saudi, InTime of War: Children Testify
(Beirut, Mawaqef and P. F. L. P., 1970).

« شهادة الاطفال في زمن الحرب » ، ليس كتابا يتناول احد اوجه القضيـــة الفلسطينية بالمعنى المتعارف عليه منذ زمن ، غير أنه حري بالاهتمام شأنه شأن اكثر الكتب اتصالا بواقـــع الشعب الفلسطيني ونضاله في اسخن مراحله في التـــاريخ المعاصر . انه « ألبوم » غني بأكثر من مئة صورة رسمت بأقلام اطفال المخيمات والوانهم ، يعطينا اول فرصة « لقراءة » افكار اطفال النزوح الثاني عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ومعركة الكرامة وما تلاها من زخم نضالي ، ولان الاطفال ، عندمـــا يودون أن يقولوا شيئا فأنهم يرسمون ، فـــأن الكتاب ــ الالبوم ، يقدم لنا بلغة الطفولة نتفا مما قالوه في الحرب والنزوح ، وفي حياة المخيم اليومية، في الفدائي، ولا ينسى الاطفال ان يرووا ايضا حكاياتهم الصغيرة الاخرى، بالزخرفة واللعب والتلوين . لذلك يمكن القـــول ، ان اطفـــال المخيمات ، عبر كتاب منى السعودي ، قد أوصلوا اصواتهم عاليا هذه المرة باللغة التي تروق لهم ، وكم هو مبهج ذلك الصدى الذي تلقاه اينما وصلت هذه الاصوات النزقة ، اذ انني ، في حدود ما اتصل بي ، قد رأيت نتفا منها في صحف فرنسية والمانية وامريكية ، بالاضافة الى مـــا تداولته الصحف العربية ، وهو ليس بالقليل .

مع ذلك فان الكتاب ، بأهميته الاستثنائية ، لا يخلو من بعض اوجه القصور وبعض الثغـــرات والاخطاء سوف نتناولها في سيـــاق ملاحظاتنـــا التالية :

١ ــ يخلو الكتاب من ايـــة دراسة او ملاحظات مفيدة حول تجربة جمع رسوم الاطفال الفلسطينيين وعرضها ، ويبدو ان هذا لم يكن في نية منـــى السعودي اذ تكتب « ليس هذا الكتاب بحثا او دراسة لفن الاطفال ، انه وثيقة وضعها الاطفال الفلسطينيون برسومهم واحاديثهم » (ص ١٤) . غير ان هذا لا يعفي الكتاب من قصوره من تقديم هذه الرسوم ضمن اطار تجربة اكتسبت مدلولات اجتماعية ونفسية وسياسية وثقافيـــة في حقبـــة تاريخية هامة ، اذ لا يكفي ان يردد لسان حال « الرسوم تفسر نفسها بنفسها » لتدفع عن انفسنا مهمة استخلاص جملة من النتائج نحن اقدر على صوغها بحكم اتصالنا بالتجربة ، والتي قد تقدم اساسا اوليا للمعنيين والمهتمين بدراسة رسوم الاطفال(١). وحتى المقدمة التي صاغتها محرر الكتاب ، قاصرة جدا عن ايفاء هذه المهمة ، فهي مشوشة ، رومانطيقية ، ذاتية ، عبقت مشاعر « رحلة » ولا تقدم أوليات منهج للتجربة ، كـــأن تقول « في اليوم الاول استقبلوني بالشتائم وعبارات الاستهزاء : « نحن لسنا للفرجة ، روحوا اتفرجو على شيء آخر » . خجلت منهم وكدت اعتذر . بعد ايام عرفوني وعرفتهم . نبتت بيننا صداقة » (ص ١٤ ، ١٦) . واذ تتحدث كيف تخاطف الاطفال الورق واقلام التلوين تقول « كانت أصابع الالوان تتحول بين أيديهم الى سكاكين حادة ، وكانت بهم رغبة عنيفة لحفر ذكرياتهم بكل كثافتها الحقيقية : فالحرب لم تكن حلما عاديا ، كانت حلما حقيقيـــ

---

١ ــ اقول هذا بوصفي قـــد شاركت منى في التجربة حتى عرض هذه الرسوم في مخيم البقعة في الاردن (٢١ ــ ١٩٦٨/١١/٢٤) ، ولعل هذا يطرح احد أوجه الخلاف بيننا ، اذ غالبا ما تنظر منى الى هذه الرسوم من منظار جمالي بحت ، فيما يفترض فينـــا ، ان نراها داخل اطارها الاجتماعي العام ايضا . وقد انعكس هذا على نهج كل منا في رؤية هذه الرسوم ، فاكتفت هي بعرض هذه الرســـوم ، وانصرفت شخصيا الى دراسة هذه الرسوم من جوانب متعددة . وعلى الرغم مـــن ان دراستي قيد النشر الا انني رغبت دومـــا في أن تقدم منى سعودي وجهة نظرها في هذه الرسوم . وهـــو ما كان مطلوبا منا بصورة خاصة (راجع تقديم د. صادق العظـــم للمعرض في كلمة نشرت في جريدة « الثورة » الدمشقية الصادرة في ١/٣/ ١٩٦٩) .

سكنه ازيز الطائرات ، ملونا بدماء الناس » غير انها بعد هذه الجملة البليغة حقا تصطنع موقفا محايدا فتقول « لم اطلب منهم التعبير عن مأساة الحرب ، كان هذا آخر ما يهمني » لماذا ! لانها تريد ان تقول « تركت لهم حرية التعبير » (ص ١٦) .

غير أن ثمة فقرة يتيمة تكاد توضح ما ارادته من التجربة « كنت اريد من خلال الرسوم معرفة مدى تأثير الظروف القاسية التي مروا بها والتجارب المريرة التي عاشوها ، ومدى وقع المفاجأة التي فاجأهم العالم بها وتأثيرها في طاقاتهم الابداعية » (ص ١٨) . غير أنها تظل فقرة مبهمة غامضة . خلاصة القول ان « المقدمة » ، تقف عند حدود الوصف الانشائي الجميل ، قافزة عن منهج موضوعي يثبت الفقرات المتفصلة ، المكتفية بذاتها ، عن سابقاتها ولاحقاتها ، جامعة ما بين فقرات مثالية، وجودية (« كيف يستطيع الصغار أن يسخروا من لعب الكبار ! » من هم الكبار مثلا ! واضعة بذلك هموم أطفال المخيمات المزدوجة في مصاف هموم « الامير الصغير ») وفقرات تبشيرية ، استنهاضية : « ولد الالم . صار الحزن يقطر من قلوب الناس . انطلق غضب حاد ، وفي قلوب الاطفال والفقراء ولد فعل الرفض ، حمل الانسان المشرد بندقية معلنا ارادته ، تحولت خيمة اللاجىء الى خيمة ثائر . لم يعد الطفل الفلسطيني اللاجىء الفقير المسكين ، طفل وكالة الغوث ، بل أصبح ولادة جديدة في العالم العربي ، انطلاقة تحمل الكثير من الامكانات والطاقات الخلاقة ! » (ص ٢٠) وكان ممكنا ، ما دامت منى قد اختارت أن تكون مقدمتها على هذا النحو ، ان تضع « مدخلا » يقدم الملاحظات الضرورية لكل باحث تهمه هذه الرسوم .

٢ — لم يكتف الكتاب برسوم الاطفال ، اذ استنطقتهم منى السعودي بلغة محكية ، في محاولة لاستكمال « شهادتهم » . غير أن هذه المحاولات تكون غالبا محفوفة بالمخاطر ، وعلى الاقل فان تجربة منى لاستخلاص شيء من أفواه اطفال المخيم لم تنته الى نتائج يركن الى قيمتها . ويعود هذا الى أن طبيعة اللغة المنطوقة عند الاطفال تتباين مع « لغتهم » الشكلية ،وهذا هو سر رسوم الاطفال وقيمتها الحقيقية ، فالتعبير بالكلام « عن » يتعلمه الطفل من الاسرة ، من المدرسة ، ومن الوسط الاجتماعي ، فيما يفترض ان الرسم والتخطيط فن يتعلمه الطفل من تلقاء نفسه ، مستمدا مع تقدم نموه رموزه وقيمه من الوسط الاجتماعي(٢). لذلك نجد تعامل الطفل مع الالوان والخطوط والاشكال اكثر نقاء وعفوية وصدقا من تعامله مع اللغة المنطوقة ، التي كثيرا ما تتضمن مواقف نساضجة لفظيا دون أن يطابقها نضج موضوعي « ذهنيا وسيكلوجيا وخبرة » اذ غالبا ما « تتسرب » الى لغته كلمات وعبارات اشبه ما تكون بالكليشهات اللفظية يتعلمها الاطفال بالتكرار من الكبار في مراحل نمو الطفل المبكرة ، اي مرحلة اكتساب اللغة وتعلمها وما يتلوها .

صحيح ان ثمة عبارات ينطقها الطفل ، تتضمن عبقرية خاصة ، كما يشير الى ذلك كارل ياسبرز، الا أنه ينبغي عدم تعميمها بصورة تعسفية . وليس عبثا ، ان تنشأ مدرسة كاملة في ميداني علم النفس التجريبي والاختباري قائمة على اتخاذ رسوم الاطفال أداة لقياس الذكاء عند الاطفال وليس على « كلام » الطفل او لغته(٣). لذلك ، فانه لا يعتد كثيرا بما استنسخته منى من اقوال الاطفال في المخيم ، فيما عدا القليل الذي تضمن « لغة » طفولية حقيقية . لنأخذ امثلة مقارنة من الكتاب :

---

٢ — أقول : « يفترض » ان الرسم والتخطيط فن يتعلمه الطفل من تلقاء نفسه ... ، لان ما يحدث عمليا في المدارس العربية عكس ذلك ، اذ يجري استخدام طريقة الامشق ، اي وضع نماذج محددة امام الطفل ليرسمها ، ويكون معيار الجودة في الرسم الدقة والاتقان في نقل النموذج، او تلوينه . وهذا طبعا مغاير لطبيعة الطفولة ومتطلباتها ، وقد أشرت الى هذه الظاهرة — في نطاق تجربتنا مع اطفال مخيم البقعة ، وكيف تخلصنا منها — في الدراسة التي أعددتها حول هذه التجربة وهي كما ذكرت قيد النشر .

٣ — راجع : مؤسسة هذه المدرسة فلورنس جودانف ، التي وضعت أول اختبار مقنن لقياس الذكاء عند الاطفال من خلال رسومهم ، في كتابها الصادر عام ١٩٢٦ :
Florence Goodenough, *Measurement of Intelligence by Drawinge*, N.Y.: World Book Cc.,1926.
وبالعربية يمكن مراجعة : سيكولوجية رسوم الاطفال (اختبارات رسم الانسان وتطبيقاتها على اطفال البلاد العربية) دكتور مالك بدري . دار الفتح للطباعة والنشر — بيروت ١٩٦٦ .

في رسم يحتل صفحة ٩٢ ، يتضمن عددا من الخيم والطائرات وطفلة ورجال يقفون في صف ، يوجد تعليقات يفترض انها لصاحب الصورة تقول : « النازحون في المخيم يعيشون عيشة شقاء وتعب». « طفلة تبكي للعيش الذي تعيشه في الخيمة الحقيرة » . « رجال في الصف لاستلام المؤن » . « سنرجع اليك يا فلسطين باذن الله واننا لعائدون » .

وهذه الجمل تتضمن تعابير انشائية ، مكتسبة من المدرسة او الوسط الاجتماعي ، وهي ناضجة مقارنة مع طريقة الرسم ، كما أنها مطبوعة بطابع تعليمي ، اذ تكاد تكون الرسوم اشبه بـ Illustrations لهذه الجمل ، او لنقل ان الرسم والكتابة كانا يخدمان بعضهما بعضا بصورة ناضجة ، تحريضية ، وهذا « الفن » لا يقدمه الطفل من تلقاء نفسه بهذه الصورة القصدية الواعية . وبكلمة اخرى ، تعبر هذه الجمل عن نمط من انماط التعبير اللغوي الذي يلقنه الكبار للاطفال بصورة او باخرى . ولو قارنا الكلام السابق بحديث الاطفال عن « القضايا الكبيرة » كما نقله الكتاب لوجدنا اثر المنظمة السياسية في احاديثهم : مصطفى حسين ١١ سنة، يتحدث عن الموت «بسهولة» مذهلة «انها ميتة واحدة» انها سهولة مفزعة كثيرا ما لا نجدها حتى عند الكبار ، بذات اليسر يتحدث عن (ناصر) وعن الحرب النظامية الفاشلة (ص ١١٦) . سمير ١٠ سنوات ، يتحدث عن الجندي اليهودي الذي هاجر من بولونيا « ولا يدري لماذا يحاربنا » وكيف رفض ان يطلق النار على الفدائيين في الكرامة ، ويجيب على سؤال بقوله حول امكانية العيش مع الاطفال الاسرائيليين « ... اذا أرادوا ان يعيشوا معنا بسلام نعيش معهم مواطنين في دولة واحدة ... » (ص ١٤٤ ، ١٤٨) . طلعت ١٤ سنة يروي كيف رفض ان يصبح طبيبا او مهندسا ، وترك المدرسة ليحرر الوطن عن طريق القتال (ص ١٥٨) . صقر ١٤ سنة يتحدث « لقد خلق الانسان وخلقت معه غريزة الدفاع عن النفس، والظلم على عدوه، فهما لا يتفقان في مكان واحد او زمان واحد » (ص ١٦٢) . غيفارا ١٤ سنة يقول في حديث طويل « بدأنا نسمع أجهزة الدعاية العربية الجاهلة الفاشلة . اخذتنا العاطفة ، واعتقد الشعب المشرد ان الجيوش العربية ستعيدنا الى بلادنا ... » (ص ١٧١) . « تحدثت مع اخي الكبير على أن الرجعية كانت السبب في الهزيمة، في ضياع فلسطين منذ البداية ، واقنعته ان الاشتراكية العلمية هي الطريق الوحيد لمعركة التحرير ، فالثورة التي تتخذ الاشتراكية العلمية طريقا تنتصر دائما لان الثورة من مصلحة الشعب الكادح المستغل » (ص ١٧٤ ، ١٧٦) . « أشعر بالسعادة حين افكر بأن حياتي ستكون حياة نضال من اجل تحرير بلدي وليس حياة برجوازية تافهة». « الفلسطينيون لا يحاربون اسرائيل على أساس محاربة اليهود ، بل يحاربون الصهيونية التي هي حركة استعمارية عنصرية ، وهذه الحركة تتجسد في دولة اسرائيل ، نحارب اسرائيل على أنها كيان سياسي عسكري اغتصبت فلسطين وشرد شعبها ... » (ص ١٧٨) .

لاول وهلة ، يبدو وكأن لنا الحق في ان نفخر بأطفال المخيم الذين اصابوا مثل هذا الوعي الثوري والنضج المبكر ، غير أن المسألة ليست بمثل هذه السهولة ، اذ بمكننا ان نلحظ ان الالفاظ والشعارات والافكار والمحاكمات التي تتضمنها هذه الشهادات اوسع من مستوى ادراكهم الموضوعي لها ، انها تتضمن لفظية تتكرر بصورة آلية ، تحكمية ، تلقينية ، ليس عند الاطفال قابلية ادراك ابعادها كما طرحت . لذلك يمكن النظر الى هذه الشهادات على أنها تعكس صورا من الافكار السائدة في نطاق معين ، او ظاهرة اجتماعية محددة ،دون أن تعني ان هذه افكارهم او هذا هو مستوى وعيهم ، وان ترددت على السنتهم . بل نجد في واقع هذه الشهادات شكلا من اشكال مأساة طفولة المخيم ، وان بدت بمظهر ايجابي ، اذ تجسد وجها آخر من اوجه الاضطهاد الذي يعيشه أطفال المنفى ، الذين يحملون فوق ما يتحملون ، يتكلمون عن قضايا اعقد من عالم طفولتهم .

ان النضج السياسي والتنظير — ان جاز لنا أن نسميه كذلك — الذي بدا في الشهادات وجه جديد لطفولة مضطهدة ، بعيدة عن الوطن ، عاشت النزوح من خلال الدماء والجثث المطروحة في الطرقات ، محرومة من مميزات الطفولة : اللعب، ثم اخيرا عليها ان تفهم دروس النضال الوطني والقتال . وبهذا المعنى يتحدث محمود درويش عن طفولته وعن النزوح اذ يقول « كنت ادخل عالم قضايا جديدة ، والتصق بها رغما عني ، مبتعدا بوتيرة سريعة ، من عالم الطفولة ، اذا كان

يعني ما يحظى به الطفل من تفوق وتميز .. » .
لذلك يكون مناسبا ، لو كان الكتاب اقل فخرا بهذا « النضج » المأساوي من خلال شهاداته تماما كما ينصح ولهلم فيولا(٤): « ليس من سبب يدعو الام لان تكون فخورة بطفلها ابن السابعة اذا ما انتج رسوما مثل طفل جارتها ابن العاشرة »(٥). « على المعلم (او المدرسة) ان يسعى كي لا يصبح الطفل راشدا بأسرع مما ينبغي . ومن ناحية اخرى ، من الخطأ ابقاء الطفل في مرحلة نمو مبكرة بصورة مصطنعة ، مرة اخرى المطلوب هو النمو العضوي للطفل »(٦).

٣ — تضمن الكتاب اقتطافات من كتب ودراسات وعن قصائد ، ولا ادري ان كان هذا الخليط من الاقتطافات مناسبا ام لا ، ربما كان التبويب مسؤولا عن اعتقادي بأنه لم يكن ثمة حاجة لاقحامها على هذه الصور .

٤ — تضمنت رسوم الكتاب نماذج متعددة معبرة عن كافة الموضوعات وانماط التعبير التي لمسناها في رسوم الاطفال الفلسطينيين وهذا وجه الغنى في الكتاب . اذ شملت نماذج لانتاج اطفال تراوحت اعمارهم بين الخامسة والرابعة عشرة ، فجمعت بين موضوعات المخيم ، الحرب ، الفدائيين ، الالعاب ، الزهور ، الطائرات ، المنازل ، تدريب الاشبال ، الدبابات ، الطيور ، والزخارف الخ . الا ان تبويب هذه الرسوم ضمن موضوعات ، او اعمار معينة او جنس او ضمن مجموعات مستقلة لكل طفل ، لم يجر اتباعه بصوره منتظمة ، كما ان هناك العديد من الرسوم التي خلت من اسماء اصحابها او من اعمارهم ، وهو ما يعقد اي عمل دراسي لهذه الرسوم . ومن جهة ثانية ، فقد تضمن الكتاب بعض الصور التي كان يستحسن عدم تضمينها الكتاب ، ما دامت هذه المجموعة الصغيرة من الرسوم قد اختيرت من بضعة الاف الصور التي جرى جمعها ، كما هو الحال مع صورتين تحملان توقيع آمنة عبد الغفار ١٤ سنة ، والتي يظهر جليا انهما قد نقلتا من رسوم ناضجة (ص ١٣٠ ، ١٣٣) . كذلك هذا هو حال رسم صالح ٩ سنوات الذي لا يتضمن اية قيمة جوهرية من الوجهة التعبيرية عند الاطفال ، اذ لم يكن ثمة حاجة لتكريس غرض دعاوي عبر رسم فقير كهذا (ص ١٥٧) .

٥ — من العلامات البارزة في الكتاب خطوط فلاديمير تماري الذي تدم لنا مادة مكتوبة بخط طفولي جميل واضح ، لم نره من قبل . وقد غطت رقة خطوطه على الاخراج المشوش للصور والمادة المكتوبة .

ومع ذلك ، فان الكتاب ككل ، يبقى انجازا هاما ، على صعيد قضية نضال شعبنا العربي الفلسطيني الذي اغتنى بتغطية احد جوانبه المهملة منذ زمن ، وعلى صعيد المكتبة العربية التي اغتنت بوثيقة جديدة في ميدان لا يلقى العناية الكافية ايضا : ميدان رسوم الاطفال .

هاني حوراني

---

٤ — ولهلم فيولا ، كاتب بريطاني يعنى بدراسة رسوم الاطفال ، مؤلف كتاب :
"Child Art and Franz Cizek"
وكتاب *"Child Art"*

٥ — W. Viola, *Child Art*, University of London Press Ltd., p. 72.

٦ — المرجع السابق صفحة ٧٩ .

الطلاب في اسرائيل

بقلم

سلمى س. حداد

دراسة حول الطلبة الاسرائيليين : تنظيماتهم ، نشاطاتهم ، مواقفهم من جامعاتهم ومجتمعهم ودولتهم ، تلقينهم العقائدي من قبل الدولة والجيش .

بالعربية ٣ ل.ل.

نشر : مركز الابحاث ، م. ت. ف.

Abdu Wahab al Messiri (ed.), **A Lover from Palestine: An Anthology of Palestinian Poetry** (Washington, Free Palestine Press, 1970).

لما كنت قد قمت في العدد الاول من « شؤون فلسطينية » بمراجعة الترجمة الانجليزية لمختارات من الشعر الفلسطيني ووجدت اذ ذاك لزاما علي ان اتخذ منها موقفا نقديا ، فقد كنت آمل ان استطيع القول أن بين يدينا أخيرا مختارات من الشعر الفلسطيني يستطيع المرء بثقة أن يشير على القارىء الانجليزي بقراءتها . ولكن الحقيقة المؤسفة هي أن هذه المختارات اقل نجاحا من الاولى حتى أنها أكثر منها احتواء على الاخطاء التي تعود الى الاهمال والى عدم الدقة في الترجمة. اخراج « عاشق من فلسطين » جميل بلا ادعاء وهو يملك بعض الميزات عن المختارات الاولى وهي : ان القصائد مرتبة بحسب الشعراء ، وان كل شاعر قد خص بملاحظة عن حياته وان تكن هذه لا تكاد تكون كافية ، وان الاصل العربي يرد على الصفحة المقابلة للترجمة . غير ان العيب الاساسي للكتاب هو الاهمال الذي جمع به ، فمثلا يورد الكتاب الاسماء بالانجليزية بطرق عدة مثل اسم البروة واسم الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي ، في حين ان أسماء الناس يجب ان ترد كما يلفظونها هم . ولا شك ان هناك طرقا مقبولة لكتابة الاسماء العربية باللغة الانجليزية ، ويجب على محرر كالدكتور عبدالوهاب المسيري أن يعرف ذلك فلا يقدم لنا عملا يتسم بالاهمال كما يفعل (وبالمناسبة « أغصان الزيتون » ليست "Leaves of Olives" ولكن "Olive Branches"). ويمكن للمرء ان يعاين اهمال المحرر من أول صفحة من صفحات الترجمة، اذ يبدو في نهاية الصفحة أن القصيدة لا تؤدي أي معنى . ونظرة خاطفة على الاصل العربي تؤكد ذلك ، واذا ما دقق المرء أكثر فانه يجد أن جزءا من القصيدة يرد في الصفحة الرابعة من الترجمة كان يجب ان يرد في نهاية الصفحة الاولى . فماذا اذن يستطيع القارىء الانجليزي الذي لا يعرف العربية أن يفهم من كل هذا ؟ وفي القصيدة الثانية « ماذا طبخت لنا » (What will you cook for us?) فهنا نجد ان الترجمة تذهب بكل الحاح النص اذ تغير الفعل الماضي الى فعل مضارع يدل على المستقبل . وفي هذه القصيدة يقرر المترجم لاسباب لا يعرفها أحد غيره أن لا يترجم الابيات الاربعة الاخيرة في القصيدة — فلماذا اذا يوردها بالعربية ؟ وبالمناسبة فان هذا هو الحال بالنسبة لعدد من القصائد . وفي قصيدة « أبي » لا تعني « وصلى لسماء بلا مطر » (He prayed for a sky that sent no rain) بل (To a Sky..) وهذه مسألة مختلفة جدا .وفي قصيدة «عن الامنيات» لا يعني البيت « كل فجر ولـه موعد ثائر » (And each fighter will see the dawn) ما الذي تعنيه هذه الترجمة بالضبط ؟ اما فيما يتعلق بقصيدة « طائر الرعد » فان الترجمة الانجليزية لا علاقة لها بالاصل العربي (شكرا لله، معظم قراء الانجليزية لا يعرفون العربية !). وحتى في الاصول العربية للقصائد المطبوعة على الالة الكاتبة نجد أخطاء عدة تم تصحيحها بقلم الحبر — وكان يمكن بالتأكيد ان تعاد طباعتها ! وفي بعض الاحيان نجد أنها لم تصحح ، فنرى ان شجرة الزيتون توصف بأنها فارغة بدلا من فارعة . وفي قصيدة « الجواد الجامح » نجد أن تعبير « الجواد الجامح»يترجم حينا (The Proud horse) وحينا آخر (The Stubborn horse) . وفي هذه القصيدة ترجمت « هنا باريس ، هنا بيروت ، هنا موسكو » (There is Paris etc). وفي القصيدة ذاتها نجد ان « الكز صدر جوادك » قد ترجمت (I sput the neck) ولا شك أن الفارس سيبذل محاولة شاقة كي يلكز الجواد في العنق . وفي قصيدة فدوى طوقان « الطرقات الاخيرة » نجد العنوان مترجما (The Last Knock) وهذا يعطي معنى مختلفا جدا ، وكذلك في القصيدة ذاتها لا تعني « بعد ضياعي في الفلوات » (After my loss in the deserts) . وفي قصيدة «لا» لا تعني كلمة «صياح» (Quaking) كما ترد في الترجمة المرة تلو الاخرى ، ولكن يبدو أن المترجم قد خلط بين Quaking و Squawking .وفي قصيدة«القمر بعد ثمانية عشر عاما» لا تعني كلمة «نجوم» (Stones). ان هذه المختارات ملأى بأخطاء كهذه ، ومن الواضح أن بعضها ناجم عن الاهمال المحض ، اما البعض الاخر فناجم عن عدم التمكن من اللغة الانجليزية . وانه لامر مؤسف ان يقدم للقارىء الانجليزي عمل سيء كهذا ، في حين أن القلة من الاعمال الادبية العربية تجد طريقها اليه .

دنس جونسون داڤز

George Jabbour, **Settler Colonialism in Southern Africa and The Middle East**, (Beirut, P. L. O. Research Center, 1970).

« وهل هناك اي فرق حقيقي بين الطريقة التي يحاول فيها شعب اسرائيل أن يحافظ على نفسه بين الشعوب غير اليهودية وبين الطريقة التي يحاول فيها الافريقاني (المواطن الجنوب افريقي من اصل أوروبي) ان يبقى كما هو ؟ »(١) هل هناك، في الحقيقة ، تشابه اساسي بين مختلف الدول التي انشئت على أساس الاستعمار الاستيطاني وعلى استغلال واضطهاد السكان الاصليين الذين بقوا في بلادهم ؟ ان افريقية والبلدان العربية التي عانت من وطأة الاستعمار والامبريالية قاست ايضا من وجود جماعات مستوطنة على اتصال بالقوى الامبريالية ولكن مع الاحتفاظ بديناميتها الخاصة بها . لقد شهدت الجزائر وفلسطين ، وانجولا وموزامبيق وزمبابوي (روديسيه) وناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وجنوب افريقيه وجود مثل هذه الجماعات ، وانه لاكثر من صدفة انه في هذه المناطق بالذات ان موجة انحسار الاستعمار ونيل الاستقلال تأخرا جدا وان النضال من اجل الاستقلال تميز بعنف لم تشهده المناطق الاخرى . وبالاضافة لذلك ، فان هذه البلاد التي تحاذي مناطق السيطرة الاستعمارية عانت من سياسة توسعية جلية تهدف الى اضعاف استقلالها .

لو حصر المرء مجالات المقارنة بين الجماعات المستوطنة في تلك الجماعات التي لها استقلال **واقعي** او **قانوني** ، وبذلك تستثنى المستعمرات البرتجالية ولكن ليس روديسيه تحت حكم ايان سميث ، تظهر سلسلة من الامور المتوازية ، على صعيد الطريقة التي تم بها الحصول على الاستقلال **الواقعي** لهذه الجماعات ، وعلاقاتها مع الدولة الامبريالية — بالنسبة للتي درسها جبور ، المملكة المتحدة هي هذه الدولة في كل حالة — والاساس القانوني الذي يرتكز عليه اضطهاد المواطنين الاصليين ، وما الى ذلك . لقد حاول جورج جبور رسم هذه المتوازيات ، ولاحظ بأنه « لم يعط اهتمام كاف للاجهزة الستاتية والديناميية التي اعطت الاستعمار الاستيطاني شكله المميز » . ومع انه فعل ذلك ، الا انه لم يحاول استخراج نموذج سياسي — ان هذه لمهمة يمكن أن يقوم بها بعض علماء السياسة — ولكنه حصر نفسه في تبيان بعض الملامح الموجودة فيها جميعا ومن ثم مقارنتها .

اذا ما القينا نظرة سطحية نرى ان هناك تشابها قليلا بين البلدان الثلاثة ، على الاقل عندما ننظر اليها من الموقف التقليدي القائم على الدعاية الفعالة التي يقوم بها الصهيونيون ومعارضو التمييز العنصري . فبينما يقول الصهيونيون منذ عشرين سنة ان اسرائيل دولة ضد العنصرية ، وديمقراطية تسودها العدالة ، أظهرت جنوب افريقيه بشكل جلي ، وهذا صحيح في هذه الحالة ، بأنها عنصرية وفاشية . وفي الحقيقة ان تاريخ حكام جنوب افريقية الحاليين المناهض للسامية يجعل المقارنة بين اسرائيل وجنوب افريقيه غير قابلة للتصور . فتحول الافريقانيين المناهضين للسامية الى مناصرين لاسرائيل ، كما تحدث عن ذلك ريتشارد ستيفنز حدث بعيد ١٩٤٨ عندما تسلم الافريقانيون السلطة واقيمت دولة اسرائيل . وفي الحقيقة عندما كان زعماء اسرائيل واعين لضرورة تقديم صورة جيدة لدولتهم أمام العالم ، ولذلك لم يعلنوا بصراحة ان هناك تشابها بينهم وبين جنوب افريقية ، لم يشعر فيروورد ، رئيس حكومة جنوب افريقيه بشيء من ذلك ، وقال : « انني متفق مع العرب على ان اسرائيل دولة عنصرية كجنوب افريقيه »(٢). طبعا ليس من الضرورة الاستشهاد بأقوال زعماء جنوب افريقيه من النازيين السابقين لاظهار مثل هذا التشابه ، رغم ان ذلك فيه نوع من السخرية . ان تاريخ هاتين الجماعتين الاستيطانيتين وتاريخ روديسيه ، الشقيقة الصغرى لجنوب افريقيه ، تربط بينهما خيوط مشتركة ، وهذا هو ما يركز عليه جبور .

ان جبور يعالج طريقة مد المستوطنين لسيطرتهم **الشرعية** على البلاد ، وادخال تشريع يسمح بطرد السكان الاصليين ، والاشكال التي تتخذها مقاومة هؤلاء السكان والاحتكاك بين الجماعة المستوطنة والدولة الامبريالية مما يؤدي في النهاية الى

---

١ — ستيفنز ، ريتشارد ب. **الصهيونية، وجنوب افريقيه والتمييز العنصري** . (مركز الابحاث ، م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٢٥ ، نقلا عن مجلة « ذي ترنسفالر » بجنوب افريقيه .

٢ — « **رائد دايلي ميل** » ١٩٦١/١١/٢٣ .

استقلال **واقعي وقانوني** ، لكن باستثناء روديسيه ، بالرجوع الى هذه البلاد ، ومع انه ليست هناك محاولة لتقديم نموذج ، الا انه يوجد هناك أساس لمثل هذا النموذج .

ومع ان الكتاب يقدم نتائج بحث في حقل لم ينل الا اهتماما قليلا في الفترة الاخيرة ، الا انه بعيد عن الكمال . ومع هذا فان الكتاب يقدم فائدة جليلة بتقديمه أرضا خصبة يستطيع أن يستفيد منها الباحثون الاخرون ، ولكنني كم كنت اتمنى لو ان الكاتب تطرق الى الانقسامات بين الجماعة المستوطنة ، الانقسامات حول الامور الجوهرية بدلا من مسألة توزيع المغانم الناتجة عن الاستغلال.

لقد قامت بعض العناصر من هذه الجماعات في البلدان الثلاثة بتغيير موقفها بالانتقال من النقد الراديكالي في الداخل الى رفض النظام ومعارضته. ورغم ذلك فان هذه المعارضة بقيت معزولة الى حد بعيد عن حركة التحرير الوطني باستثناء انضمام فئة قليلة من المستوطنين الى هذه الحركة . ففي جنوب افريقيه ، على سبيل المثال ، كانت هنالك حركة التحرير الافريقية التي تتألف في غالبيتها من جماعات ليبرالية من البيض الذين قاموا لفترة قصيرة بعمليات تخريب اعتبرت خطوة هامة على الطريق الى الوضع الحالي حيث يوجد في المجلس الوطني الافريقي اعضاء من البيض يشتركون في الاعداد لنشاط مسلح ضد النظام بتعاون تام مع السكان الافريقيين . ولقد قدمت حركة التحرير الافريقي الصلة الايديولوجية وللبعض الجسر التنظيمي الحقيقي . ويمكن ان تكون متسبن لها دور مماثل في المجتمع الاسرائيلي ، وبكل تأكيد فان عددا من أعضاء متسبن السابقين انضووا تحت لواء حركة المقاومة الفلسطينية. ومع انه لا يوجد في روديسيه منظمة مماثلة الا ان ظهور بعض الافراد من امثال جودي تود يكشف عن بعض التشابه . وكان يمكن ايضا معالجة المعارضة الليبرالية ولكن ليس الثورية لانظمة المستوطنين ، كما يتمثل ذلك في الطلبة وقطاعات الكنائس في جنوب افريقيه وروديسيه وفي قطاعات « اليسار الاسرائيلي الجديد » ، اذ سيكون في ذلك بعض الفائدة . ولكن من الانصاف الاعتراف بأن الانشقاقات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي بدأت تظهر منذ سنة او ما يقارب ذلك .

لذلك من السهل التحدث عن المجتمعات الاستيطانية كوحدة . ان بعض الانقسامات في داخلها ليس بذات أهمية بالنسبة الى التناقضات الاساسية ، فاختلاف حيروت مع المابای ، وفورستر مع الحزب المتحد في جنوب افريقيه ، وايان سميث مع وينستون فيلد في الجبهة الروديسية لا يمثل اكثر من اختلاف حول افضل السبل للاحتفاظ بالمغانم . ولكن لبعض الانقسامات أهمية خاصة وتحليلها يعتبر اكثر من مجرد هواية اكاديمية . فبالنسبة لاسرائيل والصهيونيين بشكل خاص يظهر ان هناك خطأ في تقدير جبور للدور الذي لعبه البوند . ففي حديثه عن المعارضة التي واجهتها الصهيونية قبل ان تثبت أقدامها في فلسطين يقول : « كان المنتقدون الاوائل للصهيونية يشملون الماركسيين ـ اللينينيين الذين فعلوا ذلك بدافع من موقفهم العقائدي المعادي للامبريالية » . ثم يستطرد قائلا بأن لينين وصف البوند بانهم جماعة من اليهود القوميين البورجوازيين . اما ج. ل. طلمون فيتحدث في كتابه « اسرائيل بين الشعوب » عن الفترة نفسها من التاريخ الصهيوني من زاوية « ليبرالية صهيونية » ويقول : « ان العبء الذي شكلته معارضة البوند للصهيونية كان الاتهام بأن الصهيونية قبلت بوجهة نظر مناهضي السامية »(٣).

انه من الاهمية معرفة ما اذا كانت هناك أية صلة بين الدينامية الظاهرة للتوسعية في الجماعات المستوطنة وبين الحاجة للتغلب على الانقسامات الداخلية . ان لها بكل تأكيد علاقة بعلة وجود هذه الدول واضطرارها للمحافظة على سيطرتها التامة على السكان الاصليين . ويمكن تجاهل روديسيه بشكل رئيسي في هذا المجال وذلك لان الضعف الداخلي للمستوطنين بسبب صغر حجمهم وفشلهم بتحقيق استقلال **قانوني** وما تلا ذلك من عداوة دولية أدى الى ان تصبح البلاد مقاطعة تابعة لجنوب افريقية الامر الذي رفضه المستوطنون في استفتاء داخلي في العشرينات . ان لكل من اسرائيل وجنوب افريقيه اهدافا توسعية بشكل جلي وواضح . فالاولى تحافظ على توسعيتها العسكرية الاستيطانية الاقتصادية على مستوى ضعيف نسبيا يؤكد صحة القول بأنه تم الوصول الى « قمة حملة المستوطنين في جنوب افريقيه للحصول على أراض جديدة بعد فترة وجيزة من ولادة الاتحاد » . ان مثل هذا القول سيكون موضع شك من قبل شعب

---

٣ ـ موجودة في « **فري بالستين** » شباط (فبراير) ١٩٧١ .

ناميبيه الذي يرزح تحت وطأة احتلال جنوب افريقيه منذ أكثر من خمسين سنة ، وكذلك من قبل الافريقيين في روديسيه وانجولا وموزامبيق الذين يشهدون في الوقت الحاضر ليس فقط قوات جنوب افريقيه وهي تعمل ضد حركات التحرير ولكن ايضا يشهدون تدفقا من المستوطنين من جنوب افريقيه . وهناك ولا شك دروس يمكن ان يستخلصها الاسرائيليون أيضا من القسم الاكبر لطبيعة توسعية جنوب افريقيه اقتصاديا وسياسيا ، وهي « سياسة الخارج » ومن الملاحظ ان ابا ايبان يطالب باتباع سياسة مماثلة في اسرائيل تسمح بحرية التبادل والتجارة والافكار مع العالم العربي(٤).

ان من الصعوبات التي أوردتها سابقا هي ان هذا المجال واسع لدرجة ان كتابا واحدا رائدا في هذا المجال لا يقدر الا أن تتغاضى عن ذكر بعض المجالات الممكنة للمقارنة . فعلى سبيل المثال ، هناك فصل عن التضامن الاقليمي ضد الدول الاستيطانية ، ولكن دون معالجة الدور الذي لعبته ملاوي وبشكل مختلف ، سلطات الاردن لتحطيم هذا التضامن . ولو كان صحيحا ان « المستوطنين لا يعيرون أدنى اهتمام للضغط الدولي لانهم صمموا على المضي وحيدين في سبيلهم » ، فمن حسن حظهم ان تكون الدول المجاورة لهم ادوات طيعة في أيدي دول الاستعمار والاستعمار الجديد . بكل تأكيد ليس الامر انهم لا يتأثرون بالضغط الدولي ، ولكن حماتهم من الدول الامبريالية يحمونهم من هذا الضغط باستثناء روديسيه الى حد ما اذ انها محمية بشكل غير مباشر عن طريق جنوب افريقيه والبرتجال . وبالاضافة لما سبق ، هناك مجال آخر يمكن معالجته وهو امتزاج نشاط جنوب افريقيه واسرائيل في الاماكن الاخرى من العالم ، وخاصة في الدول الافريقية المستقلة . فمثلا ، لكليهما نفوذ في ساحل العاج — فهل كانت المسألة مجرد ضغط من فرنسه أن يدعو الرئيس هوفوويت — بويجني الى اجراء حوار مع جنوب افريقيه ؟ لقد كان اوبوتي ، رئيس جمهورية اوغنده من أقوى المعارضين لجنوب افريقيه . هل كان على علم بالانقلاب الذي أوحت به اسرائيل ضده ؟ وكذلك ، ما هي العلاقات التي تربط بين الدولتين على الصعيد السياسي والاقتصادي ؟ ما هي مهمة العسكريين من جنوب افريقية في اسرائيل ، وما هو مصدر رشاشات عوزي التي استولى عليها رجال العصابات في انجولا من البرتجاليين ؟ يذكر جبور ان المؤتمر الذي عقدته منظمة تضامن الشعوب الافرو — آسيوية في موشي بتنزانيه في ١٩٦٣ شجب العلاقات بين اسرائيل وبعض حركات التحرير الافريقية ، كما ان هناك انباء عن قيام مصانع جنوب افريقيه بانشاء مشاريع في الدول المتصالحة .

واخيرا ، أريد تسجيل ملاحظة مثيرة للدهشة وهي ان ذكر ناميبيه لم يرد اطلاقا في الكتاب ، اذ انه يمكن ايجاد نوع من الشبه بين ناميبيه وفلسطين — كانت كلتاهما تخضعان للانتداب، وفي الحالتين توجد جماعة مستوطنة تسيطر على البلاد ، في الاولى جنوب افريقيه وفي الاخرى اسرائيل ، انكرت على شعب فلسطين وشعب ناميبيه حقهما في الكيان المستقل .

وفي كلتا الحالتين ايضا ، يوجد لعصبة الامم وللامم المتحدة سجل حافل من التخاذل لحفظ حقوق الشعب ، والدولة المستعمرة فعلت الشيء نفسه. يمكن للمرء ان يدهش عندما يعلم ان منظمة شعوب جنوب غرب افريقيه (سوابو) ، في ناميبيه هي من اكثر حركات التحرير في جنوب افريقيه استنكارا لمواقف الاسرائيليين وتأييدا لحركة المقاومة الفلسطينية .

وبسبب اهمية حركات التحرير في افريقيه والعالم العربي ضد الدول الاستيطانية ، والعلاقات فيما بينها ، يمكن للمرء ان يتوقع وضع برنامج مكثف من البحث حول اوجه الشبه والعلاقات بينهما . فمثل هذا البرنامج ، بكل تأكيد ، سيكون ذا فائدة جمة لمنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية واهالي جنوب افريقيه والفلسطينيين . ومع هذا ، فان البداية قد وضعت ، على الاقل . فلو نجح كتاب جبور في اثارة مزيد من الدارسين ، كما يعرب عن أمله في مقدمة الكتاب ، فان ذلك وحده سيكون عملا مفيدا . وكأول محاولة كبرى على صعيد اظهار أوجه الشبه بين الانظمة الاستيطانية ، فان تلخيص نقاط الالتقاء والعلاقات سيكون عملا رائعا . والان، وقد أصبح الهيكل جاهزا ، على الاخرين ان يتقدموا ويملأوا الفراغ في بعض الاجزاء بمزيد من التفاصيل.

بيتر هيلير

---

٤ — نايدنين ماك ديرموت، في « فري بالستين »، كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ .

Cattan, Henry. **Palestine: The Road to Peace.**
London: Longman, 1971.

يمكننا ان نقسم الكتاب الى قسمين رئيسيين : الاول تاريخي يعرض التطورات الاساسية التي ادت الى اغتصاب فلسطين وقيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، والثاني تحليلي يتناول مسؤولية الاطراف المختلفة في الصراع لينتقل بعد ذلك الى طرح الحل الذي يراه المؤلف لوضع حد للصراع الدائر في المنطقة . ان المنطق الذي يسحب نفسه على الكتاب بقسميه هو المنطق الذي يرى القضية فقط من خلال حقوق الشعب الفلسطيني وعدم وفاء بريطانيا بوعودها للعرب الى جانب عدم قانونية وعد بلفور وقرار التقسيم وما الى ذلك دون ان يتطرق من قريب او بعيد للاسباب الحقيقية للصراع والكامنة في الطبيعة الاستيطانية للحركة الصهيونية وفي تحالف هذه الحركة مع الاستعمار بشكليه القديم والجديد من اجل السيطرة على هذه المنطقة واستغلال ثرواتها وشعوبها . واذا كان الاسلوب الذي يعرض قضية فلسطين على اساس الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني مقبولا جزئيا ، فانه لا يقبل ابدا عندما يسحب نفسه على الحل المقترح للصراع مع الصهيونية واسرائيل . وهذا هو المنزلق الذي يقع به الكتاب في القسم الثاني . فبدلا من التأكيد على نضال الشعب الفلسطيني المدعوم بالامة العربية وما ينتج عن هذا النضال من ردود فعل ، نرى المؤلف يحصر تفكيره ازاء الحل في النواحي القانونية فقط فنجده يقترح اولا انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالتقسيم وباللاجئين والقدس ثم يقترح اعادة النظر في قانونية قرار التقسيم بواسطة محكمة العدل الدولية .

صحيح ان الكتاب باللغة الانكليزية وموجه للاجانب مما يشفع بعض الشيء لهذا الاسلوب القائم على مناشدة العدالة الانسانية والقانون الدولي ، لكنه اسلوب مثالي غير واقعي لانه ينسى ان التاريخ اثبت ان الشعوب لا تستطيع ان تسترد حقوقها من الاستعمار الا بالقتال لان الاستعمار لا يقبل بالتنازل عن مصالحه واستغلاله للشعوب الا مرغما وبالسلاح فكيف باسرائيل ، المجتمع الاستيطاني ؟ ومن ناحية ثانية فان التجربة اثبتت ان لا قيمة للقرارات التي تصدر عن المنظمات الدولية اذا كانت هذه القرارات مخالفة للمصالح الامبريالية لان هذه المصالح لن تدع هذه القرارات تمر بل تحيلها الى ملفات في ادراج الامم المتحدة وفي احسن الاحوال الى جلسات مناظرة في اروقة مجلس الامن . قد يقال : لماذا لا تتبع هذا الاسلوب في عرض قضيتنا طالما ان الحق معنا ؟ الجواب : ليس المطلوب ان تكسب عطف العالم علينا بل تأييده لنا . ولن نستطيع ان نحصل على هذا التأييد الا اذا اثبتنا اننا جديرون بما نطالب به ، بفضل وجود المقاومة الفلسطينية المسلحة .

هذه هي الملاحظة الرئيسية التي لنا على الكتاب وهناك ملاحظات فرعية اخرى منها : (١) لا نعتقد بأن معظم ما حدث في فلسطين ما كان حدث لولا جهل الحقائق وتشويهها المستمر على يد دعاية مضللة وفعالة جدا كما يقول المؤلف اذ ان هناك اسبابا موضوعية وذاتية تقف في الاساس وراء ما حدث ويحدث . (٢) ليس صحيحا تماما ما يقوله المؤلف بأن حكومة الولايات المتحدة قد أيدت ولا تزال تؤيد اسرائيل لان السياسيين الاميركيين من الرئيس ترومان وحتى الان اعتبروا ، او دفعوا ليعتبروا انهم بحاجة للصوت اليهودي للوصول الى سدة الرئاسة لان اساس الدعم الاميركي لاسرائيل هو في المصالح الاميركية في المنطقة وهو في الاستراتيجية الشاملة للامبريالية الاميركية في مواجهة حركات التحرر في العالم ، نقول هذا دون اغفال للتأثير الفعال لليهود الصهيونيين في السياسة الاميركية . (٣) ان تعرض المؤلف للموقف الروسي من القضية هو ظالم وجزئي اذ انه يتحدث ، على الاقل ، عن الموقف في العام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ دون ان يتحدث عن التحول الذي طرأ فيما بعد .

اخيرا لا بد من توضيح نقطة تتعلق بالكتاب دفعا للالتباس : ان المؤلف صريح وواضح بشأن الحق الذي لا ينازع للشعب الفلسطيني في ارضه وسيادته عليها ، وفي تأييده للمقاومة الفلسطينية في نضالها ، ولما ترمي اليه من اجل اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . كما ولا بد ان نسجل بأن للكتاب قيمة هامة للراي العام الغربي اللبرالي لان المنطق الذي يلجأ اليه المؤلف هو ، كما اشرنا ، منطق لبرالي يناسب العقلية الغربية اللبرالية .

ابراهيم العابد

Jan Bjoendal, **Israel — folk og Samtid**
(Oslo, Norsk Utenrikspolitisk Institutt, 1970).

بهذا العنوان صدر في النرويج في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ كتيب في ٤٨ صفحة من الحجم المتوسط وذلك ليكون مرجعا مساعدا لطلبة المدارس الثانوية . ولم يثر الكتيب لدى صدوره اي انتباه او اهتمام وتم توزيعه الى الاسواق كمئات الكتيبات المماثلة التي تعالج مختلف المشاكل في العالم . ولكن في شهر شباط (فبراير) الماضي اشتعلت ضجة حول الكتيب حتى تطرقت صحيفتان يوميتان في اوسلو الى ما ورد فيه وشككت كل منهما بأسلوب يختلف عن الاخرى بالمعلومات التي ورد ذكرها . فكانت النتيجة ان سحبت نسخ الكتيب من الاسواق ثم تكليف كاتب جديد لاعادة وضع كتيب جديد حول نفس الموضوع ولكن من منطلق واسلوب مختلفين. وكان الكتيب قد صدر ضمن سلسلة من ١٢ كتيبا عن مواضيع تعالج مختلف المشاكل الدولية لمساعدة طلبة المدارس الثانوية وذلك عن طريق توفير معلومات اكثر تفصيلا مما تحتويه الكتب المقررة . وقد أشرف المعهد النرويجي للسياسة الخارجية على تقديم هذه السلسلة . وهو مؤسسة شبه رسمية تمارس نشاطها بشكل مستقل بعد ان اتخذت على نفسها مبدا تقديم دراساتها باطار موضوعي حيادي غير متحيز لطرف او لاخر . وكان المعهد النرويجي قد اوعز الى أحد موظفيه الشباب، جان بيوندال ، ليقوم بوضع بحثين منفصلين ، احدهما عن اسرائيل والاخر عن البلدان العربية. وقد اختير بيوندال لهذه المهمة لاعتباره من المواطنين النرويجيين المتتبعين للتطورات المستمرة في منطقة الشرق الاوسط ، هذا بالاضافة الى انه سبق وان وضع كتابا بعنوان (الحرب من أجل فلسطين — **Krig Om Palestina**) صدر في صيف عام ١٩٧٠ باللغة النرويجية . وبالفعل انهى بيوندال البحثين فصدر الاول عن اسرائيل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، وصدر الثاني بعده في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، وتم توزيعهما على الاسواق في كل انحاء النرويج . وصباح يوم ١٠ شباط (فبراير) طلعت جريدة داكبلادت ، وهي ليبرالية مستقلة تصدر في اوسلو وتعتبر من اكبر الصحف النرويجية ، وبين صفحاتها مقالة بقلم سكرتير التحرير ، السيد كارل اميل هاكلوند، يعالج فيها الكتيب ويقول بأن المعالجة كانت غير موضوعية وموالية للجانب العربي ولا تصلح كمادة لطلبة المدارس . واخيرا طالب المعهد بسحب الكتيب موضع البحث من الاسواق . وفي اليوم التالي مباشرة طلعت جريدة اربيدر داكبلادت ، الناطقة بلسان حزب العمال النرويجي ، وعلى الصفحة الاولى مقالة كتبها البروفيسور ليو ايتينكر ، وهو استاذ علم النفس في جامعة اوسلو، ويعتبر من اليهود النرويجيين المتزمتين للحركة الصهيونية في النرويج . وقد عالج ايتينكر بحث بيوندال ولم يكتف باتهام الكاتب باللاموضوعية بل اتهمه بمعاداة اليهود واسرائيل واللاسامية . ولم تمر غير ايام قليلة حتى جاء دور رد الفعل من جانب المعهد النرويجي وكان عنيفا ولكن ليس ضد الصحيفتين والنقد الوارد فيهما ولكن ضد موظف المعهد وواضع الكتيب بيوندال . فقد سحب الكتيب الذي عالج فيه اسرائيل وفي نفس الوقت اعلن مدير المعهد بأنه شخصيا سيقوم بوضع دراسة جديدة .

لماذا اثار هذا الكتيب هذه الضجة المفتعلة ؟ وما هي النقاط التي عالجها الكاتب جان بيوندال فاثار حفيظة الصهيونية ضده ؟ بشكل مختصر استعرض الكاتب التاريخ اليهودي ابتداء بالعهد القديم وانتهاء بذكر بعض المعالم المميزة في الانظمة المعمول بها في اسرائيل اليوم . وسأحاول فيما يلي أن أتطرق لبعض ما ورد في بحث بيوندال عن اليهود والحركة الصهيونية واسرائيل : فيما يخص التعبير السائد « القوم » او « الشعب » اليهودي يتساءل الكاتب النرويجي ان كان من الصحة معالجة اليهود واعتبارهم وحدة عرقية انثولوجية وذلك بحسب المفهوم السائد؟ ومن ثم رواية العهد القديم التي وعد الله فيها ابراهيم بأرض كنعان ولاحفاده من بعده ما هو موقفنا من الرواية ؟ بالنسبة لما جاء في العهد القديم يكون الرفض والقبول بالرواية كل بحسب ايمانه واجتهاده الديني . فبالنسبة الى كثير من اليهود تعتبر النبؤة غير تامة بقيام اسرائيل التي لم تقم الا على جزء من أرض كنعان الموعودة والتي تمتد بين النيل والفرات . اما بالنسبة للعرب فهم الاخرون احفاد ابراهيم ويمكنهم ان يعتبروا انفسهم المعنيين بالنبؤة . ومن ناحية اخرى فيمكن تفسير النبؤة على أساس ان اليهود تحرروا من الوعد بتحررهم

من الاسر البابلي واختيارهم العيش في الهجرة . وبالنسبة للحركة الصهيونية فانها قد قامت على أساس كون اليهود قوما او شعبا واحدا . والمفاهيم الحديثة تعرف الامة بمن لهم عرق مشترك ولهم لغة وثقافة مشتركة ويعيشون في دولة واحدة. فهل اليهود او يهود اي منطقة تتوافر فيهم مثل هذه الشروط ؟ كل اليهود ليسوا أحفادا للعبرانيين — هذا اذا كان منهم اطلاقا من يعود اصله لهم. واليهود يشكلون مجموعة اقوام مختلفة من معتنقي الدين اليهودي . ففي فلسطين كان اليهود عربا ويهود افريقيا من أصل عبراني او عربي او زنجي وفي اوربا يوجد « اوربيون » من معتنقي الدين اليهودي وفي آسيا « اسيويون » يهود وبالنسبة للتاريخ المشترك من في العالم قادر على أن يتتبع تاريخه او اصله الى عام ١٥٣ او ٧٠ بعد الميلاد ؟ اما بخصوص اللغة المشتركة فان اليهود كانوا يتكلمون لغات المجتمعات التي يعيشون بينها . لذلك ولكل هذه الاسباب مجتمعة لا يمكننا ان نسمي اليهود شعبا او قوما .

اما بالنسبة للحركة الصهيونية نفسها فيقول الكاتب النرويجي بأن الدعوة لها قد بدأت في منتصف القرن التاسع عشر ومن اشهر دعاتها كان موسيس هيس الالماني وآشار غينسبيرغ الروسي وكلاهما من المعجبين بافكار كارل ماركس ، ثم تطورت الحركة واخذت ابعادها الجديدة بعد ان ركز بسمارك سياسته ضد اليهود وبدّل مفهوم اللاسامية التي كانت موجودة منذ عام ٣٨٠ حين اتخذت الامبراطورية الرومانية من المسيحية دينا رسميا ، الا ان اللاسامية كانت آنذاك بالمفهوم الديني والاجتماعي فجاء بسمارك واعطاها بعدا جديدا واوجد اللاسامية السياسية فكان ان وجدت الصهيونية قدما لها بزعامة ثيودور هيرتزل وحاييم وايزمان ثم نشب الخلاف بينهما حين عرضت بريطانيا قيام الوطن القومي اليهودي في اوغندا فقبل هيرتزل ورفض وايزمان معتبرا ذلك ليس خيانة للشعب اليهودي بل وخيانة لارادة الله . ويعلق الكاتب على ظهور الصهيونية فيقول بأن اوربا الليبرالية لم تكن خطرا على الحركة الصهيونية فحسب ولكن اوربا كانت خطرا على كل اتجاه قومي ظهر آنذاك، والفكرة الصهيونية كايديولوجية دينية وسياسية لم يكن ليكتب لها النجاح لو لم تتطور الاحداث في المانيا النازية بالشكل الذي تطورت عليه .

ويؤكد الكاتب على ان اسرائيل قامت بالعنف والقوة وحققت الصهيونية اغراضها باقامة اسرائيل من ناحية ومن ثم فرض نفسها على دول الشرق الاوسط . وفي عدة مناسبات اتبعت اسرائيل سياسة انتقامية ضد كل جيرانها من البلدان العربية . وفي كل المناسبات ابتداء بحرب ٤٨ ثم ٥٦ واخيرا حرب حزيران ١٩٦٧ اثبتت اسرائيل اعتمادها الكلي على العنف وانتصرت على العرب وهذا أدى الى ان تنتزع الاعجاب والتقدير والاحترام في دول العالم — بما في ذلك هنا في النرويج .

ويتطرق الكاتب الى المجتمع الاسرائيلي ويقول بأن غير اليهود لا يتمتعون بنفس المكاسب التي يتمتع بها اليهود ابتداء من فرص العمل والى فرص التعليم ، وخير مثال على ذلك ما يعانيه العرب الاسرائيليون . ومن الناحية الاخرى فان كل اليهود لا يجدون أمامهم نفس الفرص في اسرائيل اذ هناك حد فاصل بين اليهود الغربيين (الاشكنازي) واليهود الشرقيين (السفاردي) . ويتضح ذلك في ان معظم القيادات الاسرائيلية هي من بين الاشكنازي.

ويعرب الكاتب عن تشاؤمه الشخصي في المساعي المبذولة باشراف جونار يارينغ للوصول الى صيغة مقبولة وتحقيق السلام في المنطقة . ويعزي الكاتب تشاؤمه بالدرجة الاولى للصيغ المختلفة لقرار مجلس الامن في ١٩٦٧/١١/٢٢ ويقول بأن ظهور المقاومة الفلسطينية كقوة جديدة بين الاطراف المتنازعة اضافة الى الموقف الاسرائيلي المتعنت للحصول على مكاسب اقليمية توسع من ارضها اضافة الى اصرارها على المفاوضات المباشرة يجعل الوصول الى حل سلمي أصعب من أي وقت آخر .

والغريب في الضجة المفتعلة حول هذا الكتيب ان هذا الحدث ، رغم اهميته بالنسبة للتقليد الاسكندنافي الذي يعبر عنه بقدسية الكلمة وحرية ابداء الرأي ، بقي محصورا في النرويج ولم يتعد حدودها الى بقية الاقطار الاسكندنافية رغم كل الروابط الموجودة بين الاقطار المذكورة والتي تنتقل بينها كل أنواع الاخبار الا الاخبار التي تهم العالم العربي . وهكذا فقد اضيفت منطقة جديدة الى المناطق التي تشل الاعلام العربي فيها .

سمير بوتاني

Moshe Shamir, **My Life With Ishmael**
(London, Vallentine, Mitchell, 1970).

موسى شامر مقاتل قديم في البالماخ وضع مؤخرا كتابا بالعبرية سجل فيه خبراته وتجاربه خلال عملية استيلاء الاستعمار الصهيوني على ارض فلسطين (بما في ذلك حرب عام ١٩٦٧) وحيث يعرض الاستنتاجات والآراء التي يفترض انه توصل اليها وكونها عن العرب وحياتهم الاجتماعية والسياسية. لذلك جاء كتابه يحمل العنوان التالي: « حياتي مع اسماعيل » باعتبار ان العرب هم من ذرية اسماعيل وفقا للحكايات الدينية القديمة والمتوارثة . وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية ونشر مؤخرا في لندن ولا شك انه سيلاقي اقبالا في بعض الاوساط الانكليزية والامريكية التي اعتادت على تلقف مثل هذا الانتاج والترويج له . المؤلف من اصل روسي ومن مواليد فلسطين عام ١٩٢١ .

ان اول ما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو الاسلوب الذي كتب فيه بمعنى ان المؤلف لا يتبع الطريقة المعهودة في كتابة المذكرات مثلا او الاسلوب السردي او القصصي مما هو متعارف عليه في مثل هذه الكتابات ، عوضا عن ذلك يعرض علينا مجموعة كبيرة ومفككة من التصورات والانطباعات والاحكام والتعميمات والتجارب حول عدد ضخم من المسائل السياسية بطريقة تفتتها الى جزئيات وتفصيلات تافهة ومملة في معظم الوقت . يعرض المؤلف ما عنده من افكار واحكام مستخدما ضمير المتكلم مما يجعل كتابه يبدو ، لاول وهلة ، وكأنه شهادة شخصية لانسان مر بتجارب متنوعة ومتعددة فتوصل الى قناعات متميزة وعميقة وغير مألوفة مما يبرر قيامه بتأليف هذا الكتاب . غير ان نظرة ثانية الى محتويات الكتاب تبين بسرعة انه يفتقر كليا الى أي من هذه الخصائص التي يحاول ان يتلبس بها كما تبين ان انطباعات المؤلف الشخصية المزعومة ليست الا البضاعة الدعائية العتيقة والمستهلكة جدا مما تروج له الصهيونية باستمرار حول استيلائها على فلسطين وكل ما ترتب على ذلك من نتائج وعواقب . في الواقع لا يخرج الكتاب عن كونه مجرد اعادة وتكرار للروايات الصهيونية الرسمية وغير الرسمية حول شتى المواضيع ابتداء من وضع اليهودي في اوروبا والعالم وانتهاء بحرب عام ١٩٦٧ ومرورا بهزيمة عام ١٩٤٨ . وكثيرا ما ينحدر هذا التكرار في الكتاب الى مستويات غريبة من الفجاجة والبدائية والتبسيط الساذج للاحداث والامور ، خاصة عندما يعطي المؤلف رأيه في العرب والمجتمع العربي .

يبدا الكتاب بعملية اختزال سريعة لتاريخ اليهود الاجتماعي والسياسي الى وضع واحد فقط هو الدفاع عن النفس . اليهودي منذ بداية تاريخه حتى هذه الساعة هو الانسان الذي يدافع عن نفسه باستمرار ضد قوة خارجية ضده . هذه هي الحكمة الوحيدة التي استطاع موسى شامر استخراجها من تجاربه حول كل ما يتعلق بتاريخ اليهود الطويل . ولو اردت اختصار « نظريته » في التاريخ اليهودي لقلت « انا ادافع عن نفسي باستمرار ودوما فاذن انا يهودي » . بطبيعة الحال واضح ان كل هذه السفسطة ليست الا تعبيرا صريحا وفجا عن النظرية الصهيونية الرسمية حول التاريخ اليهودي والقائلة بأن اليهود امة منفصلة باستمرار عن بقية شعوب الارض وتاريخها لا يخضع لمنطق التاريخ وتحولاته المعروفة، كما انها تتميز بخصائص ثابتة تفردها عن بقية الشعوب وتاريخها الى آخر ذلك مما هو معروف جيدا . انطلاقا من هنا يستمر الكتاب في ترديد كل ما في جعبة الدعاية الصهيونية من افكار وانصاف حقائق وتشويهات حول كافة الموضوعات المعنية . على سبيل المثال يسجل المؤلف « الانطباع الشخصي» التالي حول نزوح الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ : « ينبغي على مئات الالوف من العرب الذين فروا من على ارض دولة اسرائيل الا يلوموا احدا الا انفسهم وزعماءهم باعتبار انهم تركوا برضاهم التام . » (ص ٣٢) لكن المؤلف لا يذكر للقارىء ان هذا « الانطباع » ليس في الواقع استنتاجا توصل اليه بعد تأمل بل هو الموقف الرسمي للمؤسسة الصهيونية ليس الا . بعبارة اخرى يردد شامر هذا الكلام بطريقة توحي للقارىء الغربي ببراءة الكاتب واخلاصه الشخصي التام في طرح اجتهاده في الموضوع . كذلك يكرر — بنفس الطريقة الموحية بالبراءة الى حد السذاجة — الاسطورة الصهيونية القائلة بأن الصهيونيين جاءوا الى فلسطين فوجدوها صحراء مجدبة فحولوها بعملهم وجهودهم الى واحة للديمقراطية والتقدم والحضارة ... في منطقة تطغى عليها كافة

الخصائص المعاكسة . وانسجاما مع هذا المنطق لا يفوت المؤلف الاشادة بالاستعمار الانكليزي في فلسطين باعتباره حمل اليها الحضارة والنور والتقدم والعلم ... (ص ٨٧) .

أما التصورات التي يروجها عن العرب ومجتمعهم فهي لا تختلف شيئا عن التصورات العنصرية والشوفينية التي اشتهرت بها الحركات الاستعمارية من حيث نظرتها الى الشعوب المستعمرة . المجتمع العربي بالنسبة الى شامر قطعة متجانسة متوحدة صلبة منغلقة على نفسها لا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء، كما أنه لا يجري بداخلها اي شيء ذو اهمية باستثناء الرغبة الجامحة في ايذاء الناس . لذلك نجده يشبه حياة العرب الاجتماعية بالهرم من حيث سكونه وانغلاقه وانعدام الحيوية في داخله . هذه هي الصورة الكاريكاتورية الرديئة التي يرسمها الكتاب للمجتمع العربي . في الواقع انها أسوأ بدرجات من الصورة الكاريكاتورية التي رسمها العرب لانفسهم عن اسرائيل قبل ١٩٦٧ .

فيما يلي نماذج عن تفسيراته لمجرى بعض الاحداث والتصرفات على الجانب العربي : لا يجد المؤلف اي احراج في تفسير النزاع العربي الاسرائيلي ، بكل بساطة وسخف ، على انه « صراع بين الذين يفلحون الارض (أي اليهود المهاجرين الى فلسطين) وبين رعاة الغنم (اي العرب)». (ص٣٧).

وفي احدى شطحات شامر الفرويدية يفسر سياسة مصر في اغلاق قناة السويس بقوله انها «صفة من الصفات النموذجية للسادو ــ ماسوشية في سياسة مصر « الدرويشية » (نسبة الى الدراويش) . وكل انسان على غير علم بهذا كمرض جوهري من أمراض الشرق لن يفهم او يعرف شيئا عما يرى حولنا » (ص ٦٣) . وبسبب الصورة التعسة التي يرسمها لنفسه عن المجتمع العربي ، وكأنه قطعة جليد مرصوصة ، ينكر بكل صفاقة ، وجود طبقة عاملة عربية ووجود انتلجنسيا عربية متميزة (ص ٧٤) . حتى الدعاية الصهيونية الرسمية لم تصل الى هذا المستوى من العماء والاسفاف والاستهتار بالواقع . يحاول شامر ايضاح ناحية معينة من النزاع الاسرائيلي بالتعليق التالي : « انا مقتنع انه ليس بامكاننا ان نفهم العداء العربي لاسرائيل بصورة افضل ما لم نفهم تماما عنصر اللصوصية والنهب والسلب الكامن في مخططاتهم ... (أي العرب) » (ص ٣٧) .

بالنسبة لحرب الايام الستة يطرح المؤلف ، من خلال انطباعاته واستنتاجاته الشخصية المزعومة، الموقف الصهيوني بكل عنفه وتوسعيته وبدون أية تورية او مداورة او مداراة . من ناحية نجده لا يكل ولا يمل من التبشير برغبة اسرائيل العميقة والمخلصة في العيش بسلام مع جيرانها العرب . من ناحية ثانية لا يصف الهجوم الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ الا على انه حرب دفاعية هدفها تحرير الاجزاء الباقية من ارض اسرائيل . يقول بالتحديد : « في حرب الايام الستة لم تدخل اسرائيل الى قلب اي من الدول العربية المهاجمة ولم تحدث فيه اي تخريب . لقد اكتفت بطردهم من مناطق كانوا قد احتلوها سابقا في بلد خارج بلدهم». (ص ١٨٧) .

بالرغم من هذا الموقف السافر يعود المؤلف الى استخدام الحيلة الصهيونية العتيقة ، التي لم تعد تمر على احد ، التي تظهر اسرائيل بمظهر الدولة الفقيرة الضعيفة الخ... يقول شامر بهذا الصدد « حتى بحدودها الجديدة تبقى اسرائيل اصغر دولة في الشرق الاوسط (باستثناء لبنان) كما أنها من أكثر الدول فقرا بالقياس الى نوعية تربتها ومواردها المائية ومواردها الطبيعية الاساسية ». (ص ١٣٠) . ثم يعود المؤلف للتأكيد من جديد على ان « اسرائيل هي بلد واحد من جبل حرمون الى قناة السويس ، ومن البحر الابيض المتوسط الى نهر الاردن » (ص ١٣٥) . وجدير بالذكر ان شامر خصص صفحات عديدة من كتابه للبرهنة على الوحدة الجغرافية والتكامل الطبيعي والاقتصادي لارض اسرائيل ضمن الحدود المذكورة اعلاه (ص ١١٦ ــ ١٣٤) . بطبيعة الحال لا يبخل المؤلف على « ذرية اسماعيل » التي يكتب عنها بالنصائح والارشادات والتوجيهات ، التي لا تتعدى كونها دعوة مكشوفة وباسلوب في غاية البدائية والفجاجة للاستسلام العربي الكامل والتام امام قوة المؤسسة الصهيونية التوسعية في اسرائيل ، كل ذلك باسم تحقيق السلام والعدل والوئام في المنطقة . اذا كانت المؤسسة الصهيونية لا تزال تشعر حقا بحاجة الى نشر مثل هذه الكتب الفجة وتوزيع مثل هذه الدعاية البدائية فان في ذلك نوعا من الاطراء غير المباشر للموقف العربي .

ص. ج. ع.

Herbert Feis, **The Birth of Israel, the Tousled Diplomatic Bed** (New York, W.W. Norton & Co., 1969).

كتاب هربرت فيس «ولادة اسرائيل» دراسة موجزة في النشاط الدبلوماسي للسياسيين الصهيونيين والاميركيين والبريطانيين خلال الفترة التي سبقت تأسيس دولة اسرائيل . وبما انها دراسة قصيرة للغاية فان الكثير من التفاصيل والحوادث قد اغفلت. فان الكاتب يركز على النشاطات الصهيونية خاصة في الولايات المتحدة خلال التصويت على مشروع التقسيم في الامم المتحدة وقبل أن يعلن بن غوريون قيام اسرائيل . والكتاب جزء من فرع من دراسة أوسع حول العلاقات السوفياتية — الغربية . وقد كتب فيس كتبا أخرى حول مواضيع متنوعة مثل بيرل هاربر ، والقنبلة الذرية، والحرب العالمية الثانية . وعند قيام اسرائيل كان مستشارا لحكومة الولايات المتحدة. ان الطريقة التي يستعمل بها فيس اللغة والمجاز تشوه ، الى حد ما ، ما يبدو محاولة علمية لمعالجة مشكلة الشرق الاوسط. وفي المقدمة على سبيل المثال يشير الى « المعجزة التاريخية » المتمثلة بولادة اسرائيل . ومع ان الكتاب مليء بالحواشي كان من الافضل لو انه استخدم الوثائق والمعلومات من كلا الجانبين العربي والاسرائيلي . وقد ساعد فيس في اعداد كتابه طالب اسرائيلي في الدراسات العليا في جامعة هارفرد وكذلك لوي هندرسون أحد زملاء فيس في وزارة الخارجية الاميركية . ولم يستخدم الكاتب مصادر فلسطينية او عربية . والواقع أن الفلسطينيين قد اهملوا تماما كما هي الحال عادة في مثل هذه الدراسات .

يمتدح فيس سياسات الولايات المتحدة تجاه اسرائيل ويقدم بعض المقاطع المثيرة نوعا ما عن ترومان وعلاقته بكبار زعماء الصهيونيين . الا انه يشير ايضا الى أنه كان بامكان الولايات المتحدة ان تقدم دعما علنيا للحركة الصهيونية وان وزارة الخارجية كانت الى حد ما مترددة بالنسبة للبرنامج الصهيوني . ويسهب الكاتب في الحديث عن بعض نشاطات ترومان خلال عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ مبرزا الجوانب التي لم يتحدث ترومان فيها بشكل كامل عن عواطفه نحو الصهيونيين . ويلاحظ فيس أيضا تأثير دعم الحزبين الجمهوري والديموقراطي للصهيونية في انتخابات الولايات المتحدة .

ويميل فيس الى اتخاذ موقف نقدي من الديبلوماسيين البريطانيين الذين كانوا يسعون الى الحفاظ على الامبراطورية البريطانية لا الى تقديم العون المخلص للصهيونية . وعندما يناقش نشاطات الامم المتحدة وخاصة بعثة لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين يشير الى القوى الموالية للصهيونية التي كانت تدعم خطة التقسيم الاولى . ويشدد على نشاطات السفير الغواتيمالي يورغ غارشيا غرانادوس الذي تبنى الموقف المؤيد للصهيونية واصر على زيارة معسكرات الاعتقال في المانيا ، واجتمع باعضاء من منظمة أرغون . ولم يبحث في اغتيال برنادوت بشكل واف مكتفيا بقوله انه لم يلق القبض على القتلة أبدا ، دون ان يذكر ان كثيرين من عصابة شتيرن قد القي القبض عليهم وتم سجنهم الا ان معظمهم قد فر ولم يلق القبض عليهم ابدا .

يختتم فيس كتابه بدعوة الولايات المتحدة أو بريطانيا لاخذ زمام المبادرة وحل مشكلة الشرق الاوسط . ويبدو أنه يفضل حلا مفروضا من الخارج ويدافع في الوقت نفسه عن استمرار دعم الولايات المتحدة لاسرائيل والارتباط الوثيق بينهما . ومن المؤسف ان الكتب الحديثة حول ازمة الشرق الاوسط لا تقدم عادة للقارىء عرضا موضوعيا تماما للنشاطات الديبلوماسية التي أدت الى خلق اسرائيل . ان الجمهور بحاجة الى وصف تام لخلق اسرائيل يقوم على الحقائق والوثائق في سبيل الوصول الى نتائج منطقية وعقلانية والى فهم المشكلة الحاضرة . وبينما يقدم الكتاب وصفا للنشاطات الصهيونية ودعم الدول الكبرى لها ، لا يستعرض تعقيدات المشكلة كاملة ولا يقدم تحليلا اعمق لدوافع الاطراف المعنية .

ج. ج. تري

Simon N. Herman, **American Students in Israel**
(New York, Cornell University Press, 1970).

كان من الانسب لكتاب الدكتور هيرمان أن يحمل عنوان « اليهود الاميركيون في اسرائيل » ، ذلك لانه يقتصر في بحثه على معالجة تصرف وردود فعل مجموعة من اليهود صغيرة نسبيا قضت سنة في الجامعة العبرية في القدس ضمن « برنامج الطالب الاميركي » A.S.P. ولانه يعطي اهتماما ضئيلا بالنواحي الاكاديمية لفترة الاقامة تلك . وبسبب ظهور عدد كبير من الكتب والمقالات حول الطلبة الاجانب ، يعمد المؤلف في البداية الى تبرير مساهمته بقوله « ان لهذه الدراسة عن الاميركيين في الخارج بعدا جديدا . فهؤلاء كانوا طلبة يهودا لهم وضع خاص في تركيب مجتمعهم الام كأعضاء في جماعة اقلية وفي الوقت نفسه لهم ارتباط خاص كيهود بالدولة المضيفة اسرائيل » . ويضيف « ان هذه في الاساس دراسة حالة معينة يؤيد فيها الطلبة الزائرون الدولة المضيفة بشكل عميق » . وهكذا فان الدكتور هيرمان يبحث في وضع طلبة يتوقعون حتى قبل وصولهم من الخارج علاقة ودية خاصة من مضيفهم لا يتوقعون ان يلقوها في أي مكان آخر في العالم . أضف الى ذلك ان جميع الذين استجوبوا أبدوا بالفعل اهتماما عميقا بالاقامة الدائمة في اسرائيل بخلاف الاميركيين في بلدان أخرى . والحقيقة ان نصف الكتاب تقريبا يدور حول مسألة الهجرة .

وقد تم درس مجموعات متعاقبة من الطلبة . ومع ان المؤلف كان يهدف الى درس وضع طلبة « برنامج الطالب الاميركي » للعام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ فان « التغيرات العميقة في كل من الولايات المتحدة واسرائيل » في السنة التالية اضطرته الى توسيع دراسته لتشمل مجموعات أخرى . وجمعت المعلومات بطرق مختلفة : اجرى مع الطلاب استجوابات مطولة قبل الاقامة في اسرائيل وخلالها وبعدها ، كما أجريت مقابلات شخصية مع بعض مشتركي العام ٦٥ — ٦٦ في حين بعث آخرون الى المؤلف برسائل أو مذكرات كتبوها عن تجاربهم . وللمقارنة فان عددا من الاسئلة التي وجهت الى المشتركين في « برنامج الطالب الاميركي » وجهت أيضا الى مجموعة من (الصابرا) الاسرائيليين . وقد أعطي الاستجواب الاول لسبعة وثمانين طالبا اميركيا وهم في طريقهم الى اسرائيل لكن سبعة وعشرين منهم فقط أتموا الاستجوابات والمقابلات اللاحقة . ويبني المؤلف معظم استنتاجاته على اجابات مثل هذه الاعداد الصغيرة .

يخبرنا المؤلف في الفصل الثاني ان كون هؤلاء الطلبة قد اختاروا المجيء الى اسرائيل وكانوا ميالين لها يثبت بحد ذاته انهم كانوا يحتلون مواقع ايديولوجية معينة في الحياة اليهودية الاميركية . وبناء على هذا نرى ان الاستنتاجات التي انتهت اليها الدراسة لا تشكل مفاجأة لاي شخص تقريبا. وليس من المدهش ان ثلاثة ارباع الطلاب يعتبرون هجوما صحافيا بريطانيا على اسرائيل اهانة شخصية وان ثلثهم يفكرون بشكل قاطع بالهجرة الى اسرائيل ، وحوالي تسعين بالمئة منهم يشعرون ان واجب يهود اميركة هو الدفاع عن اسرائيل (وستة وخمسون بالمئة يتمسكون بهذا الرأي حتى وان كان ذلك يضر بيهود اميركة) . وربما كان الشيء الوحيد المدهش ان كثيرين من طلاب الكليات الاميركيين يميلون الى اسرائيل لهذا الحد لان الكتاب يكرس جزءا قليلا للمعارضين ، وبعد ذلك يعالج مسائل تافهة مثل التأثر من سائق فظ او عدم تمكن طالب اسرائيلي من التحدث مع من يجلس بجواره على الغداء. وجدير بالملاحظة ان الجداول العديدة في نهاية الكتاب تظهر وجود اختلافات ومشاعر غير ودية . وعلى سبيل المثال فان حوالي عشر الطلاب اشاروا الى انهم « أقل فخرا » بيهوديتهم نتيجة اقامتهم في اسرائيل . لماذا ؟ ان هذا السؤال لم يناقش ابدا . وفشل الكتاب يكمن فيما لم يقله لا فيما يقوله لان كثيرا من المسائل المهمة قد اهملت . ويمكن ان يستنتج القارىء العادي ان اسرائيل يهودية مئة بالمئة . وقد ذكر « العرب والاقليات الاخرى » مرة واحدة فقط كجماعات غير يهودية تجعل الاسرائيليين اكثر وعيا لهويتهم اليهودية . وبكلمة اخرى ، ان العرب بالنسبة للاسرائيليين كالاميين بالنسبة لليهود الاميركيين . وفي الحقيقة ان كلمة « عربي » تظهر على صفحات الكتاب اربع مرات فقط (رغم ان كلمة « ارهابي » تستعمل لتدل على العرب ايضا) . ويعتبر الكاتب اليهود الشرقيين افضل قليلا فقط من العرب . ويضم الكتاب ثلاث فقرات عنهم ليقول بعدها ان الاميركيين يجدون صعوبة في الانتساب الى اليهود

الشرقيين .

هناك تهرب من الكثير من المسائل السياسية والاجتماعية . ويستدرك الكاتب دوما في الحالات القليلة التي يتأثر فيها الطالب تأثرا سلبيا بمظهر ما من مظاهر الحياة الاسرائيلية ليؤكد لنا ان هذه نظرة القليلين وليست نموذجا عن الجميع . وبالاضافة الى ذلك حرص الكاتب على المحافظة على لهجة عاطفية وذاتية خاصة في الفصول الاخيرة بواسطة استشهادات يختارها من اقوال الطلاب . وعلى سبيل المثال يقدم الكتاب نقاط شبه بين « حرب الايام الستة » التي كانت على وشك الاندلاع وبين « الابادة حرقا » (افناء اليهود الاوروبيين) . وفي مطلع الكتاب تطالعنا تعابير مثل « سنصل اسرائيل خلال ساعة ، سنقبل الارض » او « وبكيت ، وتأثر الجميع كثيرا » .

ورغم ان الكتاب يبدو علميا الا اننا نضطر ان نتساءل عن منهجية الدكتور هيرمان وحتى عن غرضه الحقيقي من الكتاب. ان ما كان من المفروض فيه والممكن له ان يكون تحليلا عميقا لمجموعة فريدة من الطلاب الاميركيين في الخارج قد اتخذ بدل ذلك لهجة نشرة دعائية لتجنيد الافراد لهدف ما . لم يتصل بمزيد من الطلاب الاميركيين في اسرائيل ؟ ان المجموعة التي يدرسها الكتاب ما هي الا جزء من الاميركيين الذين درسوا في اسرائيل . وربما يقصد الكاتب خدمة هدف ايديولوجي لان الطلاب الذين يشتركون في « برنامج الطالب الاميركي » يأتون عادة من كليات تنتسب الى جهات معينة ، يهودية في معظمها ومؤيدة للصهيونية (مثل جامعة براندیس ، وجامعة يشيفا) . لماذا لم يأت الكاتب بأميركيين من غير اليهود على ان العنوان يقول « الطلاب الاميركيون » ؟ هل كان بمحض الصدفة ان اجرى الاستفتاء حول مواقف الطلاب تجاه اسرائيل خلال حرب حزيران ، وبعد ان مضى على عودتهم الى الولايات المتحدة مدة عام ؟ ويذكر المؤلف ان الطلاب عادوا الى بلدهم في تموز وآب وبذلك يظهر انه لم ينتظر سنة في الحقيقة . وهناك المزيد من الاسئلة والانتقادات يمكن ان تثار الا ان المجال لا يسمح بذلك هنا . ولا يسعني الا ان اطلب من قراء الدكتور هيرمان ان يعوا استخدامه الاساليب العاطفية والتلميح والتلاعب بالاحصائيات والا يتجاهلوا حقيقة ان الكاتب يهدف اشياء غير العلم . والكتاب جدير بالقراءة كنموذج ممتاز عن الفكر الصهيوني الذي تتبناه بعض الجامعات الاميركية . وجدير بالذكر ان الدكتور هيرمان استاذ في علم النفس في الجامعة العبرية .

ميليسيا خوري

Leonard Wolf, **The Passion of Israel** (Boston, Little — Brown, 1970).

هذا الكتاب مجموعة من المقابلات الفريدة والظواهر الغريبة جمعها استاذ صهيوني اميركي من سان فرانسيسكو قضى سنة في اسرائيل . وهذا وصف تطمي للكتاب . فالمقابلات فريدة لان من جرت مقابلتهم ليسوا بالتأكيد الرجال والنساء العاديين في اسرائيل ، فمن بينهم رسامة وجنرال تحول الى مدير اعمال ، ورائد من رواد الكيبوتز ، وقاتل ، وفدائي فلسطيني ، والارهابي السابق الوزير السابق مناحيم بيجن ، ومديرة المدرسة السابقة في ميلووكي التي اصبحت رئيسة وزراء ، و«عربا» مختلفين ، والمحامية فيليسيا لانجر ، وواحد ممن هربوا من مجبر (غيتو) وارسو . أما الظواهر التي جمعت فتتضمن احداثا دينية وحوادث نسف وملاحظات حول المهام الاجتماعية الاسرائيلية . ويشير جمع هذه النتف والاجزاء الى بعضها بعضا من قبل صهيوني اميركي من سان فرانسيسكو الى ان الناتج النهائي سيتضمن بعضا من الاستقلال المصطنع والالتواء . ولا شك في انه بالفعل يتضمن ذلك . وليس الكتاب بالتأكيد « ولع اسرائيل » ، بل هو بالاحرى « من ولماذا؟ » مصغر مسل ويحتوي على قدر لا بأس به من المعلومات للناس الذين قابلهم ليونارد ولف في اسرائيل .

لنعالج أولا الظواهر التي يحتويها الكتاب . ان تجربة السيد ولف فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي الاسرائيلي تؤكد ما اذهب اليه من ان على المرء عندما يزور احدا أن يمضي وقتا طويلا قبل أن تقدم له القهوة . ليس هناك في الواقع والى حد كبير ضيافة غريزية في اسرائيل كتلك التي توجد في العالم العربي وفي باقي آسيا . وهذه ناحية صغيرة ولكنها هامة من النواحي التي تختلف بها اسرائيل عن

جيرانها في اسيا . وتجربة الاستاذ ولف بالنسف مباشرة — كانت زوجته في طريقها الى السوبرسول عندما انفجرت فيه العبوات الناسفة — وانطباعية— كما لو أنها رسمت على قطعة من الخيش الابيض خلال نقاش ليلي مع اصدقاء . ان ولف ليس يهوديا متدينا ، ككثيرين غيره ، وهو يحاول ان يستحث ما يعتقد أن مشاعره الدينية الكامنة خلال وجوده في اسرائيل . ولكنه عبثا يحاول.

هناك مقابلتان أجدهما مثيرتين للاهتمام على وجه الخصوص . أولاهما مع فيليسيا لانجر ، المحامية الشيوعية التي تدافع عن « الارهابيين العرب » في المحاكم العسكرية الاسرائيلية . ويقدم لنا الكاتب صورة متعاطفة للسيدة لانجر على الرغم من انه واضح ان المؤلف يعلم ان السيدة لانجر لا تحظى برضى السلطات الاسرائيلية تماما ، ولا برضى جيرانها الاقربين في رامات جان خارج تل ابيب . غير ان المؤلف يبرر الصورة المتعاطفة التي يصور بها السيدة لانجر بأن يؤكد للقارىء أن السيدة لانجر يجب ان لا تعتبر شخصا لا يطاق بسبب انتمائها السياسي فهي في الحياة الواقعية لا تعدو كونها « أما يهودية » أخرى — وهذه حقيقة استنتجها المؤلف لانها اعطته قطعتين من السندويش ليأكلهما وهو في رطيته من تل ابيب الى القدس . من الواضح ان الاستاذ ولف كان يعتقد انه يعبر عن استقلاله الفكري عندما ضمن الكتاب مقابلة مع السيدة لانجر ، ولكنه نسي أن يذكر ان السيدة لانجر ببساطة تخلص لضميرها فيما يتعلق بالفلسطينيين . وتناسى ان يقول ان السيدة لانجر تؤمن ايمانا عميقا بمبدأ الدولة اليهودية الذي تقول « أننا لن نتخلى عنه » . اما المقابلة مع الهارب من مجبر وارسو فتحتوي على معلومات كثيرة . فالرجل، واسمه بنيامين ايخنر، يصف بالضبط كيف سقط المجبر ، والحقائق التي يوردها تبدد الخرافة التي نسجتها الصهيونية والتي تقول ان المجبر قد جرى الدفاع عنه ببسالة ، وتجعل من ذلك المثل الرئيسي للمقاومة اليهودية للنازيين خلال الحرب . ولكن الواقع ، كما تكشف عنه المقابلة ، هو أن سقوط المجبر كان ألما ممضا مطولا (١٩٤١—١٩٤٣) مبعثه خيانة اليهود لانفسهم وتعاونهم مع النازيين. كانت انتفاضة وارسو حضيض التاريخ اليهودي تحت الاحتلال النازي لا قمته . ان هذه القصة ايضا ككثير غيرها ليست الا خرافة صهيونية اخرى اخترعتها الميثولوجيا الصهيونية بعناية . أما العرب الذين جرت مقابلتهم فهما الاب ريا ابو العسل ، راعي كنيسة المسيح في الناصرة ، وعنان الصفدي احد مراسلي الصحيفة الحكومية الاسرائيلية جروسالم بوست . يعبر الاب ابو العسل بصراحة عن مشاعر الفلسطينيين الذين انتزعت منهم املاكهم . وتغطي مقابلته صفحتين . أما عنان الصفدي فعربي من بيسان وهو متعاون مع الاسرائيليين ويردد الخرافات الاسرائيلية القياسية عن علاقات الفلسطينيين (العرب) واسرائيل . وقد اعتبر السيد صفدي نفسه واحدا من اعضاء ما يدعوه بـ « عائلة الشعوب الاسرائيلية » . وكون ولف قد اختار مسلما لهذه المقابلة أمر هام : فهو يأمل في ان يبين ان المسلمين يمكن ان يكونوا « عرب طيبين » أي « اسرائيليين طيبين » . وتغطي مقابلة الصفدي « العربي — الاسرائيلي الطيب » سبع صفحات مقابل الصفحتين اليتيمتين اللتين خصصتا للاب ابو العسل . فالاب ابو العسل ليس « عربيا طيبا » ، بل هو بدلا من ذلك عربي صريح .

يعتقد كثير من الناس ان الحقيقة يمكن ان يعثر عليها باستشارة عدد كبير من الناس والتأليف بين آرائهم ويبدو ولف في منحى معالجته لاسرائيل والتجربة الاسرائيلية واحدا من هؤلاء، ولكنه يتبنى المبدأ الديمقراطي ويستشير عددا كافيا من الناس . فهو يستشير فقط عددا قليلا من الناس غير العاديين. لقد ردد كل الاسرائيليين اليهود الذين جرت مقابلتهم الخرافات المعتادة عن اسرائيل ولكن يجب ان يقال انه كان بمقدور ولف ان يوسع دائرة المسلح الذي قام به ليصل الى النتيجة ذاتها ذلك ان غالبية الاسرائيليين تؤمن بهذه الخرافات ولقد كان باستطاعة ولف ان يجتنب هذه العثرة ويصل الى الحقيقة لو انه تحمل عناء زيارة قسم الاعلام في رئاسة الوزراء ودائرة النشر الضخمة في وزارة الدفاع . ولعثر هناك على المصدر الذي يستمد منه الاسرائيليون افكارهم عن اسرائيل وتاريخ اسرائيل ، ولاستنتج أن « ولع » اسرائيل ، الى حد بعيد من صنع دعاة اذكياء . ولكن ولف لم يكن يعير اهتماما لدراسة جادة لاسرائيل وشعبها . فقد كان يبتغي كتابة مؤلف مقروء ومقبول اكاديميا ليبرر به عطلته في اسرائيل . وقد نجح في ذلك .

مايكل جانس

Cornell Capa (ed.), **Israel The Reality**
(N. Y., World Publishing Co., 1969).

يحق لنا أن نفترض أن محرر هذا الكتاب شعر أنه يستطيع أن يعطي له هذا العنوان الصارخ « اسرائيل الواقع » لانه مجموعة من الصور ، والكاميرا كما يدعى لا تكذب . صحيح انه كان هناك زمن وضع الناس فيه ثقة عمياء في صدق الكاميرا ، ولكن هذا الزمن مضى وانقضى منذ امد . واصبح معروفا أن الكاميرا لا تقل صدقا أو كذبا عن المصور الذي يستخدمها ، ولذا فانها بالتالي تستطيع أن تأتي كذبا وهي أحيانا تفعل . اما في الكتاب الذي نبحثه ، فليست الكاميرات والمصورون هم الذين يكذبون قدر ما يكذب المحرر، كورنيل كابا ، الذي يقدم صورة لاسرائيل بعيدة جدا عن أن تكون « الواقع » ، وذلك باختيار للصور مفرط في التحيز واختيار سيء جدا للتعليقات .

انه لامر مدهش ان يعود كتاب صدر عام ١٩٦٩ ليصغي الى المثل الاعلى الذي كان يتبناه الصهيونيون قبل اربعين او خمسين او حتى ستين سنة ، وهذا المثل بالتحديد هو أن اليهودي المديني سيتخلص من عقدة الكوسموبوليتية بالعودة الى الارض ليصبح فلاحا بسيطا صلبا . فالكتاب الذي بين يدينا يحاول جاهدا أن يعطي انطباعا رئيسيا هو أن اسرائيل بلد زراعي رعوي ، وهذا انطباع معاكس تماما لـ « الواقع » . ومن هنا يضمن المحرر كتابه صورا عديدة للحملان والرعاة منذ العام ١٩١٠ ولمزيد من الحملان والرعاة منذ العام ١٩٥٢. لكن اسرائيل ليست في الواقع بلدا للحملان ، لا الحملان ذات الارجل الاربعة ولا ذات الرجلين الاثنتين . ان واقع اسرائيل الراهن نتاج لفشل المثل الصهيونية منذ البداية عندما طبقت في الممارسة على الارض الفلسطينية . فمنذ وقت مبكر، ابدى المستوطنون اليهود ميلا واضحا لتفضيل الحياة في المدن ، تلك الحياة التي اعتادوها في أوطانهم الاصلية في اوروبا الشرقية والوسطى ، على العمل الذي يسمو بالروح في الكيبوتزات . وهذا هو السبب في أن اسرائيل اليوم واحد من اكثر الاقطار تصنيعا وتمدينا في العالم ، وتكاد تلحق في ذلك بهولندا وبلجيكا . فثلاثة ارباع سكان اسرائيل يعيشون في شريط المدن الساحلية التي تمتد من عسقلان في الجنوب مرورا بتل ابيب وحيفا حتى عكا في الشمال . هذا الشريط المديني هو واقع اسرائيل . ولكن المدن الصناعية في اسرائيل ، كما في غيرها ، ليست جميلة ، وصورها لا تشكل مادة دعاوية جذابة كهذا الكتاب . ولذا فان المحرر يكاد يتجاهل اسرائيل الحقيقية : فمن بين ١٨٠ صورة لا نجد اكثر من اثنتي عشرة صورة تعرض اوجه الحياة الاسرائيلية المدينية، ولكن هذه الصور برغم ذلك تفلح في اعطاء انطباع عن الابتذال القذر الرث . ان الدعاة الاسرائيليين وكذلك اغلبية سكان اسرائيل يعيشون في احياء مغبرة كريهة الرائحة ان لم تكن قبيحة وقذرة . وبالطبع ليس هذا هو وجه اسرائيل الذي يعرض . ففي جملة وحيدة في اسفل واحدة من الصفحات الاولى يعترف الكاتب « أن الكتاب اصبح ممكنا بفضل هبة من الخطوط الجوية الاسرائيلية (العال) » . وعلى هذا فان السياح اليهود ، من اميركا بصورة رئيسية ، لن يستقلوا طائرات العال الى اسرائيل اذا قيل لهم مسبقا انهم سيرون حارات خلفية كتلك التي يعيشون فيها .

ان من بين الصور المثيرة للانتباه في هذه المجموعة تلك الصور التاريخية التي تعود الى فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى. وواحدة منها تصور الشارع الرئيسي في بتاح تكفا وتعود الى ١٩١١ ، وهي مثيرة على وجه الخصوص لانها تبين ان الصهيونيين استطاعوا ان يخلقوا على بعد بضعة أميال من الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط نسخة مضبوطة لقرية انموذج لقرى البلقان أو أوروبا الوسطى . وهذه الصورة بالاضافة الى بعض الصور الاخرى توضح بجلاء أن المستوطنين الصهيونيين كانوا غرباء عن الشرق الاوسط تماما حتى في ذلك الحين : لقد كانوا غرباء الى حد جعلهم يخلقون حولهم منظرا طبيعيا اجنبيا .

وبغض النظر عن التحريف المتعمد غير الواقعي ، فان الكتاب في بعض التعليقات على الصور يكذب كذبا مفضوحا . وأسوأ هذه الاكاذيب قاطبة تلك التي ترافق صورة لجنود المدرعات الاسرائيليين وهم يعتمرون الخوذ الفولاذية وفي الوقت ذاته يرتدون ملابس الصلاة ويحملون الكتاب المقدس ، واعينهم تتطلع نحو السماء مليئة بالخشوع والتقوى : ويفترض أن يكون هؤلاء « جنودا

اسرائيليين يصلون الفجر بينما الطائرات المصرية تقترب من سيناء في ٦ حزيران ١٩٦٧ » . ومع ذلك ففي قلة من الصور لا تكذب الكاميرا . وهذه هي الصور المتعلقة بالاحتلال الاسرائيلي والتي تصور القوات الاسرائيلية وهي تفتش احدى القرى طالبة من السكان التعاون معها ، والسكان يستجيبون لذلك ، حتى أنهم يقدمون لها القهوة : وهنا نرى أن العداء الذي يبدو على وجوه الفلسطينيين وهم يحدقون في الكاميرا يلغي التعليقات المتفائلة التي ترافق الصور .

أما بالنسبة للقارىء ، أو بالاحرى الناظر ، العربي فان اهم صورة في الكتاب هي ما قبل الاخيرة . وهي صورة تغطي صفحتين من الكتاب وتصور المنظر من قمة برج شالوم ذي الطوابق الثلاثين في تل ابيب . وقد اخذت الصورة في يوم رائق الجو وتبدي بنايات وشوارع والمزيد من البنايات والشوارع على امتداد المدى الذي تستطيع أن تلتقطه عين الكاميرا . هذه هي اسرائيل الواقع، هذا هو هدف التحرير. يبدو أن الدعاية الاسرائيلية المصورة الذكية (التي يمثل هذا الكتاب أحد أمثلتها الجيدة) تهدف الى اقناع اصدقاء اسرائيل وكذلك اعدائها ان اسرائيل بلد زراعي وليس مدينيا . ولكن اذا ما أدرك واقع اسرائيل كبلد مديني ، فان المرء يأمل ان يأخذ الكفاح الفلسطيني المسلح ذلك باهتمام خاص .

جودفري جانسن

Sir Laurence G. Smith, **Bright Levant**
(London, John Murray, 1971).

كتاب آخر عن العالم العربي من منشورات جون موراي ، الذي يكاد يصبح ناشرا متخصصا بشؤون الشرق الاوسط . والمؤلف دبلوماسي بريطاني قضى أكثر من نصف قرن يعيش مع العرب في القاهرة وجدة والموصل والخرطوم . وهو يبدأ كتابه بصورة « المشرق المتلألىء » في اشعة الشمس وينهيه بصورة يكتنفها الاكتئاب والاشمئزاز بل وحتى التأسي على الذات . ومن يقرأ الكتاب بقصد العثور على حقائق غائبة فيما يتعلق بالدبلوماسية العربية — الانكليزية سيصاب بخيبة أمل ، أما من يقراه بقصد الاستمتاع به فسيجد فيه ما يعوض ما دفعه من ثمن ويزيد . ان لمن المؤسف حقا أن يكون السير لورنس موظفا حكوميا ، فقد كان يجب ان يصبح فنانا . فهو في القصص الصغيرة التي يرويها يبدي موهبة فذة وقدرة على الملاحظة والتفكه ويعبر عن الاوجه المجنونة لـ « الحياة الرئيسة » بالطف الكلمات والذع الجمل ، بملاحظات وظلال مختصرة اختصار ملاحظات وظلال بوتيشيللي .

والسير لورنس كفنان ساخر متفنن في السخرية ولا يحتاج المرء ليتيقن من ذلك غير أن يقرأ القصص التي يرويها عن حافظ عفيفي وام كلثوم وهي تغني تحت الشرفة المزخرفة . وعن تعقيم طوابع الشريف حسين الجديدة قبل ارسالها الى الملك جورج وعن الحوض الذي اهداه هنري كنج الى الشريف حسين (لم يكن في قصر الشريف ماء جار ، فوضع الشريف الحوض على السطح ليجمع فيه ماء المطر) . وقد بدت روح الفكاهة لدى السير لورنس في وقت مبكر عندما كان لا يزال قنصلا مساعدا في جدة ، اذ نشر في التايمز في رأس السنة الجديدة ملاحظة تقول « البريطانيون الاربعة في الحجاز يتمنون جميعا لمن تبقى من العالم عاما جديدا سعيدا ويتمنون لانفسهم عاما باردا » . كلا ، لم يحب السير لورنس جدة ، ولا احب الموصل التي قضى فيها سنتين تعيستين انتهتا بطلاقه لزوجته . ولا شك ان المرء يتساءل عما اذا كانت متاعب السير لورنس الزوجية قد جعلت الموصل تبدو باعثة على الكآبة له او أن

حياة الموصل المضجرة هي التي جعلته يطلق زوجته . غير انني وقد قضيت يومين في تلك المدينة العراقية اميل الى القول أن الاحتمال الثاني هو الارجح .

الافراط في السخرية موقفسلبي يصبح صاحبه عاجلا او آجلا كالحطيئة يكره كل الناس . فمن بين كل الشخصيات التي يرد ذكرها في « برايت ليفانت » نجد أن أحدا لم يستحوذ على اعجاب المؤلف بلا تحفظ غير الملك عبد العزيز بن سعود في الجانب العربي واللورد كرومر في الجانب البريطاني . حتى أن تشرشل ذاته لم يفلت من قلم المؤلف الحاد . فقبل ان يقابل رئيس الوزراء البريطاني ابن سعود تلقى نصيحة بأن لا يمس مسألة فلسطين . ولكن تشرشل أبلغ المؤلف انه لو أراد أن يبحث المسألة ويكسب مباركة الملك للمشروع الصهيوني لحاول أن يقول : كما أن بريطانيا أسدت للعرب جميلا فأعطت العراق لفيصل ، ينبغي على العرب أن يردوا الجميل بمثله ويعطوا فلسطين لليهود . هذا ما كان سيقال لابن سعود ، الد اعداء الهاشميين ! أما تعليقات سميث على مسألة فلسطين فحرية بالتفات أولئك السياسيين البريطانيين الذين يضحون بمصالح بلادهم على مذبح حفنة من الاصوات اليهودية في الانتخابات العامة . « لقد ترعرعت مع رسالة مكماهون كخلفية وحيدة لتفكيري فيما يتعلق بالمخططات الخاصة بالعالم العربي في فترة ما بعد الحرب ، ويعود ذلك جزئيا الى أن حياتي العملية، كحياة معظم زملائي ممن عملوا في المشرق ، قد تأثرت تأثرا بالغا ، بل سممت ، بردود فعل المسلمين تجاه دعمنا للصهيونية السياسية » . ويتصدى المؤلف لمسألة رسالة مكماهون فيناقش دعوى العرب ان فلسطين لم تكن مستثناة من المملكة العربية ، ولكن اشارته الى « ردود فعل المسلمين » بالغة الدلالة . فبالنسبة للمؤلف ، لم توجد القومية العربية قط ، وحيث وجدت كانت لعنة . واعتذار المؤلف لجيله من الدبلوماسيين الذين كانوا يمضون اوقاتهم في نادي محمد علي فلا يعرفون شيئا عن الجماهير المتململة اعتذار يبعث على الشفقة . وليس ذلك لانه يتطلع بأي قدر من الاعجاب الى الباحثين عن الثروة والسياسيين الفاسدين من باشوات وامراء ما قبل عهد الثورة. على العكس من ذلك ، سيجد القادة الحاليون خيرا في ترجمة ما يرويه المؤلف عن الحياة التي كان يعيشها أفراد « نخبة » تلك الفترة : ضعفهم الذليل أمام النساء ، نهمهم المتهتك للمركز والثراء، جهلهم ، تحللهم ، لصوصيتهم وخياناتهم . حتى ان سادة مصر الملكيةخلفوا لنا طقسا عربيدا من طقوس الجريمة . فعندما صدرت الاوامر بادخال بعض التعديلات على قصر المنتزه ، وجد المعمار الايطالي هيكلين عظميين لرجل وامرأة مدفونين في أحد الجدران .

ان حب السير لورنس لابن سعود وكرومر يفسر موقفه ، أي موقف القيادة الابوية . فلو لم يغرق الالمان كرومر وسفينته(!) لكان مجد بريطانية في العالم العربي خالدا . فبدون كرومر والنخبة التي كان يستعين بها من الخبراء الممتازين ، أصبحت رئاسة الوزراء تعتمد على موظفين من الدرجة الثانية ، وجرى التعويض عن النوع بالكم ، وكان الكم يحمل في احشائه انحطاط النوع الى مستوى عادي . فاستطاع العرب أن يبددوا خرافة السوبرمان الانجليزي اذ اكتشفوا أنه ليس بأفضل منهم . وكان هذا بداية المتاعب لانجلترا . وخلال الحرب كانت النقود التي سكبتها انجلترا في المنطقة لشراء البضائع والخدمات تذهب الى جيوب المقاولين اليهود فلا تصل ابدا الى الفلاح الفقير . وفي محاولة أبوية أخرى ، اقترح سميث تشكيل دائرة خاصة لتشتري من الناس مباشرة ، ولكن انجلترا كانت مشغولة بالحرب الى درجة لا تسمح لها بالاهتمام بالفلاحين ، وكتب الجنرال فيليب ميتشيل يطلب فصل سيمور سميث . فظل الفلاحون يبيعون منتوجاتهم باسعار العام ١٩٣٩ ، وظل أصحاب المشاريع اليهود يلتهمون الفارق الضخم في الاسعار ، على حد رواية المؤلف . الكتاب غني بـ « لو أن »، ولكن لا شك في أن أعظم « لو أن » من بينها جميعا ، هي : لو أن آرثر بلفور كان فتاة.

خالد القشطيني

ثلاث رسائل

(١) رسالة بريطانيه: الاذاعة البريطانية والصراع العربي الاسرائيلي

اذاعة لندن* هي من اقدم الاذاعات في العالم، كما أنها أشهرها على الاطلاق . فبالاضافة الى الاربع وثلاثين لغة ، منها العربية ، التي تذيع بها ، فان برنامجها الانجليزي العام لما وراء البحار يبث طوال اربع وعشرين ساعة في اليوم ، وله جمهور كبير منتشر في جميع ارجاء الارض من بين الذين ينطقون بالانجليزية كلغتهم الام، كالشعب الاسترالي والنيوزيلندي والكندي والامريكي ، او كلغة اضافية ، مثل ما هو الامر في الهند والباكستان والشرق الاوسط وبعض الاجزاء من افريقيا . والاذاعة البريطانية هي اذاعة المحترفين الاولى في العالم ، فمنها تستقي الاذاعات الاخرى والصحف ووكالات الانباء وحتى الحكومات اخبارها ، كما ينصت اليها رجال الدولة والاقتصاد بانتظام. فكان مثلا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ينصت اول ما ينصت في الصباح الباكر الى نشرة اخبار البي بي سي . وهي تذيع ما لا يقل عن ست عشر نشرة اخبارية كاملة في اليوم ، مدة كل منها تسع دقائق ، بالاضافة الى نشرات ملخصة اخرى . كما تقدم تعليقا على الانباء يكتبه ويلقيه مراقب سياسي مختص من هيئة الاذاعة نفسها ، او من خارجها ، ويذاع في اعقاب ثماني نشرات اخبارية . ومدته ست دقائق . وتقدم اذاعة لندن ايضا جريدة ناطقة للاخبار تتضمن تقارير مراسليها المنتشرين في أنحاء العالم ، وتذاع سبع مرات يوميا ومدتها ربع ساعة . وعلاوة على ذلك تذيع لندن البرامج السياسية التالية : **العالم اليوم** : وفيه يلقي المذيع أسئلة على أربعة او خمسة مراسلين او مراقبين مختصين حول قضية سياسية ذات اهمية آنية . وقد يحدث احيانا ان يلقي المذيع اسئلة من الاستديو في لندن على المراسل الموجود في البلاد التي اعتمد فيها ، فيجري الحوار عبر الاثير . هذا البرنامج يكرر خمس مرات في اليوم، ومدته ربع ساعة . **المنصة** : وفيه يتناقش الخبراء والاختصاصيون والسياسيون فيما بينهم حول موضوع معين . ويختلف عن البرنامج السابق في ان كلا من المشتركين هنا يدلي برأيه ويناقش آراء الاخرين . اي لا يقتصر الامر على السؤال من الاستديو والرد من المراسل كما يجري في « العالم اليوم » . يذاع مرتين في الاسبوع ، والمدة نصف ساعة . **نظرة** : وفيه تطلب الاذاعة من أي شخص له علاقة او خبرة ، الاجابة على اسئلة متعلقة بخبر اذيع قبل ساعات او حتى دقائق . مثلا حدث بعد تشكيل الوزارة العسكرية في الاردن في ايلول الماضي ان طلب مخرج هذا البرنامج من انسور نسيبه المقيم في القدس المحتلة الاجابة على بعض الاسئلة بصفته وزير دفاع أسبق في الحكومة الاردنية . فذهب الاخير الى محطة الاذاعة الاسرائيلية التي سجلت المقابلة لحساب البي بي سي . يذاع هذا البرنامج مرتين في اليوم . وفي النسخة المسائية يلقي المذيع نظرة على عناوين الصحف المسائية في لندن . مدته اربعون دقيقة . **ما تقوله الصحف البريطانية (اليومية) في افتتاحياتها** : ويتضمن ملخصا لآراء الصحف . ويكرر سبع مرات في اليوم . المدة ست دقائق . **ما تقوله المجلات الاسبوعية (البريطانية)** : ويذاع مرتين في الاسبوع . المدة ربع ساعة . **من مراسلنا الخاص** : برنامج اسبوعي يذاع يوم الاحد مرتين . وفيه يقدم اربعة من مراسلي البي

---

* هذا البحث يقتصر على البرنامج الانكليزي العام لما وراء البحار ولن يتطرق الى البرنامج العربي .

بي سي تقاريرهم المفصلة عما وراء الاحداث ذلك الاسبوع ، من البلدان التي كلفوا بتغطية اخبارها. المدة نصف ساعة . **ما تقوله الاذاعات الاخرى :** ويتضمن ملخصا لاهم ما تذيعه اذاعات دول يصادف أن تكون تحت الاضواء ذلك الاسبوع . يذاع يوم الاحد مرتين . ربع ساعة .

من ذلك نرى ان البي بي سي هي حقا دار الاذاعة ذات التغطية الافضل لاحداث الساعة في العالم، مما جعل الاذاعات الاخرى تنصت اليها بانتظام ليس فقط لتستقي منها المعلومات والاخبار ، بل حتى لترتب فقرات الانباء في نشراتها على غرار ما تفعله اذاعة لندن . لا شك اذن ان البي بي سي هي اشهر مؤسسة بريطانية في العالم ، اشهر بكثير من سكوتلنديارد وشركة رولز رويس ومجلسي العموم واللوردات وقصر بكنغهام الذي هو مقر الملكة . والذي كتل لاذاعة لندن الاستقلال في الراي والاتجاه هو تحررها الاداري التام عن الحكومة البريطانية، مع انها طبعا مؤسسة بريطانية رسمية (corporation) وليست شركة اهلية ، اذ يتحمل نفقاتها دافع الضريبة البريطاني . انها مستقلة حتى عن رئيس الوزراء نفسه ، فلا يتمكن من املاء سياسته او سياسة حزبه الحاكم عليها. بل أنها ابان حرب السويس عام ١٩٥٦ اتهمت باتخاذ موقف غير ودي من الحكومة المحافظة آنذاك ، مع ان تلك الحكومة كانت تمثل اغلبية الشعب البريطاني ، وقد جر عليها ذلك انتقاد انتوني ايدن وانصاره . اذن فاذاعة لندن هي ليست عادة بالمؤسسة الاعلامية التي تتراكض لاهثة متزلفة وراء الرأي العام في البلاد كاشهر الوسائط الاعلامية في العالم، بل أنها بحكم سمعتها الحسنة في الموضوعية والتجرد، تحاول اتخاذ موقف اولمبي في شموخه من أحداث العالم ، وهو بالذات الموقف الذي أمن لها ولاء أكبر جمهور من المستمعين في ارجاء الارض ، وجعلها المؤسسة التي تخصص لها الميزانية البريطانية الاموال بسخاء حتى ابان الازمات الاقتصادية . ولكن هل اذاعة لندن ذات رأي حر مستقل في قضية الشرق الاوسط ؟ هل هي متحررة من الضغوط الصهيونية تحررها من الاعلانات وتهديدات المعلنين ؟ او بعبارة اخرى ، هل نجحت في الاختبار الاكبر الذي سقطت فيه الاغلبية المطلقة لصحف العالم الغربي واذاعاته ؟

في عدد ١٩/٣/١٩٧٠ من مجلة « ذي ليسنر » ، وهي مجلة تصدرها هيئة الاذاعة البريطانية ، وتتضمن نخبة من المقالات السياسية والادبية كانت قد اذيعت قبل ذلك في البي بي سي ، ظهر مقال لاذاعي اسمه براين ماغي بعنوان « التحيز » ، كان قبل ذلك قد اذيع في نطاق « البرنامج الثالث » الشهير المخصص للقضايا الفكرية . وفي هذا المقال — الحديث تحدث الكاتب عن تحيز وسائط الاعلام البريطانية للجانب الاسرائيلي اثناء حرب حزيران وبعدها ، وروى كيف أنه اعد برنامجا تلفزيونيا يبحث شعور العرب بعد هزيمتهم ، فاذا الاحتجاجات تنهال عليه من كل صوب ، وتلصق به تهمة الانحياز للعرب ، واذا بالموضوع يثار في مجلس العموم . ثم استخلص ماغي من ذلك بأن الشخص لا يمكن ان يعتبر موضوعيا ومحايدا في بريطانيا الا اذا اقتصر على تقديم وجهة النظر الاسرائيلية. اما اذا ألحق بها وجهة النظر العربية، فهو يعتبر عند ذلك متحيزا ضد اسرائيل . وكان الاستنتاج النهائي الذي توصل اليه براين ماغي في مقاله هو أنه توجد — على حد قوله — «رغبة أكيدة في عدم الاستماع الى وجهة النظر العربية » مستنتليا من ذلك الى القول بأن « الكثيرين لا يعلمون اساسا ان للعرب وجهة نظرتستحق الذكر، بغض النظر عما هي » . وقد استعرض الكاتب في سياق مقاله تاريخ نشوء اسرائيل ، وما رافق ذلك من احتجاجات عربية حول الدولة الجديدة التي كانت في رأيهم ستصبح رأس جسر للاستعمار في المنطقة ، وكيف ان الدول الغربية ظلت تستخف بهذه الاحتجاجات وتتجاهل مخاوف العرب ، الى ان وقعت حرب السويس عام ١٩٥٦ فأكدت بصورة لا تقبل الشك بأن مخاوف العرب كانت في محلها.

وتلا مقال ماغي مقال اخر في نفس العدد من مجلة « ذي ليسنر » بعنوان « الردهية » بقلم اذاعي اخر اسمه ف. ر. مكنزي ، وفيه تحدث عن حساسية اليهود المفرطة تجاه كل ما يصوره خيالهم لهم بأنه اهانة موجهة اليهم . فروى كيف انشغلت بدالة تليفونات البي بي سي بمكالمات الاستنكار قبل اعوام قليلة ، بعد أن اذاع الراديو وصفا لسجين هارب تضمن العبارة: له ملامح يهودية. وقارن الكاتب ذلك مع انتشار النكات والتشنيعات على العرب في المسارح البريطانية ، والتي تقابل بالضحك والاستمتاع ، فخلص الى القول بأن هناك مناخ راي في بريطانيا اليوم يسمح بمعاملة العرب كما كان اليهود يعاملون في الثلاثينات ، اي باحتقار

وكانهم انصاف بشر ، كما ذكر أن استنتاءا للراي العام قامت به مؤسسة غالوب بتكليف من صحيفة « ديلي تيليغراف » عام ١٩٦٧ اظهر بأن ٥٩ بالمئة من البريطانيين يؤيدون اسرائيل ، مقابل أربعة بالمئة يناصرون العرب . واستطرد مكنزي يقول بأن كل من ينتقد اسرائيل يتعرض لحملة اغتيال لسمعته ، وللاتهام بانه معاد للسامية . اما اليهود الذين يعارضون الصهيونية ، امثال ايلمر بيرغر وموشي مينوحين وغيرهما ، فهؤلاء يوصمون بالخيانة . ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن قضية الاذاعي البريطاني كيث كايل الذي اتهم بالتواطؤ مع الفدائيين، وكيف انه بالرغم من السخافة الواضحة للتهمة ، فقد تعرض كايل للمقاطعة العامة في اسرائيل عندما منعت غولدا مائير وزراءها من اعطائه اي حديث ، بل وهددت حتى بالقاء القبض عليه . كما تعرض توني سميث ، زميل كايل في البرنامج ، الى حملة تجريح مشابهة ، وقام وفد من النواب اليهود في مجلس العموم البريطاني بزيارة اللورد هيل ، رئيس مجلس ادارة البي بي سي ، لتقديم الاحتجاج حول « انحياز » الاذاعة الى جانب العرب . وهذه الضجة المفتعلة كلها ادت ، كما ذكر مكنزي في مقاله ، الى ان يقوم المستر كوران ، المدير العام للبي بي سي ، بدعوة السفير الاسرائيلي ريمبز مع ملحقه الصحفي الى الغذاء والاجتماع بمدراء الاذاعة . ثم تطرق مكنزي بعد ذلك الى التحيز الواضح في الصحف البريطانية ضد العرب ، وخاصة في « التايمز » و« الغارديان » ، وعن انشاء « مجلس انماء التفاهم العربي البريطاني » (كابو) من قبل بعض البريطانيين ذوي النظرة الموضوعية في قضية الشرق الاوسط ، امثال مايكل آدمز وكريستوفر ميهيو ، وذلك لخلق حركة ردهية عربية قوية من اجل مواجهة الضغوط الصهيونية على الحكومة البريطانية ووسائط الاعلام في البلاد .

وقد أثار هذان المقالان ضجة كبيرة في صفوف الصهاينة ببريطانيا ، فامتلأت الاعمدة المخصصة لرسائل القراء في ستة اعداد متتالية من مجلة « ذي ليسنر » برسائل الاستنكار . وكان بين المحتجين على المقالين جيكب غيفرتز من صحيفة « جيويش كرونكل » والنائب اليهودي في مجلس العموم فكتور ميشون . أما من المؤيدين فكان يوجد الصحفي مايكل ادمز وهاري هوبكنز (مؤلف الكتب عن الشرق الاوسط) والنائب ايان غيلمور . وعن اليهود المعادين للصهيونية نشرت « ذي ليسنر » رسالتين . واحدة من صولي ساخس (جنوب افريقيا) واخرى من مارك براهام (استراليا). ولم تكن تلك اول مرة تغضب فيها اذاعة لندن مؤيدي اسرائيل في بريطانيا ، فانها كانت قد اثارت عداءهم في وقت سابق عندما ألغت البرنامج العبري الموجه الى اسرائيل . ومع ان السبب الذي دفع الاذاعة الى اتخاذ تلك الخطوة كان الضائقة المالية الشديدة التي ألمت بها من جراء الازمة الاقتصادية الخانقة التي عمت البلاد ، ومع ان البي بي سي خفضت ايضا البرنامج العربي بمقدار ساعتين في اليوم (دون ان تقوم ضجة عربية او غير عربية حول ذلك) واشارت ايضا الى ان اليهود في اسرائيل يفهمون الانجليزية على كل حال ، ويفضلون الاستماع الى البرنامج الانجليزي العام لما وراء البحار (وتشهد على ذلك الطلبات العديدة التي تصل الى فكتور سيلفستر، قائد الاوركسترا المعروف ، من المستمعين الاسرائيليين لعزف الحانهم المفضلة) وانه بالتالي لا يكاد يوجد جمهور من المستمعين للبرنامج العبري، الا ان الغطرسة الصهيونية اعتبرت ما أقدمت عليه اذاعة لندن بمثابة تحد وقع لها ، فالبرنامج العبري يجب ان تستمر اذاعته حتى وان لم يستمع اليه احد ، فالمهم هو اثبات وجود للعبرية في لندن ، واستمرار المذيعين والمشرفين اليهود في قبض رواتبهم من دافع الضريبة البريطاني .

ان الغاء البرنامج العبري ، والسجين صاحب الملامح اليهودية ، و« تواطؤ » كيث كايل المزعوم مع الجبهة الشعبية ، و« تحيز » توني سميث للعرب ، وبرنامج براين ماغي « غير الموضوعي » عن شعور العرب بعد هزيمتهم ، وحديث مكنزي عن الردهية الصهيونية في بريطانيا ، والرسائل العديدة التي نشرتها «ذي ليسنر» حول هذا الجدل المستعر ، كل ذلك دفع بالصهاينة الى القاء كامل ثقلهم على الاذاعة البريطانية من اجل الضغط عليها كي تتخلى عن موضوعيتها التقليدية وتنحاز الى جانبهم . فهل استسلمت البي بي سي للضغط ام استمرت سائرة على خطها الموضوعي المحايد ؟ للاجابة على هذا السؤال ينبغي القاء نظرة على برامج البي بي سي التي تطرقت الى الصراع العربي الاسرائيلي خلال العام المنصرم (١٩٧٠) والربع الاول من العام الحالي ، مع الاشارة الى أن الباحث الذي يبغي وضع برامج اذاعية تحت

مجهر الفحص لاختبار موضوعيتها وحيادها ، لا يقوم بعملية سهلة ، فالنصوص التي عليه دراستها ليست متوفرة كلها امامه، باعتبار ان الكلمة المذاعة على الهواء ليست باقية للمراجعة كالكلمة المكتوبة. ولذا لا يمكن اعتبار هذا التقرير الا على انه تمهيدي ويحمل صفة تجريبية . وقد تتاح الفرصة للباحث العربي او غير العربي ان يراجع في المستقبل ارشيفات البي بي سي في لندن ، فيقرأ النصوص ويعيد الإستماع الى التسجيلات ويتناقش مع المشرفين على الاذاعة ، من اجل كتابة دراسة اغزر مادة واكثر شمولا .

للبي بي سي ثلاثة مراسلين دائمين في العالم العربي : اولهم هو مراسلها الثابت في الشرق الاوسط ومقره في بيروت ، والثاني مراسلها في القاهرة ، والثالث مراسلها في المغرب . وهؤلاء هم عادة من البريطانيين الاقحاح . أما مراسلو اذاعة لندن في اسرائيل ، فهما يهوديان : مايكل الكنز (الذي يراسل ايضا مجلة نيوزويك الاسبوعية الامريكية ، وهو نفسه من اصل امريكي) وآشر ولفش . ويعاونهما احيانا مراسل ثالث هو جون بيرمان ايضا يهودي . والسؤال الحتمي الذي يتبادر الى الاذهان هو : لماذا اعتمدت البي بي سي مراسليها في اسرائيل من بين اليهود ؟ اذا كان هذا التعيين يستند الى الافتراض القائل بأن ليس كل يهود العالم صهاينة (وان كانت الاستفتاءات قد اثبتت بأن ٩٩ بالمئة من اليهود في العالم يمنحون اسرائيل درجات متفاوتة من التأييد) فليس من المعقول بتاتا ان تسمح اسرائيل ليهودي غير صهيوني ان يقيم فيها كمراسل لاذاعة اجنبية كبرى باهمية اذاعة لندن ، في الوقت الذي توصم فيه الصهيونية العالمية كل يهودي لا يناصر اسرائيل بالخيانة والارتداد عن الدين . فكما كان جون فوستر داليس ، وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد ايزنهاور، يصف الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية ، باللااخلاقية ، كذلك لا يمكن لاسرائيل مطلقا ان تعترف ليهودي بحقه في اتخاذ موقف محايد منها .

ان الصهيونية لا تعترف بوجود يهودي غير ملتزم باسرائيل ، وهي لم تتورع عن اتهام ساخس وبراهام حتى في يهوديتهما عندما انتقدا اسرائيل لرفضها الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران . لقد تعرض الرجلان لحملة شعواء ومقاطعة يهودية شاملة لا تختلف عن عملية التحريم التي كانت الكنيسة الكاثوليكية في السابق تعاقب بها كل من يخرج عن القطيع . فمارك براهام مثلا فصل من وظيفته كمحرر في جريدة يهودية واضطر الى مغادرة وطنه استراليا ، كما أتهم بالمروق والعمالة للقاهرة . ولم تنشر الصحف اليهودية رسائله التي دافع فيها عن نفسه . ولم يشفع لبراهام او ساخس تأييدهما لبقاء اسرائيل، او أن اعتراضهما على السياسة الاسرائيلية اقتصر على مطامح تل ابيب التوسعية ، فالصهيونية تعتبر جميع اليهود في العالم شعبا واحدا قلبه النابض اسرائيل .فقبل انشاء الدولة اليهودية بخمس سنوات، وقف بن غوريون أمام حشد يهودي بفلسطين ليعلن: « ان اليهود في العالم يكونون شعبا واحدا » . كما نص البند الاول في مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين الذي انعقد في نيويورك عام ١٩٦١ بأن « كل يهودي في العالم جزء من مجموعة قومية واحدة » . وفي عام ١٩٥٩ كتبت صحيفة يهودية تقول : « ان يهود العالم شعب واحد بمركزين حيويين ، اسرائيل وبلاد المنفى . واحدهما يجب ان يزود الاخر بالامن واستمرار الوجود » . ان المبدأ الاساسي الذي ترتكز عليه الصهيونية هو اعتبار كل يهودي في العالم مواطنا في أرض الميعاد ، له الحق مطلق الحق في طلب حماية الدولة اليهودية ، والدولة اليهودية بدورها تتوقع منه ان يمنحها ولاءه الكامل وتأييده غير المشروط . معنى ذلك أن الكنز وولفش هما مواطنان اسرائيليان يقع على عاتقهما ، اسوة ببقية اليهود ، « تزويد اسرائيل بالامن واستمرار الوجود » . فهل فاتت على هيئة الاذاعة البريطانية هذه الحقيقة البديهية ؟ هل تتوقع حقا ان يتجرد الكنز وولفش من التزامهما بالقضية الاسرائيلية من أجل تزويدها بتقارير لا يرقى الشك الى دقتها وعدم انحيازها ؟ والا فلماذا لا تقطع البي بي سي الشوط كله في هذا المضمار وتعين مراسلها في موسكو من الروس ، وفي بكين من الصينيين وفي القاهرة من العرب ؟

ان كل من ينصت الى مايكل الكنز وهو يقدم تقريره على الاثير في نطاق برنامج « الجريدة الناطقة » لا يمكن ان ينسى نبرة صوته عندما ينهي كل تقرير يتضمن خبر هجوم عربي على اسرائيل بالعبارة التالية : « لا بد لاسرائيل أن تنتقم » . ومن الجدير بالذكر ان ونستن تشرتشل الحفيد ، المعروف بتأييده لاسرائيل ، أثنى عليه في كتابه « حرب

الايام الستة » الصادر في ١٩٦٧ وقال انه قام بمهمته كمراسل خير قيام ابان الحرب ، بالرغم من شك بعض البريطانيين في تجرده وموضوعيته بسبب يهوديته . وتجاهل تشرتشل بذلك حقيقة بسيطة جدا ، وهي أن الانهيار العربي السريع كفى الكنز شر تزييف الاخبار او تحريفها ، وان تصرفه ابان حرب حزيران لا يمكن مطلقا ان يصبح القياس الذي يعتمد عليه في أية احداث قادمة. وفعلا كشفت الاحداث فيما بعد تحيزه الكامل لاسرائيل عندما غطى بتقاريره اشتباكات قناة السويس وهجمات الفدائيين وحرق المسجد الاقصى .

ان الكنز ليس مراسلا مهمته تحليل الاحداث وتقديمها الى المستمع داخل اطار من الموضوعية والتجرد ، وانما هو محام بارع للدولة الصهيونية، ويشهد بذلك تبييضه الدائم للدوافع الاسرائيلية واختياره بعناية رجل العلاقات العامة الدقيق المصدر الاسرائيلي الذي يريد الاستشهاد به . فنادرا ما نسمعه يستشهد بأحد « المتطرفين » المتنفذين في اسرائيل من امثال مناحيم بيغن ، زعيم حزب جاحال ، والجنرال اليعازر ، وغيرهما من الصهاينة الذين لا يهمهم ان يجهروا بمطامعهم بل انه دائما ينقل حديث الاسرائيليين «المعقولين» حتى وان كان هؤلاء من المزيفين ، او غير المتنفذين من الذين لا يمثلون الرأي العام. ويجب الاشارة في هذه المناسبة الى ان اذاعة لندن نفسها كانت قد اذاعت مرة في ضمن برنامجها المسمى « من مراسلنا الخاص » تقريرا لمراسل لها وصف فيه ما يجب ان يكون عليه المراسل الخاص في بلاد اجنبية ، فأكد على ضرورة تجنبه ان يصبح محاميا لتلك البلاد ، ذاكرا ان واجبه هو ان يحلل من الداخل سياستها ويبين دوافع تلك السياسة ، لا ان يكتفي بشرح موقفها للعالم ويتخذ له المعاذير . فأي من الدورين يقوم به مايكل الكنز ؟

اما زميله اشر ولفش فهو لا يحاول حتى ان يبدو بمظهر المراسل المحايد ، فالفدائيون العرب هم مخربون وارهابيون في تقاريره التي يذيعها بصوته في « الجريدة الناطقة » مع ان البي بي سي تطلق على الفدائيين اسم « الغوريللا » في نشراتها الاخبارية . وجميع التقارير التي يقدمها هذان المراسلان عن الحالة في غزة هي مستقاة من مكتب الانباء التابع لوزارة الدفاع الاسرائيلية ، اي ان حوادث المقاومة وارقام الاصابات كلها مستقاة من الناطق العسكري الاسرائيلي ، ينقلها الكنز او زميله ولفش الى المستمع وكأنها اخبار لا يرقى الشك الى صحتها .

ان الرقابة الاسرائيلية شديدة على المراسلين ، وقد سبق ان طرد مراسل كندي لاحدى الاذاعات الامريكية من البلاد لانه (على حد زعم اسرائيل) استعمل العبارة « غزو مصر » ليصف الغارة التي قام بها الاسرائيليون على الضفة الغربية لخليج السويس عام١٩٦٩. الا ان اذاعة لندن تتغلب عادة على عقبة الرقابة في الاقطار الاخرى، فتكلف مراسلا اضافيا التوجه الى البلاد المعنية بالامر ليستقي المعلومات الصحيحة ، ثم يعود الى لندن ، او يسافر الى بلاد مجاورة ليذيع اخباره من هناك . وهذا ما تفعله البي بي سي عندما تريد تفادي الرقابة المصرية ، فتكلف مراسلها في بيروت التقصي عن النبأ المطلوب في صيغته الحقيقية ، اذا عجز مراسلها بالقاهرة عن تمريره عبر الرقابة المصرية. اما بالنسبة لاسرائيل ، فلم يحدث حتى الان ان لجأت البي بي سي الى هذه الخطوة الاضطرارية . وهكذا تظل المعلومات الحقيقية ذات الاهمية الكبيرة تحت رحمة مراسلها المنحاز لاسرائيل . وحتى لو حدث ان حاول هذا المراسل ان ينسى ولاءه الصهيوني ، فالرقابة الاسرائيلية كفيلة بخنق الخبر في المهد .

ولا ينحصر التأييد السافر لاسرائيل في تقارير الكنز وولفش فقط ، بل يتجاوزه الى ترتيب الانباء في نشرات الاخبار . مثلا : طوال يوم كامل قبل اشهر كان النبأ الاول الذي يتوج كل نشرة هو اعلان غولدا مائير عن استعدادها للسفر الى القاهرة ، والتباحث مع الرئيس انور السادات وجها لوجه. ومغزى اذاعة هذا النبأ في مقدمة النشرة هو اضفاء اهمية بالغة عليه . ولما كانت اذاعات كثيرة اخرى تقتفي اثر « المعلمة » لندن في ترتيب فقرات الانباء في نشراتها ، فقد كان هذا اهم خبر في العالم ذلك اليوم ، مع ان الناطق الرسمي المصري فضح تفاهته (وقد اذاعت لندن تصريحه) ومن المصادفات ان النشرة ذلك اليوم تضمنت ايضا خبر انشاء اسرائيل مستعمرة جديدة في سيناء ، الا انه حشر بين الانباء الثانوية .

ولدى هيئة الاذاعة البريطانية مجموعة من المعلقين المختصين بشؤون الشرق الاوسط يمكن وصفهم بأنهم جميعا من المتحيزين ضد العرب ، وعلى رأسهم

ستانلي ميز الذي في احد تعليقاته مؤخرا وصف رفض مصر الموافقة على « التعديلات في الحدود » التي طالبت بها اسرائيل ، بأنه غير واقعي . وبين المعلقين ايضا جورج غـريتن ووليـم فوريست وكريستوفر سيربل . والذي يستمع الى تعليقات المختصين بشؤون الشرق الاوسط في اذاعة لندن يظن ان العرب هم الذين يحتلون «أراضي اسرائيلية» ويرفضون الجلاء عنها ، وليس العكس، فالتعليقات كلها منصبة على « تعنت العرب وعدم واقعيتهم ». مثلا : انتقد وليم فوريست في تعليـق له مقارنة الرئيس السادات حاجة مصر الى الحلفاء في حربها ضد اسرائيل مع حاجة بريطانيا الى الحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية، والقى على الرئيس المصري درسا في التاريخ المعاصر ! اما كريستوفر سيربل ، مراسل الاذاعة الدبلوماسي ، فقـد انحى على العرب باللائمة لانهم « لم يفهموا الى الان مقدار تعلق اليهود بأرض الميعاد التي عادوا اليها بعد طول شوق واغتراب » .

وقد بلغ من استخفاف البي بي سي بقيمها السابقة في الموضوعية وعدم التحيز انها طلبت مرة مـن معلقها الصهيوني ، اناتول غولدبرغ ، خبيرهـا في الشؤون السوفياتية (ومعلقها الوحيد الذي لا يزال ينطق الانجليزية بلكنة اجنبية) ان يقدم تعليقا عن الصراع العربي الاسرائيلـي . وطبعا كان رأيه صهيونيا لا مواربة فيه .

وفي كثير من الاحيان تطلب الاذاعة من أحد المختصين من بين الكتاب والصحافيين من خارج هيئتها ، ان يعد لها تعليقا يلقيه بصوته . وبين اولئك توم ليتل ، المدير السابق لوكالة الانباء العربية ، وبيتر مانسفيلد ، مراسل الصندي تايمـز في القاهرة وبيروت سابقا ، وبيتر كلنر ، رئيس تحرير نشرة وثائقية شهرية عن العالم العربي تصدر في لندن ، وتعليقات هؤلاء الصحفيين هـي على العمـوم موضوعيـة . امـا المراسلـون والمحـررون الذين ينتمون الى صحف تعادي العرب مثل التايمز والغارديـان والفايننشيال تايمـز والايكونوميست والديلي تيليغراف والديلي ميرور ، والذين تطلب البي بي سي منهم بـين الفينة والاخرى اعداد تعليقات عن الشرق الاوسط ، فتعليقاتهم متحيزة عادة . والغريب ان البي بي سي لا تطلب من مايكل ادمز التعليق باعتبار انه منحاز الى العرب ! ولعل أسوأ المعلقين سجلا في التهجم على العرب هو دونالد وات ، المحاضر في معهد الدراسات الدولية في لندن ، واحد الذين يكتبون بانتظام في مجلة « نيو ميدل ايست » التي يصدرهـا جون كمشه ، الصهيوني المعروف . انه أشد المعلقين تحاملا على العرب ، ويشهد على كراهيته العميقة لهم مقاله المنشور في عدد تشرين الاول ١٩٧٠ من مجلة « نيو ميدل ايست » بعنوان « موت الامة العربية ــ نهاية اسطورة ؟ » الذي وصف فيه العرب بالجعجعة وعدم الكفاءة العسكرية المضحكة. كما اتهمهم بالركض كالارانب أمام الاسرائيليين في حرب حزيران ، وانه بالاضافة الى « كذبهم الذي لا ينقطع ووقوعهم اسرى لاحـلام يقظتهم ، فهم متعطشون الى الدماء وغليظو القلـوب وينقرون الى التوازن العقلي ويثيرون الاشمئزاز لبربريتهم الخ .. »

وكان أيلول الماضي موسم الحقد على العرب في اوربا الغربية ، فبلغت الحملة أوجها بعد خطف الطائرات . وامتد التشويه حتى الى برنامج « ما تقوله الاذاعات الاخرى » فاذا بالمذيع الانجليزي يتلو خطاب الرئيس جعفر النميري (الذي القاه بعد عودته مـن الاردن ابان المذابح) بلهجـة شكسبيرية مضحكة باعتبار ان هذه هي الطريقة التي يتحدث بها العرب ، بينما كل من استمع الى الرئيس السوداني يصف أحداث الاردن الدامية في مؤتمره الصحفي الشهـير في القاهرة يتذكر نبرة صوته الخافتة الحزينة التي خلت من أي مؤثرات ميلودرامية .

وحاولت البي بي سي ، بل ولا تزال تحاول ، ان تغطي تحيزها ضد العرب بستار من العطف على النظام الاردني ، فمثلا اتصلت بأنور نسيبه في القدس المحتلة ليدلي برأيه حول تشكيل الوزارة العسكرية في الاردن ، وكان نسيبه متحمسا لتلك الحكومة ، فوصف بلهجته الاوكسفوردية الضباط الذين اشتركوا فيهـا بأنهم جميعا : « رجـال شرفاء .. جنتلمن » . ولم ينس مذيع البي بي سي ان يذكرنا بأن نسيبه سجل رأيه هذا في الاذاعة الاسرائيلية قبل نقله الى البي بي سي واذاعته على العالم من هناك . ومن الطريف بهذه المناسبة ان ستانلي ميز في تعليق له على تشكيل الوزارة العسكرية في الاردن نفى انها ضد الفلسطينيين ، وكان دليله ان رئيسها نفسه فلسطيني ، فكيف يمكن ان تعتبر الوزارة ضد الفلسطينيين ؟ وبعد ايام

معدودة من ذلك ، طلب رئيس الوزراء الفلسطيني قبوله لاجئا سياسيا في القاهرة !

ويحدث احيانا في نطاق برنامج « العالم اليوم » ان تدعو البي بي سي ممثلين عن الجانبين الاسرائيلي والعربي لابداء وجهة نظرهما . فيتحدث عن الجانب الاسرائيلي صحفي اسرائيلي او كاتب بريطاني ملتزم جهارا بالجانب الصهيوني ، مثل تيرنس بريتي ، مؤلف الكتاب « معجزة في الصحراء » . أما عن الجانب المصري فيحدث عادة ان تكلف الاذاعة صحفيا بريطانيا بلا اتجاه معين ، مثل ديفيد هولدن. مراسل الصندي تايمز في الشرق الاوسط سابقا ، ليتحدث من الزاوية العربية .

ان انحياز البي بي سي السافر للجانب الصهيوني امكن المستمع العربي الذي يتتبع تعليقات هذه الاذاعة بعناية من التكهن بحجج كل معلق حتى قبل ان يبدأ تعليقه، فالزاوية التي ينطلق منها المراقبون السياسيون والمشرفون على البرامج باذاعة لندن هي تلك التي تفترض بأن العرب هم مصدر المشاكل في الشرق الاوسط . ومما يثير السخرية والمرارة ان البي بي سي انتقدت بشدة ، على لسان معلقيها ومراسليها ، « غزو » الاتحاد السوفياتي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ . اما الاضطهاد الفظيع الذي يتعرض له سكان غزة منذ هرب حزيران والعقوبات الجماعية التي تنزلها بهم سلطات الاحتلال ، وهي العقوبات التي تذكر بالحكم النازي بان الحرب العالمية الثانية ، فهذه لم تتطرق اليها اذاعة لندن ، مع انه حتى « التايمز » وهي الصحيفة التي تعيش ، عكس البي بي سي المستقلة ماليا، على اعلانات مؤسسات يسيطر عليها صهيونيون، تجرأت ونشرت مقالا شهيرا بقلم محررها هوجكين ، تنتقد فيه اضطهاد اسرائيل للعرب في الارض المحتلة . وهكذا كان سقوط اجهزة الاعلام البريطانية على مستوى النخبة ، لاننا اذا فسرنا انحياز الصحف البريطانية بسبب اعتمادها على الاعلانات ، فكيف نفسر موقف البي بي سي ؟ هل كان براين ماغي على حق عندما كتب في رسالته الى « ذي ليسنر » معلقا على بعض الرسائل التي انتقدت مقاله في المجلة المذكورة فقال : « ان وسائط الاعلام البريطانية لم تزيف الراي السائد في البلاد تجاه مشكلة الشرق الاوسط ، بل عكسته بكل امانة » ؟ اننا اذا سلمنا بهذا الراي ، فمعنى ذلك ان البي بي سي لم تعد تقود الجمهور عن طريق تزويده بالخبر الصحيح والتعليق الموضوعي، وانما اصبحت المرآة التي تعكس موقفه الباثولوجي في كراهيته من الشعب العربي .

ف. م.

(٢) رسالة السويد : ملاحظات اشتراكي اوربي حول الكيبوتز

وصف الاشتراكي الديمقراطي الالماني أوجست بيبل اللاسامية بانها « اشتراكية البلهاء » . وكان يعني بذلك ان اللاسامية يمكن أن تتخذ في بعض الاحيان شكل « صراع طبقي » مشوه وخاطىء التوجه . فيميز المضطهدون الرأسماليين اليهود فقط على انهم أعداء لهم ويتعاملون عن غير اليهود من الرأسماليين ، رغم ان هؤلاء أقوى واكثر عددا . ولا شك أن الرأسماليين غير اليهود يشجعون المضطهدين على تبني وجهة النظر المشوهة هذه . وتشارك الاشتراكية الصهيونية «اشتراكية البلهاء» في انها لا ترى غير اليهود ، مع فارق ان «اشتراكية البلهاء » لا ترى مضطهدين (بكسر الهاء) غير الرأسماليين اليهود ، في حين أن الاشتراكية الصهيونية لا ترى مضطهدين (بفتح الهاء) غير اليهود . وقد استخدمت الاشتراكية الصهيونية السمات الخاصة لوضع اليهود في أوروبا لتنحي التحليل الطبقي المعتاد جانبا ، وتشن « صراعا طبقيا » ، اليهود فيه هم « الطبقة » المضطهدة (بفتح الهاء) وغير اليهود هم المضطهدون (بكسر الهاء) او المضطهدون المحتملون .

وضعت المنظمات الاشتراكية الصهيونية التي تشكلت في أوروبا نفسها خارج الصراع الطبقي في الاقطار الاوروبية — على عكس ما فعل كثير من الاشتراكيين المتحدرين من عائلات يهودية . وقبلت هذه المنظمات

الموضوعة البورجوازية الصهيونية القائلة بـ«شعب يهودي » واستخلصت من ذلك نتيجة فحواها ان التحرر الوطنـي يجب ان ينجـز قبل التحـرر الاجتماعي ، وبذلك فصلت العامل اليهودي عن رفيقه العامل الاورثوذكسي مثلا والخياط اليهودي عن زميله الحرفي البروتستنتي والمثقف البورجوازي الصغير اليهودي عـن زملائه الطلبة والكتـاب والرأسمالي اليهودي عن غيره من الرأسماليين . (يمكن مقارنة ذلك بمحاولة بعض المنظمات النسائية فصل نضال النساء عن نضال الرجال على اساس سمات محددة تطبع وضع النساء) . « وهنا شعب يفتقر الى اي ارتباط بالتراب والزراعة والطبيعة ، شعب مسلوخ عن وسائل الانتاج الاولية الريفية والمدينية معا ... والحل الجذري الدائم الوحيد يكمن في التجميع الاقليمي لهذا الشعب المشتت . الا ان هذا ايضا سيكون هدفا وهميا اذا لم يترافق مع تحويل اجتماعي ليس أقل جذرية وثورية من التجميع الجغرافي . ذلك ان تسوية الحياة اليهودية وجعلها طبيعية ومستقرة يتطلب ايضا العودة الى الارض والزراعة والعمل العضلي . لقد كان هذا هو المخرج الوحيد الذي يوفر امكانيـة معالجة الشذوذ اليهودي من جذوره »(١). في الواقع ، ليس من الصعب أن يفهم هذا النوع من الافكار ، عاطفيا ، عندما يكون المرء على علم بالاضطهاد الذي كان يقع على اليهود في روسيا القيصرية خلال العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر : « في العام ١٨٨٦ جرى تخفيض عدد اليهود الذين يقبلون في المدارس الثانوية والعالية وفي العام ١٨٨٧ منع اليهود الذين كانوا يقطنون الريف من الانتقال من قرية الى اخرى . وفي العام ١٨٨٩ نزع حق اليهود في الانتساب الى مهنـة القضاء ... وفجأة قيل للحرفيين كالرسامين وصانعي الحبر وصانعي صباغ الاحذية وبائعي الواح الخشب الخ ، ممـن كانوا يعيشون وعائلاتهم طيلة سنوات عـدة على هذه الحرف ، أنهم لم يعودوا حرفيين ... وأصبح بوليس كيف ، الذي ينظـم غارات خاصة على المساكن اليهودية اثناء الليل ، مشهورا بقسوته ضد اليهود . ولكن هذه الفظائع جميعا ليست شيئا بالمقارنة مع الاضطهاد الوحشي الذي تعرض لـه اليهود في موسكو عامي ١٨٩١ و١٨٩٢ . فبجرة قلم ، حرم الالاف من اليهود الذين كانوا يعيشون في موسكو من حقهم في البقاء فيها ، واجبروا على مغادرتها مع زوجاتهم واطفالهم مشيا على الاقدام مسافات تحف بها المخاطر »(٢).

هكذا ليس من الصعب التوصل الى الدوافع التي تقف خلف الاشتراكيـة الصهيونيـة ولكن هـذه الاشتراكية مجنونة قدر جنون اللاسامية . كان لا بد « للاشتراكيين » الذين فصلوا العمال والحرفيين والفلاحين اليهود عن غيرهم من العمال والحرفيين والفلاحين في اوروبا ان يفعلوا الشيء ذاته عندما وصلوا الى فلسطين . اذ لم يكن باستطاعة هؤلاء ان يروا ان اليهود وغيرهم ممن ينتمون الى الطبقة ذاتها يشتركون في اشياء أكثر بكثير من تلك التي تفصل بينهم: في الكتاب الذي اقتبسنا عنه آنفا فصل كامل بعنوان « المسألة العمالية » يصف فيه الكاتب زيارة لمصنع للبسط ، حيث كان على الزائر ان يتلمس طريقه عبر الغرف المظلمة متعثرا بأحواض المياه منتزعا قدميه بجهد جهيد من طبقة القاذورات التي كانت تغطي الارض محـاذرا باستمرار ان يسحق الاطفال الذين يزحفون في القاذورات « وبهذه الطريقة ، وصل في النهاية الى احدى النوافذ حيث كان العمل يجري »(٣)

ربما كان قادة الحركة الصهيونية قد استطاعوا خداع « الاشتراكيين » ، كما خدعوا غيرهم ، وأوهموهم أن فلسطين خالية من السكان ، فذهب هؤلاء اليها بنية طيبة . فقد كان للاكاذيب الدعاوية الكولونيالية فيما يتعلق بفلسطين الطابع ذاته الذي كان لها فيما يتعلق بالاراضي الاخرى التـي احتلها الاوروبيون. وفي السيرة التي كتبها مايكل بار زوهار لحياة بن جوريون ، ونشرت عام ١٩٦٦ ، لا يزال يقال ان « ... الحروب وانجراف التربة وقلـة الزراعـة حولت كروم العنب وبساتين الفاكهـة وجداول نشيد الانشاد الى قفار قاحلة مجدبة . واصبحت السهول الساحلية الخصبة والوديان الداخلية الغنـاء مستنقعات للملاريـا . وتسوط الشمس العنيدة جبال اليهودية لتصطدم بصخـور

---

١ — Dan Leon: The Kibbutz, Tel Aviv 1964, p. 6.

٢ — Russia Described by Russians (in Swedish), Stockholm 1906, p. 391-410.

٣ — المصدر ذاته ص ١٦٨ .

جرداء »(٤). ولكن اذا كان هؤلاء قد خدعوا عندما غادروا اوروبا ، فقد كان لهم اعين ليروا بها عندما وصلوا فلسطين. كان هناك بالطبع ملاريا وتراخوما، وبالطبع كانت الزراعة متخلفة بالمقارنة مع الزراعة في اوروبا في ذلك الحين ، وبالطبع كان الفلاحون فقراء وكان ملاك الاراضي يستغلون المستأجرين استغلالا فاحشا . ولكن البلاد كانت مسكونة وفيها شعب يقطنها . وقد زار الفيلسوف البريطاني آحاد هاعام فلسطين في العام ١٨٩١ — ١٨٩٢ وعاد ليكتب في احدى مقالاته : « اننا في الخارج معتادون على الاعتقاد ان فلسطين اليوم مقفرة ، وانها صحراء مجدبة لا يشتري احد فيها الارض عن طيب خاطر . ولكن ليس هذا هو الحال في الواقع ، اذ يصعب ان يجد المرء في طول البلاد وعرضها ارضا قابلة للزراعة لم تزرع بعد »(٥). وربما كان الصهيونيون الاشتراكيون قد غفلوا عن مقالة آحاد هاعام ، ولكن لم يكن باستطاعتهم ان يغفلوا عن حقيقة الوضع عندما أتوا الى فلسطين. الاشتراكية تعني أن يكون الاشتراكي أساسا الى جانب كل المضطهدين ضد مضطهديهم ، فيتوجب على الاشتراكي مثلا ان يقف الى جانب مستأجري الارض الفلسطينيين المضطهدين ضد ملاك الارض. ولكن بدلا من ذلك طور الصهيونيون الاشتراكيون الكيبوتز ، طوروا مجتمعا يستطيعون فيه أن يحسنوا وضعهم هم ، طوروا مجبرا (فيتو) بالمقلوب . « كان الكيبوتز جوابا على الاراضي القفر المعادية التي كانت تنتظر الخلاص على يد العمل اليهودي ، وجوابا على المطامح الاجتماعية للمستوطنين . لقد فشلت كل المحاولات السابقة لتحقيق الاستيطان اليهودي عبر الوسيلة الرأسمالية الكلاسيكية ، وسيلة الملكية الخاصة والعمل المأجور . وقد أجبرت الموجة الاولى من الرواد الصهيونيين ، التي أتت الى فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر تحدوها آمال كبيرة ، على التخلي عن النضال وانحط افرادها ليصبحوا مستخدمين للعمل العربي الرخيص او اتباعا للمحسنين اليهود في الخارج »(٦).

٤ M. Bar-Zohar : The Armed Prophet, London 1967, p. 16.

٥ Ahad Haam: Truth From Palestine, quoted in "Israc" No. 1, May 1969.

٦ — ليون ، المصدر السابق ، ص ٤ .

كانت هذه « الاشتراكية » تريد أن تخلق طبقة من العمال وطبقة من الفلاحين بصرف النظر عن الخلفية الاجتماعية لليهود الذين يجب أن يتحولوا ليصبحوا كذلك . « علينا ان نعترف ان داعنا القومي يكمن في تحلل الفرد اليهودي كانسان ، والافتقار الى الوعي القومي ليس الا نتيجة منطقية لهذا الوضع ... فلو نظرنا الى الشاب اليهودي ، لوجدنا انه شائخ روحيا برغم انه شاب عمرا — ولوجدنا أن روحه مثقلة بالاسى ... ان اليهودي في الشتات (المنفى) كاريكاتير للانسان الطبيعي العادي جسديا وعقليا ... ويجب ان يكون هدفنا التربوي خلق يهودي شاب متين العضلات قوي الارادة منضبط وطريقته في التفكير سليمة وطبيعية ... »(٧). هذا ما نجده في نشرة اصدرتها منظمة الشباب التابعة لحزب المابام الاشتراكي اليساري ...

وفي الكيبوتز كان كل شيء يقتسم بالتساوي، والمهام يتغير توزيعها على الاعضاء والقرارات تتخذ جماعيا ، ونما الكيبوتز ليصبح مزارا مثاليا للاشتراكيين الديمقراطيين والنقابيين الاوروبيين الغربيين . ولكن وعلى الرغم من ذلك لم يترك الكيبوتز اثرا متساويا على جميع من زاروه : « العاميات (الكومونات) جزر اشتراكية ، تمهد السبيل للاشتراكية التي ستأتي ... ان الرؤى السياسية التي أتى بها هؤلاء اليهود الشبان المتسامين أول مرة الى فلسطين ، والتي ما فتئوا يتعلقون بها ، رغم كل شيء ، ضرورية سيكولوجيا. فرؤيا الدولة اليهودية الاشتراكية التي سيعيش فيها اليهود والبروليتاريون العرب بسلام وحرية ضرورية لاخفاء الحقيقة ، حقيقة الاكواخ العربية القذرة بسكانها التعساء على بعد بضع مئات من الامتار خلف سياج كيبوتز مشمرهاعمق الشائك»(٨) — هذا هو الوصف الذي يعرضه كاتب بريطاني زار كيبوتز مشمر هاعمق في منتصف الثلاثينات . ولكن هذه « الاشتراكية » كانت اكثر جنونا حتى

٧ Origins, Ideology, Achievements of Hashomer Hatzair, 1949, quoted in "Israc" No. 2, March 1970.

٨ T.R. Feiwel: No Ease in Zion, London 1968, quoted in N. Barbour: Nisi Dominus, A Survey of the Palestine Controversy, London 1946.

من ذلك . فهي لم تفشل في الوقوف الى جانب المستأجرين الفلسطينيين المضطهدين فحسب ، بل ذهبت الى اقامة اشكال حياتها «الديمقراطية» على ارض طرد منها هؤلاء المستأجرون . « اصبح اغتصاب الارض — وبكلمات اخرى انتزاع الارض من الفلاحين العرب — شعارا وطنيا . وكان يدعم هذه المغانم القانون الزراعي العثماني الذي يعود الى أيام الحكم التركي في فلسطين والذي ظل ساري المفعول خلال الانتداب البريطاني . وينص هذا القانون على ان المزارعين — المستأجرين لا يملكون في الارض اي حق كان . ولما كانت اغلبية الفلاحين العرب في فلسطين من المزارعين — المستأجرين الذين يعملون لدى ملاك الارض كما كان يفعل اجدادهم من مئات السنين، فقد مكن ذلك المنظمات الصهيونية (مثل الكيرن كايمت الخ) من عقد صفقات لشراء الاراضي من الملاك العرب الكبار الذين لم يكونوا في العادة يعيشون في البلاد . وعلى اساس الشراء بكميات كبيرة من ملاكي الاراضي ، استطاعت هذه المنظمات ان تحصل من المحاكم البريطانية على أوامر بطرد السكان الذين كانوا يقطنون قرى عربية بكاملها ويفلحون اراضيها منذ اجيال كثيرة ... وكان هذا الصراع على الارض والطرد القسري لسكان قرى عربية كاملة هو التربة التي نبتت منها معظم الصدامات بين العرب واليهود ، تلك الصدامات التي ملأت قلب الادارة البريطانية بالغبطة »(٩).

وعلى هذه الارض ، التي اشترتها الاجهزة الصهيونية الاستيطانية ، بنيت الكيبوتزات وقدمت الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي لهؤلاء « الاشتراكيين » رأس المال الابتدائي والمعدات ونفقات اقامة شبكات الري والكهرباء الخ. وهذه هي مثلا الطريقة التي لم تعد بها قرية العفولة في الجليل عربية : « وفجأة جاءت جماعة من الشبان اليهود ودعت الفلاحين الى التوقف عن العمل قائلة ان الارض اصبحت ممتلكات يهودية . استمر الفلاحون يحرثون ! وعندما اعترض اليهود الثيران وبدأوا بحل اربطتها من المحاريث ، نشب القتال وتطايرت العصي والحجارة في كل اتجاه . واجتذبت الصرخات والصيحات تعزيزات لكلا الجانبين ، ولم ينته المعترك الا بسقوط أحد العرب ضحية لرصاصة يهودية . ثم جاء البوليس و« أعيد النظام » واقتيد عشرات من العرب الى سجن الناصرة واقتيد من زاد منهم الى سجن طبرية »(١٠) وبين ١٩٢١ و١٩٢٥ استولى الصهيونيون مثلا على سهل كبير شرقي حيفا كان يسكنه ثمانية آلاف عربي في اثنتين وعشرين قرية « وكان على سكان واحدة وعشرين من هذه القرى ان يغادروا منازلهم ، ومنذ ذلك الحين لم يعرف مصيرهم اللاحق على وجه الدقة »(١١). وفي ٤ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ اعلن موشيه دايان في مقابلة مع الجريدة اليومية الاسرائيلية هآرتز : « ابتعنا الارض من العرب في مساحات كبيرة من البلاد . وبنيت القرى اليهودية مكان القرى العربية . وانتم لا تعرفون حتى اسماء هذه القرى العربية . وانا لا الومكم على ذلك ، لان كتب الجغرافيا تلك لم تعد موجودة . وليس كتب الجغرافيا فحسب ، بل والقرى العربية ايضا. لقد قامت نهلال مكان محلول وجفت مكان جبتا ومساريد مكان حنيفه وكفار يهوشوع مكان تل سمعان . وليس هناك مكان واحد بني في هذه البلاد ولم يكن فيه سكان عرب سابقا ... »(١٢).

هنا نجد حقيقة « القفار المعادية » التي كانت تنتظر الخلاص على يد العمل الصهيوني الاشتراكي . فبين الاماكن التي ذكرها دايان كيبوتزان هما مساريد وجفت . لقد اقيمت الكيبوتزات اليسارية الاشتراكية التابعة للمابام مشمرهاعمق ومرحفياه ومساريد في ١٩٢٦ واقيمت مزراع سنة ١٩٢٤ ، وجميعها تقع في منطقة يبدو انها تنطبق على المنطقة التي تقع فيها القرى العربية الواحدة والعشرون التي طرد سكانها منها في ١٩٢١ — ١٩٢٥ .

من المفيد بشكل عام ان ندرس قائمة الكيبوتزات اليسارية الاشتراكية ونلاحظ السنوات التي انشئت فيها . فعندما طرد ٨٠٠ الف فلسطيني ، معظمهم من الفلاحين في العام ١٩٤٨ انشئت كيبوتزات المابام التالية في السنوات الاربع اللاحقة (يجب ان نلاحظ ان الكيبوتزات الاشتراكية الديمقراطية وغيرها لا تدخل ضمن القائمة) : برعام ، برقاي ، بيت قاماه ، كرمياه ، دفراه ، عين دور ، جمش،

---

٩ — Meir Vilner: The Palestinian Problem and the Israeli-Arab Dispute, Tel Aviv 1969.

١٠ — Francis E. Newton: Fifty Years in Palestine, London 1948, p. 260.

١١ — باربر ، المصدر السابق ص ١١٧ — ١١٨ .

١٢ — هآرتز ٤ نيسان ١٩٦٩ .

جعتون ، جازيت ، جفعات عز ، هرئل ، لهفوت حنيفاه ، ماجن ، مجدو ، نحشون ، نحشونيم ، نيريم ، نيريتزحاق ، راموت منشه ، رفاديم ، رشافيم ، ساريس ، ساسا ، شومراه ، يسمور ، زبقيم . وهذه تشكل اكثر من ثلث الكيبوتزات التي يملكها المابام اليوم ! والكاتب ذاته الذي يكتب عن « القفار المعادية » يعيش اليوم في يسمور التي انشئت في العام ١٩٤٩ . وتبين الاحصاءات التي يوردها في كتابه ان مساحة الاراضي المزروعة التي تملكها حركات الكيبوتز مجتمعة ازدادت بين ١٩٤٧ و١٩٥٢ بنسبة ٣١٧،٣٪ وان الدخل المشترك للكيبوتزات ازداد بنسبة ٤٨٤،٧٪(١٣). انه لامر عجيب كيف يمكن للمرء ان يجعل القفار تينع بسرعة اذا ما بذل جهدا في سبيل ذلك وكان اشتراكيا !

ليس الكيبوتز في الواقع تعبيرا عن الاشتراكية البروليتارية بل هو تعبير عن المثالية البورجوازية الصغيرة، المتأثرة بالاتجاهات الشوفينية والاستعمارية والاشتراكية الطوباوية والماركسية في اوروبا القرن التاسع عشر . ويمكن بشكل عام النظر الى الحركة الصهيونية على أنها رد فعل البورجوازية الصغيرة اليهودية تجاه الاضطهادات التي كانت تقف بينها كطبقة وبين متابعة التطور الرأسمالي . ففي روسيا مثلا ، كان تطور هذه الطبقة معاقا بفعل الامبريالية الاوروبية الغربية وكذلك بفعل الاضطهاد المباشر الذي كانت تتعرض له من النظام القيصري . اما في فلسطين ، فقد أنشأت هذه البورجوازية الصغيرة وطورت مؤسسات جعلت بامكانها صيانة مصالحها ، وأول هذه المؤسسات هو الهستدروت ، الاتحاد العام للعمال اليهود ، الذي سرعان ما أصبح الاطار الرئيسي للمشروع الاستعماري ، والذي « خلق » في الوقت ذاته « بروليتاريا يهودية » (لمصلحة البورجوازية الصغيرة) وبدا كأنه ممثل هذه البروليتاريا وموظفها في آن معا . واليوم يملك الهستدروت الجزء الاكبر من الصناعة الاسرائيلية والبنوك وشركات الشحن البحري والخطوط الجوية وشركات البناء ، وهو كذلك يشارك رأس المال الخاص في ملكية مشاريع في معظم المجالات في اسرائيل — وفي الوقت ذاته يعين الهستدروت من يشغلون المناصب الرئيسية في النقابات .

١٣ — ليون، المصدر السابق، ص ٥٠ وص ٢٠٦ .

كانت حركة الكيبوتز منذ البداية متحالفة مع المنظمات التي خلقت الهستدروت ، وكذلك مع الوكالة اليهودية التي كانت قبل العام ١٩٤٨ تلعب دور « الحكومة » الصهيونية ، والتي كانت تسيطر من بين أمور أخرى على الموارد المالية التي تتم جبايتها . لقد كان الكيبوتز في الواقع اكثر ادوات الاستيطان الصهيوني مهارة . وكما تنشأ الكيبوتزات اليوم في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧(١٤)، كانت تنشأ دوما على حدود المنطقة التي يسيطر عليها الصهيونيون في مرحلة معينة . وكان الاستيطان يقوم على المعونة الاقتصادية والادوات التي تقدمها الاجهزة الاستعمارية الرئيسية التي أدركت في وقت مبكر اهمية « روح الريادة » والوحدة المتينة التي يتمتع بها الكيبوتزيون . « وكان يجري اختيار الاعضاء (في الكيبوتز) بعناية فائقة . فكانوا رجالا ونساء يتمتعون بروح معنوية اشتراكية رفيعة »(١٥). وقد كانت الجماعات المتماسكة تستطيع الصمود في وجه « القفار المعادية » بطريقة اكثر فعالية من تلك التي يستطيعها مستوطنون لا تجمع بينهم ايديولوجية مشتركة وروح معنوية مشتركة — مثلا عندما دعت الحاجة الى بناء اول موقع للدفاع الليلي والبدء في الزراعة بحماية البنادق . ان الكيبوتزات بالنسبة لاسرائيل كاسرائيل بالنسبة للامبريالية الاميركية : قلاع بفعل تركيبها الداخلي الصلب أفعل بكثير من أي قوات تستخدم مؤقتا . « كانت الكيبوتزات توسع وتحمي حدود المستوطنة في وجه الهجمات العربية والعداء البريطاني ... »(١٦). « يوجد ٦٠٪ من الكيبوتزات على حدود اسرائيل ، وهذه المستوطنات تلعب دورا هاما في النظام الدفاعي الاسرائيلي . فالكيبوتزات ، كمستوطنات متماسكة على الحدود ، تشكل في الوقت ذاته عناصر مدنية قوية وحيوية في شبكة الدفاع الاستاتيكي الاسرائيلي وتمنح لقوات الدفاع الاسرائيلي حرية حركة تستطيع بها الدفاع عن الحدود »(١٧). « ولد عدد كبير من

١٤ — N. Weinstock: Le Sionisme Contre Israel, Paris 1969, p. 512.

١٥ — Issac Deutscher: The None Jewish Jew, London: Oxford University Press, 1968.

١٦ — ليون ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

١٧ — نيو اوتلوك ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٢١ — ٢٢ .

الضباط والقادة العسكريين في الكيبوتزات وترعرعوا فيها ... »(١٨). « حتى الان زودت الكيبوتزات البيشوف والدولة بأفضل كادراتهما السياسية»(١٩). « كان ٣٣٪ من وزراء الحكومة الائتلافية الاخيرة اعضاء في الكيبوتز »(٢٠). وكتب دويتشر يقول : « وجدت مثلا في أحد الكيبوتزات ان سائق التراكتور سفير اسرائيلي سابق في براغ وبودابست . كذلك اشاروا الى راع طويل القامة قوي البنية ملوح البشرة حافي القدمين (يكاد يشبه داوود كما رسمه مايكل انجلو) ، كان يسوق القطيع عند الغروب عائدا من الحقول . لقد كان هذا الراعي احد قادة الجيش الاسرائيلي فيحرب التحرير عام١٩٤٨»(٢١). واضح أن دويتشر لم يدرك ان ما وصفه ، وما يبدو عليه هؤلاء الناس ، مثال « آري » . فهنا يعيش رجال ونساء ، اختيروا بعناية ويتمتعون بروح رفيعة، حياة مثالية في اراض محتلة. واكثر من ٣٠٪ ممن يتعلمون فيمدارس الكيبوتز ينمون «سلوكا قوميا»، حسب استقصاء اجري في منتصف الستينات(٢٢). ويخسر عضو الكيبوتز عضويته اذا تزاوج مع « عربي اسرائيلي » . ولم يقبل سوى عضو عربي واحد في الكيبوتز(٢٣). وحيث كانت حنيله يوجد اليوم كيبوتز ساريد وحيث كانت جبتا يوجد اليوم كيبوتز جفت .

ليس غريبا بالنظر الى خلفية الكيبوتز الطبقية ودوره في المشروع الاستعماري الصهيوني ان يكشف الكيبوتز في الوقت المناسب عن تناقضه مع البروليتاريا الاسرائيلية — اليهودية . كان الكيبوتز منذ البداية مكرسا في ممارسته المعتادة لهدفين رئيسيين : العمل من أجل الاهداف القومية . وتحقيق مصالح الكيبوتز ذاته .

النقطة الاولى هي التي عالجناها حتى الان . أما اهم أوجه النقطة الثانية فهو ان الكيبوتز في فلسطين او اسرائيل عمل أساسا كمشروع رأسمالي بين المشاريع الاخرى. وكان على الكيبوتز ان يصمد اقتصاديا امام منافسة المشاريع الراسمالية العادية والمشاريع الراسمالية التي تملكها الدولة . ومن هنا اصبح لزاما عليه ان يحصل على رأس مال للاستثمار بالطريقة ذاتها التي يستخدمها الاخرون ، فكان عليه ان يبيع ويشتري البضائع طبقا للقوانين ذاتها وان يتعقلن ليصبح بمقدوره ان يرفع من مستوى معيشة اعضائه بما يتفق مع ارتفاع مستوى معيشة بقية المجتمع . « الكيبوتزات جميعا مدينة للحكومة والمصارف الخاصة والشركات . ولولا المساعدات المستمرة من المؤسسات الصهيونية لما كان بمقدور الكيبوتزات ان توجد »(٢٤). ان هذه «الاشتراكية» تعمل بدعم من قروض تقدمها المصارف الرأسمالية ومن بينها البنك الاميركي للاستيراد والتصدير...(٢٥) وبمرور الوقت وضعت الوكالة اليهودية الرقابة على خطط الانتاج والاستثمار شرطا للقروض التي تقدمها(٢٦).

عندما أنشئت اسرائيل ، خلق التطور الاقتصادي بعد فترة حالة اصبح معها في السوق فائض من المنتوجات الزراعية ، وبذلك وجدت الكيبوتزات نفسها مجبرة على تنمية صناعات خاصة بها — وكثيرا ما كانت هذه الصناعات صناعات تجميعية لمنتجات مشاريع اميركية(٢٧). واليوم تحصل الكيبوتزات على ٤٠٪ من دخلها من الانتاج الصناعي . « غير ان سكان الكيبوتز القلائل (بضع مئات) لم يكن باستطاعتهم توفير قوة العمل اللازمة للزراعة والصناعة معا . ولما كان التخلي عن النشاط الزراعي يعني خيانة مبادىء الصهيونية الاشتراكية ، فقد وجد الكيبوتز نفسه مجبرا على استخدام العمل المأجور من المدن المجاورة . هكذا يصبح الكيبوتز الجماعي مستغلا جماعيا للعمل المأجور . وفي العادة يعمل اعضاء الكيبوتز كمراقبي عمال في المصانع بينما يقوم العمال المأجورون بالاعمال التي تستدعي قدرا اقل من المهارة . وعندما ينتهي العمل ، يعود العمال المأجورون الى

---

١٨ — نيو اوتلوك ، ايلول — تشرين الاول ١٩٧٠ ، ص ٦٣ .

١٩ — Saul Freidlander: Réflexions Sur l'Avenir d'Israël, Paris 1969, p. 135.

٢٠ — نيو اوتلوك ، كانون الثاني ١٩٧٠، ص ٢٢

٢١ — دويتشر ، المصدر السابق .

٢٢ — فرايدلاندر ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

٢٣ — Tony Cliff, The Struggle in the Middle East, in Tariq Ali: The New Revolutionaries.

٢٤ — Israeli Socialist Organisation: The Other Israel, Tel Aviv 1968, p. 21.

٢٥ — واينشتوك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

٢٦ — نيو اوتلوك ، ايلول ١٩٦٦ .

٢٧ — واينشتوك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

المدينة . ومن هنا فان الكيبوتز بالنسبة لهم موظف كاي رأسمالي آخر ، سوى ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية . وعندما ينشب اضراب في مصنع كيبوتز ، فان الملاك يستدعون الشرطة دون وازع »(٢٨).

ليس هذا من حيث المبدأ أمرا جديدا . فقد دأب الكثير من الكيبوتزات على استئجار نساء عربيات او يهوديات شرقيات لتنظيف المراحيض الخ . وصحيح أن هذا التطور لم يحصل دون نقاش وان بعض الكيبوتزات رفضت استئجار اناس من خارجها . ولكن هذا النقاش اساسا هو ذاته الذي ما زال مستمرا منذ نصف قرن في المستعمرة الصهيونية : ما اذا كان يجب استخدام العمل العربي او التخلص من العرب . ففي الحالة الثانية ، الطابع « اليهودي » لاسرائيل هو المسألة موضع الاهتمام . أما في الحالة الاولى فان الطابع « الاشتراكي » للكيبوتز هو المسألة . وفي كلتا الحالتين ، البديلان متساويان في الخطأ لان نقطتي انطلاقهما خطأ . وليست مشاكل الكيبوتز فيما يتعلق بالعمل المأجور شيئا منفصلا عن علاقته بالطبقة العاملة عموما — ففي بداية العام ١٩٧٠ شاركت الكيبوتزات الموظفين (بكسر الظاء) الاخرين في الوقوف ضد اضراب عمال احواض السفن في حيفا، وطالبت الحكومة باتخاذ اجراءات ضد الاضراب الذي كان يتهدد بالخطر تصدير برتقالها .

يعيش اليوم في الكيبوتزات ٩٠ الف شخص او ٤٪ من سكان اسرائيل « مجتمع الكيبوتز هو النخبة المعترف بها لاكبر حركة سياسية في البلاد ، الحركة العمالية ... »(٢٩) والتشكك في الكيبوتز وأسسه الايديولوجية مرادف في اسرائيل للتقصير في التكيف الاجتماعي . « وقد لا يكون هناك اشارة للقوة التي تتمتع بها أنماط التفكير الكيبوتزية افضل من الاحتجاج عليها — احتجاج عنيف وعلى نطاق واسع — من جانب الجماعات الهامشية وعلى الاخص في الاحياء الفقيرة . ويأخذ الاستلاب في حالة المراهقين الاكثر عزلة والمعادين للمجتمع ، الذين تحاول الخدمات الترفيهية الاجتماعية الوصول اليهم والذين بدأت تصلهم هذه الخدمات ، يأخذ شكل رفض مفاهيم الكيبوتز التي يشعر هؤلاء انها جوهر الايديولوجيا الرسمية »(٣٠).

يوضح نقاد آخرون للصهيونية الاشتراكية ان الكيبوتزات « انحطت » لانها « جزر اشتراكية » في مجتمع رأسمالي.وهم يشيرون مثلا الى الاستغلال الجماعي الذي تمارسه الكيبوتزات على العمل المأجور من خارجها ، ويصفون ذلك بأنه أحد أعراض « انتصار » المجتمع المحيط بـ « الجزر الاشتراكية » عليها . لكن الواقع أن الجزر لم تكن اشتراكية ابدا ، الا بالمفهوم المثالي البورجوازي الصغير . فقد كانت هذه الجزر منذ البداية اجزاء لا تتجزأ من المجتمع الرأسمالي الاستعماري الذي أنشأه الصهيونيون ، واعضاء الكيبوتز ملاك مشتركون لمشاريع زراعية رأسمالية — استعمارية وقد كانوا كذلك دوما ، بغض النظر عن كل حديثهم عن « الاشتراكية » و« التضامن الاممي » . ان هؤلاء النقاد الاخرين يخطئون فيما يتعلق بالتحليل الطبقي وكذلك فيما يتعلق بالمعرفة التاريخية ، ولذا فهم لا يستطيعون ان يروا ان ما حدث خلال العقود الاخيرة هو ان الكيبوتزات اجبرت على الكشف عن تناقضها مع البروليتاريا في اسرائيل . ولا يكاد هذا يكون اكتشافا مثيرا بالنسبة لاشتراكي فلسطيني جذوره ضاربة في البروليتاريا الزراعية الفلسطينية.

ستيفان بكمان

---

٢٨ — المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، المصدر السابق ٢١ — ٢٢ .

٢٩ — نيو اوتلوك ، ايلول — تشرين الاول ١٩٧٠ ، ص ٦٢ .

٣٠ — المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

(٣) رسالة المغرب : اليهود المغاربة واسرائيل

يمكننا ان نستخلص من دراسة سابقة(١) ومن الوقائع التي سنبينها هنا ، بعض النقاط الاساسية لهذه الرسالة : اولا ، ان هجرة اليهود المغاربة الى دولة اسرائيل حديثة العهد . فقد ظهرت بوادرها بعد عام ١٩٤٨ كما حصلت اولى الموجات الهامة في فترة ١٩٥٥ — ١٩٥٦ (وقد ضمت ٤٥ الف شخص اقتلع قسم كبير منهم من قراهم) . اما الهجرة الاساسية التي تضم اكثر من مئة الف شخص ، فهي تجري بشكل مستمر ومنتظم منذ اواخر عام ١٩٦١ . ها هو اذا ، وعلى طبيعته ، عنصر اساسي (يضم حوالي ٢٠٠ الف شخص) من هذه « الامة الاسرائيلية » المبنية على الدين وعلى مفهوم « الشعب اليهودي » . وثانيا ، بالنسبة للذين يتناسون كل بحث علمي حين يتعلق الامر بهذه الدولة ، يقدم الوضع **الحالي** لليهود المغاربة في دولة اسرائيل الدليل على ان الامم لا تبنى على الاوهام العنصرية . اما بالنسبة لمن لا يبالي بالعنصرية المعادية للعرب ، فان هذا الواقع يلقي الاضواء على الطبيعة الملموسة للدولة الصهيونية كمؤسسة للامبريالية الغربية . وثالثا ، ان المأزق الفعلي الذي وقع فيه اليهود المغاربة يفرض عليهم ان يتخطوا كافة التناقضات التي ولدها التغلغل الاستعماري والصهيوني باتجاه الحل الوحيد ، وهو **الثورة العربية** .

الاقتلاع

لقد كانت الهجرة ، بشكل عام ، بمثابة اقتلاع لليهود المغاربة من أرضهم بغية اعادة غرسهم في فلسطين المحتلة . فماذا كان وضع اليهود المغاربة في الخمسينات ؟ بامكاننا ان نقسمهم الى ثلاث فئات متوازية بشكل اساسي : الفئة الاولى التي بقيت مرتبطة بالفي عام من تاريخها ، تاريخ الجماعات الفلاحية في الجبال والمناطق شبه الصحراوية ، وهي جزء لا يتجزأ من تلك الجماعات العربية — البربرية التي تكوّن الواقع العميق لبلاد المغرب. الفئة الثانية التي كانت تتكون من جماعات حضرية تقليدية تتعاطى التجارة والحرف . الفئة الثالثة كانت الجماعة اليهودية في الدار البيضاء ، وكانت نتاجا للبؤس الاستعماري كسائر العمال وانصاف العمال في الدار البيضاء .

وكان مجمل اليهود المغاربة ، لظهورهم من مجتمع متعدد الجماعات ومزدوج الطوائف ، ينتظمون في نوعين من البنى هما البنية الثقافية والايديولوجية للحاخامين — وهي من البقايا المتحجرة للبنى القديمة — والبنية السياسية والاجتماعية للجماعات اليهودية ، وقد اقامتها سلطة الاستعمار مستندة الى البورجوازيين الكبار والمتوسطين من اليهود المغاربة الذين شجع الاستعمار بروزهم ونظم « تغريبهم » (اي تمثلهم بالغرب) . وكانت سلطة الاستعمار قد اخفت في كتابتها للتاريخ الواقع العميق لماضي هذه الجماعات . وقد نظم الاستعمار بالتعاون مع البورجوازية اليهودية في المغرب وهم « التغريب » . وكانت الصهيونية بالنسبة للشباب في المدن وسيلة التوفيق بين اتجاههم نحو «التغرب» وارتباطهم بالقيم التقليدية لليهودية . كما فعلت مآزق الحلول البورجوازية للاستقلال فعلها في هذا المجال . اما الجماعات الفلاحية فلا حاجة لاعدادها ايديولوجيا، فان الموقف السلبي المتواطىء للسلطة الاستعمارية ولجهاز الاستعمار الجديد الاقطاعي البورجوازي قد اتاح « لقادة » الجماعات اليهودية في المدن ان ينظموا اقتلاع قرى باكملها لاعادة زرعها في اسرائيل . وقد حاول الحاخامون ان يعيقوا تقدم الصهيونية السياسية التي اعتبروها معادية للدين (انظر دفاتر المجمع الرابع للحاخامين ، الرباط ، ١٩٥٢ ، ورسالة رئيس المحكمة الحاخامية بمكناس في ٥٢/٥/٥ المذكورة لاحقا) . ولكن قواهم كانت ضئيلة ، ولم يكن لديهم اي حل بديل . اما الاعوان ، من رجال الاعمال الاستعماريين والبورجوازيين اليهود بالاضافة الى جهاز الاقطاع الجديد والبورجوازية الكبيرة الاسلاميين ، فانهم يواصلون علاقاتهم المثمرة عبر الحدود . ويمثل المغرب بالنسبة لهم ، كصلة وصل بين الشرق والغرب ، شيئا ملموسا . اما السياسيون البورجوازيون المغاربة، الذين تواطأوا بالامس وابعدوا اليوم ، فانهم لا يتوانون عن تغذية الالتباس بين اليهودية والصهيونية لصرف النظر عن المحتوى الطبقي للنضال الوطني العربي ضد الامبريالية والصهيونية .

اليهود المغاربة في دولة اسرائيل

ها هي اذا غالبية اليهود المغاربة في اسرائيل ، في « أرض اسرائيل » (وهو التعبير الذي بنوا

عليه المغالطة !) ولكن ما هي حقيقة الوضع ؟ لنسرد في البدء بعض الوقائع التي تثير الارتباك : ١٩٥٩ : اضطرابات وادي الصليب — وهو حي فقير في حيفا — وكذلك بئر السبع ومجدل هرمك — تلفت الانظار الى اليهود « الشرقيين » . وكانت الجماعة الاساسية بينهم من اليهود المغاربة . وقد تظاهروا يتقدمهم العلم المغربي وهم يهتفون : « عاش محمد الخامس » . ثم كان الصمت ، وغابت مسألة « اليهود الشرقيين » ، « فدولة اسرائيل الفتية » التي طالما حققت المعجزات لن تتوقف عند حاجز كهذا . كل ما هنالك ان ظاهرة الهجرة قد تعثرت بالنسبة للعائلات اليهودية المغربية في عام ٦٦ وفي اوائل عام ٦٧ . ثم جاءت الحرب ، وبدت الوحدة « الوطنية » اقوى منها في اي وقت مضى . اليس كذلك ؟ ولكن ؟... بعض الكتاب يقرعون ناقوس الخطر . منهم « مارك هيلل » في كتابه « اسرائيل في خطر السلم » . ومجلة « تايم » الواسعة الاطلاع تقول بأن على خلفاء ليفي اشكول ان يحلوا « المشكلة الاجتماعية المعقدة التي تكمن في الاستيعاب الكامل لما دعي « باسرائيل الاخرى » ، اي اليهود الشرقيين الذين يشكلون ٥٢ بالمائة من السكان ! » ومنذ فترة وجيزة ، كتب مراسل « لوموند » في القدس نقلا عن الصحف المحلية مقالا بعنوان : « الفهود السود في القدس » جاء فيه : « ان بعض شباب الاحياء الشعبية في القدس يعدون العدة للقيام بأعمال عنف تعبر عن غضبهم تجاه المجتمع الاسرائيلي الذي جعلهم يحيون حياة هامشية ، وينتمي جميع هؤلاء الى اليهود « الشرقيين » (سفارديم) ويعيشون في احياء بنيت في فترة الهجرة الكبرى عام ١٩٥٠ . ولم يطرأ على هذه الاحياء اي تحسن منذ ذلك الحين . وقد اصبحت هذه المناطق السكنية « المنسية » مع ازدياد سكانها احياء بائسة يقطن فيها اليهود القادمون من البلاد الإسلامية . وهؤلاء « الشباب الغاضبون » الذين تتحدث عنهم الصحافة الاسرائيلية قد ولدوا وعاشوا في تلك الاحياء ، وهم يتهمون « الاشكنازيم » (اي اليهود الغربيين) والسفارديم الذين منحوا بعض الامتيازات بقصد التمويه » . (لوموند في ٧١/١/٣٠) .

وقد تعرفنا شخصيا على بعض الشبان المغاربة اليهود العائدين من اسرائيل . وهم يناضلون الان ضد الصهيونية . وهديا صدر كتاب يتحدث عن كافة جوانب الوضع(٢). وان كانت المؤلفة لا تخفي عطفها على دولة اسرائيل ، الا انها ، بسبب عملها ومنشأها واتجاه بحوثها ، اكثر الناس اطلاعا على وضع اليهود المغاربة . ان هذا الكتاب ، الذي صدر عام ١٩٧٠ ، هو خلاصة تحقيقات اجريت في اوساط اليهود القادمين من شمالي افريقيا الى اسرائيل ، وقد تمت قبل حزيران ٦٧ . وتختم المؤلفة الدراسة بقولها : « ان اسرائيل ستتمكن مع الوقت ، اذا ساد السلام الشرق الاوسط ، ليس فقط من محو تخلفها الخاص بل وستتمكن من مساعدة جيرانها على حل مشاكلهم بتقديمها الامثلة لهم . تبدو هذه النظرة الان وكأنها حلم ، ولكن الاحلام تتحول في بعض الاحيان الى وقائع في تاريخ اسرائيل المليء بالعظمة والبؤس » . الا ان الوقائع تناقض هذه النظرة وهذا الحل المبني على انكسار حقوق الشعب الفلسطيني وعلى استغلال العرب اليهود المنقولين الى فلسطين ، كما يناقضه الاتجاه العميق الذي يتيح لنا رؤية الحل الصحيح — هذا الاتجاه الذي لا تراه المؤلفة وهي عالمة اجتماع من المدرسة البورجوازية . ويبقى هذا الكتاب مجموعة ثمينة من المعلومات المجردة التي سنختار منها بعض العناصر المعبرة . ولكن هذا الكتاب ، بالرغم من جفافه ، اكثر من مجموعة معلومات . انه بالفعل ، ورغم الحلم العاجز الذي راود مؤلفته ، سجل افلاس للصهيونية في عقر دارها واظهار لحقيقة الصهيونية كمؤسسة للراسمالية العالمية ولثقافتها الغربية ، وبرهان جديد على الضرورة الملحة للتخلص من هذا المجتمع .

العمل وظروف المعيشة : يوجه المهاجرون القادمون من افريقيا الشمالية الى مزارع « الموشاف » او نحو « مدن التنمية » وخاصة بئر السبع وديمونا وكريات شمونه وصفد . وقليلون منهم نظموا في « الكيبوتز » ، تلك المؤسسة السياسية العسكرية التي تسمح لابناء البورجوازية الغربية ان يطلوا مشاعر التفوق الاستعماري لديهم بطلاء اشتراكي. وتعترف المؤلفة ، على أي حال ، بأنه يبدو ان الحركة الكيبوتزية لا تجذب الجماهير الفقيرة . فما اعجب هذه الاشتراكية ! و« الموشاف » قرية ينظم فيها شراء اللوازم وبيع المحصول على اساس تعاوني ، ولكن الانتاج والاستهلاك ينظمان على اساس صناعي . ان نظاما كهذا في مجتمع بنيته راسمالية ان لم تكن استعمارية يعطي النتائج التي عرفناها في المغرب حيث تحوّل الفلاح في المناطق المروية ، بسبب الجهاز البيروقراطي ، الى قن

مرتبط بالارض . في دولة اسرائيل اكد اكثر من نصف الذين اجابوا على الاسئلة (٥٨،٢ ٪) بأنهم سيغادرون الموشاف لو استطاعوا ، كما اعلن ٩٦،٦٪ ان عملهم مرهق . وقد صدر كتاب عن موشاف يقطنه المغاربة وعنوانه « الرواد بالرغم عنهم » . بالطبع « فان للشبان بعض الامتيازات ، لاتمام علمهم ما بعد الابتدائي ، دون ان يعني ذلك انهم يتعلمون مهنة ما » . انهم يوجهونهم نحو الاستثمارات الزراعية، وتبقى بذلك امكانيات ارتقائهم محدودة . « في النهاية ، فان الانصهار في الموشاف يؤدي الى قدر كبير من التربية الاسرائيلية » . بالطبع ! .

ان التخلف الاقتصادي والثقافي يسيطر بشدة فيما يسمى « بمدن التنمية » . واذا كانت المؤلفة تشير الى انه قد طرأ تحسن ملموس على عملية « من الباخرة الى منطقة التنمية » بين عامي ٥٤ و٦٥ ، فقد كان ٦١،٩٪ من المهاجرين الجدد من شمالي افريقيا في عام ١٩٦٥ يقطنون في منازل تضم ما بين شخصين واربعة او اكثر في الغرفة الواحدة في حين كان ٧٢،٩٪ من المهاجرين القادمين من اوروبا واميركا في منازل تضم اقل من شخصين في الغرفة الواحدة .

ولكن اذا كان هؤلاء المهاجرون المغاربة في مساكن سيئة « فان الطرق الجميلة التي تخترق النقب من بئر السبع الى ايلات هي اكثرها من صنعهم ، ولكن تربيتهم الايديولوجية لم تكن كافية لكي يفخروا بذلك . وقد قال لنا يوما احد العاملين على هذه الطرق : « ان الخبز الذي اكسبه ملعون لدرجة ان لم يعد له اي طعم » . « ومع ذلك ، فان هؤلاء ممن لديهم عمل » !

ومن المعبر في هذا المجال ما جرى من تحقيقات حول رغباتهم . « يؤكد الاختيار الذي عبر عنه الراشدون والعمال الشباب ، الرغبات التي كانت قد ظهرت من خلال التحقيقات : اي تفضيل عمل ثابت وان بأجور منخفضة . ان الرغبة الاولى لدى القادمين من افريقيا الشمالية هي في الحصول على عمل ثابت يؤمن استقرارا ماديا . وتأتي هذه الرغبة قبل الاتجاهات العقائدية . اما لدى التلاميذ الذين لم يختبروا بعد الصعوبات المادية للحياة والذين يتأثرون بالتلقين العقائدي في المدرسة ، فكان حب اسرائيل يأتي قبل الرغبة في العمل » . ولنضف بهذا الصدد ، كما تقول المؤلفة ، « ان عبارة « حب اسرائيل » لا تنحصر في الوطنية : ان « حب اسرائيل » يشتمل على كافة مظاهر حياة الشعب اليهودي . انها ليست تعلقا باسرائيل كدولة فحسب ، بل باسرائيل بالمعنى الديني والروحاني للكلمة » . ولنعد لموضوعنا ولنؤكد منذ الان على ان واقع الحياة في دولة اسرائيل يجعل الرغبة في العمل تتقدم على الاتجاهات العقائدية .

تبقى المدن الكبرى ، اي القدس وتل أبيب وحيفا . تقول المؤلفة : « ان المهاجرين من شمالي افريقيا يعيشون في كثير من الاحيان متجمعين في نفس الاحياء ، ان في الاحياء القديمة من المدينة او سواها ، كـ « الكتامونيم » في القدس ، وقد بنيت بسرعة لاستقبال المهاجرين القادمين بأعداد كبيرة . انهم يعيشون هنا بأعداد كبيرة وفي ظروف مادية سيئة كما في الموشاف او في مدن التنمية » . غير انه توجد بقربهم الاحياء الجميلة حيث يمكن للشبان ان يتنزهوا « للتمتع ، الى حد ما ، بأضواء المدينة » . وهذا مما يزيد الحقد . لذلك « فان الحالة متأزمة في بعض الاحيان في الاحياء المكتظة بالمهاجرين من شمالي افريقيا في المدن الكبرى . انهم كثيرا ما يصلون الى حافة الثورة حتى حين لا يتحول ذلك الى فتنة كما في « وادي الصليب » بحيفا » .

التعليم والثقافة : تشدد المؤلفة بحق على مشاكل التعليم والثقافة بقصد القاء الاضواء على طرق « التثقيف » ، اي الانصهار في الثقافة الغربية . ان اكتساب الثقافة الاسرائيلية ، بالنسبة لها ، عملية معقدة تتطلب في الوقت نفسه تعلم اللغة العبرية والتعمق في الاصول الثقافية والدينية لليهودية والقبول باديولوجية سياسية وطنية وديموقراطية وكذلك اتجاها معينا نحو مستوى رفيع في المجال التقني — كل ذلك داخل منطقة جغرافية معينة هي الشرق الاوسط . من هذه النواحي الثلاث ، فان المهاجرين من شمالي افريقيا هم بالطبع على طريق التثقيف الاسرائيلي . ان التحول التام سيكون بطيئا وطويلا ، وقد يستمر لجيلين أو ثلاثة ، ولكن الاتجاه قد بدأ وبصورة لا تراجع فيها . لا تراجع ! على اي حال ، يجب ان نشير الى اعتراف المؤلفة بأن على هذه « الامة الاسرائيلية » ان تمضي جيلين او ثلاثة لاستيعاب ٥٢٪ من سكانها اذا اعتبرنا (وهذا ما تفعله المؤلفة) ان هؤلاء السكان مستسلمون كليا لهذه العملية ، وان الثورة الفلسطينية والعربية خارج ساحة المعركة . فكيف اذا وضعنا العملية التي

سيعيشها الجيلان او الثلاثة في اطار نمو الثورة الفلسطينية والعربيـــة وفي اطـــار انهيار المجتمع الغربي الامبريالي :

فهود سود في القدس ! ان هذا السؤال قد طرح في كانون الثاني عام ١٩٧١ ! ماذا يصبح اليوم « سود » اسرائيل (كما يدعوهم الاسرائيليون الغربيون) في « آلة التغرب » هذه !

ان دراسة فشل ازدواجيـــة اللغة والثقافة في المغرب تتيح لنا تفهما افضل **للمازق ، للمازق التام** للتعليم في اسرائيل بالنسبة للعرب اليهود . يؤدي المزج الثقافي بالنسبة للعرب — اليهود الى تداخل تعليم العبرية كلغة للتوراة مع اللغة الام للاولاد اليهود المغاربة التي بقيت ، بالنسبة للاغلبية ، اللغة العربية . ان اللغة العربية في اسرائيل اليوم هي لغة من هم دون البشر . فكيف لا تحتقر ! وهذا اول سبب للطلاق العميق بالنسبة للولد المغربي اليهودي بين المدرسة وبيئته العائلية . وقد نظم هذا الطلاق . فالمربون الاسرائيليون ، « ثقة منهم بتفوق المفاهيم الغربية قد اعتبروا ان كافة الوسائل يجب ان تستعمل لتعجيـــل الانسلاخ عـــن تقاليد الماضي » . النتيجة : « في تموز ١٩٦٢ ابلغت وزارة التربية البرلمان تقريرا وضعه المفتش العام للتعليم الابتدائي في المنطقة الجنوبية ، التي يشكل المهاجرون الشرقيون (وخاصة القادمون منهم من شمالي افريقيا) اغلبية سكانها : كان ٣٥ الى ٤٠ ٪ من الاولاد ، بعد تسع سنوات من الدراسة ، عاجزين عن قراءة وفهم كتاب بسيط ، وعن كتابة رسالة وعن القيام بالعمليات الحسابية الاربع ، ولم يكونوا يعرفون سوى القليل عن بلادهم وعن العالم المحيط بهم » . سيقال لنا : ولكن هذا كان في عام ١٩٦٢ . انظروا الى قوة الديموقراطية التي تكشف عن نواقصها لتصححها . لنر ! : « ان الايديولوجية السياسية والوطنية والديموقراطية » لدولة اسرائيل « هـــي بشكل اســـاسي غربيـــة وتكنولوجية » .

ان ما سنراه من الانتكاســـات المتتالية والبنيوية للانصهار الثقافي والتعليمي لليهود — العرب في هذه الدولة ليس سوى تعبير جديد ومعبرا عن عجز المجتمع الرأسمالي عن تأمين التطور الانساني . لقد ولد هذا المجتمع ومستواه التقني « المتقدم » من نهب العالم منذ خمسة قرون . وقد أمن الاطار الثقافي والبنى الاجتماعية نشوء « النخبة » في هذا المجتمع . لقد كان ابناء الطبقات الارستقراطية والبورجوازية يجدون في المدرســـة البورجوازية التنمية الطبيعية لتربيتهم الطبقية . وقد جعل امتداد التصنيع من الضروري ، في المدارس الابتدائية والتقنية تعليم العمال الاكفاء القادمين من الفئات المستغلة (بفتح الغين) . وقد وجد كل ذلك توازنه في الاستغلال الاستعماري. اما اليوم ، وفي المرحلة الاخيرة من انحلال الرأسمالية ، فان النظام بأسره يتعثر . وان نقل هـــذا النظام المتداعي الـــى المجتمعات الاستعمارية الجديدة يجعل منـــه داء أساسيا لهذه المجتمعات ، ليس فقط في المغرب وفي سائر الدول الخاضعة للاستعمار الجديد ، بل كذلك بالنسبة للجماعات التي تعيش في اطار هذه البنى الاستعماريـــة الجـــديدة بداخل النظـــام الرأسمالي . وهذا وضع زنوج اميركا مثلا ، فقد أدت محاولات كندي وجونسون ونيكسون لحل هذه المعضلة الى مأزق . وهذا هـــو الوضع كذلك بالنسبة للعمال الاجانب في اوروبا الغربية . وفي اسرائيل ، تلك البقعة من العالم الغربي المزروعة في الشرق الاوسط ، فان الاستيراد الضخم لجماعات اليهود — العرب يؤدي الى المآزق نفسها !

ولنسرد الوقائع :

المدارس الرسمية والكليات المهنية : ان التعليم الثانوي والمهني الطويل الامد (٣ الى ٤ سنوات) مبني على البحث عن الفعالية ، ويريد المدراء « وهم المشرفون الوحيدون على اختيار الطلاب » تأمين وتركيز سمعـــة مؤسساتهم . لذلك « فان مدراء افضل المدارس الرسمية والكليات المهنية للمدن ، حتى المتوسطة منها ، خوفا منهم مـــن انخفاض مستوى مؤسستهم ، يظهرون عادة القليل من الحماس في قبـــول اولاد يأتون مـــن مدارس ابتدائية تقع في الاحيـــاء او المناطـــق المعروفة بمستواها الثقافي المنخفض » . والنتيجة ان « عدد الاولاد من شمالي افريقيا الذين يتابعون دروسهم في المدارس الممتازة يكاد لا يذكر » . وفي المدارس المهنية الهامة ، « يندر وجود التلاميذ القادمين من شمالي افريقيا في فروع الالكترونيك (حيث تطلب معلومات رياضية واسعة) ، ولكنهم اكثر عددا في الفروع الميكانيكية . وفي المدارس المهنية للبنات ، نرى تقسيما مماثلا : فالبنات القادمات من شمالي افريقيا يتجهن عادة نحو الفنون المنزلية والخياطة لا نحو دروس السكرتاريا » . بالاضافة الى ذلك فان التعليم الثانوي ليس مجانيا ، « بل ان الرأي السائد في اوساط رؤساء المؤسسات هو ان مجانية

التعليم التامة ليست الحل الافضل تربويا » .

التعليم الابتدائي : اذا اخذنا بعين الاعتبار وضع كافة الدول المهتمة بالتعليم الابتدائي تتضح لنا كل مآزق المجتمع الاستعماري الذي يحاول فرض بناه البورجوازية على مجتمع متعدد الفئات لم يصل بعد الى مرحلة الراسمالية . وبعض اوجه الشبه غريبة . فكما استخدم المغرب بتاثير البورجوازية ونقابات المعلمين نظام « قطاع الاستيعاب » فقد جربت اسرائيل نظام « المستويين التعليميين » . ويتحدثون بالطبع « في الاوساط المسؤولة عن القرية في اسرائيل عن « تأخر وراثي » او عن « تخلف فكري » لدى المهاجرين الجدد من اليهود الشرقيين . والمقصودون هنا الاولاد المغاربة الذين يشكلون المجموعة الاهم التي جاءت منذ عشر سنوات » . في الوقت نفسه لا يلعب هؤلاء المهاجرون الجدد سوى دور اليد العاملة الاستعمارية . وتعبر المدارس في المناطق المسماة بمناطق التنمية عن هذا الوضع . فالاساتذة فيها غير اكفاء . « في اكثر الاحيان ، تقوم المجندات بالتعليم في مدن التنمية ، وهن عديمات الخبرة ، ويتركن لدى انتهاء التدريب العسكري . والاساتذة كذلك لا يبقون . فهم يصلون فور تخرجهم من دار المعلمين ويغادرون حين يبدأون باكتساب بعض الخبرة . وهم يجهلون عادة كل شيء عن طرق معيشة الولد في عائلته ، لذلك ، فالولد يتحمل نتائج انعدام الخبرة ، والتغييرات العديدة للاساتذة . وينتقل في حياته المدرسية من ازمة الى اخرى . ولا يقطن المعلمون عادة (او بالاحرى المعلمات اللواتي يشكلن اغلبية الجسم التعليمي) في مدن التنمية . وهم يستعجلون للصعود في السيارة فور انتهاء الدروس » . وبالطبع ، تشكل الابنية المكتظة حيث « لا يوجد لدى التلاميذ اي مكان للانفراد » ، ونتائج الفقر ، « اولى الحلقات المفرغة المحيطة بالولد المغربي » . النتائج : « ان من المسلم به عادة ان مستوى التعليم منخفض في مدارس مناطق التنمية وفي بعض المدارس الواقعة في الاحياء الفقيرة في المدن الكبرى الثلاث . تلك الاحياء التي يشكل المهاجرون الشرقيون غالبية سكانها » . وتختتم المؤلفة بهذه الجملة الرهيبة : « ان الولد القادم من شمالي افريقيا يجد نفسه اذا ، بطبيعة الامر ، في حلقة مفرغة » .

لنضف فقط ان هذه البرامج تمثل بالنسبة لدولة اسرائيل وسيلة « لصهر المجموعات المختلفة » ، وتقول المؤلفة بصدد هذه العبارة : « اننا نترجم بذلك عبارة « مزوج غالويات » اي ، حرفيا « مزج المنفيين » . » وهذا عين الصدق !

التمييز : يجمع الجدول الثامن في الكتاب المشار اليه الاجوبة المتعلقة « بالحماية والفروقات والتمييز » . و« الحماية » تعبير اسرائيلي يعني « الواسطة » التي يستفيد منها اليهود الغربيون . اجماليا ، ٧٣،٢٪ من الذين اجابوا على الاسئلة يؤكدون وجود تمييز ، و١٢،٥٪ يعترفون به ولكنهم يبررونه كما ان ٥،٢٪ يرفضون الاجابة وينكر ٩،٠٪ وجود اي تمييز » .

ان دولة اسرائيل « مزيج من المنفيين » ، بالطبع ولكنها مجرد مزيج ، لا التحام ولا انصهار ! ما هي « الامة الاسرائيلية » ؟ انها مجتمع يتألف من مليون مستوطن نقلوا من الغرب تحت الحماية المباشرة للامبريالية ، مجتمع بني على دماء الشعب الفلسطيني وعلى تشريده ، ومجتمع يستغل مليون عربي — يهودي منفيين من بلادهم الى ذلك المجتمع. مليون مستوطن ! ان ذلك يذكرنا بأرقام بلد عربي آخر . فهل كان سكان « الالزاس » الهاربون من الاحتلال الالماني عام ١٨٧٠ يشكلون امة جزائرية في عام ١٩٦٠ ؟ او ، كما كتبنا في تموز ١٩٦٧ : « ان وجود ضحايا النازية الالمانية بين سكان هذه الدولة لا يغير من طبيعتها كما ان وجود مقاومين سابقين للاحتلال الالماني في صفوف منظمة الجيش السري لم يغير من طبيعتها ». اما مفهوم « الشعب اليهودي » ، فأين هو في هذا الواقع ؟ فلنتكلم عن ذلك ، وعما يميز الثورة الفلسطينية في عام ١٩٧٠ ومستقبلها من الثورة الجزائرية في عام ١٩٦٠ وما آلت اليه !

اليهودية العربية والثورة العربية

لقد كان تجميد مفهوم « اليهودية العربية » من اكثر السدود الايديولوجية الصهيونية فعالية . وقد ظهرت مشكلة فلسطين على انها صراع بين العرب واليهود . ولم يظهر غير ذلك من الطرفين قبل حزيران ١٩٦٧ . وكان الصراع ، بالفعل ، بين ايديولوجيتين بورجوازيتين . اولاهما الايديولوجية الصهيونية التي خلقتها ودعمتها الامبريالية ، وقد تمكنت من الاستمرار مع ترابط ظاهري . ولكننا رأينا التناقضات الداخلية للدولة الصهيونية ، ولن تبرز هذه التناقضات طالما بقيت الايديولوجية العربية اسيرة الفكر الرجعي البورجوازي . ولكن الثانية قد سقطت في حزيران ٦٧ . وكون مشروع روجرز

قد صدق على وثيقة وفاتها يزيد من حدة هذا السقوط . هذا لا يعني اننا نضع امام الشعب الفلسطيني مهمات روحانية . ولكن الظروف الموضوعية التي صنعتها الامبريالية والصهيونية لم تدع لهذا الشعب مخرجا سوى الوعي الثوري . لن يأتي هذا الوعي تلقائيا . كما ان ايديولوجية الثورة الفلسطينية والثورة العربية لن تبنى دون صدام . ولكن الامبريالية، في سعيها لتقوية مواقعها في هذه المنطقة الهامة ، خلقت وضعا يتطلب عملية ثورية عميقة تعجز البورجوازية عن قيادتها . ولا يمكن لهذه العملية ان تبقى محصورة بالشعب الفلسطيني، فترابط الصهيونية مع المصالح الحيوية للامبريالية في الشرق الاوسط وفي المتوسط يفرض ترابطا بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، التي تشكل بدورها جزءا لا يتجزأ من الثورة العالمية .

بذلك تكتشف الثورة العربية في ممارستها الايديولوجية الوحيدة القادرة على بناء الثورة العالمية ، وهي ايديولوجية الطبقة العاملة . وتتمكن الثورة عندئذ من ازاحة كافة المفاهيم الوهمية التي حاكتها الامبريالية — الصهيونية حول المشكلة الفلسطينية. وكان تطوير مفهوم « الدولة الديموقراطية الفلسطينية » الخطوة الحاسمة في هذا المجال . فبالرغم من ان « فتح » كانت قد فرقت منذ البدء ، وقبل حزيران ٦٧ ، ما بين اليهودية والصهيونية ، فالممارسة اجتماعية، ولم يكن ممكنا ان تأتي الخطوة الثانية ، وهي الخطوة الحاسمة ، قبل ان تدخل الايديولوجية الثورية وطريق حرب التحرير الشعبية الى الجماهير الفلسطينية . وكما كتبت « فتح » : « لقد اتت الثورة بالنضوج للمقاتلين . وبالرغم من المظاهر ، فان الذين يناضلون يصبحون اكثر تسامحا . ان العنف في الافكار والاقوال لا يرافق سوى اليأس والانهيار » . واليوم ، فان مجمل الشعب الفلسطيني يستوعب الايديولوجية الثورية، ويتعلم ان يفرق ما بين اليهودية والصهيونية ، ويتأمل في مستقبل فلسطين . ان الخيال ، في انبل معانيه — اي بمعنى التخطي الخلاق — قد بدأ يتحقق . وقد ظهرت في الاشهر الاخيرة وثيقتان تعبران عما توصل اليه تفكير هذا الشعب المقاتل. والوثيقتان هما وثيقة « فتح » التي ذكرناها والوثيقة التي قدمتها الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين الى الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين .

ان كون المرء ثوريا عربيا ويهوديا في الوقت نفسه يفرض عليه بعض البحث اذ كان يعتبر نفسه ماركسيا . لقد تعودت العقلية البورجوازية ، ومن بعدها ما يسميه احد اصدقائنا بالاركيوماركسية (وهي ماركسية مطورة مع تعابير «ما قبل التاريخ» اي عصر البورجوازية بالنسبة لماركس) على **ابعاد** الدين عن المجال الايديولوجي والثقافي . ولنأخذ فرنسا «كنموذج»، وهي البلد الذي يعتبر «نموذجا» في المغرب . ماذا يعني ان يكون المرء فرنسيا . ان الدين ، بالنسبة للمؤمنين ولغير المؤمنين ، مسألة جانبية تدخل في « باب خاص » لدى الانسان « المبوب » الذي يخلقه المجتمع البورجوازي . وهذه « الابواب » ، اذا احصيناها ، هي العمل ، والعائلة ، والوطن ، يضاف اليها الدين او لا يضاف . والثقافة اين موقعها ؟ انها باب آخر تدخل فيه السهرات المسرحية ونوادي البريدج والجوائز الادبية التي تشكل الثقافة البورجوازية، ليس فقط في فرنسا ، بل بالنسبة للانسان «الحديث» ، سواء أكان موظفا كبيرا او رجل اعمال في طبقاتنا الحاكمة « الكومبرادور » . والعربي ، بالنسبة لهم ، هو الذي يناقش بالفصحى عن فوائد الفكر الاسلامي والشخصانية المسيحية . والماركسي هو الذي يناقش في موضوع النماذج الاقتصادية ووتائر النمو ونمط الانتاج الاسيوي والمجتمعات البطريركية او الصناعية . اما اليهودية فتظهر ، كما قال احدهم ، في نفحة من « كيسلر » او من « انريكو ماسياس » .

في هذا الاطار ، ماذا يعني ان يكون المرء عربيا يهوديا ؟ بما ان اليهودية لم تكتف بالبقاء دينا يدخل في الباب الذي خصص له منذ ١٨٠٠ عام ، فهي اذا أمة . ثم يحددون انها أمة « أصيلة » مما يتيح لهم ان يضيفوا بأن الماركسية ليست ، في احسن الاحوال سوى نظرية اقتصادية ، وانها عاجزة عن تفسير المسألة القومية . اذا كونوا يهودا او عربا (كما قال مرة احد القوميين البورجوازيين المغاربة : فليدخلوا الى المسجد ولن تعود هنا مشكلة !) . اما ان يكونوا الاثنين معا ، فلا !

ليس الهدف هنا ان نعرض اوضاعا فردية ، بل ان نبين ان تخطي هذا التناقض قد يأتي عن طريق العيش بموجبه . ان نعيش هذا التناقض لا يعني ان نتحمله او ان نهرب منه ، بل يعني بعث الصيرورة واعلان الحقيقة . « لقد كان ذلك في قلبي

كالنار الموقدة في عظامي ، وقد ارهقت نفسي وانا احاول كبتها ولم استطع ! » .

ان هذا التعبير عن اليهودية في كمالها الثقافي ستبنيه الثورة العربية، بوصفها ثقافة عربية ثورية. ان على اليهود العرب المنفيين في هذه الدولة التي ليس بها من اسرائيل سوى الاسم ان يعيدوا اكتشاف وبناء التعبير الجديد عن الثقافة اليهودية. ان اشتراكهم في النضال الثوري ، في النضال ضد الصهيونية المتسلطة واسيادها الامبرياليين هو الذي سيضع اسس الانطلاقة الجديدة لليهودية العربية، من خلال البناء الثوري للامة العربية ، مع امثال الفارابي وابن ميمون ، وفي هذا النضال الثوري ستتمكن اليهودية « الاشكناز » ، التي اقتلعتها العواصف وجرائم الرأسمالية وزرعتها في فلسطين، من اعطاء عملية البناء هذه اكثر من«سبينوزا»جديد.

وكما كتبت « فتح » : « فان فلسطين تضم اذن العرب من يهود ومسيحيين ومسلمين ، بالاضافة الى اليهود من غير العرب ، اي اليهود الغربيين». وهكذا ينطلق في قلب هذه الارض المليئة بالمجد نور جديد ساطع للثقافة العالمية ، ويرتكز ذلك على بناء فلسطين عربية تكون مجال انصهار جدلي لجميع تلك المساهمات .

ولنعد الى بحث المفاهيم :

ا) **حول مفهوم اليهودية ــ العربية** : ان طرح مشكلة اليهودية العربية ضرورة منطقية للفكر المعادي للعنصرية كما انه يحمل ، للوهلة الاولى ، خطر دخول العنصرية الى الفكر المعادي للصهيونية. هذا ما يفسر جزئيا كون هذه المشكلة قد اثيرت دون تعمق حتى الان . أقول جزئيا فقط ، لان العائق الاساسي لبروز هذا المفهوم يكمن في صعوبة تركيبه من خلال الافكار الموجودة في المحيط البورجوازي العربي والغربي . لذلك ، فعلينا ان نعود مجددا الى الماركسية بوصفها أداة طرائقية ، لرفض المجتمع البورجوازي ولبناء العالم الجديد . عندئذ، وبالممارسة الثورية ، تتبلور المفاهيم .

تؤدي النظرة الثورية والماركسية بالضرورة الى رفض مفهوم الشعب اليهودي ، وذلك لاسباب عميقة لا فائدة من العودة اليها هنا ، ولكنها تسمح بالتأكيد على ان الحل الثوري الوحيد الناتج عن الماركسية يخلق الظروف التي تضع حدا لكافة اشكال التفرقة العنصرية وبالتالي للمشكلة الاساسية التي ولدت المسألة اليهودية . ولكن ، هل يؤدي رفض مفهوم الشعب اليهودي الى رفض كل تمييز لليهود ؟ هذه هي الفكرة التي سيطرت حتى الاعوام الاخيرة على فكر الماركسيين الثوريين ، اليهود منهم وغير اليهود . وكان الهجوم الشهير الذي شنه لينين على « البوند » بمثابة التبرير لهذا الراي . وكانت ركيزته الايديولوجية كامنة في الايديولوجية البورجوازية العلمانية والكارتزيانية . يؤدي التفكير في الواقع المحسوس الى التفكير في الاسس . وانطلاقا من الماركسية كفلسفة للممارسة وبعيدا عن التشويهات « الاختبارية » والمتأثرة بالمادية البورجوازية ، يجد المفاضل غنى ما كتبه ماركس حول المسألة اليهودية حيث يضع النظرة الى الانسان الكلي في مواجهة الموقف العلماني البورجوازي . كما يكتشف المفاضل غنى جدلية ما كتبه لينين حيث يضع في مواجهة الشعار البوندي الرجعي حول « الثقافة القومية » اليهودية شعار مشاركة الملامح التقليدية للثقافة اليهودية في خلق « الثقافة العالمية للحركة العمالية » ، وضرورة الاسهام ، بالنسبة للماركسيين اليهود والروس « كروس وكيهود » في هذا الخلق .

ويرى المفاضل ان لينين الذي يرفض « الثقافة القومية » اليهودية يتحدث رغم ذلك عن امة يهودية . ماذا يعني ذلك ؟ ان النظرة ، غير « الوسط ــ أوروبية » تساعدنا على فهم ذلك .

ا) لذلك علينا ان نتساءل في الوقت نفسه حول صحة المفاهيم الكارتيزيانية الجامدة للامة ، اذ ان المجتمع البورجوازي يتجه الى عدم منح هذا اللقب لغير أمته ، والى عدم القبول بالنسبة لسائر المجموعات البشرية الا بصفة « ما قبل الامة » ، والى عدم رؤية ان هذا الشكل للامة البورجوازية سيجري تخطيه ، والى رفض امكانية انتقال المجموعات التي يصفها « بما قبل الامة » الى البنى الاشتراكية بغير الطريق الرأسمالية .

في هذه المجتمعات المتعددة الفئات التي تطلق عليها أسماء مبهمة « كالبنى ما قبل الرأسمالية » او « ما قبل الامة » ، ما زال الانسان ، كما اشار ماركس في دراسته لهذه البنى ، انسانا تاما ، انسانا تصهر ثقافته (وهي بدورها وليدة محيطه المحسوس التاريخي الاجتماعي) مختلف مقومات الانسان من اقتصادية وسياسية وايديولوجية وبالتالي دينية. وتأخذ هذه المجموعات شكل «امة»، اي شكل جماعات تشتمل على هذه المقومات المختلفة. وبالطبع يبقى هناك التباس تغذيه الطبقات الحاكمة والمثقفون البعيدون عن الواقع . وقد يكون

من بقايا الاتجاهات القبلية، ومضمون هذا الالتباس هو ان الايديولوجية هي الاساس الوحيد لهذه « الامة » . وتصبح هذه النظرة الاساس النظري لايديولوجية « الاخوان المسلمين » ، والصهيونية ، وسائر الايديولوجيات الفاشية . بالفعل ، فان هذه البنى مرتبطة بالواقع المحسوس ، وبالارض ، وبالحياة الاقتصادية . وتتكون **في اطار هذا الواقع**، وفي اطار البنى الجماعية الاولية الشاملة جماعات ثانوية تميزها ايديولوجية متميزة هي الدين ، دون ان ينفصل هذا الواقع عن البنى الفوقيةالايديولوجية ودون ان يحدث اي تفتيت للثقافة الشاملة . وقد عرضنا في دراسة سابقة كيفية عمل تلك الجماعات الريفية في جنوب المغرب .

يظهر التحليل التاريخي المرتكز على الماركسية ان الشمول يتغلب على الخاصة ، وان الجماعات اليهودية ــ العربية والاسلامية ــ العربية والمسيحية ــ العربية هي **عربية** حين تكون داخل مجتمع **عربي** واحد . ويظهر التحليل التاريخي ان لهذه الايديولوجيات المتميزة علاقة جدلية ببعضها بعضا وبمحيطها . وهكذا تتكون ايديولوجيات ، او ثقافات ثانوية يهودية ــ عربية واسلامية ــ عربية، متميزة ومتكاملة ومنصهرة في ثقافة واحدة هي الثقافة **العربية** (لا يسعني التحدث عن الثقافة الثانوية المسيحية ــ العربية في المشرق العربي ، لانني بنيت بحثي على معرفة الواقع المحسوس في بلاد المغرب. الا ان « الرسالة الى مواطني المسيحيين من اجل نظرة معينة الى لبنان » ، التي نشرها « المنتدى »* في العدد ٢٨ ــ ٢٩ ، « تضع الكنيسة في الشرق الاوسط تحت شعار العروبة » وقد تكون بذلك مثالا على ما يجري هناك) .

وهكذا يتضح موقف لينين في رفضه لمفهوم « الثقافة الوطنية » اليهودية ورفضه تقسيم المدرسة الى أمم وقوميات واقليات قومية من جهة ، ثم ، من جهة اخرى ، احترامه لميزات الجماعات المختلفة (لا تجاهله لها كما تفعل العلمانية البورجوازية) وسماحه مثلا « بتوظيف اساتذة للغة اليهودية وللتاريخ اليهودي بشكل خاص ، الخ ... على نفقة الدولة، وكذلك تخصيص مبنى رسمي للدروس المخصصة للاولاد اليهود او الارمن او الرومانيين وحتى لولد جيورجي واحد » .

وبرنامج فتح يتفق مع هذه النظرة حين يحدد « ان علينا ان نفرق بين نظرية فلسطين كدولة لا طائفية ونظرية الدولة المتعددة الاديان او المزدوجة القوميات . ان فلسطين الجديدة لا يمكن ان تقوم على اساس ثلاثة اديان دولة وقوميتين . ان نظرتنا تعني ، ببساطة ، انعدام التسلط الديني لمجموعة على اخرى وحرية ممارسة الدين دون تمييز » . وكذلك حين يقول بأنه « سيكون لليهود ولغير اليهود الحق في ممارسة دينهم وفي تطوير ثقافتهم ولغتهم . فمن الطبيعي مثلا ان تدرس العربية والعبرية كلتاهما كلغتين رسميتين في المدارس الحكومية لجميع الفلسطينيين من يهود وغير يهود » . وهذا مناقض ، كما نرى ، للعلمانية البورجوازية . ويؤكد النص الذي اشرنا اليه للجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين بأن « التحدث عن ديموقراطية علمانية يرجع بالاساس الى اعتبار الصراع بين اسرائيل والعرب صراعا دينيا ، مما يشكل سقوطا في مهاوي الايديولوجية الرجعية المسيطرة والقبول باحدى فرضياتها الاساسية الخاطئة ، بالاضافة الى ان ذلك لا يحل المشكلة ، ان الديموقراطية الليبرالية لا تشكل ضمانة لحل مشكلة التسلط القومي ، وهي لا يمكن ان تتعدى استبدال تسلط ما بتسلط آخر ، اي استبدال تسلط اليهود بتسلط العرب » .

ان الحل الديموقراطي لا يمكن ان يتحقق الا من خلال نضال ثوري ، وتدمير الدولة الصهيونية لا يمكن ان يتم تلقائيا ، بل يتطلب عملية ثورية تغير جذريا ميزان القوى ضد التفوق الاسرائيلي . ولا يمكن ان يتم ذلك الا عن طريق حرب شعبية طويلة الامد يتكامل فيها النضال ضد الصهيونية بالنضال ضد الامبريالية » .

وبذلك تتضح ايضا تعابير لينين حول « الامة اليهودية » . انه يعني بذلك الجماعة « اليهودية ــ الروسية » لا الشعب (« الاثنية ») كما ينقله « رودنسون » خطأ . فالجماعة هي جزء من الامة الروسية ، كما ان هذا ، بهذا المعنى ، امة افرو ــ اميركية تشكل جزءا من الامة الاميركية ، مما لا يقدم **اي** تبرير لفكرة « الشعب الاسود » .

ب) ان بنى هذه الجماعات ، والثقافات المتأتية عنها تتفتت الى حد ما بتأثير تطور الرأسمالية والسلطة الاستعمارية . لذلك فانها قد تكون اليوم مضمحلة الى حد كبير ــ ان لم يكن كليا ــ في اطار المجتمع الراسمالي الغربي . اما في العالم العربي، فهي ما زالت حية ، وحتى حين تفتتت **ماديا** كما جرى بالنسبة لليهود العرب الذين نقلوا على نطاق واسع الى اسرائيل ، فان الثقافات المقاومة لم

تقتلع ، خاصة وان مـا تتعرض اليه هو عملية **رجعية لنزع الثقافة** لا لاعطاء ثقافة جديدة ، لان ما يسمى « بالثقافة الغربية » التي يحاولون اخضاعهم لها لم تعد سوى انزال للانسان الى مستوى الشيء الجامد. من هذا المنطلق بالذات ، لا يمكن التحدث عن « أمة اسرائيلية » ، واذا كان رودنسون على حق حين يقول « ان ما يجعل الناس يشكلون شعبا او امة هو ان يعيشوا معا في وضع معين ، خلقه التاريخ وان تربطهم العوامل الموضوعية القائمة بعدد من المجموعات والافـراد ذوي الخصـائص الموضوعية » ، فمما لا يخدمه سوى في اظهـار ذاتيته وذاتية كلمة « شعب » التي يستعملها ، ان يضيف بأن ذلك لا ينطبق الا على الوضع العام، وان هناك استثناءات منها « الشعب الاسرائيلي ». وفي البلاد التي ما تزال فيها تلك البنى والثقافات حية ، فهي « قد تكون نقطة ارتكاز لعملية البعث الاجتماعي » ، كما كتب ماركس لفيرا زاسوليتش ، **بشرط** ادخالها في عملية ثورية . ان هذه العملية ، التي ستستمر لوقت طويل بعـد القضاء علـى الامبريالية ، ستؤمن انصهار بنى هذه الجماعات في اطار بناء وطني واحد وانطلاق ثقافي واحد — هما ، بدورهما جزء من بناء الثقافة العالمية .

٢) **جدلية الثورة العربية** : أ) اقول الثورة العربية لا الثورة الفلسطينية فحسب لان العامل الخارجي المتمثل بالوحدة الجدلية بين الامبريالية والصهيونية يبرر الوحدة الجدليـة بين الثورة الفلسطينيـة والثورة العربية . ولكن هذا العامل الخارجي يبقى محدود التأثير ان لم توجد الظروف الداخلية — وهي الحاسمة في النهاية . وقد استمرت البنى التي تحدثنا عنها خـلال القرون السابقة في تشكيـل الاسـاس الذي بنيت عليه المجتمعات المركنتيلية التي لم تتمكن — بعكس جدلية المركنتيلية والاقطاع في اوروبا — من الوصول الى الراسماليـة والى المجتمع البورجوازي ، وذلك بسبب مقاومة تلك البنى نفسها. وكانت هذه البنى الجماعية تستوعب، في الوقت نفسه ، ما اتت به المجموعات المركنتيلية ايديولوجيا ولغويا وثقافيـا ، ولكن الاستيعـاب الايديولوجي والثقافي قد جرى من خلال الاسس التي ترتكز عليها تلك الجماعات . ويظهر عبدالله العروي في كتابه الاخير كيف استوعبت الجماعات البربرية في بلاد المغرب الايديولوجية والثقافة العربيتين . ويشكل هذا الكتاب(٦) اول مساهمة هامة في نزع الصبغة الاستعمارية عن التاريخ في بلاد المغرب .

وهكذا تكونت ، من خليج عمان الى موريتانيا ، الخلفية المستترة للامة العربية . وقد بدت هذه الخلفية ، بسبب جمود القرون الماضية ، وكأنها قد تجزأت مع بروز البنى الوطنية البورجوازية . ولكن ، كما قال العروي ، ها قد بدأ النزول من الجبال والعودة الى الصحارى . وبالفعل ، فان الامبريالية قد شاركت في ذلك بخلقها منابع للطبقة العاملة . لذلك برزت الثورة العربية مع نواتهـا المكونة « وهي الجماهير العمالية والكادحة » كما تشير الى ذلك ، بالنسبة للثورة الفلسطينية ، الوثيقة الموحدة التي اصدرتها المقاومة الفلسطينية في ٦ ايار ١٩٧٠ . وقد جاءت هذه الثورة في ظروف افلاس شامل للايديولوجيات البورجوازية . لذلك ، وبالرغم من كافة الاقطاعيات من اعـوان الامبريالية وبالرغم من القوميـات البورجوازيـة الاستسلامية ، فان كل ضربة توجه الى المركـز الاساسي اي الى القدرة الوطنية ، ستعمق عملية الثورة العربية . وقد سمحت حرب حزيران التي كانت ظاهريا هزيمة للامة العربية ، بصعـود جمهورية اليمن الشعبية وحركة تحرير ظفار والخليج العربي الى جانب الثورة الفلسطينية. ان الضربات التي وجهها اعوان الامبريالية للثورة الفلسطينية منذ ايلول ٧٠ ستؤدي الى اتساع وتعميق الثورة. فالى اين ستؤدي، في المشرق والمغرب العربي على السواء ، ازالة اخر غموض ايديولوجي كـان يحيط بالسياسيين البورجوازيين ، من شركـاء نشيطين او خجولين لمشروع روجرز ؟ كما قـالت الجبهة الشعبية الديموقراطيـة (في الوثيقة التي اشرنا اليها) :«ان الامبريالية تشدد من قبضتها على المنطقة العربية عن طريق تحالفها مع الفئـات الحاكمة في النظم الرجعية ، وكذلك بسبب عجز الانظمة البورجوازية الصغيرة من خوض نضـال حاسم ، منظم وعسكري ضد الامبريالية . لذلك فان النضال ضد الامبريالية يضع بالضرورة وجها لوجه الطبقات التي لهـا مصلحة في هذا النضال والطبقات التي لها مصلحة في التحالف مـع الامبريالية . وسيصبح هذا النضال نضالا من أجل تحطيم الانظمة الرجعية المتحالفة مع الامبريالية ، ومن أجل اقامة انظمة ديموقراطية شعبية تتمكن الطبقات الكادحة فيها من تحقيق التحرير الشامل والتقدم الاجتماعي . ولكن كون النصر النهـائي مرهونا بالقضاء على الامبريالية لا يعني ابدا ان النضال ضد الصهيونية يجب ان يؤجل الى مـا

بعد القضاء على الامبريالية ولكنه يعني، بالعكس، بأن النضال ضد الصهيونية يجب ان يوقد ويدعم الصراع الطبقي ضد الامبريالية ، والعكس بالعكس . »

ب) ان التطور الجدلي للثورة العربية يؤثر كذلك على تعميق التناقضات الداخلية للدولة الصهيونية، ويجب ان يؤدي الى انفجار الصراعات العميقة والموضوعية . ولنعد الى وثيقة الجبهة الشعبية الديموقراطية : « ان امكانية تطوير هذه التناقضات ستؤدي بالمجتمع الاسرائيلي الى الازمة ، اي الى قلب ميزان القوى لصالح حركة التحرر الفلسطينية والعربية . » وذلك ، كما يؤكد النص ، شرط ان تعمق ايديولوجية الثورة العربية وتصبح محسوسة مع تطور الثورة . وهذا ما يحصل بالفعل . بهذا المعنى ، فان نضال الثوريين المغاربة سيؤثر على التناقضات التي تعيشها اليهودية المغربية المنقولة الى الدولة الصهيونية . ولكن يجب كذلك على المغاربة اليهود الثوريين ان يتحملوا ، داخل المنظمات الثورية المغربية ، مسؤولياتهم المتميزة .

فهود سود في القدس ! حتى الان ما زالت ايديولوجيات لليأس وانتفاضات لا افق لها ، ضد كل شيء وضد كل الناس . بالنسبة لهؤلاء المغاربة اليهود المحتجزين في مأزق ويأس الاحياء الفقيرة في حيفا والقدس وتل ابيب ، المسجونين في الجو الخانق الكئيب للموشاف ولمدن التنمية ، علينا واجب الاتيان بالافاق الثورية المنقذة التي بامكانها وحدها ان تدخل يهوديتهم وعروبتهم في انطلاقة موحدة . وان لم يتم ذلك ، فانهم سيكونون لقمة سائغة لاكثر القوى فاشية في الايديولوجية الصهيونية . ولا يمكن ان ينحصر هذا النضال باليهود المغاربة سجناء الصهيونية ، وان كانت الظروف الموضوعية والذاتية تؤكد حاليا امكانياتهم الثورية . فهذا النضال يجب ان يكون ، بقيادة الثورة الفلسطينية ، ومع العملية الثورية العربية، محررا **لكل** فلسطين ، **ولكل** يهود فلسطين ، من يهود عرب ويهود « يديين » ، لكل هؤلاء ، او على الاقل للذين يريدون ، كمريم غاليلي ، ان يعيشوا في هذا البلد مع عازار واسماعيل ولا يرغبون في الهجرة الى « ميامي بيتش او الى الريفييرا الفرنسية » . وكذلك من أجل اولئك الذين يريدون استعادة ارض اجدادهم ، بلاد اودية النور في الانطي ــ اطلس ، بلاد زيتون اسجن وكرز سفرو وتين دمناط ، البلاد التي سنجعلها معا تنفتح وتنطلق .

ان البناء الثوري للامة العربية وللثقافة العربية الثورية ، كاسهام في « خلق الثقافة العالمية للحركة العمالية » ، هذا البناء الذي تشكل الثورة الفلسطينية قطبه الاساسي في مواجهة القطب الاساسي للمؤسسة الامبريالية ــ الصهيونية ، هو الجواب ، الجواب الانساني الوحيد ، ليس فقط بالنسبة لمجمل الشعب العربي ، بما فيه اليهود العرب ، ولكن كذلك بالنسبة لليهودية ــ اليدية المغروسة في ارض فلسطين .

هنا ايضا نعود لماركس لنقول بأن الدولة الديموقراطية التي يريد الفلسطينيون بناءها هي بالذات الدولة التي اعتبرها ماركس الجواب الوحيد الصحيح على المسالة اليهودية وعلى الدولة اللاانسانية للمجتمع البورجوازي . فعلى كافة الثوريين العرب ان يجعلوا المشرق العربي والمغرب العربي يبنيان الرد نفسه على الامبريالية والصهيونية والتفرقة العنصرية .

ابراهام صرفاتي

---

١ ــ ا. صرفاتي . اليهودية المغربية والصهيونية (« سلوفل » عدد ١٥) .

٢ دوريس بن سيمون ــ دونات . المهاجرون من افريقيا الشمالية الى اسرائيل (منشورات انتروبوس ١٩٧٠) .

٣ ــ هاييم زفراني . التربية اليهودية في بلاد الاسلام (منشورات ميزونوف ١٩٦٩) .

٤ ــ فتح . الثورة الفلسطينية واليهود (منشورات مينوي ١٩٧٠) .

٥ ــ مكسيم رودنسون . الماركسية والامة (« لوم اي لاسوسيتي » عدد ٧) .

٦ ــ عبدالله العروي . تاريخ المغرب (ماسبيرو ١٩٧٠) .

تقريران عن تعليم الفلسطينيين

(١) تطور المفهوم الاقتصادى الاجتماعي للتعليم لدى وكالة الغوث وتصور اولي لاهداف تخطيط تربوي للشعب العربي الفلسطيني

تشرف وكالة الغوث حاليا على تعليم حوالي مليون تلميذ فلسطيني ، جاعلة من التعليم هدفها الاساسي في سبيل أستيطان الفلسطينيين ، فالواجب يدعو الى معرفة نشاط الوكالة في هذا المجال ومناقشته من حيث بواعثه واهدافه ، سعيا وراء ادراك معنى خطواتها ومقارنة هذه الخطوات ونشاطها التعليمي عموما مع الحقوق الاساسية للشعب العربي الفلسطيني . ومحور البحث الحالي هو ادراك النظرة الاقتصادية — الاجتماعية المحركة لنشاط الوكالة التعليمي ، والتطرق بعد ذلك الى موقفها من التخطيط التربوي . وينتهي البحث بعرض تصور اولي لاعباء هذا التخطيط . وبالرغم من مناقشة أمور تربوية ، غير ان معالجتها جاءت وليدة الاهتمام الاقتصادي — الاجتماعي بالموضوع، اذ للسيكولوجية التربوية رأيها ، اضافة على امكانية قبولها للتحليل الاجتماعي ولذا ينوه الكاتب انه لا ينوب عن الاختصاصيين في هذا الفرع والمربين عامة في معالجة موضوع التربية في اطار الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة . ويسعى البحث الحالي الى بعث اهتمام واسع بنشاط الوكالة التعليمي ، والتداول حول وضع التعليم في الثورة الفلسطينية والعربية عامة واستخلاص التخطيط التربوي الملائم .

اولا : تطور مفهوم التعليم لدى الوكالة

١) اعتمد التعليم بعد نكبة ١٩٤٨ مباشرة على مبادرة المعلمين السابقين ومؤازرة جهات محلية ودولية عديدة . تمثلت هذه المدارس بخيام مستشفيات الميدان ودفعت مكافآت للمعلمين من ثمن بيع غلافات مواد الاعاشة (براميل ، اكياس ...) . توجه الهدف الاكبر للاسعاف او الى اطعام وايواء اللاجئين ، وحين انتدبت الوكالة الدولية لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين انيطت بها حسب قرار الجمعية العمومية الصادر في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩(١) المهمتان التاليتان : أ — تأمين الاغاثة المباشرة وبرنامج الاشغال المذكور في بعثة الاستقصاء الاقتصادية، بمشاركة الحكومات المحلية(٢). ب — التشاور مع حكومات الشرق الادنى بخصوص تحديد الخطوط الواجب القيام بها تحضيرا للوقت الذي يمكن بعده الاستغناء عن المساعدة الدولية .

يتضح من هذا التوكيل الصفة المرتقبة لعمل الوكالة والاتجاه الاساسي لتحقيق المشاريع القادرة على استيعاب اللاجئين وانهاء الاهتمام الدولي بهم . نتيجة لذلك جعل التعليم قسما من الاغاثة المحددة من قبل الوكالة على أنها تهدف الى « المحافظة على صحتهم وخيرهم(٣). وعقدت الوكالة اتفاقا مع الاونيسكو لمساعدتها على تمويل قسم من اعباء التعليم والاشراف عليه .

وجهت الوكالة جل جهدها شطر التعليم الابتدائي وحصرته بالصفوف الاولى . ووجدت عام ١٩٥١

ان نسبة المنتسبين الى المدارس من اصل نفس فئة العمر كانت كافية ، مقارنة مع ارقام الانتساب في الدول العربية المضيفة ، اضافة على ذلك لا يجب ان تتجاوز نسبة الانتساب لدى اللاجئين النسبة الموجودة في كل بلد مضيف(٤). نتيجة لهذا التحليل والاقتناع حافظت الوكالة نسبيا على هذا المستوى التعليمي خلال السنة الدراسية ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وعللت ايضا هذا الجمود بسبب قلة الاعتمادات وغلاء الاسعار نتيجة الحرب الكورية . لم تكن الاعتمادات المالية قليلة ، لكن ميزانية الاغاثة هي التي كانت ضئيلة ، فالقسم الاكبر من هذه الاعتمادات خصص لمشاريع الاستيطان . فلقد خصص مبلغ ٢٠٠ مليون دولار للاستيطان ، وحتى آخر السنة المالية المنتهية في ٣٠حزيران كانت الوكالة قد حصلت على تعهد من قبل اعضاء الامم المتحدة بدفع مبلغ يوازي ٦٥،٩ مليون دولار (٥٠ مليونا من الولايات المتحدة و١٢،٤ مليون من بريطانيا) ، استلمت من هذا المبلغ فعلا حوالي ٤٠،٧ مليون دولار ، بينما كان مجمل ميزانية الاغاثة حوالي ٢٧ مليون دولار . اشترطت الولايات المتحدة وبريطانيا على الوكالة تخصيص القسم الاكبر من الاعتمادات على مشاريع الاسكان ، حتى انهما حددتا مهلة لاستعمال القسم غير المسدد من قبلهما . فحددت الولايات المتحدة تاريخ ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٢ كآخر فرصة لاستعمال مبلغ ٢٠ مليون دولار(٥).

تهدف الدولتان الى انهاء حالة اللاجئين الشاذة على الخريطة السياسية المخططة من قبلهما ، وذلك في اقرب وقت ممكن وعن طريق الاستيطان في البلاد المضيفة.ولتحقيق عملية دمج الفلسطينيين في المحيط الجديد ، يجب المحافظة على نفس نسبة الانتساب في المرحلة الابتدائية الموجودة في كل بلد عربي ، دون النظر الى المستوى الثقافي والاستعداد الحضاري للشعب العربي الفلسطيني. بعد التاكد من فشل المشاريع الجزئية لتوطين اللاجئين ، وهكذا الاستغناء عن خدمات الوكالة ، اتضح أن هذه العملية ليست مباشرة بل تحتاج الى مشاريع كبيرة ودراسات واسعة افتقرت اليها دراسة بعثة الاستقصاء الاقتصادية . ولذا جاء تخصيص ميزانية ٢٠٠ مليون دولار لتحقيق مثل هذه المشاريع ، والسعي في نفس الوقت الى تحقيق مشاريع فردية للتاهيل .

بدأت الوكالة تشعر باحتمال اطالة مدة عملها ، كما لمست في نفس الوقت عدم جمود النسبة المئوية لانتساب الاولاد الى المدارس في الدول المضيفة ولاحظت أنه في ارتفاع ملموس . وتوازيا مع ذلك فوجئت الوكالة بالحاح متزايد من الفلسطينيين الى تعليم اولادهم ، ففي العام الدراسي ١٩٥١ — ١٩٥٢ رفضت الوكالة في الاردن عددا من الاولاد يوازي العدد التي قبلته في مدارسها(٦). ورفعت خلال عام ١٩٥٣ ميزانية التعليم ولكن على حساب الاغاثة والمستوى التعليمي النوعي ، كما زادت الاونيسكو معاضدتها لبرنامج الوكالة التعليمي . بالرغم من هذا الاهتمام بالتعليم،ظل مجرد قسم من نشاط الاغاثة ، اي خارج نطاق التاهيل الاقتصادي ، ولذا لم يسمح للوكالة الاستعانة بقسم من مبلغ ٥ ملايين دولار المخصصة للتاهيل المهني السريع والمشاريع الفردية(٧). كان التدريب السريع مرتبطا بمشروع الاستيطان وبدائرة الشؤون الاجتماعية . خلال عام ١٩٥١ درب حوالي ٢١٠٠ فتى على بعض الاعمال المهنية ، ودربت دائر الشؤون الاجتماعية ١٣٦٤ فتى و٢٨٠٠ فتاة(٨). بعد هذه التجارب قررت وكالة الغوث بارشاد من خبيري الاونسكو ومكتب العمل الدولي وضع خطة لتدريب ما بين ٥ و١٠ آلافتى فلسطيني بالمبلغ السابق الذكر وتمويل نشاطهم النتاجي بعد ذلك . من خلال تجربة مناقشة المشاريع الطويلة الامد، مثل مشروع نهر الاردن — اليرموك ومشروع سيناء، مع الحكومات العربية ، ومن خلال دقة دراسة جميع جوانب هذه المشاريع ، تاكد ضمنيا للمسؤولين عن الوكالة ، ان انتهاء عملهم ليس بالقريب ، وفي نفس الوقت وضعت الدول العربية شروطا مستحيلة لاستلام مكانها في ١٩٥٤/٦/٣٠ . خلال ذلك اتضح للوكالة ان التاهيل المهني السريع لا يعطي نتائجه لانتشار البطالة في الدول المضيفة وبين اللاجئين ، ولا يساعد مثل هذا التاهيل على منافسة القوى العاملة المحلية شبه الفنية والعاطلة. ورفض الاهل من جانبهم هذا التاهيل لتقصيره في توفير تعليم عام لاولادهم . مع بدء تلمس هذه الحقائق ، وتمديد عمل الوكالة الى ٣٠ حزيران ١٩٥٥ بدأت الوكالة تحسن من وضعها التعليمي. حسنت خلال عام ١٩٥٣ دخل المعلمين توازيا مع دخل زملائهم في الدول المضيفة . كما بدأت تشييد الابنية المدرسية الثابتة والمتقشفة (لبقاء قسم من الغموض حول مستقبلها ، اقله امكانية العودة ، بل العامل الاكبر ، احتمال نجاح عملية الاستيطان)

كما سمعت الى تخفيض عدد التلامذة في الصف الواحد بعدما وصل هذا العدد احيانا الى ١٥٠ تلميذا .

٢) مع انتهاء العام الدراسي ١٩٥٢ — ١٩٥٣ والتأكد من فشل برنامج التأهيل المهني السريع ، اعلنت الوكالة سياسة تربوية جديدة : أ — تأمين التعليم الابتدائي لجميع الاولاد في سن الدراسة . ب — الاعتماد في محيط التأهيل على التعليم المهني العالي وتخريج المعلمين .

استنتجت الوكالة هذه السياسية من الحقائق التالية كما جاءت متفرقة في بيان مدير وكالة الاغاثة امام الدورة التاسعة للجمعية العمومية(٩): اولا : المشاريع الكبيرة (اليرموك ، سيناء) لا تستوعب الا جزءا ضئيلا من عدد اللاجئين . ثانيا : ان تنمية الامكانيات الاقتصادية في الدول العربية المضيفة تكاد تكفي توفير العمالة للبطالة الحقيقية والمقنعة والتزايد السكاني المقبل لتلك الدول . ثالثا : لم تتضاءل مرارة اللاجئين الفلسطينيين بالرغم من مضي ست سنوات على تشردهم ، وعدم تجاوبهم مع مشاريع الوكالة . رابعا : يتطلب سوق العمل في الدول العربية المضيفة او المجاورة عناصر ذات تخصص مهني او جامعي. خامسا : يتطلب الاستيطان في المشاريع المزمع تحقيقها وجود عدد كبير من الفنيين وتسلح معظم المستوطنين بدرجة من الثقافة تساعد في تحقيقه مشاريع التنمية الاجتماعية وتحقيق النجاح الاقتصادي لجميع المشاريع . سادسا : تعتقد الوكالة ان درجة معينة من الثقافة تخلق لدى الفرد وعيا للاستفادة من قروضها الفردية المساعدة في تحقيق الاعالة الذاتية .

بدأت الوكالة عموما منذ اواخر عام ١٩٥٣ ومع تعثر مشاريع الاستيطان ، تدرك ان مهمتها في قطاع التعليم تتجاوز مفهوم الاغاثة ، ولذا بدأت تعطي للتعليم اهتماما اكبر مبرزة اهميته الخاصة. وانعكس ذلك على التقرير السنوي لعام ١٩٥٣ ، حيث فصل التعليم عن الاغاثة وذكر في فقرة خاصة به . وجاء تقرير عام ١٩٥٥ ليؤكد فشل المشاريع الكبيرة واضمحلال احلام الدول الاستعمارية في توطين اللاجئين واخفاء معالم مأساة فلسطين . فبدأت الوكالة تعترف بأهمية العلم كعامل لدمج الشباب الفلسطيني في المحيط العربي ، وأقرت بتخلف نشاطها في حقل التعليم الثانوي (التكميلي). وضعت الوكالة خطة لها بحيث تصل نسبة الملتحقين بالصفوف التكميلية الى عدد تلامذة المرحلة الابتدائية ٢٢ بالمائة بعد خمس سنوات ، وهي نسبة الالتحاق في الاردن عام ١٩٥٣ . اذ في ذلك العام قارب رقم غزة (٢٠،٨ بالمائة) هذا المستوى ، مرجع ذلك انتشار البطالة بشكل واسع في القطاع وانعدام اي امل لحصول خريجي المرحلة الابتدائية على اعمال ، فوجدت الوكالة نفسها ملزمة بزيادة عدد الصفوف وافساح المجال للطلبة لاكمال دراستهم . اما هذه النسبة فكانت ضئيلة جدا في مدارس الوكالة في المناطق الاخرى ، في الاردن (٦،٨ بالمائة) ، في لبنان (٩ بالمائة) وفي سوريا (١١ بالمائة)(١٠). ومع الاعتراف بهذا التقصير ، الا ان طموح الوكالة جاء هزيلا ، كما اتضح لنا ، اضافة على ذلك وجدت الوكالة ان اكتفاءها بصفين ثانويين وفي حالات قليلة صف ثالث يتلاءم والحاجة ، تاركة على الطالب مهمة اكمال دراسته خارج نطاقها . وسبب هذا الطموح الهزيل مسعى الوكالة على ابقاء الفلسطينيين في مستوى اقل من المستوى الثقافي لسكان الدول المضيفة او يوازيه ، تسهيلا لامر الاستيطان . ليس المال كما تدعي هو العائق في عملها فقسم كبير من رصيد ٢٠٠ مليون دولار ما يزال متوفرا ، وتتضاءل امكانية استغلاله لتعثر المشاريع الكبيرة . ومن الجدير بالذكر انه في بعض المخيمات سعت العناصر الواعية الى اضافة صفوف ثانوية بوسائلها الذاتية وبدعم مادي خاص ، فمثلا في مخيم عين الحلوه ، استطاع معلمو المدرسة الابتدائية جمع الاموال من امريكا ومن دول الخليج عام ١٩٥٣ لبناء وتجهيز الصفين الاول والثاني الثانويين ووضعت الوكالة تحت الامر الواقع وحين ارادوا السنة التالية تحقيق الصف الثالث الثانوي رفضت الوكالة ، فأعلن الطلبة الاضراب واجبروا الوكالة على القبول .

بعد فشل المشاريع الكبيرة والمشاريع الفردية اتضح للوكالة ان الفرصة الاساسية لتحقيق الاعالة الذاتية لدى الفلسطينيين هو المضي في سياسة التعليم العادي والصناعي . اعترفت الوكالة بهذا الواقع في تقريرها لعام ١٩٥٦(١١) ، ذاكرة التعليم في فقرة « المساعدة للاعالة الذاتية » . ونتيجة التفكير بربط اكبر قدر ممكن من التعليم بالتدريب المهني ، اقدمت الوكالة منذ عام ١٩٥٥ على ادخال دروس تدريب يدوي في الصفوف الابتدائية العالية والصفوف التكميلية . كما نشطت الوكالة

في محيط آخر وهو تدارك نقص المعلمين الاكفاء بعد هجرة الكثير منهم الى دول الخليج ، ففتحت معهدين لتخريج المعلمين والمعلمات في الاردن ، وخطط للمعهدين بحيث يمدان الدول العربية بالمعلمين انعكاسا لفكرة الاستيطان والاعالة الذاتية .

توقفت الدول الاستعمارية عن دفع ما وعدت به من مساعدات اضافية داخلة في اطار اعتماد ٢٠٠ مليون دولار، انتظارا لتوفير مشاريع استيطان(١٢). اذ نظرت تلك الدول بحذر للنشاط التعليمي ، فمخاطره توازي فوائده ، بل اكدت الاحداث السياسية خصوصا المظاهرات ضد حلف بغداد عداء الاجيال الصاعدة للاستعمار ، كما انتشر بينها نفوذ الاحزاب-القومية . اضافة على ذلك بدأت الجماهير العربية خلال وبعد حرب السويس تلتف حول الرئيس عبدالناصر. بعد الحماس الكبير في تمويل الوكالة في اوائل الخمسينات املا في استيطان اللاجئين وحل مشكلتهم لصالح اسرائيل، تراجعت الولايات المتحدة وبريطانيا عن الدعم السخي للوكالة ، وحصرتا هذا الدعم في حد ادنى لا يكاد يلبي متطلبات الاغاثة .

اكدت التطورات السياسية خلال عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ ان اي امل في تحقيق مشاريع الاستيطان قد تبدد . وأكدت مشاريع الاعالة الذاتية حدود امكانياتها وتعرض الكثير منها للفشل ، فلذا ليس امام الوكالة الا الاعتماد تماما على التعليم والتأهيل المهني لتحقيق استقلال اللاجئين عنها على الامد الطويل . كما وجدت الوكالة ان تجاوب الدول العربية من الناحية المادية والمعنوية والحاحها في تعليم الفلسطينيين كبيران ، يساهمان في خلق جو من الثقة المتبادلة . ولكن مقابل ذلك تبخل الدول الاستعمارية في دعم الاتجاه ، مما جعل الوكالة تجد نفسها امام ازمة مالية عام ١٩٥٨ ، تفرض عليها الاقتصاد في المشاريع التعليمية . ولكن امام حملة الوكالة الاعلامية واتضاح الولايات المتحدة وبريطانيا لخطورة تأزم الوضع الفلسطيني؛ قبلتا رفع مساعداتهما السنوية.وهكذا بعد أن كانت الوكالة اداة امريكية ــ بريطانية لاخفاء معالم جريمة اغتصاب فلسطين ، اصبحت علة لا بد من القبول بها خوفا من انعكاسات خطيرة .

٣) بالرغم من الاهتمام المتزايد بالتعليم من قبل الوكالة ، الا انها ظلت حتى عام ١٩٥٩ متمسكة بالمبادىء التي اعلنت عنها في العام الدراسي ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ ولم تتجاوزها : ا) تطبيق التعليم الابتدائي الشامل ، ب) اضافة صفين ثانويين وفي الحالات القليلة (غزة) صف ثالث . وبالرغم من أن الوكالة اقرت مبدأ الاقتراب من النسبة المئوية لعدد التلامذة في الصفوف التكميلية الى عدد التلامذة في الصفوف الابتدائية الموجودة في الدول المضيفة ، الا انها تقاعست عن تحقيق هذا الوعد . وجاء نمو التعليم بطيئا ، انعكاسا لسياسة التقشف في هذا الحقل ، فظلت ميزانية التعليم لمدة ثلاث سنوات جامدة وشهدت عام ١٩٥٨ تراجعا بطيئا . وبنيت المعاهد المهنية ومعاهد المعلمين من ميزانية الاستيطان .

خلال عام ١٩٥٩ حدث للوكالة تطوران : اولهما تعيين جون دينس مديرا عاما بدلا من هنري لابويس وثانيهما ارتفاع نسبي في دخل الوكالة نتيجة الحملة التي قامت بها اثر العجز الذي حصل عام ١٩٥٨ . وبالرغم من اعتماد تقرير دينس لعام ١٩٥٩ على مبدأ عدم تجاوز النسبة المئوية لعدد الطلبة في الصفوف الثانوية نسبة الى الصفوف الابتدائية والخاصة بالدول المضيفة(١٣)، الا ان مقدمة التقرير أفصحت عن تطور في فهم قضية الاجيال الفلسطينية الجديدة ومعالجتها(١٤) ، اذ تطرق التقرير في هذا الخصوص الى الامور الاربعة التالية : اولا : وصول ٣٠ الف شاب وشابة فلسطينية الى سن الرشد سنويا ، مع امل ضئيل بايجاد عمل لهم . ثانيا : يخلق فقدان الامكانيات الانتاجية لدى هؤلاء الشباب شعورا بالمرارة والضياع ، هما في حقيقتهما اكثر مأساة ، من الناحية الانسانية ، من فقدان الاعاشة والمأوى . ثالثا : تأثر الحياة السياسية في الشرق الادنى من قريب او بعيد بالقضية الفلسطينية . رابعا : الى حين ايجاد حل جذري يحقق للاجئين الفلسطينيين الاستقرار من حيث المسكن الدائم والعمل الملائم ، يجب ان تتحمل الوكالة المسؤولية التامة بتوفير الخدمات الاساسية لهم .

انطلاقا من منظارنا الفلسطيني والعربي عامة هناك الايجابي والسلبي في ملاحظات دينس ، يظهر الايجابي من خلال النظر الى مشكلة الاجيال الجديدة الفلسطينية على أنها وضع خاص يجب دراسته من هذه الناحية وعدم ربطه بأي مؤشر خاص بالدول العربية المضيفة ، وفي نفس الوقت الاهتمام بادخال مزيد من التخطيط في عمل الوكالة خصوصا في مجال التعليم . أما السلبي في

تقريره ، فمرجعه تجاهله للعامل السياسي الناتج عن زيادة الوعي لدى الشباب الفلسطيني واصرار الجماهير عامة على العودة ليس فقط الى الارض بل الى فلسطين بمعناها الاجتماعي ــ السياسي . ينظر ديفس الى مرارة الشباب العربي الفلسطيني كعنصر اساسي في تأجيج عدم الاستقرار في المنطقة ويجب تداركه بالوسائل الاقتصادية التي منها التعليم والتأهيل المهني ، متناسيا ان قدرا كبيرا من هذه المرارة مرجعه سياسي وليس اقتصاديا . من التصورات الاربعة السابقة بدا ديفس نشاطه على راس وكالة الاغاثة ، ساعيا خلال عمله الى التعمق في جميع جوانب مشكلة الشعب الفلسطيني المشرد . فسنح له عام ١٩٦٠ فهم علاقة هذه المشاكل مع بعضها وفهم حقيقة وظيفة الوكالة في مرحلة الركود السياسي نسبة الى القضية الفلسطينية . كانت نتيجة تحليلاته الامور الاضافية التالية(١٥): اولا: يتواجد ثلثا الفلسطينيين في مناطق غير قادرة بصورة ملائمة على استيعابهم. ثانيا : مع التطور التكنولوجي الذي تشهده المنطقة ، تضاءلت فرص بعض المهن التقليدية ، ولذا يجب توجيه الشباب الفلسطيني شطر المهن الحديثة . ثالثا : بسبب نفي الفلاح عن ارضه ، اختفت لدى اولاده فرصة تعلم مهنة الزراعة ، فلذا يحتاج الى تعليمه هذه المهنة من طريق اخر ، تحسبا لعودته الى ارضه والعمل فيها . رابعا : لما كان التأهيل سيأتي خصوصا عن طريق المهن الحديثة ، فلذا يجب تحقيق برنامج عمل لثلاث السنوات القادمة .

انطلاقا من واجب الوكالة ونشاطها حدد ديفس لها الاهتمامات الاتية : ١) ادارة الاغاثة (اعاشة ، مأوى ــ خدمات صحية وتطبيب) . ٢) تحقيق تعليم عام من ابتدائي وتكميلي . ٣) تعليم مهارات فنية وزيادة المنح الجامعية . ٤) تقديم قروض واعانات صغيرة لتحقيق الاعالة الذاتية . بالرغم من حديثه احيانا عن العودة ، ينظر ديفس اليها كاتفاق بين الاطراف اعتمادا على قرارات الامم المتحدة او على قرارات جديدة ، فواجب الوكالة الحالي وفي خلال فترة الجمود السياسي تحقيق الاهتمامات المذكورة اعلاه بشكل مثالي تخفف من آلام اللاجئين ومرارتهم خصوصا الشباب منهم . وتساهم على خلق قوى جديدة قادرة على العمل بشكل اكثر انتظاما في المستقبل . ويأمل ديفيس من التعليم والتأهيل المهني ضبط قوى التمرد لدى الفرد الفلسطيني . يعتقد ان منشأ هذا التمرد الحالة الانتاجية الفردية ، فمحاسن التعليم والتأهيل المهني هي في التغلب على هذا المسلك وخلق مسلك ايجابي معاكس بدلا عنه اي: مسلك الانضباط نتيجة الانتاج الخلاق . وهناك نظرة ايجابية لديفيس لا بد من الحديث عنها لاهميتها في تصوره لوظيفة العلم والتخصص . انه يرى فيهما عملا يفوق صفة الخدمات ، انهما استثمار في الامكانيات الانسانية قاعدة كل ثروة تطمح اليها كل الدول . يتضح من هذه النظرة انه يريد نسبيا التحرر من توجيه التعليم المهني حسب الطلب السوقي الاني ، بل التطلع نحو مجمل التطور الاقتصادي .

يتطلب تحقيق هذه الاهداف برمجة النشاط التعليمي. ولذا يقترح وضع مخطط يشمل السنوات الثلاث (١٩٦٠ ــ ١٩٦٣) ينفذ خلاله التطبيق الشامل للتعليم العام بشطريه الابتدائي والتكميلي مع رفع مستوى المعلمين وتحسين الوضع التعليمي عامة . وفي نفس الوقت توسيع المعاهد المهنية ومن ضمنها اعداد المعلمين ، ومضاعفة عدد المنح الجامعية السنوية من ٩٠ الى ١٨٠ .تكون حصيلة هذا التوسع تخريج ما بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ شاب من المعاهد المهنية ودور المعلمين والجامعات ابتداء من العام الثالث . وللوصول الى هذا المستوى يجب تقسيم البرامج الى قسمين : القسم الاول اتمام وتشييد المعاهد المهنية المخططة وفي القسم الثاني مضاعفة استيعاب هذه المعاهد . يتطلب تطبيق مجمل البرنامج تخصيص مبلغ ٨ ملايين دولار اضافي ، يؤمن نصفه من ميزانية الوكالة . والح ديفيس على اعتماد هذه السياسة بعد عام ١٩٦٣ وتأمين التكاليف الاضافية وقدرها مليونا دولار سنويا ، بأي طريقة كانت ، خصوصا انه في جميع الظروف سيكون هناك اعتماد في عشر السنوات المقبلة ، وربما اكثر ، على مساعدة المؤسسات الدولية . ارتباطا بهذه التحليلات والاهداف مارس ديفيس عمله . حقق قسما لا بأس به من برنامجه مع تعثر في تحسين نوعية التعليم ، الا انه استطاع قبل انهاء خدمته تحقيق معهد التربية لتدريب المعلمين على نطاق واسع . وحين استلم المفوض الجديد(١٦) لورنس ميتشلمور زمام الامور واطلع على اراء وبرنامج سلفه ، اعلن موافقته الكاملة على الخط المتبع والتصميم على متابعته(١٧). غير ان هذا التصميم كان جامدا بل سلبيا احيانا ،

اذ ينقصه الحماس والاندفاع الذي اظهره ديفيس في تحليل الاوضاع وتحقيق البرنامج .

٤) ابتداء من عام ١٩٦٥ ، بدأ الاهتمام يزداد ببرنامج التعليم من قبل الاونيسكو والدول العربية واتفق على عقد مؤتمر سنوي تحضره الاطراف الثلاثة (الوكالة — الاونيسكو — الدول العربية المضيفة) ، تناقش فيه امور التعليم . طالبت الدول العربية الوكالة في الاجتماع الاول بتحديد تصورها لتخطيط تربوي يوجه عملها . فلبت الطلب وتحدثت باسهاب في « التقرير عن سير العمل خلال السنة الدراسية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ والبرنامج والميزانية المقترحين للسنة الدراسية ١٩٦٧ — ١٩٦٨ » .

اعلنت الوكالة عجزها عن تحديد سياسة تربوية واضحة ، لكون المجتمع الفلسطيني غير مستقر. فوضع مخطط منطلق من تخيل عدم ترك المجتمع الفلسطيني ارضه مناف للواقع ، وبناء الخطة التربوية على أساس المعايير الموجودة في الدول العربية المضيفة مرفوض من قبل هذه الدول بسبب ارتفاع درجة الحاجة الى العلم لدى الفلسطينيين لفقدانهم الارض وحرية التصرف عامة بممتلكاتهم . لكن العجز هذا ، حسب رايها ، لا يلغي قبول الافتراضين التاليين(١٨) انطلاقا من متطلبات المجتمع غير المستقر : اولا : يجب ان يوازي المستوى التعليمي في الوكالة افضل مستوى في الدول المضيفة . ثانيا : زيادة على تأمين التعليم الابتدائي والتكميلي ، يجب توفير فرص في التعليم الثانوي وما بعد الثانوي لابناء الفلسطينيين اللاجئين اكبر من تلك المتوفرة لابناء الدول المضيفة .

فباقرار هذه الافتراضات تكون الوكالة قد تحررت كليا من عقلية اتباع مقاييس معينة في التعليم مستمدة من اوضاع الدول العربية.لكن لا يعني هذا تحررا شاملا عن الدول العربية المضيفة ، فمناهج التعليم ما تزال مرتبطة بمنهاج كل دولة ، كما أن المفهوم الاقتصادي البحت لتعليم اللاجئين ما يزال مترسخا في ممارسة الوكالة . لم تذكر هذه الممارسة في التقرير المذكور اعلاه ، الا انها اماضت في تحليله في برنامج وميزانية دائرة التعليم لعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، حيث اوضحت تمسكها برأي همرشولد الذي جاء في تقريره امام الجمعية العمومية لعام ١٩٥٩ « يجب النظر الى القوى العاملة اللاجئة الفلسطينية العاطلة عن العمل على أنها ليست عبئا ، بل في الحقيقة موجودات للمستقبل ، اذ تمثل مخزنا للقوى العاملة القادرة، عبر تنمية اقتصادية مأمولة ، المساهمة في خلق مستوى رفيع لمجمل سكان المنطقة »(١٩).

ساهمت عوامل اخرى في الدفع نحو هذا الاتجاه، اهمها الضغط المتزايد من قبل الفلسطينيين انفسهم للتوسع في التعليم ، يقابل ذلك ضغط مماثل من قبل الدول العربية في نفس الاتجاه . بالرغم من ان هذا الاتجاه لدى الوكالة حث الكثير من الدول على زيادة مساهمتها المتواضعة او البدء في تقديم المساعدة ، الا ان تجاوب الحكومة الامريكية كان سلبيا مقارنا بسخائها في بدء عهد الوكالة او نسبة الى مساعداتها الى كثير من دول العالم . معنى ذلك لما ذكر مرارا عدم اقتناعها بنجاح هذه السياسة بسبب تسييس الشباب الفلسطيني وارتفاع معدل وعيهم وممارستهم الثورية ووجودهم المتزايد في بلاد البترول .

ثانيا : انعكاس التفكير الاقتصادي — الاجتماعي على المستوى التعليمي .

ظهر لنا من خلال البحث مرور تفكير الوكالة الاقتصادي — الاجتماعي بأربع مراحل ، ولما كانت المرحلة الرابعة جديدة العهد سندرس اثر المراحل الثلاث الاولى على التعليم .

أ — التأثير على عدد الطلبة : تمثل السنتان الدراسيتان ١٩٥٠/١٩٥١ و١٩٥١/١٩٥٢ المرحلة الاولى حيث اهملت الوكالة التعليم انسجاما مع مبرر انشائها وهو تحقيق استيطان اللاجئين في اقرب وقت ممكن . كانت الزيادة السنوية في عدد التلامذة في مدارسها عام ١٩٥١/١٩٥٢ قليلة نسبيا (١٧ بالمائة) ، وكاد يكون التعليم الثانوي شبه مهمل . بالرغم من وجود عدد كبير من الفلسطينيين اللاجئين في المدارس الحكومية والخاصة الا ان نسبة هؤلاء الطلاب وفي جميع المراحل الدراسية الى مجموع اللاجئين لم يكن الا ١٢،٦ بالمائة في الاردن و١٤،٦ بالمائة في غزة(٢٠)، بينما فئة السكان من عمر ٥ سنوات الى ٢٠ سنة حوالي ٤٥ بالمائة .

امتدت المرحلة الاولى الى منتصف السنة الدراسية ١٩٥٢/١٩٥٣ ، حيث ادركت الوكالة خطأ قسم كبير من منطلقاتها كما ذكر في الفترة السابقة ، فبدأت في تحسين وضعها التعليمي . ارتفع عدد الطلبة ارتفاعا قويا حيث وصل في العام الدراسي ١٩٥٣/١٩٥٤ حوالي ٨٨ بالمائة نسبة الى العام

الدراسي ١٩٥١/١٩٥٢ وحوالي ١٢٠ بالمائة نسبة الى العام الدراسي ١٩٥٠/١٩٥١ . تشمل هذه الزيادات فقط المرحلة الابتدائية(٢١). وفي المرحلة الثانية هذه والتي امتدت حتى العام الدراسي ١٩٥٨/١٩٥٩ شهدت هذه المرحلة تحقيقا شاملا لانتساب الاولاد الذكور بالصفوف الابتدائية وعددا متزايدا من الاناث . لكن البطء في بناء المدارس الخاصة بالبنات اثر على اكمال عدد كبير منهن المرحلة الابتدائية ، لان متوسط عمر التلامذة كان مرتفعا نسبة للمرحلة الابتدائية بسبب سلبيات المرحلة التعليمية الاولى،وما نتج عن ذلكمن التحاق عدد كبير من الاولاد الكبار بالصفوف الابتدائية بعد ١٩٥٣ لعدم تمكنهم من الانتساب سابقا او عدم توفر الصفوف الابتدائية العالية وكانوا قد اتموا في فلسطين المرحلة الابتدائية الدنيا . فكان وضع المدارس المختلطة شاذا نسبة للتقاليد الاجتماعية السائدة . واضافة على التخلف في بناء المدارس، عكست سلبيات النظرة الاقتصادية — الاجتماعية للوكالة على التعليم التكميلي ، حيث حرم على عدد كبير من الطلبة انهاء المرحلة التكميلية .

مع مجيء المرحلة الثالثة والاقتناع بتوفير كامل الصفوف في المرحلة التكميلية ارتفع عدد الطلبة ، وما يزال يرتفع بشكل ملحوظ حتى الان. كما ساهم توفير المدارس الكافية للبنات ورجوع متوسط الاعمار في المرحلة الابتدائية الى وضعه الطبيعي وقبول الاهل مبدأ المدارس المختلطة ، الى ارتفاع نسبة البنات خصوصا في المرحلة الابتدائية وانهاء عدد كبير منهن هذه المرحلة . وبالرغم من رفع شعار توفير جميع الامكانيات لاكمال الطالب الفلسطيني دراسته الثانوية العامة او المهنية وتهيئة فرص اكبر للتعليم الجامعي ، الا ان هذا المبدأ لم يدخل حيز التنفيذ بحجة عدم توفر المال اللازم .

ب — التاثير على وضع المعلم : لم يكن المال وحده هو الذي أعاق رفع مستوى المعلم والمدرسة وهكذا رفع مستوى التعليم عامة ، بل ايضا مجمل تفكير الوكالة حتى المدة الاخيرة .

تفاضت الوكالة في البدء ، اي في مرحلة ربط التعليم بمبدأ الاغاثة ؛ عن حرمة المعلم ، فاستغلت تضحيته وحاجته المادية لتفرض عليه رواتب زهيدة، بينما أغدقت على موظفي الادارات برواتب جيدة نسبيا . وبسبب هذا الوضع تدهور مركز المعلم بعدما كان رفيعا في فلسطين . فبدأ المعلمون الاكفاء بترك الوكالة توجها نحو دول الخليج والبترول عموما . يجدون هناك اضافة الى دخل احسن وضعا مدرسيا واجتماعيا أسلم . وادركت الوكالة منذ البدء خطر هجرة المعلمين لكنها عملت القليل لتحسين مستواهم ، كانت نظرية الاستيطان وتحقيق الاعالة الذاتية لاكبر عدد ممكن من الفلسطينيين تحجب اي نظرية اخرى وتحقق من خلال هجرة المعلمين : اولا : استيطان المهاجرين منهم الى الدول العربية المجاورة في تلك البلاد . وثانيا : الاعالة الذاتية لعدد اخر من خريجي الصفوف الثانوية والتكميلية في البدء .

في الحقبة الاولى لم يكن هناك حاجة ملحة لرفع المستوى التعليمي . فما يحتاج اليه اللاجئون هو ادخال اولادهم الى المدارس . واما الالحاح الاخر برفع مستوى التعليم فهو ثانوي. كانت الاحتجاجات فردية ولم يظهر وجود فلسطيني منظم وواع يضغط بثقله في سبيل تحسين نوعية التعليم . كما لم تتسلح الوكالة بنظرة تشدها الى تهيئة الفرد لنمط مجتمع معين وتحضير الطالب للدراسة الجامعية . كان هدف الوكالة كما ذكر في البدء تهيئة الفرد ليصبح مهنيا او معلما للصفوف الابتدائية ، تتلاءم جميعها مع مجالات العمل في الشرق الاوسط .

لقد كان المال متوفرا لكنه مرصود لمشاريع الاستيطان. ترفض الولايات المتحدة وبريطانيا تحويل جزء منه للتعليم العام . ولقد برهنت الوكالة ، بانشائها وحدات الاشغال اليدوية الملحقة بالمدارس ، مقدرتها على ادخال وسائل تربوية حديثة لتهيئة الفرد المنتج في المجتمع . غير ان حصر الوسائل الحديثة بهذه الوحدات فقط هدف منه مقاومة الاتجاه الجامعي لدى الطلبة واوليائهم واعطاء الاعتبار للتخصص المهني . ولا يمنع ادخال وحدات الاشغال اليدوية من الاهتمام برفع المستوى العلمي للطلاب بتحسين المناهج والوسائل التعليمية الاخرى مثل المختبرات اذ ليس هدف التعليم تلقين الفرد اي معلومات او تخصص ، بل تشجيع الفرد على اكتشاف امكانياته الفعلية وتهيئته ليكون عضوا فعالا في مجتمع منتج .

بعد ادراك مستقبل الفرد الفلسطيني في فتح جميع الامكانيات العلمية امامه ، انعكاسا للتطور الاقتصادي السريع في المنطقة ولظروفه الخاصة ، بدأت الوكالة تهتم برفع المستوى العلمي النوعي . فسعت الى الحد من هجرة المعلمين برفع رواتبهم وفي نفس الوقت رفع مستواهم التربوي عن طريق

معهد التربية الخاص بتدريب المعلمين خلال العمل، وما سبق هذا المعهد من انشاء دور للمعلمين لعبت دورها في تخريج معلمين مهيأين تربويا . ومع ذلك ما تزال فكرة تحقيق استيطان الفلسطينيين متسربة الى ما تمارسه الوكالة . ما يزال تخطيطها يضع في اعتباره تشجيع المعلمين العمل في دول البترول . اذ ما يزال جو العمل والدخل المادي والضمان الاجتماعي دون المطلوب . تضع الوكالة « كحقيقة » مسلم بها ارقام التحاق قسم من خريجي معاهد المعلمين الخاصة بها بوظائف خارج نطاقها بالرغم من حاجتها اليهم . وتمثل ايضا « حقيقة » لها ترك سنويا عدد لا بأس به من المعلمين عملهم بالوكالة للعمل في دول البترول . وبعد سرد هذه «الحقائق» تبرر الوكالة تعيينها سنويا عددا كبيرا من المعلمين غير الاكفاء(٢٢) ، تاركة على عاتق معهد التربية تدريبهم خلال ممارستهم للمهنة .

ثالثا : هل من المستحيل وضع تخطيط تربوي لتعليم الاجيال العربية الفلسطينية الجديدة ؟

تجزم الوكالة ان ظاهرة عدم الاستقرار في التجمعات الفلسطينية ، نتيجة تشتتها وفقدان الارض وادوات الانتاج ، يجعل من المستحيل وضع تخطيط تربوي يدعم عملية النمو الاقتصادي ويحقق رفاهية المجتمع العربي الفلسطيني . معظم مجالات العمل حاليا هي الدول العربية ولكنها غير مضمونة نسبة الى استيعابها او قبولها لليد العاملة الفلسطينية . وهناك في الحقيقة اربعة اسباب تجعل الوكالة تتخلى عن مبدأ التخطيط التربوي .

اولا : ادراكها لعدم استقرار مستقبلها ، فهي لا تعرف موعد انتهاء عملها ، وعلى الاخص في الوقت الحالي بعد ازدياد مؤشرات حل للقضية الفلسطينية ترافق الحل السلمي ، الذي لا يخدم وحدة المجتمع العربي الفلسطيني .

ثانيا : تنظر الوكالة الى الشعب الفلسطيني كقوى عاملة تخدم اقتصاديات الدول العربية حاليا ومستقبلا . فلا تنظر الى هذا الشعب من خلال حقه بالعودة وبناء كيانه الخاص ، وما يتطلب ذلك من تربية اجيال مرتبطة بهذا الحق ومهيأة لخدمة المجتمع العائد والموحد .

ثالثا : اضافة الى الاصرار على التفكير الاقتصادي الضيق وعدم الاعتراف بوحدة الشعب الفلسطيني واماليه داخل الاطار العربي العام ، تسعى الوكالة الى عدم تجاوز مستويات التخطيط التربوي في الدول العربية المضيفة ، حيث المدارس « مكبس » لحشر المعلومات . ولم تتجاوز الثورية في بعض تلك الدول رفع الشعارات واصدار بعض القوانين المتخلفة تماما عن واجب تغيير النمط التعليمي سعيا وراء ايجاد نموذج جديد من المواطن ، قادر حقا على تحمل اعباء التغيير الاجتماعي — الاقتصادي أساس النمو الحقيقي . تضع الوكالة هدفا لها احسن مستوى تعليمي في الدول المضيفة ، مدركة على انها لن تتحمل اي عبء اضافي ، فالاحسن تربويا لا يتفوق كثيرا عن وضع التعليم في الوكالة .

رابعا : تجد الوكالة ان اي تطوير في اهدافها التربوية سيضعها امام مسؤوليات مادية جمة ، ذكرت قسما منها في تقريرها لعام ١٩٦٧ ، اذ بلغت التكاليف الاضافية حوالي عشرة ملايين ونصف مليون دولار(٢٣). واقتصر التحسين في مجال خفض عدد التلامذة في الصف الواحد وزيادة عدد المعلمين والمفتشين ، وفتح صفوف خاصة للمتأخرين عقليا وتجهيز جميع المدارس التكميلية بالمختبرات .

تمثل جميع هذه الاقتراحات تطورا شكليا امام التطور النوعي في تغيير اسلوب التعليم وتجهيز جميع المدارس الابتدائية والتكميلية بتجهيزات عدة تدعم هذا الاسلوب الجديد ، يضاف الى ذلك ادخال مواد التربية والفنون الجميلة (غناء ، رسم) . واذا اضفنا انشاء المدارس الثانوية والمرتبطة بالاسلوب الجديد ، يظهر لنا حجم التكاليف الاضافية . تهربا من المسؤوليات الحقيقية وما تعكسه من تكاليف مادية عبرت الوكالة عن العجز المبدأي في وضع مخطط تربوي .

نعترف مقدما ان العنصر الاساسي في التخطيط التربوي هو ربط التخصص بالامكانيات الانتاجية الحالية والقادمة ، لكن ليس معنى ذلك جعل التخصص مادة اولية للصناعة ، بل هو في حقيقته ، كما تؤكده الوكالة ايضا رأسمال . لكن يجب فهم هذا الرأسمال بمفهومه الشامل والجزئي . انه رأسمال ليس فقط بما يحققه من تخصص في المجالات العديدة الدافعة لعملية الانتاج وتطوره ، بل ايضا لما يهيىء من قيم ومسلك يتفقان والتغيير الهيكلي للاقتصاد . كما على هذه القيم والمسلك تحقيق قسم من التغيير في الوضع الاجتماعي السابق لعملية التغيير الاقتصادي . ورفض مبدأ التخطيط التربوي من قبل الوكالة هو انعكاس لتمسكها بمبدأ تحقيق الاعالة الذاتية وفي اقرب وقت ممكن . لم تستطع تحقيق هذا الهدف من خلال المشاريع الاقتصادية الجماعية

والفردية فوجدت الحل الوحيد المتوفر هو التعليم. تريده مطية لخدمة هذا الهدف مهملة الفرد والشعب الفلسطيني ، مهملة حقوقه واهدافه ، فهذه كلها لا تدخل في الحساب الاقتصادي الضيق المهيمن على تفكيرها .

لسنا هنا في صدد وضع خطوط لتخطيط تربوي ، فهذا لا يأتي عن طريق مناقشة سريعة لممارسة الوكالة والوضع الفلسطيني وعن طريق اجتهاد فردي . ولكن يأتي هذا التخطيط التربوي عن طريق مناقشة واسعة ، يشترك فيها اطراف عديدة للوضع التعليمي الحالي والوضع الفلسطيني حاليا ومستقبلا ووضع الشعب الفلسطيني في اطار المجتمع العربي المجزأ الموحد .

نقر مبدأيا بوجود مشكلتين : ١) تشتت الفلسطينيين ووجودهم تحت انظمة متعددة ، كما ان قسما منهم غير مستقر ماديا في بعض الاماكن . ٢) فقدان القاعدة المادية الواضحة ، التي يتطلع التخطيط التربوي الى تطويرها في خدمة رفاهية المجتمع والفرد . وتمثل هاتان النقطتان مشكلتين وليس عقبتين ، بمعنى ان اي بحث جاد في ظروفهما وحجمهما في معركة تطوير الفرد والمجتمع الفلسطيني ، يساعدنا على معرفة عمق ثقلهما السلبي في معطيات اي خطة عمل . انعكاسا لهاتين المشكلتين ، يبرز عامل ايجابي وهو الاصرار العنيد على العودة وتحرير الارض ، وما يجسد هذا الاصرار من وعي وتسييس واسعين لدى الجماهير الفلسطينية وانطلاقها في ثورتها التحريرية. يمثل هذا العنصر الايجابي مقدرة على تحريك الجماهير وتطوير امكانياتها الذاتية والمادية غير المتجانسة . كان حتى الان هذا العنصر الايجابي شبه معطل وما يزال وذلك لفقر الوعي الى الثورة الشاملة المولدة لمزيد من المقدرة القتالية والصمود. بالرغم من تشتته، يحتفظ الشعب العربي الفلسطيني بوحدة تشده نحو الالتحام والتماسك . وجسد هذا الالتحام من خلال ثورته واجبار الرأي العام والامم المتحدة الاعتراف بوحدته وحقه بالعودة . فعلى كل تخطيط تربوي وضع هذه الحقيقة في مكانها السليم، اي جعل الواجب الاساسي تنشئة فرد فلسطيني واع لوطنه ولامته العربية وواع لواجباته تجاه مجتمعه في جميع ظروفه . وتجاوبا مع أمانيه واصراره على العودة ، يجب فسح المجال له للتخصص في جميع المجالات وعدم تقييد مستقبله المهني حسب دراسة سريعة لمتطلبات سوق العمل العربية .

كان حديثنا حتى الان عن التخطيط التربوي من خلال مناقشة آراء الوكالة ومقارنة بعضها مع مفهومنا لبعض أوجه التخطيط التربوي . وسننتقل في المقطع التالي الى الحديث بصورة مباشرة عن تصورنا لمجمل التخطيط التربوي المناسب لوضع الشعب العربي الفلسطيني ، متخطين وجود الوكالة ، متطلعين الى ما هو واجب تحقيقه . لا يعني ذلك قفزا فوق الظروف والامكانيات الحالية ، بل تحديدا لتصور اولي لاهداف نابعة من الارادة الثورية النضالية . تدرس بعد المناقشة الجماعية وبلورة الاهداف السليمة الاولويات وطرق التطبيق. نلخص تصورنا لتخطيط تربوي خاص بالشعب العربي الفلسطيني بالنقاط التالية : ١ — تقوية ادراك الجيل الجديد لانتسابه الفلسطيني والعربي. ٢ — تربية الجيل الجديد على خدمة مجتمعه والشعور بواجب الدفاع عن هذا المجتمع وتحصيل حقوقه المشروعة . ٣ — غرس المسلك العلمي لدى الجيل الجديد : التفكير النقدي ، المقدرة على البحث والعمل الجماعي . ٤ — غرس أسلوب عمل لدى الجيل الجديد يساعد على تنظيم وبرمجة نشاطه . ٥ — تدريب الجيل الجديد خلال الدراسة على العمل كمجموعة يكون فيها الزميل سندا وليس منافسا . ٦ — غرس الانضباط الذاتي لدى الجيل الجديد ، واستيعاب النظام كمحرك للعمل ولكن في نفس الوقت تمويده على الديموقراطية ، اي تمويد الجيل الجديد الادراك ان فعالية المجتمع في انضباطه ولكن التأكيد ان منبع هذا الانضباط ثقة الفرد بنفسه وكفاءته ومقدرته على المشاركة في بلورة رأي المجموعة المتواجد فيها . ٧ — توفير حد ادنى من الثقافة العامة لدى الجيل الجديد ، تجعله يدرك الظواهر الاجتماعية والطبيعية المحيطة به ، مهيئة له هذه الثقافة مقدرة على كسب مزيد من المعرفة والتعمق خلال حياته العامة . ٨ — ربط العمل الفكري بالعمل اليدوي للتعلم من خلال العمل وازالة الفرقة بين الاتجاهين (لذا ممارسة الوكالة رائدة في هذا المضمار ، لكن سلبيتها في سعيها الى اخذ الشطر الثاني من الفائدة اي ازالة الفرقة بين الفكر والعمل اليدوي ، دون الاهتمام بالشطر الاول اي التعلم من خلال العمل). ٩ — توفير قاعدة من المعرفة التكنولوجية للجيل الجديد من خلال التعليم المهني تزوده بالحركية ، وعدم ربطه بتخصص محدود ، يعيق مستقبله .

التخلي بعض الشيء عن مبدأ التقيد بالطلب الآني ، بل النظر الى مجمل الوضع الانتاجي الحالي والمستقبلي في المنطقة العربية ، العاكس بصورة اسلم الوضع الانتاجي للمجتمع المستقر ، اي مجتمعه الفلسطيني العائد مستقبلا الى وطنه . وفي هذا المجال يجب النظر الى التعليم المهني كتوسيع لمقدرة المجتمع العربي الفلسطيني في حربه التحررية .

هذا قسم من التصورات نسعى خلالها الى ابراز ملامح الانسان العربي الفلسطيني الجديد : المرتبط مصيريا بمجتمعه والمهيأ لاعطاء جميع امكانياته في اطار العمل الجماعي المنظم ، تبقى الافكار غيبيات طالما ينظر اليها كاقتراح حل يلاقي الاستحسان او الرفض ، وليس كنقاط عمل اولية تدرس بدقة معطياتها ونتائجها. يشترك في دراستها اختصاصيون ملتزمون ثوريا كما يشترك قسم من الكادر الثوري في مناقشتها .

تساهم ايضا مثل هذه الافكار في فتح حوار او مناقشة تغني معرفتنا لنظام الوكالة التعليمي وتأثيره على تنشئة الاجيال الجديدة . ومن جهة اخرى تفسح هذه الافكار المجال لتوضيح نظرتنا التربوية في نطاق التحول الثوري للمجتمع الفلسطيني المصر على خوض الحرب الشعبية بما تحتويه من تعبئة قصوى وصمود جبار .

نبيل ايوب بدران

---

١ — مراجعة قرار الجمعية العمومية رقم

٢ — U. N. Conciliation Commission for Palestine: Final Report of the U. N. Economic Survey Mission (Clapp Mission): For the Middle East. Part I, II AAC, 25/6.

٣ — U. N., UNRWA, Annual Report Covering the Period, 1 July 1951 to 30 June 1952 Seventh Session. No. 13 (A 12171) p. 1.

٤ — U. N. Annual Report of the Director of UNRWA Sixth Session Supl. No. 16 (A/1905), p. 30.

٥ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Seventh Session, Supl. No. 13 (2171), p. 13.

٦ — نفس المصدر ص ٣٦ .

٧ — UNRWA : Reviews, the UNRWA Education and Training Programme 1950-1962, No. 3, p. 4.

٨ — مراجعة نفس المصدر ص ١٢ .

٩ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Supl. 17 (A/2717).

١٠ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Tenth Session, Supl. 15 (A/2978), p. 7, 28.

١١ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Twelvth Session, Supl. (A/3212), p. 6.

١٢ — مراجعة نفس المصدر ، ص ٣٥ .

١٣ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Fourteenth Session, Supl. (A/4213). p. 5.

١٤ — مراجعة نفس المصدر ، ص ١٢ .

١٥ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Fifteenth. Session, Supl. 14 (A/4478), p. 2-5.

١٦ — قررت الجمعية العمومية عام ١٩٦٢ استبدال اسم مدير الوكالة باسم المفوض العام.

١٧ — U. N. : Report of the Commissioner General of the UNRWA, Twentieth Session, Supl. 13 (A/6013).

١٨ — UNRWA : Department of Education : Progress Report on School Year 1966-67, p. 5.6.

١٩ — UNRWA : Department of Education, Proposed Programm and Budget for the School Year 1966-67, p. 11.

٢٠ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, 12 (A/2470). p. 20.

٢١ — UNRWA - UNESCO : Department of Education Statistical Year Book 1969-70, Table 24.

٢٢ — UNRWA : Department of Education, Progress Report on School Year 1966-67, p. 24.

٢٣ — مراجعة نفس المصدر ، ص ٢٧ .

(٢) تغيير المناهج المدرسية في الضفة الغربية للاردن بعد ١٩٦٧

بعد ان عقد الصلح بين النازيين الالمان والفرنسيين في ٢٢ حزيران ١٩٤٠ اعتقد النازيون انه بذلك أصبح النصف الشمالي من فرنسا جزءا من «النظام الجديد» الذي كانوا يستهدفون فرضه على أوروبا. فقامت سلطات الاحتلال النازي بعد ذلك بسلسلة اجراءات تناولت كثيرا من مرافق الحياة الفرنسية ، تستهدف دمج الفرنسيين بذلك « النظام الجديد » . وكان التعليم أداة هامة اراد النازيون المحتلون استخدامها للوصول الى الجيل الفرنسي الطالع لتثبيت دعائم « نظامهم الجديد » في مستقبل فرنسا . وقد اتخذوا اجراءات شتى في مجال التعليم وربما كان من ابرزها تعديل المناهج المدرسية . فقد فرضت السلطات المحتلة رقابة على المناهج والكتب المدرسية ، ومنها كتب الدين ، بل راجعتها واضفت عليها تغييرات تتمشى وتعاليمها وقيمها النازية . ومثال على ذلك ان الكتب الجديدة قد وجهت بروح عالمية « اي لا قومية »(١).

وفي حزيران ١٩٦٧ وبعد ان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بالاستيلاء على الاراضي العربية في الضفة الغربية للاردن ، قامت باجراءات شتى في مختلف مجالات الحياة هناك هادفة بذلك الى دمج الاراضي المحتلة فيما يسمى « بدولة اسرائيل » . وفي مجال التعليم ، كان أبرز عمل قامت به هو تعديل المناهج والكتب المدرسية، بعد مراجعتها واضفاء التغييرات التي رأتها لازمة عليها ضمن خط اهدافها وسياستها الصهيونية .

وهنا تجدر الاشارة الى بعض المواثيق العالمية بخصوص التعليم في بلاد لا يحكمها اهلها سياسيا . ففي الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ورد في المادة ٢٦ منه وفي الفقرة الثالثة ، بهذا الصدد : ان « الوالدين لهما الحق الاول في اختيار نوع التعليم الذي يريدونه لاولادهم » . وكذلك جاء في قرار رقم (٧٠٨١) للمؤتمر العام للاونسكو في جلسته التاسعة (١٩٥٦) والذي قضى باتخاذ الاجراءات اللازمة « للتأكد ان التعليم في كل مكان يحترم التقاليد القومية ، والدينية واللغوية للسكان . وان طبيعتها يجب الا تغير لاسباب سياسية » .

مقاومة تغيير المناهج

في أواخر تموز ١٩٦٧ اعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلية عن قرارها بالغاء المناهج والكتب المدرسية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الاردنية والتى كانت تدرس في المدارس الاردنية الرسمية والاهلية والتابعة لوكالة الغوث ، بحجة ان هذه المناهج والكتب « تثبت ان الاطفال اللاجئين الذين يدرسون في المدارس كانوا يشربون الكراهية لاسرائيل »(٢). فهي « تعطي وصفا مشوها للاحداث التي أدت والتي تبعت قيام دولة اسرائيل تفضي الى اثارة الكراهية لاسرائيل في اذهان الطلاب الذين يستعملونها »(٣). وطبقا لهذا القرار وفي التاسع من آب ١٩٦٧ اصدرت سلطات الاحتلال امرا عسكريا يقضي بمنع استعمال (٧٨) كتابا مدرسيا في مدارس الضفة الغربية من اصل ١٢١ كتابا مقررا من وزارة التربية الاردنية .

تضامنت الهيئات التدريسية في الضفة الغربية في رفض هذه الاجراءات واعلنت الاضراب العام في المدارس حتى يتراجع العدو عن قراره في تغيير المناهج . وقد دعت في بيان ، اصدرته باسم اتحاد معلمي الضفة الغربية ، في ٣٠ تموز ١٩٦٧ ، الى عدم التعاون مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية . كما دعت الطلاب الى مقاطعة المدارس اذا ما ادخل اي تغيير على مناهجها الدراسية السابقة . وقال البيان ان سلطات الاحتلال « تعمل جاهدة في هذه الايام من اجل انتظام الدراسة في مدارس الضفة الغربية لا لتحقيق مصلحة لاجيالنا الصاعدة وانما لتحقيق مكسب سياسي تستغله في المحافل الدولية

---

١ — *Internationalism* بالمفهوم النازي . Adolfo Meyer, *The Development of Education in the Twentieth Century*. (New York, 1951), p. 220.

٢ و ٣ — رسالة ميتشلمور المفوض العام لوكالة الغوث لرينيه ماهيو مدير عام الاونسكو ٧/١٧/ ١٩٦٧ .

بتكريس احتلالها واضفاء الصفة الشرعية عليه » .
وذكر ان سلطات الاحتلال هذه « قد تلجأ الى الايهام بالابقاء على المناهج الدراسية الاردنية وذلك من اجل الاخذ بزمام الموقف ومن ثم فرض ما يحلو لها من مناهج » . واعلنت الهيئة في بيانها ان « الضفة الغربية جزء لا يتجزأ من الكيان الاردني والقدس هي القلب النابض في هذا الكيان وان وعي الشعب لن ينخدع بتلويح السلطات الاسرائيلية بعدم تغيير المناهج في الضفة الغربية مستثنية بذلك مدينة القدس ». وقال البيان : « ان ذهاب الطلاب الى المدارس على اساس تغيير المناهج الاردنية او العبث بها يعني ان ما سيتلقونه في هذه الفترة لن يكون للصالح الوطني او الاجتماعي او القومي ولهذا فانهم مدعوون الى مقاطعة المدارس على هذا الاساس وما سيفوتهم تحت ظل الاحتلال الموقت سيعوض لهم فيما بعد » . واضاف البيان : « ان التعاون مع سلطات الاحتلال يعني تكريس هذا الاحتلال وترسيخ جذوره على تراب وطننا الغالي وهو يعطي المحتلين مبررا لمواصلة احتلالهم »(٤).
وفي بداية العام الدراسي في ١٤ أيلول بقيت المدارس مقفلة ، اذ اضرب ستة آلاف مدرس و٥٠ الف طالب ، رغم تهديد السلطات الاسرائيلية باتخاذ اجراءات قاسية ضد المتنعين عن العمل . وقد ادى ذلك بالسلطات للقيام باعتقالات بين المعلمين والمسؤولين عن التربية في الضفة الغربية . فكان بين من اعتقلت في ٥ ايلول ، مدير التربية والتعليم بمحافظة القدس ومساعده ومدير التربية والتعليم في لواء رام‌الله وغيرهم ، كما اعتقلت عددا من رجال التعليم في محافظة نابلس في اليوم التالي . وعلى اثر ذلك اصدر المعلمون العرب في الضفة المحتلة بيانا باسم اتحاد معلمي الضفة الغربية دعوا فيه الى مواصلة الاضراب حتى ترجع السلطات عن قرارها بتغيير المناهج . وقال البيان ان من بين الكتب التي منعت اسرائيل تدريسها في المدارس العربية كتب اللغة العربية والدين الاسلامي . « وانها تهدف من وراء ذلك الى طمس معالم الدين واللغة » . وتابعت السلطات اجراءاتها ، فقامت باعتقالات اخرى بين المعلمين والطلاب ومدراء التربية . كما حكمت على بعضهم بالسجن مدة ثلاثة شهور بتهمة اثارة اضرابات ضد فتح المدارس في الضفة الغربية المحتلة . وجابهت السلطات المحتلة هذا الاضراب بأساليب عنف اخرى بالاضافة الى الاعتقالات . ففي القدس ، اخذت تعلن عن فتح المدارس واحدة بعد الاخرى مستخدمة القوة — كما وجهت انذارات شخصية لكل معلم . وحين لم يستجب لها أحد ، عينت معلمين من طلاب الصفوف الاعدادية ، وحظرت الاجتماعات والتجمعات لقطع الصلة بين العاملين في التدريس .
وحين ظهر للسلطات ان الوضع في تأزم مستمر ، اتجهت الى ناحية اخرى في الحياة في الضفة الغربية وهي الناحية الاقتصادية ، فقد منعت تسويق المنتجات في كثير من القرى تهديدا للسكان لعدم استجابتهم لانظمة السلطات. وفي نابلس ، في مطلع تشرين الاول ٦٧ ، وقبل موسم الزيت والزيتون الذي تعتمد عليه المنطقة بشكل رئيسي من الناحية الاقتصادية ، اصدر وزير الدفاع موشي ديان أمر دفاع يحظر فيه تصدير الزيت والزيتون الى الضفة الشرقية حتى تفتح المدارس في الضفة الغربية . واوضح ذلك في مقابلة مع رئيس بلدية نابلس ووجهائها . كما أعلن لهم : « ان اغلاق المدارس هيأ جميع افراد الشعب نفسيا وعاطفيا للمقاومة». وزاد على ذلك : « بأنه مستعد لابادة شعب بأكمله اذا تعرض أمن اسرائيل للخطر » .
لم يكن هناك تنظيم نقابي للمعلمين في الضفة الغربية ، لذا لم تكن هناك خبرة نقابية ولا قيادات منتخبة ولا سلطة للمندوبين عن المعلمين، او بالاحرى الذين اخذوا زمام المبادرة منهم ، والذين عقدوا الاجتماعات ، على بقية المعلمين . لذا تدخل الكثيرون من اصحاب وجهات النظر العديدة واصحاب المصالح المتباينة واصحاب السيطرة التقليدية على المجتمع في موضوع المناهج والتعليم. كما لعبت هناك عوامل أخرى في التأثير على الوضع ، منها اعطاء الحكومة الاسرائيلية راتبا آخر للمعلمين المداومين زيادة على راتب الحكومة الاردنية ، هذا غير العامل الاقتصادي الاخر العام عن تحديد تسويق المنتوجات ، وكذلك خوف بعض المعلمين من نزوح عائلات بأكملها الى الضفة الشرقية سعيا وراء تعليم ابنائها . وساد اتجاه نحو فتح المدارس بين كثير من المعلمين ووجهاء البلد وعقدوا اجتماعين بينهم في نابلس . الاول كان في منزل حكمت المصري ، والثاني في مدرسة النجاح . فض الاجتماع الاول دون اتفاق وفي الاجتماع الثاني قررت الاكثرية تشكيل لجنة فنية من رجال التربية لابداء الرأي حول المناهج والكتب

---

٤ — جريدة **النهار** البيروتية ، ٦٧/٩/٢ .

العربية التي عدلها العدو . وكان العدو قد تراجع قليلا ، اذ امر باعادة طبع (٥٩) كتابا من الـ ٧٨ مع تعديلات تشمل حذف بعض العبارات والفصول التي لم تتلاءم وسياسته واهدافه .

وعين يوم ٦٧/١٠/١٦ موعدا للاجتماع . وقد حضر من الجانب الاسرائيلي داود مزراحي استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة العبرية ومندوب رئيس الوزراء في الضفة الغربية وقال في هذا الاجتماع بصورة صلفة ومتعجرفة انهم عدلوا الكتب وهي الان في المطابع وعلى العرب الاطلاع على النماذج دون ابداء الرأي ، كما رفض الجانب الاسرائيلي اي تدخل في شؤون القدس التعليمية ، حيث طبق المنهاج الاسرائيلي على اعتبار ان القدس قد ضمت الى اسرائيل نهائيا .

وكان الاجتماع الثاني في ٦٧/١٠/٢٣ ، وتحت ضغط شديد اضطرت اللجنة الى رفع التوصية التالية التي قضت بما معناه ، انه رغم الضرر الناجم عن التغييرات المستحدثة في المناهج والكتب المدرسية ، فان اللجنة ترى ان لا مانع من فتح المدارس بالشروط التالية : ١ ــ الافراج عن جميع المعتقلين من أسرة التربية والتعليم . ٢ ــ عدم الاستغناء عن خدمات اي موظف او معلم كان يعمل قبل ٦٧/٦/٥ . ٣ ــ عدم الطلب الى المعلمين والموظفين تعبئة استمارات عمل اسرائيلية او اي مقصد من شأنه ان يمس حقوقهم في الخدمة في الحكومة الاردنية . وخطورة هذه الاستمارات هي انها تطلب من العربي التخلي عن جنسيته العربية وتعامله «كمهاجر يهودي رجع الى بلاده» . ٤ ــ ان يكون سير المدارس حسب الانظمة والقوانين الاردنية وان يتمتع مديرو التعليم بنفس صلاحياتهم الممنوحة لهم . وقد قبل الاسرائيليون بهذه الشروط وفتحت المدارس في ٦٧/١١/٤ .

ورغم افتتاح المدارس ، كانت هناك وجهة نظر أخرى بين المعلمين تعارض ذلك ، وقد انسحبت المجموعة التي تساند هذا الرأي من الاجتماع الثاني في مدرسة النجاح بنابلس ، احتجاجا على فتح المدارس ، اذ كان رأيهم ان الاضراب يؤدي الى تدعيم وتصعيد المقاومة واحراج العدو في الامم المتحدة حيث كانت القضية معروضة للمناقشة . وهؤلاء ايضا قاموا بتشكيل اتحاد للمعلمين اسموه « اتحاد المعلمين الأردنيين في الضفة الغربية » . وقد انتشر هذا التنظيم السري في مدارس الضفة الغربية واسهم بجهد واسع في دعم الحركة الوطنية وتصعيد المقاومة ضد الاحتلال فنظم الاضرابات ، ووزع المنشورات وقام بالمظاهرات . وقد تعرض نتيجة لذلك عدد كبير من المعلمين للاعتقال والاضطهاد ولا يزال حتى الان عدد كبير من المعلمين من اعضائه في معتقلات العدو . كما تعرضت اللجنة المركزية للاتحاد للاضطهاد والملاحقة والسجن ، وانتهى الامر بابعاد اغلب اعضائها .

اين يدرس المنهاج الاسرائيلي المعدل ؟

في الضفة الغربية من الاردن مدارس حكومية ومدارس أهلية ومدارس وكالة الغوث . وقد كانت هذه المدارس كلها تستعمل مناهج وزارة التربية والتعليم الاردنية ، الا في بعض المواد مثل الدين (في المدارس الطائفية) واللغة الاجنبية في أغلب المدارس الاهلية ، اذ يتقدم طلاب هذه المدارس جميعها للامتحانات الرسمية التي تتولاها وزارة التربية الاردنية ، مثل الاعدادية والتوجيهية . ومع فتح المدارس في الضفة الغربية في ٦٧/١١/٤ طبق المنهاج الجديد المعدل على جميع مدارس الضفة الغربية الاهلية والحكومية ، ما عدا مدينة القدس ، حيث سمح للمدارس الاهلية فقط بتطبيق هذا المنهاج او اختيار المنهاج الرسمي الذي طبق على المدارس الرسمية في القدس وهو المنهاج الذي أعدته وزارة المعارف والثقافة الاسرائيلية ليدرس في مدارسها العربية . فقد اعتبرت القدس جزءا من الدولة الصهيونية ، وكان هذا الاجراء ضمن سلسلة اجراءات تهدف الى دمج القدس نهائيا في الكيان الصهيوني .

وقد أتاح هذا الامر ، اي السماح للمدارس الاهلية في القدس باستعمال المناهج المطبقة في الضفة الغربية ، لعرب القدس تحويل قسم كبير من الطلاب والطالبات الى المدارس الاهلية تلك . وقد أدى هذا الى تخفيض عدد الطلاب في المدارس الحكومية والثانوية منها بشكل خاص . واكبر مثال على ذلك هو المدرسة الرشيدية (وهي مدرسة ثانوية للبنين في القدس) التي تضاءل عدد طلابها الى عشرات ، بعد ان كان عددهم عام ٦٧/١٩٦٦ ٦٨٧ طالبا . وقد ردت السلطات الاسرائيلية على هذا التصرف بأصدار قانون جديد اسمته (قانون الاشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩) نشر في مجلة القوانين الاسرائيلية عدد رقم ٥٦٤ تاريخ ٦٩/٧/١٧ . وقد بوشر بالعمل به في

١٩٧٠/١/١٧(٥). والمهم في هذا القانون انه منع فتح مدرسة جديدة الا برخصة من مدير التربية والتعليم في وزارة التربية الاسرائيلية . وقد حدد القانون شروطا تفصيلية كثيرة لاقامة المدرسة ، تختص بالقائمين عليها والبرنامج الدراسي والادوات والمركز ، وسير العمل . كما اعطي المدير العام حقا باعطاء الرخصة حسب الشروط الموضوعة وكذلك بتعليق اعطاء رخصة « بشروط تنفذ سلفا » او اعطاء الرخصة بشروط تنفذ بعدها . كما اعطي المدير الحق في اعطاء رخصة محددة المدة الزمنية. وبهذا يصبح مدير التربية مشرفا اشرافا كاملا على المدارس الخاصة الجديدة مع صلاحية اقفالها متى يشاء وحسب القانون .

ولمساعدة المدارس الاهلية هذه على استيعاب الطلاب الجدد ، تعطي وزارة التربية الاردنية مساعدات لهذه المدارس تتراوح بين ٧٥٠ — ٣٠٠٠ دينار اردني سنويا، كما اعطت رخصا لفتح مدارس جديدة . اما مدارس وكالة الغوث فقد اوقفت استعمال الكتب التي منعتها السلطات الاسرائيلية. وبحجة عدم اضاعة السنة على الطلاب طبعت « مذكرات تعليمية » للمعلمين واستعملتها في مدارسها في الضفة الغربية ، بديلا عن تلك الكتب، بما فيها مذكرات في العلوم والرياضيات . ومن الجدير بالذكر ان هذه المذكرات لم تعط اية هوية، فعليها فقط شعار الوكالة وعبارة «الضفة الغربية» دون الاشارة الى كونها جزءا في دولة تعترف بسيادتها دول العالم والامم المتحدة . كما ان وزارة التربية الاردنية تعترض عليها لكون مادتها قد جاءت دون هوية ايضا . « فلا ارتباط بين المادة في الكتاب وبين بيئة الطالب وهو ما يعتبر عيبا تربويا خطيرا خاصة حين يحدث ذلك في كتب التاريخ والجغرافيا والدين . وكذلك تجاهلت كل ما له صلة بالقضية الفلسطينية »(٦). وفوق ذلك فقد طبعت المذكرات ووزعت دون علم الحكومة الاردنية .

رفعت الوكالة هذه القضية الى الاونسكو باعتبارها الشريك الثاني للوكالة في الاشراف على مدارسها.

---

٥ — روحي الخطيب ، **تهويد القدس** ، (امانة القدس ، اذار ١٩٧٠) ص ١٧ .

٦ — مذكرة وزارة التربية الاردنية حول ما اصاب التعليم واهدافه من اضرار قومية وتربوية واجتماعية في الضفة الغربية من الاردن ص ٦ و ٧ .

وفي ٦٨/١١/٤ وبموافقة الدول المعنية ، ما عدا سوريا ، عين المدير العام للاونسكو « لجنة خبراء خارجيين » لفحص الكتب المدرسية المستعملة في مدارس الوكالة في الاردن والجمهورية العربية المتحدة ولبنان . وذلك وفقا للاسس والمبادىء التي تضمنها قرار المجلس التنفيذي للاونسكو رقم ٦٤٨ في دورته السابعة والسبعين وهي : ١ — القاعدة الاخلاقية المقررة في دستور الاونسكو والمادة ٢٦ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان. ٢ — التعليمات الواردة في قرار ٧٤٨١ الذي اتخذه المؤتمر العام لسنة ١٩٥٦ لاتخاذ الاجراءات « لضمان احترام التربية في كل مكان للتقاليد القومية والدينية واللغوية للسكان ، وعدم تغيير طبيعتها لاسباب سياسية ». ٣ — تمكين الطلاب من متابعة دراستهم في مراحل اعلى ضمن نظامهم التعليمي او نظام ذي خصائص ثقافية — وخاصة لغوية — مطابقة(٧).

وفي ٢٤ شباط ١٩٦٩ قدمت اللجنة تقريرها النهائي للمجلس التنفيذي للاونسكو في جلسته الثانية والثمانين . وقد تضمن التقرير تحفظات واعتراضات على الكتب العربية ، كما تضمن توصيات . وكانت اعتراضاته الاساسية ان الكتب لا سيما الجغرافيا والتاريخ والدين ، توجه نحو العنف (وقد اوردت امثالا على ذلك كلمات توحي بالعنف وهي ، « تحرير » ، « عودة » ، « تطهير » . وتتضمن تشريبا سياسيا ، وفيها عداء لشعوب اليهود ، ولدولة قائمة (اسرائيل) ، وتجاهل لكونها قائمة ومعترف بها دوليا) . وبناء على ذلك طلب المدير العام للاونسكو الغاء ١٨ كتابا ، تاريخ وجغرافيا ودين ، واعادة توزيع ٤١ كتابا ، لم تر اللجنة فيها ما يسترعي حذفها ، ولكن سلطات الاحتلال رفضت ذلك الطلب . وبقيت مدارس الوكالة تدرس من المذكرات التي طبعتها للمعلمين ولا يحمل الطلاب كتبا في اغلب المواد .

اما الاردن فقد اتخذ موقفا من قضية المذكرات وقبول الاونسكو لمنع تدريس الـ ٥٩ كتابا مدرسيا التي رفضتها سلطات الاحتلال . وقد عرض هذا الموقف ضمن المذكرة التي قدمها الوفد الاردني للدورة الخامسة عشرة للمؤتمر العام للاونسكو الذي عقد بين ١٥/١٠ — ٦٨/١١/٢٠ . ونورد هنا ذلك الجزء من المذكرة المتعلق بالموضوع :

---

٧ — مذكرة الوفد الاردني في الدورة الخامسة عشرة للمؤتمر العام للاونسكو ، ص ٥ .

«من المتوقع — وعلى الاقل من المأمول — انه مهما كانت لسلطات الاحتلال من دوافع سياسية ، ومهما بلغ الضغط الذي توجهه تلك السلطات ، فان الموقف والاجراء اللذين اتخذتهما الجمعية العمومية للامم المتحدة في توصيتها في ٤ و١٤ تموز ١٩٦٧ واتخذهما مجلس الامن في قراريه في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ و٢٢ ايار ١٩٦٨ بشأن المناطق المحتلة بما فيها القدس ، هما موقف واجراء حاسمان فيما يخص وضع تلك المناطق وموجهان في مجموعهما الى اسرائيل . ولكنهما بطبيعة الحال شاملان في انطباقهما على اليونسكو والوكالة فيما يخص نشاطهما التعليمي في تلك المناطق . وفي الوقت الذي يفرض فيه التزام سلطات الاحتلال بالتوصيتين والقرارين الانف ذكرهما (والقراران يبطلان قانونية احتلالها للضفة الغربية بما فيها القدس) وكذلك يفرض على تلك السلطات مراعاة التشاريع الدولية وخاصة المادتين ٢٦ و٣٠ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان والمادة (٣) من دستور اليونسكو ، فانه يتطلع الى سلطات التعليم في اليونسكو والوكالة (وهما هيئتان تنفيذيتان للامم المتحدة) لمنع سلطات الاحتلال تلك من اي تناول للمناهج والكتب من شأنه ان يعزل، عزلا تعليميا ، نحو ٧٠٪ من طلاب المدارس الاردنيين الذين اصبحوا لاجئين ونازحين ويقوض سيادة الاردن على مواطنيه وضمن حدود اراضيه. وحيث ان الوضع القانوني للمنطقة موضوع البحث لم يتغير ، فان وقوعها الحالي تحت الاحتلال لا يجوز ان يحرم الجيل الشاب من ابنائها من مواصلة تلقي نفس التعليم الذي كان يتمتع به من قبل ، وحيث ان نظام التعليم الذي تتولاه اليونسكو والوكالة لم يسبق ان تعرض لاي نزاع مع السلطات الاردنية فيما يخص المناهج والكتب ، فان لسائل ان يسال ، لم يثار هذا الموضوع اطلاقا ؟ وما دام العمل العسكري الذي انتج وضع الاحتلال هذا قد شجبته الامم المتحدة نفسها وامرت بالانسحاب فلم تقبل وكالة تابعة لها — ولم تغض طرفها — عن اجراء يحرم احد قطاعات الطلاب من التعليم الذي تتلقاه قطاعات اخرى منهم في المنطقة نفسها ، وضد رغبة الوالدين ، ويؤدي الى عزل بعض الطلاب عن الباقين منهم ، ويضع العقبات في سبيل مواصلتهم التعليم في مراحل اعلى ؟ ان التنمية الشاملة لشخصية الطالب تشمل اعداده للعضوية الفعالة في مجتمعه والمجتمع في هذه الحالة مصمم على صيانة وجوده وبناء حياة قومية سليمة تقدمية على اسس الحرية والكرامة والعدل ، وهذه هي الوسيلة التي تضمن تحقيق سلام دائم للعالم .

والاردن موقن ان محتوى كتبه لا يخرج عن اطار المستويات الاخلاقية المعترف بها دوليا . فالعرب انفسهم شعب سام ، والاسلام دين تسامح يعترف ويحترم غيره من الاديان بما فيها اليهودية . ولذلك لا يكن احد الكراهية لليهود او لدينهم بهذه الصفة، بل انهم في الواقع قد تمتعوا بحماية تتصف بالشهامة في ظل الحكم العربي الاسلامي . لكن العرب لا يستطيعون التسامح او الرضوخ امام الصهيونية الباغية التوسعية الرامية الى اجتياحهم واجتثاثهم. والرضوخ للعدوان يستزيد العدوان ويولد الكراهية في نفوس ضحاياه ، ومن ثم تنشأ الحرب .

ويبدو ان التغيير الذي اجري في الكتب الاردنية قد استهدف جعل الذين يتلقون التعليم على هذه الصورة جيلا مذعورا خانعا مصيره انقطاع الصلة بماضيه الحافز وحاضره المتحدي، والحرمان من الطموح المشروع في مستقبل زاهر . فاذا كان من الضروري فحص بعض العبارات التي حامت حولها بعض الشبهات في محتوى هذه الكتب ، كان من اليسير ايراد عبارات نظيرة لها في الكتب الاسرائيلية . لكنه يبدو انه ليس ثمة من مبرر لهذه الكثرة من حالات الحذف والابدال والتمويه في العبارات الواردة في الكتب الاردنية التي اعادت السلطات الاسرائيلية طبعها وفي الكتب الاسرائيلية التي فرضتها على الطلاب العرب في القدس ... وفي ضوء هذا يرى الاردن وجوب السير على مناهجه وكتبه في جميع المدارس في الضفة الغربية بما فيها القدس وفي الضفة الشرقية . ويأمل الاردن كذلك ان تقدم اليونسكو والوكالة معونتهما باداء دورهما القانوني والتربوي والانساني لتحقيق هذه الغاية.»

لمحة عن التغييرات في الكتب

عندما منعت السلطات المحتلة تدريس بعض الكتب في مدارس الاراضي المحتلة ، ادعت ان اعتراضها كان على ما تبثه هذه الكتب في اذهان الطلاب العرب من كراهية لاسرائيل. ولكن نظرة على الكتب الـ٥٩ التي اعادت السلطات طباعتها مع التغييرات التي اضفتها عليها ، تظهر ان ما حذف انما هو ما ليس من مصلحة اسرائيل ان يعرفه الطالب العربي عن وضعه وتاريخه ومستقبله. وان ما حذف او استبدل هو عبارة عن حقائق وقيم تسير باتجاهات واضحة عن الوضعين العربي واليهودي ويمكن حصرها في

اربعة اتجاهات او محاور رئيسية ، نجدها هنا من خلال امثلة من الكتب لا سيما كتب الاجتماعيات والتربية الدينية واللغة والادب العربي ، اذ لا يمكن ايراد كل ما حذف لكثرته . وهذه المحاور الرئيسية هي (١) الوحدة العربية (٢) اطماع الاستعمار في الوطن العربي ومقاومته (٣) تقدم المجتمع العربي والتوجيه نحو الاخلاق الحميدة (٤) الصهيونية ودولتها . وربما كانت هذه المحاور متداخلة ، بمعنى ان هناك امثلة ممكن ايرادها مع محورين او اكثر ، وذلك لان المواضيع او المحاور نفسها متداخلة ، فقضية الوحدة العربية مقرونة دوما بالتحرير والاستعمار والصهيونية ، فهي تشكل مجتمعة منطلق الثورة العربية .

المحور الاول : الوحدة العربية : المحور الاول او ربما الموضوع الاول الذي تم حذفه هو موضوع الوحدة العربية ، في مجالات شتى من حيث ايراد الحقائق وابراز القيم ، الصريحة منها والمبطنة . فمن حيث الحديث عن الوحدة العربية بشكل صريح، عن ضرورتها واهميتها وحتميتها بالنسبة للاقطار العربية تم حذفه من جميع الكتب . فمثلا حذف من :

أ. كتاب **الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثاني الثانوي : ١ ــ الفقرات التي تبحث في ضرورة واهمية الوحدة العربية والمصالح المشتركة والمصير المشترك ، ص ٨ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٢ .

٢ ــ الفقرة التالية : « من هذا كله ندرك انه حتى التضاريس الطبيعية توحي بالوحدة الى ابناء هذا الوطن لان الوضع السياسي القائم الان مصطنع ومن بقايا الاستعمار الاجنبي فالوحدة العربية اذن قائمة ان عاجلا ام آجلا » . ص ١٢ .

ب. كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** ، للصف الرابع الابتدائي : ١ ــ هذه الفقرة من المقدمة تتعلق بأهداف التربية الاجتماعية « ١ ــ تنمية الايمان في نفس الطالب بوحدة الامة العربية ومستقبلها ووحدة الوطن العربي وتكامله والحرص على استرجاع القسم المغتصب من فلسطين والاجزاء السليبة في الوطن العربي » .

جـ. **كتاب الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثالث الثانوي : ١ ــ الفقرة هـ من ص ٧٧ وتشمل ٣٣ سطرا عن اثر الوحدة الاقتصادية العربية على اسرائيل .

د. كتاب **جغرافيا آسيا العربية** ، للصف الخامس الابتدائي : ١ ــ اربعة اسطر عن محاولات تحرير البلاد العربية من الاجانب لتحقيق وحدة عربية قوية . ص ٢٩ .

هـ. كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** ، للصف السادس الابتدائي : الفقرات المتعلقة بالوحدة العربية ص ٣ ــ ٤ ، والتمرين ، هل كانت الوحدة العربية ناجحة ، لماذا ؟ ص ٦٠ ، وكلمة عربية من عنوان فصل عن الاستعمار الاوروبي في افريقيا العربية ، وموضوع موقف الحسين بن علي من فلسطين والوحدة العربية والوضع الثقافي والاقتصادي والصحي والاجتماعي ، ص ١٢٦ .

و. كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحديثة** للثاني الاعدادي : المناقشات رقم ٤ وه ص ١٤٤ ، عن تطبيق ما فعله كافور وغاريبلدي للوحدة الايطالية على العالم العربي وان الوحدة العربية هي الطريق لتحرير فلسطين .

ز. كما حذفت من جميع الكتب كلمة الوطن العربي واستبدلت بكلمة « البلاد العربية » . وعند الكلام عن مقومات الوحدة حذفت جملة تتعلق باللغة العربية من كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي ، « ان الناس في البلاد العربية ومنها فلسطين يتكلمون اللغة العربية » .ص ١ .

كما حذف من كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** للصف السادس الابتدائي ، تمرين عن العملة المستعملة في البلاد العربية . ص ١٩٢ ــ ١٩٣ .

وغير حذف ما ورد بشكل صريح عن الوحدة العربية: فقد حذف كل ما يحث على وحدة الصف في مجالات شتى بشكل عام فقط ، دون ذكر العرب والعروبة فقط. فقد حذفت من كتب الدين جميع الآيات التي تتحدث عن وحدة الصف . ومن كتب القواعد حذفت الجمل التي تشير الى الموضوع ، فقد حذفت من كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي : « اتنازعا بينكم والعدو متربص بكم » ، ص ١٧ .

وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي : استبدلت جملة «يخيف اعداءنا ان نتفق» بـ « يسر اباءنا ان ننجح » ، ص ٦٨ . واستبدلت جملة « لنكن صفا واحدا في محاربة العدو » بـ « لنكن اخوة في هذه المدرسة » ، ص ٤٣ .

وهناك مجال اخر يظهر فيه التضامن العربي والمصالح المشتركة وحذف هو في معاداته ووقفته الواحدة ضد القوى الاستعمارية . فقد حذفت من كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** للصف السادس الابتدائي ما يلي : الفقرة التي تتكلم عن التضامن العربي في الثورة العربية الكبرى والتي تبدأ في « وكانت النشوة والحماسة تعم وجه كل

عربي وكانت المدن والقرى تعلن انضمامها للثورة..»
والفقرات المتعلقة بالقرارات الجماعية في مؤتمر سوريا ١٩١٩ عن الرفض العربي لاتفاقية سايكس بيكو ، ص ١٠٥ . والفقرات المتعلقة بالرفض العربي لتقسيم فلسطين ١٩٤٧ حتى احداث الاردن ١٩٥١ ص ١٢٤ — ١٢٥ . والفقرات عن مشاركة الجيوش العربية في معركة فلسطين ، الجيش العراقي ، ص ١٣٦ — ١٣٩ ، السعودي ، ص ١٤٢ ، المصري ، ص ١٥٣ .

وفي مجال وحدة الصف العربي ايضا حذفت السلطات من الكتب مظاهر التعاون بين المسلمين والمسيحيين العرب ، من كتاب **الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثالث الثانوي ، التوجيهي — العلمي ، وكذلك من كتاب **الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثاني الثانوي .

المحور الثاني : الاستعمار في الوطن العربي ومقاومته: المحور الثاني من سلسلة التغييرات هذه التي ادخلتها السلطات على الكتب هو محور اطماع الاستعمار في الوطن العربي ومقاومته ، وذلك عن طريق حذف الوقائع التاريخية التي تتعلق باحتلال الاستعمار لبعض الاقطار والاراضي العربية وثورتها عليه ، وكذلك من خلال حذف مشاهد لبطولات عربية تعطي مثالا حيا للمقاومة ، عن طريق حذف اية فقرة او جملة او فكرة يظهر فيها حب الوطن والحث على مقاومة اعدائه وقتالهم ، اما من ناحية قومية او دينية (الجهاد) . فمن حيث الاحداث التاريخية، حذفت الجمل المتعلقة بالاحتلال الاستعماري ومقاومته في الوطن العربي منذ ان دخلته القوى الاستعمارية القديمة والحديثة. فقد حذفت مقاومة العرب للصليبيين ودفاع صلاح الدين عن فلسطين ، من كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الخامس الابتدائي ص ٦٩ ، ٨٣ . كما حذف ما يتعلق بالاستعمار القديم والجديد ومقاومته من **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** ، للصف السادس الابتدائي ، وذلك في ما يلي : فقرات من المقدمة المتعلقة بالاستعمار القديم للبلاد العربية واستقلالهم ص ب وت . والفقرات المتعلقة بسقوط البلاد العربية بيد القوى الاستعمارية والسؤال المتعلق بها ص ٣ — ٣٠ . والصفحة الكاملة المتعلقة باحتلال نابليون لمصر ومقاومة العرب هناك له ص ٣٦ . و٦ اسطر ص ٦٢ ، التي تشير الى الاستعمار واسرائيل والتحرر العربي . والاستعمار الفرنسي للجزائر وثورته ص ٦٤ و١٧٣ — ١٧٦ والاسئلة المتعلقة بها ص ١٨١ (ولمحو أي اثر لمثال الجزائر في ذهن الطالب ، حذفت كلمة (جزائري) من كتاب **القواعد الوافية** للثاني الاعدادي وذلك في تمرين لصياغة الجمع ص ١٧ واستبدلت بكلمة ديني) . وسياسة الاستعمارين الفرنسي والاسباني في مراكش ص ٦٨ وثورة المغرب ص ١٦٧ . والاحتلال الاوروبي لمصر والسودان ص ٦٨ والخرائط المتعلقة به ص ١٦٣ وكذلك ثوراتهم الهامة ، وتاريخ استقلالهم . واستقلال الشعب العربي في ليبيا ص ٧٥ . والشعر عن الانتفاضة العربية ضد الاتراك ، ص ٨٣ . والفقرات المتعلقة بالشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا في ٦ و١٦ ايار ١٩١٦ واقوالهم قبل الاعدام ٩١ — ٩٣ . والفقرات المتعلقة باستقبال المدن العربية في سوريا للملك فيصل ص ٩٨ . والفقرة عن الرفض العربي لاتفاقية سايكس بيكو ص ١٠٥ . والفقرة المتعلقة بخطط الامير عبدالله لتحرير البلاد العربية ، ص ١١٠ . والفقرات المتعلقة بالكفاح المسلح للشعب العربي في سوريا ضد الاتراك ثم الفرنسيين ، ص ١١٤ — ١١٦ . والفقرة التي تشير الى اقامة الامير عبدالله لجيش قوي واعماله اللاحقة ص ١٢٣ . وما يتعلق بمعركة السويس ، ص ١٦٢ . وثورة الجنوب العربي ضد الانكليز ص ١٨٨ — ١٨٩ والاسئلة ٨ و٩ المتعلقة بها ص ١٩١ . وحذف من كتاب **جغرافيا افريقيا العربية** للصف السادس الابتدائي الاسطر الثلاثة المتعلقة بصمود بورسعيد أمام الغزو الثلاثي لمصر عام ١٩٥٦ ص ٢٢ . وحذف من كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحديثة** للصف الثاني الاعدادي الفصل الثالث بكامله عن « الاستعمار الاوروبي في الوطن العربي » ص ١٩٠ — ١٩٥ .

اما من حيث البطولات العربية ، فقد حذفت الصور الحية لابطال عرب بأسمائهم وكذلك قصص بطولات ليس لها اي وجود تاريخي . فقد حذفت ، كما مر ، بطولات صلاح الدين الايوبي ضد الصليبيين. وكذلك الجمل المتعلقة به في كتب الادب واللغة ، فمن كتاب **مبادىء البلاغة** للثاني الثانوي الادبي استبدل السؤال « أين يقع قبر صلاح الدين » ص ٤٤ بـ « اين يقع البحر الابيض المتوسط » ص ٣٩ . وحذف من كتاب **القواعد الوافية** ، للصف الثاني الاعدادي ، الجملة من تمرين ٨ ص ٤٠ « نعم المنقذ صلاح الدين » ، واستبدلت بـ « نعم

الصديق اخوك » .

كما حذفت قصص او اشارات لابطال آخرين ، فمن كتاب **عروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي حذف الفصل بعنوان « ميسون » ، عن بطلة عربية في دمشق ايام الصليبيين ص ١٥٤ . ومن كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي حذف سؤال رقم ٩ ص ١١٤ وهو « هل تعرف بين العرب والمسلمين ابطالا من هذا النوع ؟ » وذلك اشارة الى مصعب بن عمير في معركة بدر . وحذف من الكتاب نفسه الفصل عن موسى بن ابي غسان، البطل العربي الذي عاش في الاندلس خلال فترة الاحتلال العربي لها ، والاسئلة والتمارين المتعلقة به ، ص ١٣٠ — ١٣٣ . وحذف من كتاب **النصوص المختارة** ، للصف الاول الاعدادي قصيدة عمر ابو ريشة « نخوة المعتصم » . ومن كتاب **الادب الاعدادي** للصف الاول الاعدادي حذف القسم المقتطف من خطبة العالم الفلسطيني اسعاف النشاشيبي المتعلقة بالبطل العربي ابراهيم هنانو ص ٦٩ — ٧٠ . وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي استبدلت الجملة « كلا الاخوين استمرا بالقتال كالابطال » بـ « كلا الاخوين كانا منتبهين في المدرسة » . وحذف من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي « فصل عن بطل ، طفولته ، شبابه ، اعماله في السلم والحرب ، مدلل على شجاعته وصفاته الحميدة وواجب الامة تجاه ابطالها » ، ص ٤٣ .

هذا من حيث النضال التاريخي ضد الاستعمار في الوطن العربي ومن حيث البطولات العربية التي برزت في مراحل نضال مختلفة . اما من حيث القيم والافكار التي تظهر انها حث على الثورة فقد حذفت الجمل والفقرات المتعلقة بها في كتب الاجتماعيات واللغة والادب العربي والتربية الدينية . ويمكن تقسيمها هنا الى اربعة مواضيع : ١ — حب الوطن ، والحنين اليه، والتصميم على استرجاعه. ٢ — الاستشهاد في سبيل الوطن . ٣ — ضعف الاعداء ، او الانتصار عليهم . ٤ — الجهاد .

وحذفت من كتب اللغة والادب الجمل وبيوت الشعر المتعلقة بالموضوع الاول وهذه بعض الامثلة : من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار**، للصف الاول الاعدادي حذف بيت شعر لاحمد شوقي ، وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي ، ص ٨٩ ، وقصيدة ابي سلمى « التربة السمراء » ، ٩٣ — ٩٥ ، والفصل الخامس والعشرون ، بعنوان « الشعر والوطن » ص ١٠٠ — ١٠٢ ويتضمن ثلاث قصائد مع تفسيراتها وتمارين عليها ، هي : ١ — كم من دماء لاحمد شوقي ، ٢ — لو مثلوا لي وطني لخيرالدين الزركلي ، ٣ — ولي وطن لابن الرومي . كما حذف من الكتاب نفسه موضوع انشاء «نفسي كما اريدها. معتمدا على العناصر التالية ، اريدها ان تكون حرة مثقفة ، جريئة عفة ، صادقة تقول الحق ولو عليها ، مؤمنة بالله واليوم الاخر ، متفانية في حب مليكها ووطنها وامتها ، معتزة بتاريخها وماضيها واثقة بحاضرها مطمئنة الى مستقبلها . » ص ٣٥ . وحذف من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف السادس الابتدائي الدرس ١٣ ص ٣٨ بعنوان « غدا سنعود » . وفي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي : استبدلت الجملة « حافظ على وطنك فان من لا وطن له لا كرامة له»، بـ «حافظ على صحتك فان من لا صحة له لا عقل له » ، ص ١٨ . وحذف بيت الشعر ص ٥ « يا منزلي سلمى سلام عليكما هل الازمن اللاتي مضين رواجع» وقول ابي نواس، ص ٦٨ «الى الله نشكو اننا بمنازل تحكم في آسادهن كلاب» وقول ابن الرومي ، ص ١٨ ، « ولي وطن آليت الا ابيعه والا أرى غيري له الدهر مالكا » . وقول الشاعر ، ص ٩٩ ، « رحلوا فلست بسائل عن دارهم انا باخع نفسي على آثارهم » . واستبدل من كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي ما يلي : ص ١١٤ « الوطن المغتصب جزء مطعونة كرامته » بـ «الحقل الفسيح محروثةارضه».وص ١٠٦ استبدلت « الوطن تقطع اوصاله ويعتدى عليه » بـ « الصحراء تروى وتستغل ارضها » . وص ٢٦ استبدلت « نظرت الى الوطن السليب » بـ «نظرت الى القرية الجديدة » . وص ١٧ استبدلت « قسما بالوطن لنطهرن جوه من انفاس الاعداء » بـ «قسما بالله سأعالج المريض حتى يشفى » . وص ٢١ استبدلت « دافع اجدادنا عن البلاد دفاعا مجيدا » بـ « حافظ اجدادنا على القيم الخلقية وسنحافظ عليها كذلك » . واستبدلت من كتاب **القواعد الوافية** للصف الاول الاعدادي ما يلي : « سحقا لمن يخون وطنه » بـ « سحقا لمن يجحد النعمة » ص ٥٠ . واستبدلت « ان تخدم امتك واجب مقدس » بـ « ان تحترم آراء الغير احترام غيرك » ، ص ٦٨ ، واستبدلت « الوطنية ان تعمل لا ان تقول » بـ « العزم ان تعمل

لا ان نقول » ، ص ٦٨ . واستبدل من كتاب **النصوص المختارة** للصف الثاني الثانوي قول الشاعر « وغمغم وراحت يداه تعبثان ما بين نحر وخد فأهوت على الطفل تشتم فيه روائح فردوسها المفتقد » .

وحذفت كل اشارة للاستشهاد (وتمجيده) في سبيل الوطن ، من كتب الادب والقواعد . فقد حذفت من كتاب **الوافي في تاريخ الادب** ، للصف الثالث الثانوي ، ثلاث قصائد : قصيدة « فدائي » لابراهيم طوقان ، ص ١٤٤ . وقصيدة « الشهيد » لابراهيم طوقان ، ص ١٤٤ . وقصيدة « ساحمل روحي » لعبدالرحيم محمود ، ص ٥٩ — ٦١ . وحذفت من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي قصيدة « الشهيد » لابراهيم طوقان والاسئلة والتمارين المتعلقة بها ، ص ٧٧ — ٧٩ . وحذفت من كتاب **الادب الاعدادي** للصف الاول الاعدادي قصيدة « الفدائي » لابراهيم طوقان مع النبذة القصيرة عن حياته ص ٨٦ — ٨٩ . وفي كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي استبدلت « اولائك الشهداء هم المخلدون » بـ « اولائك المهندسون هم المبرزون » ، ص ٥١ . وحذفت من كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي قصيدتان « وللاوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق » ص ٦ ، و« شرف للموت ان نطعمه انفسا حرة تأبى الهوان » ص ١٧ . واستبدلت من كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي الجملة « أقدم خالد على الموت فداء لوطنه ، ودفاعا عن حريته المقدسة » بـ « اسرع المهندس في انهاء القصر ارضاء لصديقه وخوفا من بداية موسم الامطار » . واستبدلت الجملة « سقط الجندي مضرجا بدمائه » بـ « تقدم الناجح الى المنصة فرحا » ، ص ٩٨ . واستبدلت الجملة « كم رجل قدم نفسه فداء لوطنه » بـ « كم رجل تسرع في كلامه فندم » ص ١٠٩ . واستبدلت الجملة « جرح الجندي صدره » بـ « نظف البيت فناؤه » .

والموضوع الثالث هنا هو الحث على القتال ، قتال الاعداء وحمل السلاح في سبيل الوطن . وهنا تكثر الامثلة عن الجيش والجنود . فكان الحذف من كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي : استبدلت الجملة « ابلينا في الجهاد بلاء وسوف نكافح اعظم كفاح » بـ « ابلينا في الجد احسن بلاء وسوف نثابر اعظم مثابرة » ص ٢١ . واستبدلت « أسر بجيشنا » بـ « أسر معلمينا » ، ص ٢٦ . واستبدلت « هاجم الحرس الوطني المتسللين » بـ « استتب السلام في بلادي » ص ١٦ . وفي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي : استبدل السؤال « اي ابطال الحرب أحب اليك ؟» ص ٤٥ بـ « اي اصدقائك احب اليك ؟ » . واستبدلت « لا يركب الطائرة في الحرب الا الشجاع » بـ « لا يزرع القمح في الحقل الا الفلاح» و« لا يركب الشجاع الطائرة الا في الحرب » بـ « لا يزرع الفلاح القمح الا في الحقل » . واستبدلت «لا يركب الشجاع في الحرب الا الطائرة» بـ« لا يزرع الفلاح في الحقل الا القمح » . وحذفت و« امتطى نسور الجو رعاهم الله طياراتهم لقصف الاعداء » ص ٨٤ . واستبدلت « اذا قال القائد لجنوده » بـ « اذا قال المعلم لتلاميذه » ص ٢٨ . وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي: استبدلت « المجاهدون في سبيل الوطن مخلدون » بـ«المتمسكون بحبل الله فائزون»ص ٣٥ .واستبدلت « فما يخلد ذكر الانسان في الحياة جهاده في الدفاع عن حرية وطنه واستقلاله ومسارعته الى اغاثة المنكوبين ومد يد الرحمة للمحتاجين » بـ « مما يخلد ذكر الانسان في الحياة مبادرته الى الذود عن حق اليتامى والمساكين ومسارعته الى اغاثة المنكوبين ومد يد الرحمة للمحتاجين ». واستبدلت: « هؤلاء الجنود هم الذين انقذوا الوطن » بـ«هؤلاء الاصنام هم الذين عبدهم العرب في جاهليتهم » ص ١١٣ . واستبدلت : « كافأ القائد الجنديين الشجاعين » بـ « كافأ المدير الطالبين المتفوقين». من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف السادس الابتدائي : — حذفت ستة ابيات من الدرس الخامس والعشرين وهو بعنوان « وطنية امرأة » ، ص٧٣ . حذف الدرس الاربعون ص ١٢٣ بعنوان « مملكتنا الاردنية الفتية » والذي يبين مهمة المرأة بالحرب . وفي كتاب **مبادىء في الدين الاسلامي** للصف الاول الاعدادي : حذفت الفقرة ص ٥٠ عن الحرب المقدسة . حذف فصل كامل عن الحروب المقدسة في الاسلام ص ٩٤ — ٩٧ . وفي كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي : استبدلت جملة « جيشنا هو رمز فخرنا » بـ«علمنا هو رمز فخرنا» ص ١٣ واستبدلت جملة : انطلق الجنود الشجعان ليحاربوا الاعداء » بـ « اخذ الاطفال الابرياء يصفقون للفرسان في الملعب » ص ٣١ . واستبدلت جملة « الجنود يحاربون الاعداء » بـ « الحديقة

سياجها متين » ص ٢٩ . واستبدلت « كل جندي وسلاحه » بـ « كل صديق وصديقه » . وفي كتاب **المطالعة الجديدة في القراءة العربية** للصف الثالث الاعدادي : ـ حذف الفصل بعنوان « العرب في حروبهم » ص ١١٤ ـ ١١٧ وحذف موضوع اخر يتعلق بالقتال وهو دور المرأة في الكفاح والجهاد وذلك ص ٢٨ .

هنا يرد الموضوع الرابع والذي يرتبط بالمواضيع الاخرى ايضا وهو ذكر الانتصار او فشل وضعف الاعداء والذي بحد ذاته يثير في الطالب الحماس للقتال . كانت التغييرات في كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي : استبدلت « طغى الهول على الاعداء حقا واشتد بهم الذعر جدا » بـ « تقدم العلم في ايامنا تقدما كبيرا » ص ٢٧ . وحذفت « هزم العدو هزيمة منكرة » ص ١٨ وحذفت « لتلقون بالاعداء فاما انتقاما هم له اهل واما عفوا نحن له اهل » . وفي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي استبدلت « رجع المجاهد منتصرا » بـ « رجع المصطاف منتعشا ». وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الخامس الابتدائي استبدل ما يلي : استبدلت جملة « هزم العدو ». بـ « فتح الباب » ص ١٤ . واستبدلت « يمسي العدو ذليلا » بـ « يمسي الجو لطيفا » ، ص ١٩ . واستبدلت : « اضحى العدو منهزما » بـ « اضحى الضجيج قويا » ص ١٩ . واستبدلت « لعل الجيش منتصرا » بـ « لعل النصيحة نافعة » ص ٢٢ . واستبدلت « ايقنت ان العدو غدار » بـ « ايقنت ان الصديق مفيد » ص ٢٢ . واستبدلت « لن نسمح للعدو ان ينعم بخيراتنا » بـ « لن نكافىء الا المجتهد » ص ٤٧ . واستبدلت « قل عدد الناجين من الاعداء » بـ « قل عدد المتأخرين عن المدارس » ص ٦٤ . واستبدلت « ارتد العدو » بـ «وصل المسافرون » ص ٨٠ . واستبدلت « بات الجنود مستعدين للقاء العدو » بـ « بات الاباء ساهرين على سلامة ابنائهم » . وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي استبدل ما يلي : « الا ان يوم النصر قريب » بـ « الا ان الله غفور رحيم » ص ٧٣ . واستبدلت « هزم العدو هزيمة منكرة » بـ « مثلت المسرحية تمثيلا رائعا » ص ٨٢ . واستبدلت « رجع الجنود منتصرين » بـ « رجع اللاعبون تعبين » . وفي كتاب القواعد **الوافية** للصف الثاني الاعدادي استبدلت جمله « كان جيشنا المنتصر » بـ « كان بيتنا المرتب » ص ٤٩ . واستبدلت « هزم العدو » بـ « دفع الدين » ص ٥٤ . واستبدلت « اطلق النار على العدو بـ « انقذ الطفل من الموت تحت عجلات السيارة » ص ٥٤ . واستبدلت « كأنما يساق جنود الاعداء الى الذبح » بـ « كأنما تسيل الفتنة مع النصر » ص ١٢١ . واستبدلت « ان العدو لغدار » بـ « ان الثعلب لغدار » ص ١٢١ . واستبدلت « اعلن ان العدو منهزم » بـ « اعلن ان المعلم حاضر » ص ١٢٦ .

اما الموضوع الاخير من هذا المحور وهو الحث على القتال من ناحية دينية اي الجهاد ، فقد حذف كل ما يتعلق به من جميع الكتب ، فقد حذفت الايات التي فيها حث على الجهاد . وهنا نورد مثلين من كتاب **التربية الدينية** للصف الثالث الثانوي والاخر **الدين الاسلامي** للصف الاول الاعدادي . فقد حذف من الكتاب الاول الايات من سورة الانفال ، التي تحث على الجهاد وتظهر مواقف العزة في الطريق الى النصر واسبابه ، من الاية ١ ـ ١٦ و ٤٥ ـ ٤٨ ، و٧٢ ـ ٧٥ ، وكذلك من سورة التوبة الآيات المتعلقة بقتال العدو ، من الآية ١ ـ ١٨ و٣٨ ـ ٤٢ . كما حذفت من الكتاب نفسه الاحاديث النبوية عن الجهاد وعن مشاركة المرأة ودورها في الجهاد . وفي الكتاب الثاني حذف الدرس السابع والعشرون بأكمله بعنوان : الجهاد في الاسلام . ص ٩٤ ـ ٩٧ . وكذلك الدرس الثالث والحادي عشر ، ص ١٤ ـ ١٧ و٤٦ . وحذف الشرح رقم ٣ من الدرس الحادي عشر وعنوانه « الجهاد في سبيل الله »، ونصه « اذا اقتضت مصلحة الدعوة الاسلامية القتال دفاعا عن ديار الاسلام او نصرا لدين الله او نصرة للضعفاء او غير ذلك فعلى المسلم ان يبادر للانخراط في سلك الجندية ليقوم بهذا الواجب المقدس » .

المحور الثالث ـ تقدم واصلاح المجتمع العربي : المحور الثالث والخاص بالعرب هو تقدم المجتمع العربي والحث على اصلاحه وعلى الاخلاق الحسنة لا سيما في التربية الدينية . فقد حذفت ٤ آيات من كتب التربية الدينية تحث على الاخلاق الجيدة. فمثلا من كتاب **التربية الدينية** للصف الثالث الثانوي ، حذف من سورة التوبة من الاية ٤٣ ـ ٥٢ عن مطالبة المؤمن بالقيام بواجبه من غير تهرب او تخلف عن اخوانه. كما حذفت من السورة

نفسها من الآية ٥٨ — ٦٠ ، ٧٥ — ٧٩ ، ١٠٧ — ١١٠ والتي تظهر مواقف المنافقين المبنية على الخداع والجري وراء المصالح الذاتية . وكذلك حذفت احاديث الرسول عن مكارم الاخلاق ، من الاحاديث النبوية من الكتاب نفسه . كما حذف ما رواه ابو سعيد الخرزي عن الحث على انتقاء الخير ومصاحبة الاخيار واختيار الرفقة الصالحة. وكذلك ما روته عائشة زوجة النبي في الحث على جميع الاعمال الاخلاقية . كما حذفت جمل تدل على تقدم البلاد العربية . ففي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي (أدبي) ، حذف سؤال عن « عدد الجامعات في البلاد العربية » . ص ٥٠ .

المحور الرابع — الصهيونية واليهود ودولتهم :

أما المحور الرابع والاخير والذي ناله اكثر ما ناله من الحذف والذي حذف بكامله وحتى كل ما يمت اليه بصلة فهو موضوع الصهيونية واليهود ودولتهم . فالمحاور الثلاثة التي مرت مرتبطة بهذا المحور فهو المنطلق والاساس . فقد حذف كل ما يتعلق باليهود (العبرانيون) وتاريخهم وعلاقتهم مع العرب ، في التاريخ القديم والحديث. فمن كتاب **تاريخ الحضارات القديمة في الشرق والغرب** للصف الاول الاعدادي حذف موضوع « العبرانيون » ص ١٠٠ — ١٠٣ ويتضمن الفصول المتعلقة باحتلال اليهود لاقسام من فلسطين واقامة دولة يهودية عليها ، وكذلك الاسئلة المتعلقة بها ص ١٠٤ — ١٠٥ وهي رقم ٥ ، ٦ ، ١١ ، و١٢ . كما حذف العنوان « العبرانيون » من الفهرس ص (ب) . وحذف من كتاب **التاريخ العام ، حضارات العصور القديمة والوسطى ، للصف** الثاني الثانوي ادبي الفصل العاشر عن « الحضارة العبرانية » ، ص ٦٥ — ٧٤ . كما حذفت الايات من كتب التربية الدينية المتعلقة باخلاق اليهود وعلاقتهم مع النبي والاسلام . فمن كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي حذف ما يلي : حذفت جملة « كان اليهود في المدينة المنورة اكثر المرابين » ص ١٩ ، وحذفت «محاربة اليهود للمسلمين وكيدهم» ص ١٩، وحذفت«محاربة معركة الخندق». وحذفت «علاقةالنبي باليهود بينها خيانتهم للنبي واخراجهم من المدينة المنورة ومن خيبر » ص ٤٦ — ٤٧ . وحذفت المجلة « انتصر المسلمون على اليهود في المدينة » ص ٤٨ ، وحذفت الجملة « زمن النبي صارت الجزيرة العربية مسلمة وتخلصت من اليهود وبذلك صار العرب دولة قوية » ص ٥٢ . وحذف سؤال رقم ١١ من صفحة ٥٦ وهو « لماذا طهر النبي الحجاز من اليهود ؟ اذكر احد مراكزهم العامة التي استولى عليها النبي » . وحذف موضوع « عثمان وبئر رومة » ، حول بئر رومة الذي كان صاحبه يهودي تحكم في بيع مائها للمسلمين ، واشتراها منه الخليفة عثمان ص ٦٩ . ومعركة خيبر وعلاقة اليهود بعلي ، حذفت ص ١٠٢ — ١٠٤ . وحذفت الامثلة والتطبيقات عن الموضوع ، ص ١٠٦ . وحذف من كتاب **مبادىء في الدين الاسلامي** للصف السادس الابتدائي الدرس الكامل عن « غزوة الخندق » ، ص ٨٩ — ٩٥ . أما التاريخ الحديث فقد حذف كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومضاعفاتها والصراع العربي — اليهودي من فصول كاملة الى اشارات في جمل . ولكثرة الامثلة هنا نورد مثلا من كتاب واحد وهو كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** للصف السادس الابتدائي حيث حذف فصل كامل من ص ١٩٤ — ٢٣٢ عن « القضية الفلسطينية » ، كما حذفت الاشارات والجمل المتعلقة بها في بقية الكتاب : ص ٣ الفقرات المتعلقة بالقضية وص ٤ الفقرة الاولى والثانية واسئلة ٣ و٤ ، وص ٣١ حذف السؤال رقم ٨ ونصه (كان على الوطن العربي اذن مواجهة اعداء جدد فهل هذا صحيح) . ص ١٠٠ — حذفت الفقرة تحت عنوان « وعد بلفور » من سطر ٣ حتى آخر الصفحة . ص ١٠٢ السؤال « ما هو التعهد الذي اعطاه الانكليز لليهود » . ص ١١٩ — الفقرات المتعلقة بالحرب العربية — الاسرائيلية عام ١٩٤٨ . ص ١٢٤ حذفت الصفحة مع قسم من ص ١٢٥ وهو كل ما يتعلق بالصراع العربي — اليهودي . وص ١٢٦ — حذفت الكلمات الاتية من الفقرة الاولى سطر ٥ « بتحرير فلسطين من الغزاة اليهود » ، وص ١٤٢ — الفقرة الاولى سطر ٥ حذفت كلمتا « حروب فلسطين » و ص١٥٣ — حذفت الفقرة الثانية المتعلقة « بمشكلة فلسطين » . وص ١٥٤ — حذفت الجملة « والعمل مع الدول العربية على تحرير فلسطين » .

وكذلك حذف كل ما يتعلق بالصهيونية وعلاقتها بالاستعمار من جميع الكتب ولذا حذف وعد بلفور ، من الكتاب السابق ، كما حذفت اتفاقية سايكس بيكو وجمل مثل « ادراك اخطار الاستعمار والصهيونية التي تهدد الوطن العربي

بجميع مظاهرها والاعداد لرد هذه الاخطار ومقاومتها بجميع الوسائل » ، وهو أحد اهداف التربية الاجتماعية من مقدمة كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي . وكذلك من كتاب **الوافي في تاريخ الادب** للثالث الثانوي حذف ما يلي : ص ١٦ ، « وقد تركزت فيها لذلك اطماع الصهيونية العالمية المتآمرة على تنفيذ خططها مع الدول الاستعمارية » ، و « فتمكنت الصهيونية من غزو البلاد في ظل الاستعمار » ص ١٧ . كما حذفت قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية واللاجئين . فمن كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحديثة** للصف الثاني الاعدادي حذفت التمارين ٥ ، ٦ ، ٧ المتعلقة بتقسيم فلسطين ، عام ١٩٤٧ ، قرارات الامم المتحدة منذ ١٩٤٨ التي تشير الى عودة اللاجئين الفلسطينيين ونشاطات وكالات الامم المتحدة المختلفة في الاردن . وكذلك المساندة العالمية للقضية مثل مؤتمر باندونغ الذي حذف من كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى** للثاني الاعدادي، ص ١٨٩ .

وغير هذا حذف كل ما يظهر عدم وجود دولة اسرائيل العميق في جذور التاريخ او بالاحرى حذف ما يظهر وجودا غير الوجود الاسرائيلي في فلسطين عبر التاريخ . فقد حذفت كلمة فلسطين من جميع الكتب واحيانا كانت تستعمل بدلا عنها كلمة «اسرائيل» . حتى في المراحل التاريخية التي لم يكن هناك وجود لاية دولة يهودية في تلك المنطقة . وحذف هذا من البحث وكذلك من جميع الخرائط . حيث وضعت «اسرائيل» مكان فلسطين. او حذفت الخريطة كلها اذا كانت لفلسطين ، مثل كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الخامس ابتدائي ص ٩٧ . وهنا يجب الاشارة الى انه في كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي حذفت من خريطة الوطن العربي كلمة « بلاد الشام » ووضع مكانها « اسرائيل » ص ٢ . الشيء نفسه عوملت به كلمة القدس ، فقد حذف كل حديث عنها كجزء من المملكة الاردنية الهاشمية . كما استبدلت بكلمة « اورشليم » التسمية العبرية لها ، حين ابقيت دون الاشارة الى اي بلد تنتمي . وكذلك كلمة الخليل استبدلت « يحبرون » .

ولازالة اي اثبات عن عروبة فلسطين ، وغير هذه التسميات ، حذفت اسماء واوصاف المدن والقرى الفلسطينية ، كليا ، ومن جميع الكتب ، من الشعر ، والقواعد حتى الجغرافيا والتاريخ . فمن الشعر مثلا ، حذف من كتاب **النصوص المختارة** للصف الثالث الثانوي قصيدة «يافا الجميلة»، ومن كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي حذفت قصيدة ابي سلمى « التربة السمراء » ص ٩٣ — ٩٥ اذ هي تذكر بمدن وقرى فلسطينية . ومن كتب الجغرافيا ، مثلا على ذلك نورد كتاب **جغرافيا آسيا العربية** للصف الخامس الابتدائي فقد حذف الفصل السابع الكامل عن الوطن المغتصب فلسطين ص ٨٠ — ٨٧ . وخريطة « فلسطين » ، ص ٥٧ . وحذفت الاشارة ص ٧٢ الى مطار القدس . والجملة المتعلقة بوجود مطاري اللد وحيفا في فلسطين المحتلة ، وكذلك الفقرات المتعلقة بالقدس كجزء من المملكة الاردنية . وحذفت المدن الفلسطينية عند الاشارة الى الطرق وسكك الحديد ، وهي طرق القدس ، الخليل ، غزة ، رفح ، يافا ، خطوط القدس — اللد — يافا ، حيفا — عكا ، حيفا — بيسان ص ٧٠ . وحذفت عبارة : « حيفا في فلسطين » ، سطر ٤ ، ص ٩٧ . ومن كتاب **المطالعة الجديدة في القراءة العربية** للصف الثاني الاعدادي ، حذف فصل عن السياحة في الاردن ، لذكر المدن العربية في الضفة الغربية كجزء من الاردن . وفي كتاب **القراءة الهاشمية** للصف الخامس الابتدائي، حذف درس كامل بعنوان « بلادنا جميلة » وهي تبحث في مناخ فلسطين والمدن والقرى فيها ، والرغبة في اعادتها ، ص ٢١ — ٦٢ .

اما تاريخيا فقد حذفت الاشارة الى احداث حصلت في مدن فلسطينية ، لا سيما القدس ، ومثال على ذلك قصة الاسراء والمعراج ، فقد حذف من الشرح رقم ٦ ص ١٣٥ من كتاب **الدين الاسلامي** للصف الثاني الاعدادي ، ونصه : « ان مجيء سيدنا محمد رسول الله الى فلسطين اكسبها شرفا وقدسية وجعل لها مكانة سامية في نفوس المسلمين في جميع اقطار الارض وهم يتذكرون ذلك كلما تلوا آية الاسراء في القرآن الكريم وكلما احتفلوا بهذه الذكرى السنوية ، ويحرصون على فلسطين أشد الحرص ويرون من واجبهم الديني المحافظة عليها واستعادة ما اغتصبه اليهود منها . وابقاء موطن الاسراء والمعراج بعيدا عن الاخطار » .

كما حذف ذكر وجود قبر الحسين بن علي في القدس، ص ١١١ من كتاب **التاريخ العربي الحديث**

والمعاصر ، للصف الثالث الابتدائي .

اما الجزء الثالث من هذا المحور عن الصهيونية ودولتها والمتعلق بالحنين الى فلسطين وعودة اللاجئين اليها ، فقد مرت ضمن المحور الثاني امثلة عن حذف الحنين الى « الوطن المغتصب » ، و« الوطن السليب » . وقد حذف ايضا كل ما يشير الى عودة اللاجئين الى فلسطين ، استعادة فلسطين ، او العمل على استعادة فلسطين وذلك في القصائد والجمل اللغوية وكتب التاريخ والجغرافيا . فمن كتاب **النصوص المختارة** للصف الاول الاعدادي حذفت القصائد التالية : « الى فلسطين من وراء البحار » لنسيب عريضة و« جهاد فلسطين» لبشارة الخوري و« حنين لاجيء » لرفعت صليبي و« نخوة المعتصم » لعمر ابو ريشة . ومن كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي حذفت تمثيلية شعرية بعنوان « اللاجئون العائدون » ، ص ١٧٣ — ١٧٦ . وقصيدة ابي سلمى « التربة السمراء » ص ٩٣ — ٩٥ . ومن كتاب **المطالعة الجديدة في القراءة العربية** للصف الثالث الاعدادي حذف الفصل بعنوان « بيتي » قصة يرويها لاجيء فلسطيني ، ص ١٢٧ — ١٣٣ . ومن كتاب **بيارق البلاغة** للصف الثاني الثانوي حذفت ابيات الشعر ص ٧ « نحن نفديك يا بلاد فلسطين ... » واستبدلت جملة « يا يهودي ، فلسطين للعرب » بـ « يا كافر الجنة للمؤمنين » ص ١٩ . ومن كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي حذفت جملة في معركة اليرموك : « ستبقى عربية اسلامية للابد باذن الله » ص ٦٨ . ومن كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الخامس الابتدائي حذف سؤال رقم ٦ ص ٩٨ ، وهو « ما هي واجبات العرب والمسلمين لتحرير الوطن المغتصب فلسطين » .

خلاصة

ان هذه اللمحة الموجزة عن ما غيرته السلطات الصهيونية المحتلة في مناهج التعليم في الضفة الغربية تعطي فكرة عن مخاوف اسرائيل مما يعرفه او يؤمن به العربي من حقائق واهداف . تلك الحقائق والاهداف التي هي اساسية في التراث العربي داخل وخارج الاراضي المحتلة ، والتي لم تكن المناهج السابقة افضل تعبير عنها . فالوحدة العربية هي الخطر الاول على السلطات ، فهي اذا لم تستطع ان تفصم الطالب العربي عن العرب خارج الاراضي المحتلة فهي على الاقل تبعد عن ذهنه فكرة وحدتهم وبالتالي قدرتهم . والخطر الثاني والمرتبط بالاول هو ابعاد فكرة الاستعمار عن ذهن الطالب العربي ، حتى لا يربط بين الاستعمار والصهيونية من ناحية وحتى لا يرى حقيقة الاستعمار من ناحية اخرى . وبالتالي حتى لا يربط بين مقاومة الاستعمار ومقاومة الصهيونية من ناحية ولا يجد ضرورة وحتمية مقاومة الاستعمار من ناحية اخرى . ثم الخطر الثالث ، هو معرفة الصهيونية نفسها ، طبيعتها ، اطماعها في الوطن العربي وعلاقتها بشعبه واقتطاعها الجزء من وطنه ، فلسطين . وذلك حتى لا يرى الطالب حقه في هذا الجزء ليكون تمهيدا لانتمائه للدولة الصهيونية في المستقبل .

وربما كانت المناهج المدرسية التي طبقت على القدس والتي تدرس في الاراضي المحتلة الاولى في فلسطين ، اي ما احتل قبل عام ١٩٦٧ تعطي فكرة واضحة عن تلك السياسة التربوية التي تنفذها اسرائيل. اذ هي بكليتها من صنع السلطات. ونظرة خاطفة على هذه المناهج تؤكد ان التغيير الذي فرض على مناهج الضفة الغربية لا يمكن الا ان يكون خطوة اولى ، الخطوات التالية تحددها السلطات في الوقت الذي تراه مناسبا وذلك بهدف خلق المواطن العربي — الاسرائيلي المنتمي اليها والمنفصل عن تراثه العربي .

نجلاء نصير بشور

انطباعات موفد خاص الى الضفة الغربية وقطاع غزة

أوفدت « شؤون فلسطينية » الكاتبة ارليت تسيير الى الاراضي الفلسطينية التي احتلها العدو ١٩٦٧ ، وقد عادت بالانطباعات التالي ترجمتها :

ان تعليق رجل أعمال اسرائيلي لي على الوضع عامة يلخص تقييم الرجل العادي في اسرائيل للاوضاع بعد اربع سنوات من الاحتلال : «الوضع اليوم احسن مما كان في اي وقت مضى . لا اطلاق نار في جبهة السويس . وهدوء في الجبهة الاردنية. وسلطات الاردن تقوم بالنيابة عنا بقطع دابر الارهابيين. الحقيقة ان الحالة ممتازة » . واضاف « بالطبع اننا نتمنى لو نعقد مفاوضات للوصول الى تسوية نهائية ولاعادة ابنائنا الى منازلهم . ولكن ما دام العرب اختاروا العناد فانه يسعدنا ان تبقى الامور على حالها الى أن يعود العرب الى رشدهم ... انظري حولك تري من هو المنتفع من هذا الوضع الغريب حيث لا سلام ولا حرب » .

وكنا نجلس في مقهى عربي في القدس ، بالقرب من باب الخليل ، مطلين على زقاق ضيق . الا ان اشارة اصبعه الى ما يريدني ان انظر اليه شملت كل التبديلات في القدس وضواحيها ، تلك التبديلات التي تدمغ استمرارية الوجود الاسرائيلي في المناطق المحتلة ١٩٦٧ . وسألني « الم تشاهدي ما بنيناه في القدس ؟ الم تلاحظي الفرق في الجو عن السابق — عن زياراتك السابقة في اربع السنوات الماضية ؟ لقد اصبح العرب اكثر هدوءا وتعاونا . لا ازعم انهم يحبوننا . لكننا اقمنا معهم جسرا وعقدنا صلة . لقد انتعشت الاعمال وتدفق السياح ونشطت التجارة . بل ان بعض العرب اخذ يتكلم بالعبرية . لقد تبين لهم انهم اذا كانوا عقلاء وحكيمين وعاشوا معنا بسلام وتعاملوا وتاجروا معنا اصبحنا نحن أيضا عقلاء معهم . والا فلماذا يوجد اليوم اكثر من ثلاثين الف عربي يعملون في اسرائيل في مصانعنا ومبانينا ويكسبون ضعف ما كانوا يكسبون قبل الحرب ؟ » ..

وقال مدير احد اكبر فنادق القدس العربية ، وهو فلسطيني « ان الموسم السياحي هذا العام أفضل موسم منذ الحرب . صحيح ان معظم نزلاء فندقنا هم من الذين زادوا عن الفنادق اليهودية وليسوا من زبائن الفندق المعهودين ، لكننا يجب الا نتذمر. فقبل سنتين لم يكن عندنا نزلاء قط . اما الان فقد عاد نصف العمل السابق على الاقل » .

وتحولت المكتبة التي كنت دائما اتعامل معها الى دكان قرطاسيات . وقال صاحبها « لقد استسلمت للواقع . لم يعد للكتب اي سوق . فأين هو العربي الذي معه مال كاف لشراء الكتب في هذه الايام ؟ ولما اصبحت مخيرا بين ان اتاجر مع الاسرائيليين او أن يجوع ابنائي او نهاجر لم يصعب علي اختيار الامكانية الاولى » . ومع انه في الواقع نمنع طويلا لم يجد اخيرا بدا من قبول عرض تاجر اسرائيلي في تل ابيب بالتعاون في بيع القرطاسيات . وقال لي مخلصا « لقد كنت آمل ، وكان الجميع يأملون ، ان يتبدل الوضع. الا اننا الان نرى ان الحالة قد تستمر على ما هي عليه عدة سنوات . وعلينا ان نعيش . علينا ان نبقى في القدس » .

لقد اصبحت القدس العربية ، في ظاهرها ، مدينة يهودية . فبعد مرحلة تردد خلال نشاط العمليات الفدائية ، اخذ الاسرائيليون مؤخرا ينجزون احتلالهم الثاني للمدينة المقدسة — وهو احتلال سلاحه الحفارات وادوات البناء وشعاره بناء الجسور بين الحاكم والمحكوم . كما تسير عملية

الاستيطان بخطى سريعة . وبينما كان اليهود قبل سنتين يأتون من الجانب الاخر من المدينة للتبضع السريع او للسياحة او للصلاة امام حائط المبكى ثم يسرعون بالعودة قبل حلول الظلام ومجيء « المخربين » ، اصبحوا اليوم يتصرفون وكأنهم أصحاب المكان . اذ أن جماهير الاسرائيليين والسياح « تحتل » البلدة القديمة كل يوم ، من ساعات الصباح المبكرة حتى المساء ، وهم يلبسون اغرب مزيج من الالبسة ، فترى الى جانب « الشورتز » والتنانير القصيرة القفاطين الفلسطينية الشعبية المزركشة ، ومع بناطلين رعاة البقر ترى الكوفيات والعقل . وتراهم يملأون الدكاكين والمطاعم والمقاهي العربية ، وهم بالرغم من المظاهر « الهيبة » يتصرفون كأسياد البلاد واصحابها الجدد .

عندما وصلت القدس في اخر زيارة لي كان العمال قد انهوا تهديم عمارات عربية في منطقة الحرم الشريف . وتهديم المباني عمل « روتيني » في الاراضي المحتلة . وتقوم السلطات اولا باخلاء سكان المباني بهدوء وبحزم (واحيانا قليلة مع دفع بعض التعويض لهم) . وسواء احتجوا ام لم يحتجوا لا احد يبالي . وبينما يختفي السكان الاصليون وتنقطع صلتهم بالمكان (يلجأون الى اقارب لهم الى ان يعثروا على مساكن اخرى ، او ينزحون الى الضفة الشرقية من نهر الاردن للانضمام الى مئات الالاف من النازحين قبلهم) تقوم الات الهدم الحديثة ، بمدى ساعات واحيانا بمجرد دقائق فقط ، بازالة اثار وذكريات اجيال من حياة الشعب ، في سعي اخر لازالة الهوية الفلسطينية عن البلاد ، وبالتالي زيادة شعور الفلسطيني بالمرارة وبحقه في استعادة ارضه .

والى الشمال الغربي من القدس كانت افواج من الاسرائيليين تقوم بزيارة قرية النبي صموئيل ، او بالاحرى ما تبقى من هذه القرية : مقام النبي صموئيل (حيث مدفنه) وبقايا المنازل العربية التي هدمت تهديما كاملا تقريبا . وكان اهالي القرية قد أجلوا عنها بالقوة ودفع لكل عائلة مبلغ الف ليرة اسرائيلية فقط كتعويض عن الممتلكات كلها . وقد شاهدت احد ابناء القرية يعود الى موقع بيته ويقف أمامه بتأثر شديد . فسألني احد السياح الاسرائيليين بغضب « مم يشكو هذا الرجل ؟ لقد عوضنا عليه تعويضا حسنا وبامكانه ان يبني بيتا اخر في مكان اخر ! » فقلت « ولكن الارض ارضه والبيت كان بيته » . فأجابني بصراحة « كلا . الارض ارضنا نحن ونحن في حاجة اليها » . واضاف « يهود كثيرون يأتون الى اسرائيل من اوربه الشرقية ، ويجب ان نوفر اماكن الاستيطان لهم . الا يحصل في كل بلاد العالم ان تنقل الحكومة سكانا قليلين لتتيح لالاف الناس بناء مشاريع نافعة ؟ ثم أن موقع هذه البلدة مهم لنا استراتيجيا . فهو يسيطر على المنطقة بأكملها وعلى الطريق الى القدس. اننا لم ننس بعد حرب ١٩٤٨ » .

وينمو مشروع القدس الكبرى كعاصمة لاسرائيل نموا كبيرا وسريعا بين القدس ورام الله وبين القدس وبيت لحم ، على مئات الدونمات من الاراضي العربية المصادرة . ويعبر عن هذا النمو بمئات المباني (للسكن وللاعمال وللادارة وللحراسة وللتجارة وللتأجير) التي تطبع الختم اليهودي على المدينة . بل أن احد المباني في شمال المدينة يحمل يافطة كتب عليها « مفهوم جديد للحياة العصرية ».

وقد علق احد الشبان الفلسطينيين « لا يسمح لعربي بالاقامة هنا في هذه المنطقة العربية من القدس . ولا يسمح لعربي بالاقامة في غرب القدس ، حيث السكان يهود . لقد كانت عائلتي تعيش في القدس الغربية مدة عشرين سنة قبل حرب ١٩٤٨ . ولا يزال بيتنا قائما هناك . ولكننا لا نستطيع الذهاب الى هناك . لقد ضمت اسرائيل القدس . وضمتنا نحن . واصبحنا مواطنين اسرائيليين . الا انه يجب علينا ان نقيم في اماكن خاصة محدودة » .

قال لي مهندس اسرائيلي ، بزهو « اننا نتوقع سكنى مليون يهودي في القدس الكبرى » . الا انه لم يكن معجبا بنمط العمارة الحديث . « انه قبيح ، بلا جذور ولا علاقة له بالمحيط . لكننا لا نستطيع ان نفعل شيئا » . ثم رجعنا الى القهوة الصغيرة قرب باب الخليل . وجاء صبي راكضا وهمس كلمات بأذن رجل يجلس الى الطاولة المجاورة فقام الرجل وهمس باذن صاحب المقهى وغادر مسرعا ، وقال لي صاحب المقهى « لقد القوا القبض على اثني عشر ولدا في البلدة القديمة. واخو الرجل واحد منهم ».

كل شيء هادىء في الضفة الغربية . والاجراءات الامنية قليلة اذا ما قيست بما كانت عيه ١٩٦٨

— ١٩٦٩ حينما كان العمل الفدائي يشغل بال قوى الامن الاسرائيلية ليلا نهارا ، التي كانت دائمة التنقل فيدوريات بسيارات الجيب والمصفحات نصف المجنزرة او في طائرات الهليوكبتر . واخذت الاشجار تنمو في مواقع ثلاث قرى عربية سويت بالارض في يوم الحادي عشر من يونيو ١٩٦٧ « لاسباب استراتيجية وامنية » . وقد سجل الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان قصة هذه القرى الثلاث (بيت نوبا ويالو وعمواس) تسجيلا تاريخيا في كتابه « اسرائيل : نصر مبكّر » . وكان كينان في الجيش في العدوان وارتعب من وحشية الاعمال الاسرائيلية في هذه القرى الثلاث . ويقرا كتابه الكثيرون من العرب ومن الاسرائيليين وخاصة يقراون صرخته ضد العقاب الجماعي . لكن الاسرائيليين يتابعون اقتراف العقاب الجماعي ويستأنفون تهديم البيوت ، بينما يستمر تعرض العرب للخسارة والعذاب والمعاناة المؤلمة . الا ان منطقة اللطرون ، حيث كانت تقع القرى المذكورة ، هادئة الان . ولم يعد يقيم بها عربي واحد . وقد اقتلعت أشجار الزيتون وكروم العنب من جذورها مع البيوت المهدمة . وتحول اهالي القرى الى نازحين في منطقة رام‌الله او في عمان. وقريبا سيقوم هناك ، على الارض العربية التي طالما تغذت من جهد الاجيال العربية ، غابة اسرائيلية تحمل اسم « غابة النصر » .

وفي الطرف الشمالي من شاطىء البحر الميت ، ينتعش عمل الفندق الاردني قرب اريحا بفضل جماعات السياح والزوار الاسرائيليين . لكن مديره يقول انه لم يشاهد ، منذ ١٩٦٧ ، زائرا عربيا واحدا . فان الفلسطينيين الذين كانوا يقضون اجازات اخر الاسبوع في اريحا او في فنادق البحر الميت قبل ١٩٦٧ يفضلون قضاء اجازاتهم في بيوتهم . « لا احد يعرف ماذا يحصل لو ان الناس يعودون الى المجيء الى هنا بعد الاحتلال . فان كل نزهة وكل فرصة قد تنتهي بمعركة او بحادث ». وقبل زيارتي للمنطقة بأسبوع واحد فقط جرحت قنبلة يدوية خمسة ضباط اسرائيليين ، مات اربعة منهم متأثرين بجراحهم .

يبحث الاسرائيليون عن المياه العذبة في المستعمرات الاسرائيلية الجديدة في الضفة الغربية لنهر الاردن، ويستعملون الالات الزراعية الحديثة في الارض العربية التي هدمت قراها او التي اجلي سكانها عنها او التي لم تكن تفلح من قبل . وقد قال لي صحافي اسرائيلي ، ساخرا « لقد منحنا وقف اطلاق النار وانحسار العمليات الفدائية عبر الاردن فرصة لبناء خطوط دفاع هناك حصينة مثل خط بارليف في سيناء ، في وجه اي هجوم عسكري اردني او سوري او عراقي من هذه الجهة . الا اننا لا نتوقع هجوما كهذا على اي حال » . ويجمع سكان الارض المحتلة على قسوة السخرية الاسرائيلية، واكثر ما يؤلمهم بها أنها لا تعدم الاسباب : فقد حصل الاسرائيليون على سلام في جبهة القنال والجبهة الاردنية والجبهة السورية ، بينما تحاول السلطات الاردنية تصفية الفدائيين في الاردن ، بينما يطلق العالم يدهم ليحتلوا وليضموا ما شاءوا من الارض . والصورة قاتمة من كل جوانبها . وقد اعترف لي محام من القدس « ان الوضع بالنسبة لنا تحت الاحتلال ميؤوس منه . وخاصة منذ مذابح الاردن . اننا نحس اننا طعنا من الخلف ، واننا ضحية ابناء امتنا . والحقيقة اننا لا نفهم ما تبغي اليه سلطات الاردن » .ويقول معظم الفلسطينيين الذين قابلتهم ان الفدائيين هم املهم الوحيد وانهم هم وحدهم القادرون على منع الضم والتهويد او على الاقل على منع انجاز الضم والتهويد بدون عناء وفرضه كأمر واقع . ويقول هؤلاء ايضا انهم ضد وقف اطلاق النار. انهم ضد كل ما يعطي الاوضاع في الارض المحتلة صفة طبيعية بالرغم من الوجود الاسرائيلي . الا أنهم يتخوفون من نتائج المذابح الاردنية التي لا بد ان تؤدي الى ترسيخ هذا الوجود الاسرائيلي. وهم يرفضون المزاعم الاردنية بوجوب حصر العمليات الفدائية في داخل فلسطين المحتلة وعدم شنها من وراء نهر الاردن ، ويخشون ان تكون هذه الدعوة تمهيدا لترسيخ الامر الواقع بحدود بين شرقي النهر وغربيه . وهم يدعون السلطات الاردنية ان تتصرف باعتبار امن شرق الاردن وحمايته مربوط بسلامة غربي الاردن . وبالتالي فان تحرير « الضفة الغربية » يتم انطلاقا من الضفة الشرقية وبفضل اعتبار الضفة الشرقية المكان الطبيعي لانشاء قواعد التدريب والتجميع والانطلاق للفدائيين. ويرون انمهمة الجيش الاردني الاساسية انما هي حماية الفدائيين وتغطية عملياتهم ومساعدتهم .

ويزعم الاسرائيليون ان المقاومة انحسرت في القدس

والضفة الغربية لان السكان هناك لم يكونوا من قبل يدعمون الفدائيين دعما اصيلا واسعا ، من جهة ، ولان السكان اخذوا ، من الجهة الاخرى ، يعتادون على الحكم الاسرائيلي وعلى التعايش معه . ويرد الفلسطينيون الذين قابلتهم على هذه المزاعم بأن السكان لا زالوا يؤيدون المقاومة ، ولا يستثنون الا جماعة صغيرة من المتعاملين الخونة . ويستشهدون على ذلك بالعدد الضخم للفلسطينيين الذين هم في الاسر والسجن او تحت الاقامة الجبرية او الذين ابعدوا الى الخارج ، بتهم القيام بنشاطات فدائية او المشاركة بهـا او مساعدتها . ويبلغ عدد الفلسطينيين الذين اوقفوا او صدرت بحقهم أحكام ، منذ ١٩٦٧ ، خمسين الفا . ولا يزال سدسهم في السجون او تحت الاقامة الجبرية حتى الان . اما ضعف المقاومة الفعلية نسبيا فيرجعه هؤلاء الى احداث الاردن . فان هذه المقاومة الفعالة يجب ان تكون جزءا اساسيا من استراتيجية تحرير شاملة . وما دامت الجيوش العربية النظامية غير مستعدة او غير قادرة على خوض القتال ، وما دامت القوات الاردنية تواجه الفلسطينيين وتحول بينهم وبين الغارات على اسرائيل ، فانه لا معنى لتصاعد المقاومة في القدس او الضفة الغربية بشكل معزول ومحلي لان عملا كهذا لن يؤدي الا الى المزيد من الخسائر والاعتقالات وحوادث النفي والابعاد . « وعليكم ايضا ان تتذكروا اننا الفنا، في السنوات العشرين الماضية ، الاقوال التي نسمعها اليوم في عمان ، حينما كان يقال لنا ان الضفة الغربية ليست المكان الصالح ولا المناسب لتنظيم واطلاق اية مقاومة مسلحة ضد الاسرائيليين، بالرغم من هجمات الاسرائيليين المتكررة على قرانا واعتداءاتهم التي لم تنقطع بين ١٩٤٨ و١٩٦٧ على مزارعنا ومزارعينا ومراعينا ورعاتنا . لقد منعونا من قبل من المقاومة وكانوا يسجنون كل وطني يتهم بالانضمام للمقاومة او يعثر معه على سلاح . وكثيرون من ابنائنا استشهدوا قبل ١٩٦٧ برصاص القوات الاردنية وهم في طريق عودتهم من غارات شنوها على اسرائيل . لقد سلبت منا هويتنا الفلسطينية . وحيل بيننا وبين العمل لاستعادة ارضنا وحقوقنا . وملأ ابناؤنا الوطنيون المتحمسون السجون الاردنية . وبينما كانت السلطات الاسرائيلية توجه شبابها وشاباتها وتعدهم وتدربهم للتوسع كنا نحرم من حق الاستعداد للدفاع عن النفس » . والواقع ان القدس والضفة الغربية كانتا ، عند اندلاع القتال ١٩٦٧ ، بدون دفاع منظم ، ولا دفاع مدني ، ولا ملاجىء ، ولا منظمة للمقاومة ، ولا أي شكل من أشكال الاستعداد . وما كان على الاسرائيليين الا دخول المنطقة وكأنهم في نزهة . هذه هي خلفية شكوى عرب الارض المحتلة .

ويرى عرب الارض المحتلة ايضا ان من اول واجباتهم الصمود والبقاء في البلاد ، مهما كانت المصاعب والضغوط . فان الاسرائيليين يريدون اخلاء البلاد من سكانها العرب . « وعلينا ان نمنع العدو من تحقيق امنيته » . وهذا يفسر كثرة العرب الذين يعملون في اسرائيل . فان البديل لذلك هو النزوح تحت وطأة الحاجة . « الا تعتقدون ان عمالنا وصناعنا الفلسطينيين يفضلون ان يعملوا في مشاريع عربية ولو بنصف الاجور التي يحصلون عليها حاليا من العدو ؟ » . وبالفعل بعث الكثيرون من زعماء المنطقة المحتلة بنداءات الى الدول العربية لتأمين مساعدات لتشغيل العرب في الارض المحتلة « مثلا في اعادة بناء المساكن العربية بدلا من بناء مساكن جديدة للاسرائيليين ، او في انشاء صناعات صغيرة تستخدم عمالا عربا » . الا ان الاستغاثات ظلت بدون تلبية . وقد قال احد الذين اجتمعت بهم من الفلسطينيين العاملين في حقل الخدمات الاجتماعية « مضى عام على آخر مساعدة مالية جاءت من عمان . وهذا الاحجام العربي عن المساعدة يضطر المزيد من العرب العمل في اسرائيل او عند الاسرائيليين ، مما يتيح لالاف اخرى من الاسرائيليين الالتحاق بالجيش » . ان اليأس والاضطراب والمرارة تصبغ تفكير الكثيرين من العرب الخاضعين للاحتلال . وهم يقولون انهم كانوا يتوقعون ان يهز ما حصل في ١٩٦٧ (من هزيمة فادحة ومذلة قومية ، الى جانب خسارة الارض) الامة العربية ويدفعها نحو وحدة العمل وينسيها خلافات الحكام وصراع القوى على السلطة . « لقد سمعنا الكثير من الشعارات والخطب الرنانة . ولكن لما نلتفت الى الدول العربية المختلفة لا نزال نرى المنظر نفسه : من التفرقة والمزايدة والفساد والعجز عن استيعاب خطورة المأساة » . ومع هذا ، لا يزال الفلسطينيون الخاضعون للاحتلال يحتفظون بشيء من

التصميم وبالكثير من التعلق الراسخ والعنيد بالارض ومن الشعور الحازم بحتمية النصر « بغلبة الخير على الشر » . وهذا كله يحميهم من الاستسلام واليأس الكاملين . انهم يحتفظون بالاعتقاد العربي التقليدي واسع الانتشار بأن « النصر للحق » واننا ما دمنا اصحاب الحق فلا بد ان ننتصر . وهم يرون هذا الانتصار في انشاء دولة فلسطينية يتعايش بها المسلمون والمسيحيون واليهود ويتمتعون بحقوق متساوية . « نعيش مع اليهود ، ولكن ليس مع صهيونيين يسودون علينا » . واول كل شيء يجب انهاء الاحتلال .

ويتكلم أبناء القدس والضفة الغربية عن غزة الصامدة بافتخار واعجاب ، وكأنها بلد بعيد ، وخيال ، وكرمز لكل طموح قومي عربي . « لم ينعم الاسرائيليون بلحظة سلام واحدة في قطاع غزة . ولن يحصلوا على لحظة سلام . ولن يقهروا اهل غزة » . ويذكرون ، بشيء من الحسد البريء ، ان اهالي غزة تدربوا ، قبل ١٩٦٧ ، على القتال والكفاح وتسلحوا .

وزيارة قطاع غزة سفر الى عالم آخر . انك تدخل هذا العالم الجديد بمجرد ان تعبر الحاجز على الطريق في بيت حانون . يفحص الجنود المسلحون السيارات بدقة ، بينما يقوم اخرون بحراسة شديدة . ويرفعون كل شيء من السيارة وينتشون تفتيشا دقيقا . ويفتحون الحقائب والشنط ، حتى شنط السيدات الصغيرة . ويدققون النظر في الهويات . ويضيقون على المسافرين ، الداخلين الى القطاع والخارجين منه .

ومحطة سكة الحديد على مدخل مدينة غزة مهجورة تماما الا ان الجنود المسلحين يملأون سطح المحطة والمنطقة المجاورة . وقبل اشهر قليلة فجرت مجموعة من أصابع الديناميت حائط مبنى ادارة البريد الرئيسي وتركت فيه فجوة ضخمة وجرحت واحدا وستين شخصا . وتترك البيوت التي تهدمها السلطات فجوات وركامات في الشوارع . وقد هدم الاسرائيليون ، ما بين يونيو ١٩٦٧ واخر ديسمبر ١٩٧٠ (اي في فترة ثلاث سنوات ونصف السنة) ١١١٦ بيتا ، قصاصا . ان غزة تعيش تحت شريعة الغاب ، بينما تجوب دوريات الجنود المسلحين الشوارع شبه المهجورة واصابعهم على رشاشاتهم واعينهم تتجول بحذر من منطقة الى اخرى . انهم مستعدون لاطلاق رشاشهم لمجرد ادنى حركة يرتابون بها . ومعظم الحوانيت مغلقة . أما الحوانيت المفتوحة فان ستائرها منخفضة بحيث يمكن اغلاقها بأقصى سرعة عند حصول اية متاعب . الحركة في الاسواق شبه معطلة . وتنقطع الاعمال قبل المساء بوقت طويل ، ساعات قبل موعد منع التجول (وهو موعد يتبدل بين يوم واخر حسب الظروف) .

ويكمن وراء النوافذ المغلقة ، وربما في الممرات الضيقة وعلى جوانب الازقة ، رجال وشبان واولاد ، يتربصون لهدف اسرائيلي ما . ويكون الشارع هادئا . وفجأة ينطلق صوت انفجار . ثم رصاص . ثم صفير الانذار . ثم ضجيج السيارات المدرعة المحملة بالجنود . وتسد الطرق . ويمنع التجول . ويمنع الجنود المسلحون الناس من الاقتراب . ويحدق الناس بالبقعة السوداء التي خلفها الانفجار ، وكأنهم يقرأون فيه تفسيرا لما حصل . ويقول أحد الناس « رمى ولد قنبلة يدوية على جندي اسرائيلي واخطاه » . ويرد آخر « بل هو جندي اطلق الرصاص على الناس ، وجرح ثمانية عشر رجلا » . وقد يكون اي منهما مصيبا وقد يكون كلاهما مصيبا . فان الاسرائيليين حذرون ويقظون وسريعو الرد على أية حركة مريبة بحيث يبدو الهجوم عليهم وردهم عليه وكأنهما حركة واحدة .

ان حياة البشر في غزة رخيصة . يقتل الناس فيها ، ويستشهدون ، بكثرة . وهذه هي حصيلة النشاط الفدائي خلال اقامتي في غزة مدة ثلاثة ايام فقط : قتل ثمانية عشر رجلا في هجوم بالقنابل في شارع عمر المختار في المدينة . وعثر على جثتي شابين عربيين ، ممزقين بالرصاص ، في مخيم جباليا . ودمر خط السكة قرب رفح . ودمر خمسة وثلاثون انبوب ري في كيبوتز قرب القطاع . واطلقت دورية الرصاص على صبي في مخيم النصيرات واصابته بجراح . والقيت قنبلة على دورية من الجيش في معسكر البريج . وحصل هجوم اخر بالقنابل على محطة بنزين في رفح . ومع هذا اعتبرت السلطات هذه الايام الثلاثة فترة هدوء .

وتعترف الجروسالم بوست بهذه الخسائر في عام ١٩٧٠ كله في غزة : قتل ثمانية جنود اسرائيليين وتسعة مدنيين يهود وجرح واحد وستين جنديا وثمانية واربعين مدنيا ، مقابل قتل تسعة وثلاثين

وجرح ستمئة وسبعة وستين مدنيا عربيا . كما تزعم الجريدة ان الفدائيين خسروا ، في العام والمدينة نفسيهما ، واحدا وسبعين قتيلا والفين ومئتين وتسعة عشر أسيرا . أما المصادر العربية في غزة فانها تؤكد ان خسائر الاسرائيليين هي اضعاف ما يعترفون به ، وان نصف القتلى العرب انما سقطوا تحت رصاص الاسرائيليين بدون تمييز وكرد فعل سريع وانتقام لاعمال المقاومة . وذكرت لي مصادر أجنبية ، حيادية ، في غزة ان عدد المواطنين في القطاع الذين اوقفوا او اعتقلوا او وضعوا تحت الاقامة الجبرية يزيد على عشرة الاف مواطن في اربع السنوات التي مضت على الاحتلال ، وان عدة الاف من هؤلاء لا يزالون رهن الاعتقال . ويصف اهل غزة الحياة تحت الاحتلال بأنها «جحيم». ولكنهم يؤكدون انهم غير مستعدين ان يستسلموا للاسرائيليين كثمن لحصولهم على « حياة عادية » تحت العلم الاسرائيلي. والواقع ان تدابير اسرائيل الانتقامية كانت قاسية منذ بدء الاحتلال . الا انها بلغت اقصاها في مطلع العام الحالي ، مستغلة مقتل طفلين وجرح امهما في هجوم فدائي بالقنابل اليدوية . فقد ارسلت الى القطاع ، اثر الحادث ، امدادات من بوليس الحدود ، واعلن منع شامل للتجول في مخيم الشاطىء ، وعزل المخيم ونواح من المدينة بأسلاك شائكة . « اما ما تلا ذلك فمما لا يصدقه عقل » كما قال لي طبيب في غزة . « اخذ رجال بوليس الحدود يطاردون الناس رجالا ونساء وصبيانا وبنات ، بدون تمييز ، ويضربونهم بالعصي ويجلدونهم بالسياط ». واطلقت الدوريات الرصاص في الشوارع وقتلت خمسة على الاقل وجرحت العشرات . وفي حادث واحد ، اطلق البوليس فيه رصاصهم على باص مزدحم ، جرح خمسة . ونهبت البيوت في مخيم الشاطىء عندما قام الجنود ببحث عن الاسلحة و« المخربين » ، ونسف عدد منها . واعتقل المئات من الاشخاص . وابعد المئات من العائلات الى معسكرات الاعتقال في سيناء . ويقول بعض ابناء المدينة ان عدد الذين لا يزالون معتقلين في هذه المعسكرات في سيناء يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسمئة واربعة آلاف شخص . لكن المصادر الاسرائيلية الرسمية لا تعترف الا بألف ومئتي معتقل . ولا تكاد توجد عائلة واحدة في القطاع لم تضرر ولم تقاس ، مباشرة ، من نتائج الاحتلال الاسرائيلي ، بفقدان فرد من افرادها ، قتيلا او سجينا او مبعدا او موقوفا ، او صريع رصاصات الجنود الطائشة . ويقاسي السكان كلهم من جراء الوضع الاقتصادي المنهار منذ اربع سنوات . وبينما يشد الاغنياء احزمتهم ويخسرون فرص الرفاهية السابقة يعاني الفقراء من الفاقة ، وبينهم من مضى عليه وقت لم يأكل فيه وجبة كاملة. والاكل في مخيمات النازحين ، حيث يقيم ثلثا سكان القطاع ، اقل بكثير من مستوى التغذية الاساسية المطلوب . وبسبب نقص المخصصات اضطرت وكالة الاغاثة (الاونروا) في اواخر ١٩٧٠ الى تقليص الحصص الموزعة على النازحين والى حذف بعض الاصناف الاساسية بحيث حرم النازحون من سبيلهم الوحيد الى البروتينات ، ونقص نصيب الفرد اليومي من الوحدات الحرارية من ١٥٠٠ الى ما يتراوح بين ٩٠٠ و١٠٠٠ . وافظع من ذلك كله ، كما قالت لي ام لاربعة اطفال ، هو الشعور بأن الامور لن تتحسن « بل انها تسير من سيء الى أسوا . ويصبح الوضع في كل يوم جديد اشد صعوبة وقسوة من الامس » .

ومن الطبيعي ان امهات غزة يعنين بأطفالهن وينشغل بالهن عليهم ، لاضطراب حياتهم المستمر. فهم يعيشون في خوف دائم من « الرجل حامل البندقية » . واشدهم هلعا هم الذين شاهدوا وحشية حرس الحدود في الشهرين الاولين من هذا العام . ويقاسي الاطفال اكثر من الكبار من اعلانات منع التجول حيث يمنع خروجهم من خيمهم او اكواخهم مدة عشرين ساعة متواصلة . وتتقطع دراستهم باستمرار، بسبب منع التجول والتظاهرات والاضرابات والعقابات . وحدث وانا في غزة ان كان ألف طالب مضربين . وقال لي احد المسؤولين عن التعليم ان المدارس في القطاع فتحت في العام ١٩٧٠ مئة يوم فقط .

وبينما يسخر الاسرائيليون من مقاومة غزة ويزعمون انها عديمة الفعالية، يشير اهالي غزة بأن قطاعهم هو المنطقة الوحيدة تحت الاحتلال التي لا يجرؤ اسرائيلي واحد على سكناها . « اننا لا نتوهم اننا نستطيع ان نحرر القطاع بأنفسنا . الا اننا منعنا ونمنع تحقيق الامر الواقع في المنطقة ، وحميناها ارضا عربية » كما قال لي شاب من دير البلح . « ان الجهاد في دمنا . وحتى لو صفى العدو تسعين بالمئة من السكان لن نستسلم . علينا ان ندافع عن ارضنا وتراثنا وحضارتنا » .

وثيقة

بيان "الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان والمواطن" المتفرعة من الرابطة الدولية لحقوق الانسان في نيويورك

لقد تحطمت اسطورة « ليبرالية الاحتلال » الى شظايا . في اجتماع عقد في حيفا قال موشيه ديان : « قبل عام صدر امر للقوات الاسرائيلية في غزة بفتح النار نحو مصادر اطلاق النار عندما يطلقون النار في الشوارع . اي عندما يطلقون النار على جنودنا ، ينبغي عليهم الرد على مصادر النيران ، واذا حدث ذلك في السوق وفر الذي اطلق النار بين الجماهير فان من المسموح به اطلاق النار نحوه وحتى لو اصيب اناس اخرون . لقد كنت مسؤولا عن هذا الامر ، ولم أكن لاحتج لو اصابوا الناس في الشوارع . غير ان الجنود لم ينفذوا هذا الامر . ورفضوا اطلاق النار نحو الجماهير ، واوضحوا بأنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك . انني فرح لانهم لا يريدون . ينبغي اطلاق النار ولكن ينبغي ايضا رؤية المستقبل المشترك » (« يديعوت احرونوت » ٧ يناير ١٩٧١) .

يمكن الاستنتاج من اقوال الوزير المحترم : ان الوضع في غزة وصل الى درجة ان جنود الجيش الاسرائيلي يرفضون تنفيذ الامر الذي يسمح بقتل جماعي ، من خلال ادراك انساني بسيط بأن الامر ، وحتى من قبل وزير ، لا يمكن ان يلزم بقتل مواطنين ابرياء . ومع ذلك هنالك أساس للاعتقاد بأن الوزير لم يكن دقيقا ، فليس كافة جنود الجيش الاسرائيلي رفضوا تنفيذ امره ، ولكننا نبارك اولئك الذين رفضوا . ولم يكن هذا هو راي اكبر صحيفة في اسرائيل ، التي عبرت في مقال افتتاحي عن رأيها عندما وجهت حديثها للقادة: « بأن يهتموا على الاقل بالقيام بتوضيح جيد للجنود، بأنه لا مفر في بعض الاحيان من اتخاذ خطوات شديدة ، ليست لطيفة ... » (« معاريف » ٧ يناير) . نعم ان السماح بقتل جماعي بحاجة ماسة الى التوضيح والشرح . بعد ذلك بأيام زفت الصحف بشرى نقل وحدات من حرس الحدود ، لاول مرة ، الى قطاع غزة « من أجل القيام بمهام الحراسة ومعالجة قضايا الامن الجمة » وان « هؤلاء معروفون بيدهم القوية » (هآرتس ١١ يناير) ومن الجدير بالذكر ، ان رجال حرس الحدود ، الذين يلقبون بأصحاب « القبعات الخضراء » قد اديبوا في حينه بمجزرة كفر قاسم ، هذه المجزرة التي قتلوا فيها بدم بارد ٤٩ انسانا (بما في ذلك الاولاد والنساء وفي يوم واحد) . وكانت العقوبة القصوى التي فرضت حينذاك بحق هذه المجزرة ثلاثة اعوام ونصف العام ، في الوقت الذي غرم فيه المسؤول عن اصدار الامر بالمجزرة، الزعيم شدمي ، بقرش واحد . ومنذ ذلك الحين سجلت هذه الوحدات ، وخاصة بعد الاحتلال ، فصلا مجيدا في تاريخ اضطهاد الشعوب .

عند اقتراب قدوم حرس الحدود الى غزة بدأت تنشر الاخبار التالية : وزير الشرطة : « اننا نأخذ زمام المبادرة بأيدينا » (« هآرتس » ٥ يناير) مراسل معاريف : « سكان غزة ملزمون باجتياز دورة طويلة ومتواصلة في السلوك الحسن » . (معاريف ٤ يناير) . كيف ينقلون دورة في السلوك الحسن ؟ تشهد على ذلك التقارير التالية : « واصل رجال حرس الحدود وجنود الجيش الاسرائيلي الليلة الماضية انتهاج سياسة اليد القوية . اصيب البارحة في غزة ثلاثة أشخاص

عندما لم يستجيبوا لنداء للتوقف وللتشخيص . رجال حرس الحدود يردون على كل تحرش ورفض للانصياع للاوامر . في صباح هذا اليوم اطلقت النار واصيب شخصان في غزة . ففي الحادث الاول شاهد حرس الحدود شابين يحرضان على اغلاق الحوانيت ، وعندما طلب منهما افراد الدورية ابراز هويتهما ، شرعا بالهرب ، وقد اصيب احدهما بجراح ، اما الاخر فقد القي القبض عليه دون ان يصاب ، وبعد نصف ساعة فتح رجال حرس الحدود النار نحو شاب لم يستجب لنداءاتهم ، ومن جراء هذه الطلقات اصيبت شابة عابرة سبيل » (« هآرتس » ١٢ يناير) . « اصيب الليلة الماضية خمسة من سكان غزة بنيران الجيش الاسرائيلي فقد امرت دورية اسرائيلية عددا من السكان بالتوقف وبدل ذلك ، بدا هؤلاء بالفرار وصعدوا سيارة اوتوبيس محلية ، وقد فتح رجال الدورية النار باتجاه الطرف الاسفل من الباص ، باتجاه السكان الذين التجأوا بداخله ، واصيب من جراء الطلقات النارية خمسة أشخاص ، نقل ثلاثة منهم الى المعالجة »، (هآرتس ١٥ يناير) .

كيف يطلقون النار على سيارة باص مكتظة بالمدنيين، ويصيبون بالضبط الفارين ؟ هناك حلول لدى الصحافة الاسرائيلية : « يتلقى الاشخاص الذين يعيشون في المناطق الخاضعة لنظام منع التجول اذونات مغادرة ، ولكن لا يحق لهم العودة الى بيوتهم بعد ان يغادروها . وقد أكدت ذلك مصادر الحكم العسكري . واضاف مدير مستشفى النصر انه يوجد في المستشفى ست نساء انجبن اطفالا ، ولا زلن هنالك لانهن يسكن في مخيم الشاطىء (مخيم لاجئين) ولا يستطعن العودة الى بيوتهن » (جروزلم بوست ١٥ يناير) .

للمرة الاولى منذ الاحتلال تعترف الصحافة الاسرائيلية ان الموضوع ليس «الاحتلال الليبرالي» بل اعمال الكبت الشديدة . فهنالك مناطق كاملة مأهولة بعشرات الالاف من السكان ، تخضع منذ اسابيع كاملة لنظام منع التجول ، عمال يضربون ، تلاميذ يضربون ، تجار يضربون ، اعتقالات واسعة ومحاكمات بالجملة ، ومع ذلك فان التقارير الواردة في الصحافة العبرية جزئية ، وفي معظم الاحيان ليست صحيحة . ان الوضع اسوأ من ذلك بكثير .

اننا ننشر بالاضافة الى المعلومات الواردة في الصحافة الاسرائيلية تفاصيل اخرى ، جمعناها بدقة متناهية من قبل اولئك القلائل الذين قالوا في قلوبهم « ليس بمقدورنا ان نرى امورا كهذه ونسكت » وعملوا بناء على ضمائرهم . اننا نطرح امامك الوضع في غزة مثلما هو في الحقيقة :

أ) ان رجال حرس الحدود الذين يتجولون في القطاع ، مجهزون بالاضافة الى اسلحتهم بالعصي، كما وان قسما منهم مزود أيضا بالسياط ، يقومون باعتقال السكان ، ويضربونهم بوحشية ، ويكسرون عظامهم ، بغرض وضعهم تحت طائلة الارهاب والخوف . انهم يضربون السكان بالسياط ، كما تضرب بها البهائم . ٢) ان الضرب المبرح ، يدفع كثيرا من الناس الى الهرب من رجال حرس الحدود ، حال ظهورهم في المنطقة . وهذا هو السبب الحقيقي لما يوصف بعد ذلك في الصحف كـ «اطلاق النار باتجاه أشخاص حاولوا الهرب» بهذه الطريقة اصيب مئات من الاشخاص ، من بينهم نساء واطفال ومسنون. الا ان الصحافة الاسرائيلية كعادتها تحاول الانكار . في صحيفة « هآرتس » (١٥ يناير) ورد المقطع التالي : ان انباء المراسلين الاجانب التي تزعم ان مستشفيات غزة مليئة بالمصابين الذين ضربوا او جرحوا بنيران قوات الامن لا أساس لها من الصحة . ففي الزيارة التي قمت بها البارحة لثلاثة مستشفيات في غزة (المعمدانيون ، الشفاء ، النصر) وجدت ثلاثة من السكان » . ليست أقوال شهود العيان هي فقط التي تدحض وصف هآرتس ، بل أن هذا الوصف ذاته لا يستطيع مواجهة النقد البسيط اذا ما قارناه بالنشرات اليومية لعدد الجرحى ! فقد شاهد مراسل جروزلم بوست (١٥ يناير) في نفس اليوم ستة من الجرحى في مستشفى « المعمدانيون » ، يقاسون حسب شهادات الاطباء من « جروح ناجمة عن الضرب » وفي نفس اليوم عرض امامه الدكتور الطرزي في مستشفى « الشفاء » رجلين ضربا بواسطة قوات الامن . ولكن من البديهي ان معظم المصابين لا يصلون بالبتة الى المستشفيات في الوضع السائد الان في القطاع ! ٣) ان التحقيق مع المشتبه بهم يجري بوحشية فظيعة . فقد ذكر طبيب يعمل في القطاع : « احضر الي جريح اصيب بطلقات في ساقيه واظهر التشخيص الاولي ان احدى ساقيه قد فقدت ، ويمكن انقاذ الساق الثانية اذا نقل الجريح على الفور الى احد مستشفيات اشكلون . ولكن رجال الامن رفضوا

ذلك ، واخذوا الجريح بناء على أمر ضابط كبير ثم اعادوه بعد اربع ساعات ، وعند ذاك كان الجريح قد فقد ساقه الثانية . ٤) ان اعمال التفتيش في مخيمات اللاجئين وفي الاحياء الفقيرة تجري مصحوبة بسوء معاملة السكان ، وتحطيم ممتلكاتهم البسيطة . وتجري أعمال التفتيش هذه بواسطة رجال حرس الحدود والمراد وحدة الاستطلاع الذين يقومون عادة بتعرية النساء بحجة « التفتيش » ويوقفوهن شبه عاريات ، او حتى عاريات تماما لمدة طويلة أمام الحائط وبهذه الطريقة عاملوهن داخل باص للممرضات ، وكذلك في الشارع الرئيسي . وبعد تدخل اوساط دولية اوقفت هذه العادة في الشوارع الرئيسية ، غير أنها استمرت في الازقة . حلى النساء وساعاتهن تسرق في وضح النهار ، والابتعة البسيطة للعائلات الفقيرة تحطم بوحشية . ٥) آلاف من الناس يعتقلون . وبسبب « النقص في الامكنة » في المعتقلات العادية فتح معتقل ضخم على شاطىء البحر مقابل « كتيبة العمل » . ان الصراخ المرعب ينطلق خلال ساعات كثيرة من هذا المكان المحظور دخوله حتى على الجنود الاسرائيليين . ٦) فتح معسكر اعتقال لعائلات المطلوبين ، في وسط سيناء في ناحال بمنطقة القسيمة ، ويجري توسيعه بسرعة . ويودع في هذا المكان النائي نساء واطفال ذنبهم الوحيد أنهم اقرباء « المطلوبين » . وقد حققت سلطات الاضطهاد في عمليتها النكراء هذه ضد النساء والاطفال رقما قياسيا في البربرية. ومن اجل اضافة التلون على الجريمة ، صدر أمر ينفى بموجبه رجل واجد على الاقل مع كل عائلة « لكي لا يقال بأننا ننتهك شرف المرأة العربية ». ٧) يتم نفي الرجال من عائلات « المطلوبين » (اخوة ، أشقاء ، ابناء عم) الى معسكر اعتقال اخر في سيناء في منطقة ابو رديس ، وذلك بناء على « أوامر ابعاد » رسمية ، حسب تعليمات واضحة من قبل السلطات العليا . ولا ذنب لهؤلاء الا كونهم اقرباء عائلة انسان وقع عليه الاشتباه فقط !

لا تحاولوا التهرب من المسؤولية بدعوى انكم تجهلون ، لا تحاولوا التستر وراء ادعاءات الشرف المزعوم . لا تحاولوا القول ان هذه الاقوال هي بمثابة « تحقير للدولة كلها » . « وانتهاك لمنصة الكنيست » كما قال في الكنيست عضو الكنيست « جدعون هاوزنر » المدعي العام في محاكمة ايخمان (معاريف ٢١ يناير) . الشرف الحقيقي هو اظهار الحقيقة . الشرف الحقيقي هو احترام حقوق الانسان . ان شرفك الحقيقي ، انت أيها المواطن ، يتمثل في وقوفك ومطالبتك بوقف الاضطهاد والتنكيل . ولذا ، فاننا نناشد مواطني اسرائيل كافة ، وذوي الضمائر في كل مكان من العالم : ارفعوا اصواتكم ضد الفظائع التي ترتكب في غزة . اننا نحذر من احتمال تأزم الوضع . اننا نطالب باقامة لجنة شعبية قضائية مستقلة لتحقق في الوضع في غزة . اننا نناشد كافة الجنود والمواطنين في غزة والمناطق المحتلة او في المناطق المحتلة الاخرى بأن لا يلتزموا حبل الصمت ، وان يدلوا باقوالهم عما ابصرته عيونهم، وسمعته اذانهم ، لا تمروا مر الكرام بالقرب من المكان الذي تسمع فيه صرخات المعذبين ! لا تلقوا بالا للتعليمات التي تأمركم بالتزام حبل الصمت . تذكروا : الذي يسكت يساعد القائم بالتعذيب ! تذكروا : ان كل من يتغاضى عن اعمال الكبت ، وكل من يسكت على الظلم ، هو شريك في هذا العمل ، ويتحمل مسؤوليته مع القائمين بهذه الاعمال . ارفعوا أصواتكم ضد الاضطهاد في غزة . هلموا بجماهيركم الى التظاهر .

١٩٧١/١/٢٣

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مؤسسة عربية مستقلة

غايتها إعداد الأبحاث والدراسات ونشر الكتب والدوريات حول مختلف أوجه المجتمع العربي المعاصر وقضاياه الرئيسية بروح علمية وطنية رصينة. كما تعنى المؤسسة العربية للدراسات والنشر بترجمة الكتب القيمة من التراث الإنساني المعاصر ولا سيما تلك التي تمت بصلة الى قضايا الإنسان العربي ومشكلاته الفكرية والحياتية دون ان تعكس هذه الكتب وجهة نظر المؤسسة بالضرورة

قائمة الكتب التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر واسعارها

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الثمن بـ ـ ل
١	ـ تاريخ فلسطين الحديث	الدكتور عبد الوهاب الكيالي	١٠٫٠٠
٢	ـ نقطة البداية (طبعة ثانية منقحة ومزيدة)	الاستاذ ميشال عفلق	٤٫٥٠
٣	ـ السبيل الى تحرير فلسطين	الدكتور منيف الرزاز	١٫٢٥
٤	ـ الوحدة العربية هل لها من سبيل ؟ (طبعة ثانية)	الدكتور منيف الرزاز	١٫٠٠
٥	ـ فرانز فانون	دانيد كوت	٢٫٥٠
٦	ـ ماركوز	اليسدير كانتير	٢٫٥٠
٧	ـ اليهودي اللايهودي	اسحق دويتشر	٢٫٢٥
٨	ـ المخفي من حياة لورنس العرب	فيليب نايتلي وكولون سمبسون	٦٫٠٠
٩	ـ غيفارا	اندره سنكلير	٢٫٠٠
١٠	ـ لا تراجع بل خطوة الى الامام	محمد مسعود الشابي	٣٫٠٠
١١	ـ السياسة المالية والتعبئة الدفاعية في لبنان	يوسف شبل	١٫٥٠
١٢	ـ الماركسية وحرب العصابات	ماركس ، لينين، ماوتسي تونغ وآخرون .	٤٫٠٠
١٣	ـ الوحدة العربية من خلال التجربة	شبلي العيسمي	٢٫٠٠
١٤	ـ برتراند راسل	جون لويس	٢٫٥٠
١٥	ـ الحزب القائد في النظرية والتطبيق	(مناضل عربي)	٢٫٥٠

تحت الطبع

ـ رحلات الشيخ رشيد رضا	رشيد رضا
ـ تطور الايديولوجية العربية الثورية	الدكتور الياس فرح
ـ الموجز في تاريخ فلسطين الحديث	الدكتور عبد الوهاب الكيالي

بناية جفينور ـ شارع كليمنصو ـ بيروت ـ لبنان
تلفون ٣٤٤٠٨٥ ـ برقيا : موكيالي

دار الطليعة للطباعة والنشر ش.م.ل.

الرأسمال المكتتب: ثمانية وخمسون ألف ليرة لبنانية مدفوعة بكاملها

البناية المركزية - شارع الامير بيلاس - بيروت - لبنان
سجل تجاري ١٥١٣٥ - تلفون ٢٥٧١٧٨ - ص.ب. ١٨١٣

منشورات دار الطليعة

صدر حديثا :

مصادر الفكر العربي في الاقتصاد في العراق	د. خير الدين حسيب
كتابات مختارة	روزا لوكسمبرغ
حرب الانصار	اوتو هيلبرون
نظرات في الملامح الاساسية للمرحلة الراهنة	د. الياس فرح
بلادنا فلسطين (الديار النابلسية / ٢)	مصطفى مراد الدباغ
ماركسية ماوتسي تونغ	شرام ، غارودي وغيرهم
حول الصهيونية واسرائيل	هاني الهندي
الاشرفية (قصة مستشفى الاشرفية خلال حوادث ايلول)	د. رؤوف نظمي
حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية	منير شفيق
قضايا المادية التاريخية	انطونيو غرامشي
من الثورة القومية الى الثورة الاشتراكية	عزيز السيد جاسم
الانتفاضة المسلحة	ا. نيوبيرغ
المقاومة عسكريا	أبو همام
حملة ايلول والمقاومة	الجبهة الشعبية الديمقراطية
الرافضون : الحركة الطلابية	اعداد مركز ٢١ للابحاث
كردستان والحركة القومية الكردية	جلال طالباني
التجربة المسلحة في بيرو	هكتور بيجار
الماركسية والايديولوجيا	جورج طرابيشي
الثورة الثقافية البروليتارية في الصين	جان دوبيه
حرب التحرير في البانيا	محمد شيخو
الصراع الطبقي في مصر	محمود حسين
من كومونة باريس الى مجازر عمان	العفيف الاخضر ، مصطفى الخياطي ، حكيمة برادة ، صالح المثلوثي، ناجي علوش

دراسات عربية

تحرص مجلة « دراسات عربية » على ان تكون منبرا لكل الاراء والافكار التقدمية ، لانها تؤمن ان تفاعل هذه الافكار والآراء هو الذي سيساعد على بلورة وعي سياسي عربي متقدم .

و« دراسات عربية » من أجل تحقيق هذه الغاية ، لا تكتفي بنشر الترجمات المفيدة المتنوعة فحسب ، بل تحرص على نشر الدراسات الجادة التي تتناول جوانب حياتنا العربية المختلفة .

وعلى الرغم من أن « دراسات عربية » ممنوعة في العديد من البلدان العربية ، فانها اصبحت من أوسع المجلات العربية الجادة انتشارا .

ولكي تستطيع « دراسات عربية » أن تواصل اداء مهمتها قررت ان تصدر سلسلة من الكتب الخاصة التي تعالج قضايا اجنبية هامة . وقد صدر الكتاب الاول من هذه السلسلة بعنوان : « من كومونة باريس الى مجازر عمان » . وسيصدر الكتاب الثاني خلال اوائل تموز عن « المقاومة الفلسطينية وقضاياها » . أما الكتاب الثالث فسيكون عن « الثورة العربية والوحدة العربية » .

تطلب المجلة والكتب الخاصة من :

دار الطليعة ، ص. ب ١٨١٣ ، ت ٢٥٧١٧٨ ، بيروت

الدار الشرقية للطباعة والنشر

لأصحابها إيلي ربيز وشركاه

تيبو - اوفست

كافة المطبوعات التجارية والفنية، والكتب والمجلات والملصقات

بيروت شارع الحمراء تلفون ٣٤١٦٢٨ - ٣٤٤٤٦٨ - ٣٤٤٤٦٩

تقوم بطباعة مجلة « شؤون فلسطينية » ولديها اكبر مجموعة من الحروف العربية والاجنبية ومستعدة لاخراج وطباعة وتوريد المطبوعات الملونة والعادية بجميع اللغات الى كافة البلدان في الوطن العربي.

مطبعة الغريب

بيروت

شارع هوفلان - مقابل المطبعة الكاثوليكية - هاتف ٢٤٦١٨٥

طبع في مؤسسة منطورة للطباعة
تلفون : ٢٤١٤٧٠

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.